جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية
قسم التاريخ والحضارة



# التنافس الإنجليزي الفرنسي في شبه الجزيرة العربية
## ـ في القرن التاسع عشر الميلادي ـ

رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث

تحت إشراف

الأستاذ الدكتور/ محمود صالح منسي
رئيس قسم التاريخ والحضارة - بجامعة الأزهر



إعداد

أحمد حسين العُقبي
مدرس التاريخ الحديث - بكلية الآداب
جامعة الملك عبد العزيز - جدة



١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية
مراقبة / ادارة الدراسات العليا

بشأن

الرجا عند الرد ذكر رقم ــــــ تحريرا في ــــــ سنة ١٣٩ ( ــــــ ١٩٧ )

عدد المرفقات

## بيان حالة

نوقشت رسالة العالميه ( الدكتوراه ) المقدمه من الطالب / احمد حسون المقبي يوم الاربعاء ٢٠ /٦/ ١٩٧٩ وموضوعها ( الصراع الانجليزي الفرنسي في شبه الجزيـــره العربيه في القرن التاسع عشر الميلادي ) وبعد المناقشه قررت لجنة المناقشه منح الطالب / احمد حسون المقبي درجة العالميه ( الدكتوراه ) في التاريخ الحديث بمرتبة الشرف الاولى — وقد أعطى له هذا البيان تحت تصديق مجلس الكليه والجامعه .

تحريرا في : ٢٧ /٦/ ١٩٧٩

المشرف على الرساله

أ. د محمود حسن صالح منسي

موافق

بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمــــة :

بسم الله الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى ، وسبحان من علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم ، وصلاته وسلامه على نبيه الرسول المعلم العظيم صلى الله عليه وسلم .

وبعد : يرجع اهتمام بريطانيا بشبه الجزيرة العربية الى انها تطل من الشرق على الخليج العربى ومن الغرب على البحر الاحمر ، وهما طريقان رئيسيان بين اوربا والهند بل هما شريانا الحياة للتجارة البريطانية مع الشرق وامبراطورية بريطانيا الاستعمارية فى الشرق ، اما فرنسا ، فان سياستها التقليدية تتركز فى محاولة منازلة بريطانيا وزعزعة مركزها الاستعمارى ، ولذلك كان لابد لها من أن تحاول ان تحرز قدرا ما من السيطرة على الطرق القصيرة المؤدية الى الشرق ، ولما كانت امكانيات فرنسا اقل فهى لم تستطع زعزعة مركز بريطانيا وان كانت قد سببت لها القلق .

ففى القرن التاسع عشر كانت منطقة الشرق العربى الاسلامى قد دخلت الى ميدان الصراع والتنافس الاستعمارى ، ولكن اكثر الكتابات التى تناولت التنافس الاستعمارى الأوربى فى الشرق العربى فى القرن التاسع عشر كانت تحكمها امران :-

اولهما : ان هذه الكتابات ركزت اهتمامها على السياسة البريطانية ونشاطها الاستعمارى فى هذه المنطقة على اساس ان بريطانيا كانت فى ذلك الوقت اقوى دولة فى العالم ، ولها مصالح استعمارية تفوق مصالح أية دولة أخرى بحكم الامتداد الشاسع لامبراطوريتها علاوة على انها الدولة التى خرجت بنصيب الاسد نتيجة لهذه السياسة ، فسيطرت على مناطق

واسعة من المنطقة. وبذلك تكون هذه الكتابات قد اغفلت بدرجات متفاوتة نشاط الدول الاوروبية الكبرى وبخاصة فرنسا التي كانت تقف من بريطانيا موقف الند سواء في الصراع على ارض القارة الاوروبية او في ميدان الاستعمار خارج هذه القارة.

ثانيهما : وبالنسبة لشبه الجزيرة العربية، وهي منطقة لها اهميتها وثقلها السياسي والاقتصادي في الوقت الحاضر، فان مالفت نظري هو ان كل الكتابات السابقة ركزت اهتمامها وتتبعها للنشاط البريطاني في مناطق معينة من شبه الجزيرة العربية، مثل منطقة الخليج العربي او الجنوب العربي، واغفلت مناطق اخرى تبين انها كانت مسرحا لتنافس استعماري بين الدولتين الاوروبيتين بريطانيا وفرنسا، مثل منطقة وسط شبه الجزيرة العربية وغيرها.

ولذلك فقد رأيت ان اتناول هذا الموضوع لجلاء هذه الصوره للتنافس الاستعماري بين بريطانيا وفرنسا في اقاليم شبه الجزيرة العربية كوحدة تكمل بعضها بعضا، مع التركيز بوجه خاص على قلب شبه الجزيرة العربية وغيرها. واطلقت على هذا البحث عنوان : "التنافس الانجليزي الفرنسي في شبه الجزيرة العربية في القرن التاسع عشر الميلادي".

ولما كان هذا التنافس بين الدولتين ماهو الا صدى للتنافس بينهما على ارض القارة الاوروبية وامريكا والهند، فقد خصصت فصلا تمهيديا للحديث عن الصراع بينهما على ارض القارة الاوروبية وذلك كمدخل للتنافس بينهما بعد ذلك على ارض المشرق العربي الاسلامي، وهو حديث يلقي الضوء على جذور هذا الصراع والتنافس بينهما واعماقه وأطواره وحركته.

ثم وزعت دراسة موضوع هذا البحث على ثمانية فصول. ولما كان ابراز ودراسة مظاهر التنافس ودوراته في شبه الجزيرة العربية يرتبط ارتباطا مباشرا

بالأقطار المحيطة به مثل مصر وبلاد الشام والعراق ، وذلك للتأثير والصدى الذى احدثه التنافس الاستعمارى فى هذه الاقطار على شبه الجزيرة العربية ، ولان المخطط الاستعمارى واحد . فقد خصصت الفصل الأول للحديث عن التنافس بين الدولتين الاوروبيتين فى مصر والثانى عن بلاد الشام والعراق وابرزت فيهما الآتى :-

الفصل الاول - والذى كان لا بد منه للآثار التي ترتبت عليه ، من وصول الحملة الفرنسية الى ارض مصر ، وكانت هذه نقطة البداية التى ادخلت الشرق الاوسط فى ميدان الصراع والتنافس الاستعمارى بين الدولتين ، واصبح الشرق لعبة السياسة العالمية ، وزاد من قوة واثر هذه اللعبة ظهور مشروع قناة السويس ثم افتتاحه للملاحة الدولية ، وكان بداية لعصر جديد ، اخذ فيه الاستعمار الانجليزى يثبت من وجوده فى المنطقة بل والعمل على توسيع قواعد هذا الوجود .

اما الفصل الثاني - فكان استكمالا للجسر الذى عبرنا عليه مع الحملة الفرنسية وفتح قناة السويس ، فبلاد الشام والعراق اصبحت قاعدة هامة وميدانا رئيسيا للصراع ارادت فيه فرنسا ان تضرب الدولة العثمانية حليفة عدوتها انجلترا ، لكن الانجليز كانوا أصلب عودا وأعمق مكرا ، زلزلوا جبال الشام وأرضها تحت اقدام الفرنسيين ، وجاء محمد على باشا الى الشام ، وخشيت انجلترا ان يكون ذلك لحساب فرنسا او هو على الاقل لصالح نفوذها على المدى البعيد ، فتصدت لمحمد على بشراسة وعنف وضيقت عليه الخناق .

اما الفصل الثالث فهو عن الحجاز : وفى هذا الفصل خطونا الى شبه الجزيرة العربية وكانت بداية لنقلب فى صفحات التاريخ الحديث عن وجود

فرنسا وانجلترا في الحجاز الذى حماه الله سبحانه وتعالى بوجود بيته العتيق وقبر رسوله العظيم محمد صلى الله عليه وسلم ، وكان الغريب العجيب ان نجد ان الحجاز تحكمه ثلاث فئات الدولة العثمانية ، وطبقة اشراف مكة المكرمة ، والقناصل خاصة القنصلين البريطاني والفرنسي . اما الدولة العثمانية فكانت تحكمه على اساس انها الوريث الشرعي للخلافة الاسلامية والحرمين الشريفين هما الرمز لهذه الخلافة . ولم يكن دورها يتعدى الاشراف العام واصدار ما يطلب منها من فرمانات للتنصيب والعزل بالاضافة الى مايجب ان تدفعه للحرمين كضريبة لتمتعها بلقب الخلافة .

اما الاشراف فهم المهيمنون الحقيقيون على مقدارات الأمور في البلاد ، ولذلك مثلت القوة الثالثة " والفئة الثالثة" التي تحكم او تحاول ان تحكم على ان يكون الاشراف هم الهدف فالسيطرة عليهم اوحتى كسبهم لاى جانب من القوى الأوروبية كان أمرا هاما .

وهكذا حينما نقبنا بين الآف الآلاف من المكاتبات التي تمتلئ بها خزائن ارشيف الحكومة البريطانية بلندن تمكنا من العثور على بعض تلك المكاتبات ( الوثائق ) التي مكنتنا من ان نلقي الضوء على شيء من اهداف ومطامع هذه الدولة في الحجاز فقد وضح مما اوردناه في هذا الفصل مدى الدور الذى كان يقوم به القنصل البريطاني بتوجيه من حكومته في توجيه دفة الأمور والتدخل في سياسة الحكم وحركة الادارة ثم العمل على كسب ولاء الاشراف ومحاربة اى شريف لا يقبل ان يسير وفق

مخططهم ويحقق مصالحهم . وبالمقابل كانت فرنسا تسعى الى تحقيق الاهداف ذاتها وبنفس الاسلوب الا ان جهازها القنصلي كان ضعيفا ولذلك فان اثر النفوذ الفرنسي لم يكن متصاعدا كالنفوذ الانجليزي الذي كانت تدعمه قواعده في عدن والبحر الاحمر. والحقيقة الهامة التي امكن ابرازها في هذا الفصل ان بريطانيا كانت تعمل في الحجاز بشكل مخطط ومنظم لجمع المعلومات ودراسة كل الظواهر السياسية والاجتماعية مع المحافظة على سلطة الدولة العثمانية اسميا وكواجهة تعمل من خلفها .

وهنا أود ان انوه الى ان هذه الدراسات والاستخبارات هي التي بلورت السياسة البريطانية في الحجاز ابان الحرب العالمية الأولى .

والفصل الرابع : عن اليمن . . ومن واقع الوثائق الرسمية أثبتنا الدور البريطاني والفرنسي فيه وكيف ان وجود الدولتين ونفوذهما كان بين مد وجذر طيلة القرن التاسع عشر .

والفصل الخامس: عن عدن . . وقد ابرزنا فيه كيف ان الاستيلاء على عدن كان جزءا من المنافسة بين الدولتين في المنطقة ، كما بينا بالوثائق الرسمية البريطانية والفرنسية ان فرنسا عملت على الرغم من عدم وجود قاعدة رئيسية لها في البحر الاحمر كالقاعدة البريطانية في عدن ، ان تجعل البريطانيين في قلق مستمر وهم يرون السفن الحربية الفرنسية تجوب البحر الاحمر وتقترب تارة من شواطىء اليمن وأخرى من عدن نفسها .

وبالفصل السادس: انطلقنا الى قلب شبه الجزيرة العربية ( فى نجد وحائل ) وتمكنا من الوقوف على المحاولات التى بذلتها كل من بريطانيا وفرنسا لكسب صداقة الزعامة السعودية فى اطوار دولها الثلاثة. وكيف قاومت بريطانيا بكل جهدها النفوذ الفرنسى لدى السعود يين وكشفنا النقاب لاول مرة عن مشروع فرنسى كان يهدف الى احداث انقلاب واقامة دولة قوية فى شبه الجزيرة العربية تكون موالية لفرنسا . كما تتبعنا فى هذا الفصل مراحل العلاقات الانجليزية والفرنسية بامارة حائل وكشفنا ايضا النقاب عن نقطة هامة وهى المشروع البريطانى لمد خط سكة حديد من بور سعيد الى الكويت عبر نجد .

واما الفصل السابع: فقد خصصناه للحديث عن الكويت وقطر والبحرين وحاولنا فيه تلمس التنافس والوجود البريطانى الفرنسى وان كنا لم نحاول التوسع فيه تمشيا مع المبدأ الذى التزمنا به فى خطة البحث .

والفصل الثامن : وجاء نهاية المطاف واستكمالا لدورتنا فى اقاليم شبه الجزيرة العربية ، بالوقوف فى مسقط وعمان التى كانت نقطة ارتكاز هامة فى الصراع بين فرنسا وانجلترا ، وكان المهم فى هذا الفصل هو اننا اوردنا فيه الجديد من المعلومات عن هذا الصراع من واقع الوثائق الرسمية التى لم يسبق نشرها .

وأود ان اشير الى ان هذا البحث الذى استغرق اعداده ثلاث سنوات قد بذلت فيه جهدا وطاقة كبيرتين وذلك لطول الفترة الزمنية التى غطاها وهى أكثر من قرن كامل ولشموله منطقة واسعة واقاليم متعددة ، وقد التزمت منذ البداية بأن تكون المعلومات التى احصل عليها جديدة ثابتة ، ورسمية ، ولذلك

كان لا بد لي من الحصول عليها من مصادرها الاصلية وهي بريطانيا وفرنسا وقمت برحلتين الأولى شملت بريطانيا وفرنسا وتركيا عام ١٩٧٧ ، والثانية شملت بريطانيا وفرنسا فقط عام ١٩٧٨م . وفي الرحلتين تمكنت من الاطلاع على عشرات المجلدات في ارشيف الحكومة البريطانية بلندن والتي حوت بين دفتيها على مئات المراسلات القنصلية والتقارير السرية ، وتقارير المخابرات والقيادات البحرية في منطقة الخليج العربي والبحر الأحمر، وقد اخذت منها ما اعتقدته لازما لهذا البحث وفعلا استخدمت الكثير من تلك الوثائق التي كانت عبارة عن تقارير سرية من بعض قناصل بريطانيا في المنطقة وكذلك بعض ردود للحكومة البريطانية وايضا الخطابات المتبادلة بين بعض السفراء البريطانيين والحكومة البريطانية . وقد اوضحت ارقام هذه الوثائق ضمن المراجع في نهاية هذا البحث. اما الوثائق الفرنسية فقد كانت اقل عددا لظروف تعرض الأرشيف الفرنسي للتدمير في الحرب العالمية وكذلك للتدمير في جده عام ١٨٥٨ ومع ذلك فقد حصلت من ارشيف وزارة الخارجية الفرنسية على عدد طيب من الوثائق والتي هي عبارة عن خطابات متبادلة بين الحكومة الفرنسية وقناصلها في المنطقة وبعض التقارير التي كان يرفعها قناصل فرنسا من اقاليم شبه الجزيرة العربية . وكل هذه الوثائق الفرنسية او البريطانية التي استخدمناها واستندنا اليها في هذا البحث هي رسمية ثابتة وجديدة لم يسبق نشرها . كما اعتمدنا في هذا البحث على بعض الوثائق الفرنسية والروسية والبريطانية المنشورة . واعتمدنا ايضا في هذا البحث على عدد كبير من المراجع العربية والاجنبية .

وارجو ان اكون بهذا الجهد المتواضع قد تمكنت من وضع نقاطا اساسية على طريق البحث عن اسرار وخبايا الصراع الدولي في هذه المنطقة الهامة استراتيجيا واقتصاديا وعقائديا ولتكون هذه النقاط ركائز ابحاث متخصصة ، واكثر

توسعا ، استكمالا لكتابة التاريخ الحقيقي لهذه المنطقة خلال القرن التاسع عشر، ويشرفني وانا انهي هذه المقدمة ان انوه بالجهد العظيم، والتوجيه السديد الذي بذله استاذي لكبيره الاستاذ الدكتور محمود صالح منسي حتى جاء هذا البحث في هذه الصورة ، راجيا من الله ان يجعله دوما راشدا وموجها لكل من اراد البحث التاريخي الجاد والهادف ، وان يجعل عطاءه مستمرا من اجل الخير والثقافة لجيلنا العربي المسلم الطموح ،والله الموفق .

احمد حسين العقبي

القاهرة في ١٣٩٩/٦/٢٢هـ
١٩ مايو ١٩٧٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل تمهيدى : عن الصراع بين انجلترا وفرنسا فى أوروبا والعالم الجديد قبل القرن التاسع عشر الميلادى .

عناصر هذا الفصل :

١ - استفادة انجلترا من موقعها الجغرافى .
٢ - بداية الصراع بين انجلترا وفرنسا فى أوروبا .
٣ - الحروب الدينية وأثرها على فرنسا وانجلترا .
٤ - تطورات الوضع الداخلى فى انجلترا وفرنسا واستغلال الطرفين له .
٥ - الصراع بين فرنسا وانجلترا فيما وراء البحار .

أ- الصراع فى امريكا .
ب- الصراع فى الهند .

٦ - الثورة الفرنسية وآثارها على الصراع بين فرنسا وانجلترا .

١ - استفادة انجلترا من موقعها الجغرافي :

ان موقع انجلترا الجغرافي - هذا الموقع الذى وضعها فى شبه عزلة عن أوروبا - قد سمح لها بأن تعيش عيشتها الخاصة وتسير باطراد فى سبيل التقدم دون ان تتعرض للغزو الذى لم تنج منه دولة اوروبية اخرى ، ويتبين ذلك من ان جيوش انجلترا كثيرا ما غزت اوروبا فى العصور الوسطى والحديثة ، ومع ذلك فلم يدخل انجلترا جيش أجنبى منذ ان غزاها وليم الفاتح سنة ١٠٦٦ [١] ولعل حسنات هذا الموقع الجغرافى والعزلة التى منحها لهذه الجزيرة كانت السبب الهام الذى ميز تاريخ انجلترا باستمرار التقدم على وتيرة واحدة فى اتجاه واحد ، فى حين ان كل تاريخ الدول الأوروبية ملئ بالاضطرابات والانقلابات التى غيرت مجراه ووجهته فى اتجاهات جديدة كما فعلت الثورة الفرنسية فى فرنسا . الا ان هذا الموقع الممتاز لم يمنح انجلترا فى العصور الوسطى امكانية الدخول فى ميدان المنافسة العالمية والمساهمة فى تجارة الشرق نظرا لوقوعها آنذاك على حافة العالم المتمدين وبعدها برا وبحرها عن طرق التجارة المارة بمصر وبلاد الشرق الادنى ، حيث كانت مدن ايطاليا تحتكر تقريبا تلك التجارة الرائجة فى العصور الوسطى . الا انه بعد كشف امريكا سنة ١٤٩٢ وكشف طريق رأس الرجاء الصالح سنة ١٤٩٨ ، انتقلت التجارة الى غرب اوروبا ، وظهرت أهمية موقع انجلترا المتوسط بين اوروبا وامريكا ، واستطاعت تلك الدولة ان تدخل فى ميدان المنافسة الشديدة لاكتساب الاسواق والمستعمرات [٢] ، وهو الميدان الذى سبقتها فيه دول اوروبية عديدة مثل اسبانيا وفرنسا التى كان بينها وبين انجلترا عداء مستحكم

---

(١) حسين كامل سليم : تاريخ أوروبا الاقتصادى فى القرن ١٩ ، ص ٨

(٢) حسين كامل سليم : مرجع سابق ص ١٠٦ .

وحروب منذ عهد " الهمايات " في القرن السادس عشر الى عهد نابليون في القرن التاسع عشر وذلك بسبب تضارب المصالح الاقتصادية والسياسية واختلاف المذاهب الدينية وقد دفعت الرغبة في المكاسب التجارية واحتكار الاسواق والقضاء على المنافسين ، انجلترا من القرن السادس عشر الى القرن التاسع عشر، الى ان تشتبك في حروب عديدة مع اسبانيا وفرنسا حتى تمكنت من الاستيلاء على ممتلكاتهما ، ونلاحظ ان انجلترا في بداية القرن الثامن عشر، وعندما اتسع نفوذ لويس الرابع عشر ملك فرنسا وطمع في ضم اسبانيا الى فرنسا دخلت ضده من سنة ١٧٠٢ الى سنة ١٧١٣ ، وانتصرت عليه وحصلت بهذا الانتصار على جبل طارق وهو مفتاح البحر المتوسط والطريق الى الهند ، وعلى جزيرة نيوفوندلند ، واقليم نوفا سكوشيا واراضي خليج هدسن ، وبذلك وضعت انجلترا اساس ممتلكاتها الواسعة في كندا (٣) .

وفي حرب السنوات السبع ( ١٧٥٦ - ١٧٦٣ ) عادت انجلترا بمساعدة بروسيا الى محاربة فرنسا في عهد لويس الخامس عشر، ولما انتصرت عليها غنمت منها مغانم كبيرة اذ استولت على بقية انحاء كندا وعلى اقليم فلوريدا ، وكل اراضي الولايات المتحدة الواقعة شرقي المسيسبي ، وصارت لانجلترا الكلمة العليا في الهند (٤) .

٢ - بداية الصراع بين انجلترا وفرنسا في أوروبا :

وقدر لانجلترا التي شعرت بشخصيتها وقوتها كدولة متحدة ، أن تبدأ عهدا من الصراع المرير والطويل مع جارتها فرنسا يرجع الى أواخر

---

(٣) حسين كامل سليم مرجع سبق ذكره ص١٠٦

(٤) حسين كامل سليم : مرجع سبق ذكره ص١٠٧

العصور الوسطى وكانت بداية هذا الصراع تتمثل فى تصميم ملوك انجلترا على البقاء فى ممتلكاتهم الفرنسية ، وعزم ملوك فرنسا على طرد الانجليز من بلادهم ، والحيلولة بينهم وبين المودة اليها مهما كلفهم ذلك من حروب ، على ان الأمر لم يخل من اسباب كامنة وراء السبب الاصلى ، وخلاصته رغبة ملوك انجلترا فى السيادة على بلاد اكثر غناء اوخصبا وحضارة من بلادهم ، ولا سيما ان تلك البلاد منقسمة على نفسها انقسامات مختلفة ، وهى اقل تنظيما من انجلترا ايضا . واندلعت بين انجلترا وفرنسا مايعرف فى التاريخ باسم حرب المائة سنة ، ( والتى بدأت فى صيف عام ١٣٤٠ ) والتى افتتحت بمعركة بحرية قرب ميناء سلوس بالساحل الفرنسى ، فى منتصف عام ١٣٤٠ ، وفيها حصلت انجلترا على أول نصر بحرى فى التاريخ كله (٥) ومن ثم اصبحت السيادة على بحر المانش ركنا اساسيا للسياسة البحرية فى انجلترا ، وظلت رحى الحرب تدور حتى تمكن الفرنسيون من اخراج الانجليز من بلادهم ، ولم يمض على خروجهم منها غير عامين حتى اندلعت فى انجلترا نفسها حرب أهلية ، وهى حرب الوردتين التى بدأت بين صفوف النبلاء وانتهت بتصدع تلك الطبقة تمهيدا لقيام نظام جديد (٦) . ثم بدأ عهد جديد فى الصراع بين البلدين ، وهو عصر نستطيع ان نطلق عليه عصر المحالفات الاوروبية ، فقد تحالف هنرى الثامن ملك انجلترا فى عام ١٥١٢ مع ملوك آل هابسبرج ضد فرنسا ، الا انه عاد فى عام ١٥١٥ فتحالف مع فرنسا ضد آل هابسبرج وانضم الى هؤلاء فى عامى ١٥٢٢ ، ١٥٤٢ ضد فرنسا (٧) . وبعد هذا

---

(٥) رواس . ا . ل : التاريخ الانجليزى (ترجمة مصطفى زياده) ص٢٠ ، ٤٢٥ .
(٦) رواس . ا . ل : مرجع سبق ذكره ص٦٦
(٧) مورجنتاو ، هانز . ج : السياسة بين الأمم (الصراع من أجل السلطان والسلام) ص٤٢٠ .

نجد ان مرحلة جديدة في البلدين قد بدأت وهي مرحلة الحروب الدينية .

٣ - الحروب الدينية وأثرها على فرنسا وانجلترا :

عاشت فرنسا في حروب دينية من عام ١٥٦٠-١٥٩٨ تخللتها فترات انقطاع الى ان صدر مرسوم نانت الذي ضمن للهيجونوت البروتستانت تسامحا دينيا وخولهم وضعا ممتازا جعل منهم دولة داخل الدولة في المملكة الفرنسية ، واشتعلت الحفائظ في اثناء تلك الحروب الدينية التي لجأ الدهماء اثناءها الى كثير من اعمال العنف ، واتسمت خلالها اعمال العسكريين بالقسوة . ومع ذلك فان هذه الحروب لم تخلف ندوبا عميقة من شأنها ان تعرقل رخاء المجتمع الفرنسي ، بل ان فرنسا خرجت بعد انتهائها اقوى مما كانت عليه في أي وقت مضى ، فأضحى جيشها اقوى جيوش القارة ودبلوماسيتها اقدر في استقاء الاخبار ، وبلاطها ازهى بلاط في اوروبا (٨) .

وكانت بريطانيا اسعد حظا من غيرها ، اذ توقت ويلات الانقلابات الدينية التي اكتوت بنارها القارة الأوروبية . ولم يعد خطر استرداد الكاثوليكية للجزيرة البريطانية مرة أخرى عاملا فعالا في السياسة الدولية الا في الجزء الأخير من القرن السابع عشر حين بدأت مرحلة اضطهاد لويس الرابع عشر للهيجونوت ، وكان كل من شارل الثاني وجيمس الثاني كاثوليكيا ، عمل اولهما في الخفاء بينما افصح الثاني عن حقيقة نواياه ، وقد عمل

---

(٨) فيشر ، هربرت : اصول التاريخ الاوروبي الحديث ، ص ٢

كلاهما على اعادة انجلترا الى حظيرة الكاثوليكية بالاستناد الى جيش فرنسي(٩) .

٤ - تطورات الوضع الداخلي في انجلترا وفرنسا واستغلال الطرفين له :

احتدمت في اواخر القرن السابع عشر الميلادي ـ منازعات دستوريه في انجلترا ، وثارت مشكلة سلطات التاج والى أي حد يستطيع الملك وقف العمل بقوانين البلاد ، وفي محيط تلك المشكلات نشأ الحزبان الانجليزيان الكبيران ـ حزب الهويج ، وحزب التوري * ، ولقد كفلت حكمه الملك شارل الثاني وحنكته السياسية الا يتطور هذا النزاع الى ازمة يستعصى حلها . الا ان وريثه للعرش جيمس الثاني كان خلوا من هذا وذاك ، فضلا عن حماسته الشديدة للكاثوليكية واعتزامه فرضها على البلاد التي اضحت كثرتها العظمى بروتستانتينية . ولذا قام حزب الهويج بحملة عنيفة لحرمان جيمس الثاني من وراثة العرش ، لولا تدخل المعتدلين من حزب التوري لانقاذه ، وقد كان هم جيمس الثاني عند اعتلائه العرش عام ١٦٨٥ بنكران اذ استغل فشل الثورة التي قام بها الدوق منت للمطالبة بالعرش، واخذ في تكوين جيش ثابت بما يصله من المال من لدن لويس الرابع عشر ( ملك فرنسا ) (١٠) .

واستطاع لويس الرابع عشر في الفترة الواقعة بين ١٦٦١ ، ١٦٨٥ ان يعتمد غالبا على صداقة انجلترا . حيث كانت اسرة ستيوارت فرنسية

---

(٩) فيشر ، هربرت : نفس المرجع السابق ص٢٣-٢٤ .
(١٠) رواس، أ . ل : مرجع سابق ص١٢٦-١٢٧ .
* حزب الهويج : هم اهل الصولة والاراضي الواسعة ، مضافا اليهم شلة المخالفين واصحاب الاموال .
حزب التوري : هو حزب فئة معظمها من صغار الاعيان في الاقاليم .

بعض الشيء ، فشارل كان حفيد هنرى الرابع، وكانت اخته هنريت Henriette ( مدام Madem ) متزوجة من دوق اورليان الذى كان اخا للويس الرابع عشر، اى ان كل شيء كان يجذبهم الى فرنسا : الدم الفرنسي ، والضيافة الفرنسية اثناء المنفى ، والابهة الفرنسية ، والاتقراطية الفرنسية ، والاموال الفرنسية . لذلك كانت صداقة فرنسا عظيمة الاهمية بالنسبة لشارل ثم خليفته جيمس بدرجة عظيمة ، فقد كانا يأملان بمساعدة فرنسا ، توفير التسامح الدينى للعقيدة الكاثوليكية القديمة ، وقد يوفران لها فى النهاية السيطرة التامة ، كما انهما باستخدام الموارد الفرنسية بالملاذ الاخير قد يتمكنان من الدفاع عن امتيازات البيت المالك اذا تعرض التاج من جديد لتحد شديد . ومن ثم كانت انجلترا فى عهد الملكين الاخيرين من اسرة ستيوارت - فيما عدا فترة قصيرة - موالية لفرنسا . ويمثل هذا الاتفاق الانجليزى الفرنسي والذى ساد خلال النصف الاول من حكم لويس الرابع عشر عاملا هاما فى تفوقه وسيطرته والاهمية والمكانة المعظمتين التى تميز بهما آنذاك (١١) .

واذا تجاوزنا الوضع الداخلى القلق فى فرنسا واشتداد الضغط على الحكومة بسبب الضرائب التى اقتضاها تمويل الحرب الالمانية اولا ثم الحرب الاسبانية التى استمرت احد عشر عاما عقب توقيع صلح وستفاليا وما تمخض عن هذه الاحوال فى مجموعها من قيام الثورتين المجيدتين واللتين عرفتا بثورتى الفروند الأولى والثانية ، فاننا نجد أن لويس الرابع عشر الذى عاد مرة اخرى الى باريس فى ٢١ اكتوبر من عام ١٦٥٢ ، هو اول

---

(١١) فيشر ، هربرت : مرجع سبق ذكره ص ٣٠٤ .

ملك فرنسي جعل من الملكية مهنة جديدة ائتمنته العناية الالهية نائبها لها ، واستمر يتعشق العظمة ويمقت البروتستانت ، وهي اهواء وان مجدها مواطنوه تمجيدا كبيرا ، فقد اقحمت فرنسا في حرب مضنية دامت اربعين عاما ، فقادتها بذلك الى الخراب ، وكلفت البشرية غاليها في الوقت الذي كانت فيه ملكية لويس الرابع عشر باتساعها وأبهتها وقوتها المنظمة شيئا جديدا على أوربا (١٢) .

وكان غزو فرنسا للأراضي المنخفضة الاسبانية عام ١٦٦٨ نذيرا بالخطر على الهولنديين ، فاسرعت الجمهورية الهولندية بتسوية خلافاتها مع انجلترا ، وعقدت مع انجلترا والسويد محالفة ثلاثية في مايو ١٦٦٨ ، كانت كافية على قصر عهدها لايقاف فرنسا وحث لويس على الجلاء عن فرانش كونتيه ( معاهدة اكس لا شابل ١٦٦٨ Aix-La-Chapelle وقد جرح شعور الخيلاء في العاهل الفرنسي ان رأى جمهورية تافهة من التجار المارقين اخرجتها فرنسا الى الوجود لتوازن بها عدوا مشتركا تبلغ بها الجرأة ان تنضم الى حلف ضدها (١٣) .

ومات شارل الثاني عام ١٦٨٥ وخلفه على عرش انجلترا جيمس الكاثوليكي المتحمس المجاهر بعقيدته ، وكان جيمس هاما للويس الرابع عشر ملك فرنسا . ومن ثم كان امرا بالغ الأهمية اذا للويس ان يظل الملك الكاثوليكي على عرش انجلترا ، وان يتعلم رعاياه الشاكسون - وهم لا يحصون عدا - احتمال ظلمه في صبر ، وطالما بقي جيمس على عرش انجلترا

---

(١٢) فيشر ، هربرت : مرجع سبق ذكره ص ٢٦٥ .
(١٣) فيشر ، هربرت : مرجع سبق ذكره ص٢٠٧ .

فليس ثمة ما يدعو للخوف من مضايقات الاسطول الانجليزى لمستعمرات جزائر الهند الغربية ، أو من أشتراك الجيش الانجليزى فى العمليات الحربية ضد فرنسا فى القارة الاوروبية (١٤) .

وعجلت رعونة جيمس الثانى فى محاولته فرض الكاثوليكية على مواطنيه الانجليز بوسائل غير دستورية بوقوع الثورة المجيدة عام ١٦٨٨ ، تلك الثورة التى نصبت وليم الثالث ملكا على انجلترا ، بعد ان غادر جيمس الثانى البلاد هاربا عام ١٦٨٨ الى فرنسا ، حيث التجأ مع زوجته وابنه الى بلاط لويس الرابع عشر ، وهكذا تمت الثورة دون اراقة دماء ، وبقى النضال ضد لويس الرابع عشر يتراءى فى المستقبل القريب ، ذلك ان الثورة حولت مركز انجلترا الى الزعامة ضد اغراض فرنسا فى اوروبا ، وهى الزعامة التى لم تستطع انجلترا ان تتبوأها قبلا بسبب التنافس على السلطة داخل البلاد (١٥) .

واخذت انجلترا تولى وجهها نحو السياسة الخارجية مرة أخرى ، الامر الذى زاد من انغماسها فى صراع خطير ضد لويس الرابع عشر حيث اضحت ايرلندا محورا للازمة الاوروبية سنة ١٦٩٠ .

وهكذا واجه لويس فى الحرب التالية التى شنها لتوسيع رقعة فرنسا انجلترا التى لم تعد منافسا صديقا بل غدت عدوا نشطا ، ودار الصراع بينهما حول قضايا خطيرة استمر لمدة عشرة اعوام ( ١٦٨٨-١٦٩٧ ) وانتهى بايقاف فرنسا بشكل جدى عند حدها (١٦) .

---

(١٤) فيشر ، هربرت : مرجع سبق ذكره ص٣١٢-٣١٣ .
(١٥) رواس ، أ . ل : مرجع سبق ذكره ص١٢٧-١٢٨ .
(١٦) فيشر ، هربرت : مرجع سبق ذكره ص ٣١٨ .

وفي عام ١٧٠٠ مات ملك اسبانيا واصبح فيليب ( الامير الفرنسي ) الوارث لامبراطوريتها وفق وصية الملك شارل الثاني ( امبراطور اسبانيا ) وبذلك قضى على جميع الخطط وسياسات تقسيم الامبراطورية الاسبانية ووجد لويس نفسه مضطرا الى قبول الوصية والتحول من نصير للتقسيم الى درع واق لاسبانيا الموحدة ، وباتت الدول الاوروبية منذ بداية ذلك القرن مهددة بسيطرة فرنسا على غرب اوروبا ووسطها ،وتعرضت حينئذ سلامة انجلترا لما تعرضت له سائر تلك الدول من اخطار، غير ان الشعب الانجليزي لم يشعر لاول وهلة بما يتهدده من خطر، كما هي عادته على مر الزمن طوال تاريخه ، ولم يستطع ان يدرك مبلغ الخطر الذي ادركه وليم الثالث في ايامه الاخيرة ،بل ان لويس الرابع عشر هو الذي فتح عيون الشعب الانجليزي بما كان من اعترافه بابن جيمس الثاني ملكا على انجلترا ، والذي اعتبر تدخلا مباشرا في شئون انجلترا مما اثار حفيظة الانجليز .

وفي عام ١٧٠٤ بدأ الهجوم المضاد ضد فرنسا من انجلترا وهولندا والمانيا ودارت اول معركة على الحدود البافارية عند بلنهيم ، انتصر فيها الجيش الاوروبي المختلط وانقذ النمسا من فرنسا . وكما انتصر هذا الجيش ثانية عام ١٧٠٦ في موقعة راملييس في الاراضي المنخفضة الاسبانية . وبالمعركة الثالثة عام ١٧٠٩ عند الملاكية فتح الطريق امام هذا الجيش الاوروبي لمهاجمة حصون الحدود الفرنسية الشرقية ثم غزو فرنسا نفسها . وفي عام ١٧١٣ تم التوصل الى صلح يوترخت الذي وضع نهاية لحرب الوراثة الاسبانية التي استمرت اثني عشر عاما (١٧).

---

(١٧) رواس ، أ.ل. : مرجع سبق ذكره ص ١٤٢ .

٢٨٨٣٤٣

وفى التاريخ لا يقف شيء عند حد معين ، فصلح يوترخت أ،أوترخت عام ١٧١٣م يعتبر نقطة مميزة ، ضعفت بعدها بدرجة ملموسة أهميـــة الدوافع الدينية والأسرية التى لعبت من قبل دورا عظيما فى تشكيـــل سياسات الدول ، اذ حل محلها الصراع على المستعمرات والاســـواق ، فالصراع الطويل بين انجلترا وفرنسا على السيطرة الاستعماريـــة وهـــو الصراع الذى يميز تاريخ القرن الثامن عشر ليست فيه ذرة من المصالـــح الدينية او الاسرية . فقد تقدمت الصفوف طبقة جديدة من القـــادة والسياسيين لم تكن تهتم بشيء من هذا (١٨) . وعادت فرنسا الى سياسة العدوان باثارة الحرب فيما وراء البحار، لاشباع الروح الجديدة التى سيطرت على سياستها الامبراطورية .

٥ - الصراع بين فرنسا وانجلترا فيما وراء البحار:

أ - الصراع فى امريكا :

بدت الأرض الامريكية كلوح المرآة التى تنعكس عليها صور النـــزاع والتنافس بين انجلترا وفرنسا ، التى كانت تجرى على أرض اوروبا . . . ففى الوقت الذى كانت العلاقات الانجليزية الفرنسية يسودها الهدوء والسلام عندما كان شارل جيمس ملكا لانجلترا على وفاق مع فرنسا التى كانت تمدهما بالأموال وتناصرها ضد البرلمان ، كان حكام المستعمرات الانجليز فـــى امريكا يعاملون جيرانهم الفرنسيين معاملة طيبة سمتها الرفق واللـيـــن ،

(١٨) فيشر، هربرت : مرجع سبق ذكره ص ٣٣٤ .

الا ان هذا الوضع تغير عندما تغير الوضع في أوروبا باعتلاء وليم أوف اورنج عرش انجلترا عام ١٦٨٩ وبدأ النزاع ( دورة جديدة ) بين الدولتين والأمتين وأمتد طيلة قرن وربع خرجت منه انجلترا منتصرة قوية، وسيدة على البحار ومسيطرة على التجارة في اكثر انحاء العالم. ويذكر أن النزاع الذي جرى بين الشعبين الانجليزي والفرنسي في امريكا ماهو الا دور من ادوار الرواية الأوروبية الحربية الكبيرة ، وان كان يلاحظ على هذا النزاع انه بقي متقطعا وغير منتظم حتى منتصف القرن الثامن عشر(١٩) وفي تلك الأيام كانت اوروبا تهتز بقوة تحت وطأة خصومتين كبيرتين هما : النزاع بين بروسيا والنمسا ، بحرب الوراثة النمساوية وحرب السنوات السبع واشتعلت أوروبا بنيران حرب الوراثة النمساوية ،ووصلت الشرارة الى المستعمرات الأمريكية، وقام الخلاف بين الفرنسيين والانجليز من جديد ، وأخذ الخصان يتنازعان وادي اوهايو الخصيب ، ثم مالبث أن نشب في اوروبا نزاع جديد عرف في التاريخ باسم حرب السنين السبع ، فكان تأثيرها على ساحة الصراع الأمريكي كالأحداث السابقة، فنشط الانجليز وحاولوا الاستيلاء على وادي أوهايو الخصيب عام ١٧٥٥ ولكن المحاولة فشلت ، الا أنه بعد ان تبدل الوضع في انجلترا نفسها ، وتولى وليم بت توجيه دفة امورها ،وضع المخططات الرامية الى تقوية النضال وتشديده ضد الوجود الفرنسي في امريكا (٢٠) وجعل بت من امريكا الهدف الرئيسي لجهوده، وفطن الى اهميتها واعتبر سائر العمليات الحربية عاملا مساعدا للأستيلاء عليها ، وبنى بت خطته الكبرى لتحطيم النفوذ الفرنسي في كندا بهجوم

---

(١٩) فرحات زيادة وابراهيم فريجي :تاريخ الشعب الامريكي ، ص٣٦-٣٨

(٢٠) فرحات زيادة وابراهيم فريجي : نفس المرجع ص٣٨ .

ثلاثي يوجه من الغرب والجنوب والشرق(٢١) وأخذت حصون الفرنسيين تتساقط الواحد تلو الآخر حتى استولى القائد الانجليزي ولف على مدينة كويبك في ٣ سبتمبر سنة ١٧٥٩م ، وفي السنة التالية سقطت مونتريال ، وتم اكتساح كندا ، واراد بت ان يحرز انتصارا تاما لكي يملي شروطه للصلح على الفرنسيين ، الا ان دخول اسبانيا الحرب عام ١٧٦١م الى جانب فرنسا ، أخر وقت الصلح سنتين ، وانتهت الحرب عام ١٧٦٣م بتوقيع معاهدة باريس ، والتي بموجبها تخلت فرنسا عن كندا لانجلترا وعن كل الأراضي الواقعة شرقي نهر المسيسبي ، وتخلت اسبانيا عن فلوريدا مقابل استرجاعها جزيرة كوبا التي احتلتها انجلترا خلال الحرب ، غير أن هذه الامبراطورية الواسعة التي ظفرت بها انجلترا في امريكا بموجب معاهدة باريس لم تدم طويلا ، اذ نشب الخلاف بينها وبين مستعمراتها (٢٢) .

واصبحت انجلترا بعد حرب السنين السبع دولة ذات سطوة وبأس شديد ، ومن الطبيعي أن تعمل الدول الأوروبية ـ بزعامة فرنسا واسبانيا ـ على ايجاد الفرصة للتعاون فيما بينهما ، لتصحيح التوازن واعادته الى نصابه القديم . كما ان انجلترا اصبحت بدون صديق في القارة الأوروبية . وقد بدأ الوضع الداخلي في انجلترا يهتز ويضعف نتيجة تدخل الملك جورج الثالث الذي خلف جورج الثاني عام ١٧٦٠ في شئون الحكومة ، وعجز رجل انجلترا القوي وليم بت عن القيام باى جهد كالسابق نظرا لمرضه . وباتت الامبراطورية العوبة في يد السياسة الحزبية والأهواء

---

(٢١) فيشر ، هربرت : مرجع سبق ذكره ص٤١٢ .
(٢٢) فرحات زيادة وابراهيم فريجي : مرجع سبق ذكره ص٣ .

الشخصية ، وتغيرت الحكومة عدة مرات، وأهمل كل شيء حتى البحرية التي تعتمد عليها سلامة انجلترا ... وفي هذه الظروف اندلعت ثورة وحرب الاستقلال الامريكية والتي يرجع اسبابها المباشرة الى انه بعد زوال السيطرة الفرنسية عن امريكا الشمالية نهائيا ، اصبحت العلاقة بين انجلترا والمستعمرات امرا أقل ضرورة للمستعمرات نفسها عن ذى قبل ، فضلا عن الخلاف الذى نشأ نتيجة رغبة الحكومة الانجليزية ان يتحمل او يساهم الامريكيون في تخفيف ثقل الديون التي ترتبت عن الحرب مع الفرنسيين ، وان تقوم المستعمرات بدفع مصاريف قوة الدفاع الامبراطورية بامريكا ، الا ان المستعمرات رفضت بالاجماع دفع الضرائب ، وهذا الاتفاق الاجماعي على عدم دفع الضرائب من المستعمرات ولد بينها درجة من الوحدة (١٣) الا ان النزاع بين المستعمرات والحكومة الانجليزية هو في حقيقته صدام بين المصالح الاقتصادية في الامبراطورية وأيضا سوء التفاهم الذى تسببه عادة ثورة العواطف (١٤) . وان كان بعض المؤرخين ينظرون الى هذه الحرب التي قامت بين انجلترا ومستعمراتها الامريكية بانها حرب اهلية خالصة بكل ما في تلك التسمية من المعاني والاحزان . ونحن في هذا البحث لا يهمنا الدخول في تفاصيل هذا النزاع او هذه الحرب بقدر ما يهمنا معرفة النقاط الرئيسية التي بدا فيها الصراع واضحا بين انجلترا وفرنسا . ففرنسا الآن قد طردت من الارض الامريكية نهائيا وبقيت انجلترا صاحبة السيادة والكلمة فهل ستبقى هكذا امدا طويلا ؟ وهل فرنسا ستبقى تراقب الموقف من بعد ؟ فالحوادث ستجيبنا على هذه التساؤلات في الآتي :-

---

(١٣) رواس . أ . ل . مرجع سبق ذكره ص ١٥٥-١٥٧ .
(١٤) فرحات زيادة وابراهيم فريجي : مرجع سبق ذكره ص ٤٢ .

١ - اندلعت حرب الاستقلال الامريكية ( وبصرف النظر عن كل التفاصيل ) وانتهى الدور الاول منها باستسلام الجيش الانجليزي بالجهات الشمالية من المستعمرات (٢٥) عندما اجبرت قوة انجليزية تحت قيادة الجنرال "برجوين" Burgoyn في ١٧ اكتوبر سنة ١٧٧٧ اثناء تقدمها جنوبا نحو نيويورك على التسليم في "ساراتوجا" Saratoga .

٢ - اثار فرنسا "الملكية" ذلك الخبر الذي دوى في جنبات العالم ، واحيى فيها دوافع الغيرة وحب الانتقام والحماسة (٢٦) .

٣ - عندما اندلعت حرب الاستقلال الامريكية كان يحكم فرنسا لويس السادس عشر ، وكان يتصف بالضعف والعجز في السياسة الداخلية والخارجية ، حتى انه لم يستطع ان يقف امام الشعب الذي اندفع في ارسال حملة من المتطوعين تحت قيادة لافاييت Lafayette لمساعدة الولايات الامريكية الثائرة ، وذلك انتصارا لمبدأ الحرية وتشفيا وانتقاما من عدوتهم اللدود ( انجلترا ) . واضطر الملك الى الاذعان لحماس الرأي العام فاعلن الحرب على انجلترا عام ١٧٧٨ ، مع علمه بافلاس خزينة الدولة وشدة الحاجة الى الاقتصاد في المصروفات العامة وخطر تحمل فرنسا نفقات حرب كبيرة مع دولة قوية كانجلترا . . وقد كانت الحكومة الفرنسية تحجم عن نصرة وتأييد الولايات الثائرة عام ١٧٧٦ خوفا من النفقات الفادحة التي يتطلبها

---

(٢٥) رواس ، أ . ل : مرجع سبق ذكره ص١٦٢ .
(٢٦) فيشر ، هربرت : مرجع سبق ذكره ص٤٢ .

ذلك ولخوفها من قوة انجلترا البحرية ، وهي القوة التي تغلبت على فرنسا في حروب عديدة في القرن الثامن عشر وسلبتها كل مستعمراتها في امريكا والهند (٢٧) .

ويشير بعض المؤرخين، الى ان فرنسا ايدت اهل الولايات منذ اعلانهم الثورة على الانجليز، فتدفقت الاموال على الثائرين ، وتطوع كثيرون من الفرنسيين للخدمة في الجيش الامريكي ، وراقبت الحكومة الفرنسية تطور النضال بعين الحذر والقلق ، حتى اصدر الامريكيون ( اعلان الاستقلال ) المشهور في ٤ يوليو عام ١٧٧٦ ثم احرزوا أول انتصاراتهم في ساراتوجا في العام التالي ١٧ اكتوبر عام ١٧٧٧ ، ووصلت اخبار هزيمة الانجليز الى باريس في بدء ديسمبر من العام نفسه ، وكان قد رحل الى باريس وفد امريكي يطلب التأييد والمحالفة مع فرنسا بصفة رسمية ، فابلغتهم فرنسا ان حكومة الملك على استعداد لعقد هذه المحالفة ، وفعلا تم ابرام المعاهدة الامريكية الفرنسية في بداية فبراير عام ١٧٧٨ ، على اساس تنازل فرنسا النهائي عن كندا ، وذلك لقاء ان تحصل فرنسا على كل ما تستطيع قواتها الاستحواذ عليه من جزر الهند الغربية ، وجهزت فرنسا اسطولين احدهما للعمل في المياه الامريكية بقيادة داستان D'Estaing والاخر لارغام الاسطول الانجليزي على البقاء محصورا في المياه الانجليزية بقيادة دورفيلار D'Orvillars فابحر داستان الى امريكا والهند الغربية ، واشتبك لادورفيلار مع الاسطول الانجليزي في موقعة اوشانت Ushant البحرية ، وكانت معركة غير حاسمة (٢٨) وفي سنة ١٧٧٩ ازداد

---

(٢٧) حسين كامل سليم : مرجع سبق ذكره ص ٢-٢١

(٢٨) الدكتور محمد فؤاد شكري : عبدالله جاك منو وخروج الفرنسيين من مصر ص ٤ .

موقف الانجليز سوءا اذ اعلنت اسبانيا الحرب على انجلترا ايضا ولحقت بها في السنة التالية هولندا لسحق انجلترا وقوتها البحرية . وفيما بين سنتي ١٧٧٨ و ١٧٨١ قدمت فرنسا كل القوى البحرية ونصف البرية من القوى المحاربة ومقادير كبيرة من الذخائر بلغت تكاليفها ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر١ مليار فرنك وفي مقابل ذلك تعهدت الولايات الامريكية بان لا تعقد صلحا مع انجلترا مالم تكن فرنسا مستعدة له . وعلى اثر المحالفة الفرنسية الامريكية ضاعفت انجلترا قواتها فاصبح استعداد الفريقين كاملا للحرب (٢٩) .

وبات واضحا ان انجلترا دفعت ثمن ماتمتعت به من شامخ السلطة والسيطرة المطلقة منذ حرب السنين السبع (١٧٦٣-١٧٧٦م) وتلك هي المرة الوحيدة - في التاريخ الانجليزي كله - التي تعرضت فيها انجلترا لوطأة حلف عالمي ضدها ، ذلك ان الامر لم يقتصر على قيام فرنسا واسبانيا في وجه الانجليز ، بل انضمت اليهما " دول الحياد الشمالي المسلح " بنفوذها السياسي وقوتها البحرية . وهي روسيا وبروسيا وهولندا ودول شبه جزيرة اسكندناوه . وضاقت السبل على انجلترا فعلا حين صارت السيادة في المياه الامريكية للأسطول الفرنسي عام ١٧٨١م واذ أضحى الجيش الانجليزي بقيادة كورنوليس بالجهات الجنوبية من المستعمرات الامريكية مقطوعا عن انجلترا ، على حين حاصره واشنجتن من ناحية البر ايضا (٣٠) وتمكن واشنجتن من هزيمة الانجليز في يورك تاون York Town في ١٩ اكتوبر ١٧٨١ ، وكانت هذه المعركة من المعارك الفاصلة التي ارغمت الانجليز على الاعتراف باستقلال الولايات الامريكية بعد فترة قصيرة .

---

(٢٩) فرحات زيادة وابراهيم فريجي : مرجع سبق ذكره ص٩ ص٦٠ .
(٣٠) رواس .أ . ل : مرجع سبق ذكره ص ١٦٤ .

الا انه من جهة اخرى تمكن امير البحر الانجليزى رودنى Rodney ان يحرز انتصارا على القائد الفرنسى دى جراس فى مياه الهند الغربية فى معركة حاسمة فى ١٢ أبريل ١٧٨٢ واسره ايضا . مع ان الفرنسيين كانـــوا يحاولون غزو الشواطئ الانجليزية بعد ان اطمأنوا الى تفوقهم البحـــرى بموازرة حلـفائهم ضد اساطيل العدو فى المياه الانجليزية ، وقد تجنب اسطولهم دائما الاشتباك مع الانجليز فى معارك كبيرة حاسمة . وما ان عقد الانجليز مع الامريكيين مقدمات الصلح فى ٣٠ نوفمبر عام ١٧٨٢ ، حتـــى ابرمت فرنسا واسبانيا مقدمات الصلح مع الانجليز ايضا فى فبراير ١٧٨٣ ووضعت الحرب اوزارها ، وتم عقد الصلح النهائى بين الدول الثلاث فـى معاهدة فرساى فى سبتمبر ١٧٨٣ (٣١) وانعقد هذا الصلح على اســـاس عادل ، وهو الاعتراف باستقلال الولايات المتحدة . فانجلترا وان كانت قد فقدت المستعمرات الامريكية الثلاث عشرة ، فقد بقيت فى يدها كندا ، وفى تلك الايام العصيبة التى كانت تمر بها انجلترا انقذت عبقريـــة وارن هيستنجز وجهوده العظيمة مركـز انجلترا فى الهند ، ووقفت حامية جبل طارق فى وجه القوات الفرنسية والاسبانية المتحدة ، واستعاد رودنـــى السيادة البحرية من اساطيل فرنسا واسبانيا بانتصاره العظيم على مقربـــة من ليسانت Lessaintes بجزر الهند الغربية (٣٢).

ان الحرب الامريكية لم تدفع الصرح المتداعى للمالية الفرنسية الـــى الهاوية فحسب ، بل ان انتصار الديمقراطية فيما وراء المحيط الاطلنطى قد اضاء فى كافة الاذهان التقدمية فى فرنسا صورة اوروبا . كما ان تحريـر

---

(٣١) الدكتور محمد فؤاد شكرى : مرجع سبق ذكره ص٤٠ ، ٥٠

(٣٢) رواس . أ . ل : مرجع سبق ذكره٣٠ ، ٤٠

المستعمرات الامريكية بمساعدة فرنسا قد تسبب في احداث تغيير كبير في شعور الناس نحو ذلك النضال على جانب المحيط الاطلنطي (٣٣) وقد افضى كل ذلك الى ذيوع آراء الفلاسفة والمصلحين الاقتصاديين الاحرار الذين عرفوا باسم (الفيزيوكرات) Physiocrats ، وهم الذين نادوا بالغاء الضرائب الكثيرة والاتاوات المرهقة ، والاستعاضة عنها بضريبة واحدة هي ضريبة الارض ، على اعتبار ان الارض مصدر الثروة الطبيعية (٣٤)

ب- الصراع في الهند :

سبق ان وقفنا بصورة سريعة على حدة الصراع وقوته بين كل من انجلترا وفرنسا على ارض القارة الامريكية ، والذي انتهى بانتصار معنوى وسياسي كبير للجانب الفرنسي في الصراع . الا ان هذا الصراع بطبيعة الحال لم يتوقف بل استمر هنا وهناك وخاصة في القارة الهندية ، بل لقد كان صراعا طويلا وشاقا .

فقد جاء الانجليز الى الهند تاركين جزر اندونيسيا بعد ان عجزوا عن مقاومة التفوق الهولندي فيها ، واسسوا أول وكالة تجارية لهم في ثغر سورات ، ومنه اخذوا يمدون اذرعتهم في كل اتجاه ، ويقيمون لهم مراكز تجارية على السواحل الهندية ، وكانت مراكزهم الرئيسية في بومباى على الساحل الغربي ، وفي مدراس على الساحل الشرقي ، وفي كلكتا في اقليم البنغال ، عند مصب نهر الكنج ، وفي اثناء هذا التوسع الانجليزي على سواحل الهند جاءت شركة الهند الشرقية الفرنسية واتخذت لنفسها

---

(٣٣) فيشر ، هربرت : مرجع سبق ذكره ص٤٢٤ .
(٣٤) الدكتور محمد فؤاد شكري : مرجع سبق ذكره ص٨ .

مراكز تجارية أخرى ، وكانت من مراكزها الرئيسية بوند شيرى التي تقع على الساحل الشرقي للهند وعلى مسافة نحو ١٦٠ك م جنوب مدراس ، وقد قامت بين الشركتين الانجليزية والفرنسية منافسات واصطدامات مسلحة هي جزء ماكان قائما بين فرنسا وانجلترا من المنافسة في جهات أخرى من العالم (٣٥).

ففي بداية جولات التنافس بين انجلترا وفرنسا على أرض القارة الهندية كان الحظ حليف فرنسا ثم تخلى عنها بعد ذلك ، وعمل القائد الفرنسي دوبليه Dupliex على تشييد امبراطورية لفرنسا في الجنوب وطفق يعمل مع الامارات الهندية على طرد شركة الهند الشرقية الانجليزية من البلاد (٣٦). وفي اثناء حرب الوراثة النمسوية ( ١٧٤٠ — ١٧٤٨ ) كان النفوذ الفرنسي مسيطرا في جنوب الهند ، وكان يتولى قيادة الاسطول الفرنسي لابوردنيه Labordonnais والقائد دوبليه يعمل في بوند شيرى لتحقيق فكرته لتكوين امبراطورية فرنسية عن طريق التحالف مع الهنود وجيش من السباهية Sepoy وبسي Bussy يحيك المؤامرات السياسية في " حيدر آباد " بل ان مدراس نفسها انتقلت لحكم فرنسا لبضع سنوات ، ولكن الاوضاع انقلبت بعد صلح اكس لاشابل Aix-La-Chapelle عام ١٦٦٨م اذ اصبحت شركة الهند الشرقية الانجليزية اقوى في التجارة والمال بدرجة فائقة من شركة الهند الشرقية الفرنسية (٣٧).

---

(٣٥) ابراهيم شريف : الشرق الاوسط ، ص ١٩
(٣٦) رواس ، أ . ل : مرجع سبق ذكره ص ٢٥١ .
(٣٧) فيشر ، هربرت : مرجع سبق ذكره ص ٤١٤ .

كان لانجلترا في ميدان العمل رجال اصلحة ، كما كانت على استعداد لتقديم الدعم والتأييد لهم . وفي الوقت الذي استدعت فيه فرنسا رجالا بارزين من الميدان في الهند وهما ( لابورد ونيه ودوبليه ) اكتشفت انجلترا رجالا اقوياء مثل روبرت كلايف Robertclive وستريجر لورنس Stringer Laurence وايركوت Eyrecoote وبينما لم تتمكن السفن الفرنسية من عبور المحيط الهندي من قاعدتها المهيدة في جزائر موريشيوس Mauritius في فصل الرياح الموسمية ، كانت المساعدات البحرية جاهزة لتأييد المصالح الانجليزية في كل فصل من فصول السنة كما انه في الوقت الذي كانت تبدو فيه فكرة بعض الفرنسيين بالتحكم في اقليم الدكن Deccan لدى رجال السياسة في باريس ضربا من الجنون ، كانت مجموعة من الانجليز بقيادة روبرت كلايف قد نجحت في البرهنة على انه من الممكن تحقيق خطة لبسط هذه السيطرة السياسية وعلى نطاق واسع ، وقد تمكن كلايف من هزيمة الهولنديين وطرد الفرنسيين من البنغال وشمال " سركار " Circare وقضى على نفوذهم في حيدر أباد وبسط النفوذ الانجليزي على وادي نهر الكنج Ganges وانتصر على الفرنسيين في معركة بلاسي Plassey عام ١٧٥٧م .

وعندما وضعت الحرب أوزارها بصلح باريس ١٧٦٣ بعد حرب السنين السبع ، اخرجت فرنسا من الهند ولم يبق لها الا بعض المراكز التي كانت في يدها في يناير ١٧٤٩ (٣٨) واعتبر البعض صلح باريس نهاية لعهد الامبراطورية الفرنسية الأولى ، وان هذه الامبراطورية الاستعمارية لن تقوم لها قائمة بعد ذلك . وفات هؤلاء المتشائمين ان فرنسا على الرغم

---

(٣٨) فيشر ، هربرت : مرجع سبق ذكره ص ٤١٤-٤١٧ .

من خسائرها الجسيمة في المستعمرات ، كانت ما تزال محتفظة بعدد من الجزر ذات الغلال الهامة في الهند الغربية ، اهمها سان دومينجو ، والمارتينك ، وسان لوسيا ، وهي جزر الانتيل ، التي عرفت باسم " جزر السكر " وذلك عدا جزيرتي بربون ، وموريتيوس أو دي فرانس في المحيط الهندي وليس من شك في ان فرنسا ما كانت تفيد من كندا قدر ما كانت تجنيه من جزر الهند الفرنسية خاصة ، ذلك ان هذه الجزر امدت فرنسا بالسكر والبن والقطن وغير ذلك من السلع ، التي ظلت حاجة الفرنسيين اليها عظيمة . اضف الى ذلك ان بقاء بربون وموريتيوس في حوزة فرنسا يجعل من هاتين الجزيرتين مراكز تستطيع منها فرنسا بدء محاولة اخرى لبناء امبراطورية استعمارية جديدة في الشرق الغني (٣٩) . وقد ظهر في فرنسا جماعة من المتفائلين الذين اعتقدوا ان في استطاعة بلادهم احياء الامبراطورية القديمة . وكان في طليعة هؤلاء المتفائلين الدوق دي شوازيل Choiseul وزير خارجية فرنسا منذ عام ١٧٥٧ والرجل الذي تسم على يديه عقد صلح باريس في ١٠ فبراير ١٧٦٣ فقد اخذ شوازيل يعمل على ازالة ما ترتب على هذا الصلح من آثار أساءت الى مصلحة بلاده ، ووجد ان خير ما يحقق هذه الغاية تدخله في المسألة الشرقية الى جانب حلفاء فرنسا القدماء كالسويد وبولندا وتركيا ، غير ان شوازيل لم يكن موفقا في مشاريعه الاستعمارية وخرج من الوزارة (٤٠) .

اما الانجليز فقد عادت عليهم معاهدة صلح باريس ١٧٦٣ بفوائد هامة ، فقد صاحب انتصارهم على الفرنسيين في الهند اسبقيتهم في

---

(٣٩) الدكتور محمد فؤاد شكري : مرجع سبق ذكره ص٢٤ .

(٤٠) الدكتور محمد فؤاد شكري : مرجع سبق ذكره ص٢٥ .

النهضة الصناعية التي بدأت حوالي عام ١٧٦٩ بسبب التحسينات التي ادخلها ( وات) على الآلة البخارية . وقد احدث هذا ثورة تناولت بالتحسين كثيرا من مرافقهم ، وتضاعف سريعا انتاجهم في نواحي نشاطهم الاقتصادي(٤١) وقد ادى هذا التحسن في موقف الانجليز في القارة الهندية والتي اصبحت تشغل مكان الصدارة في سياستهم الاستعمارية الى اعتناقهم مبادىء جديدة من الناحيتين التجارية والاستعمارية في ممتلكاتهم . فأخذوا في تحويل سياسة شركة الهند الشرقية الانجليزية من الناحية التجارية الى الناحية الاستعمارية . وبدأت هذه السياسة الجديدة في سنة ١٧٦٥ بمعاهدة الله آباد التي عقدوها مع الامبراطور المغولي وبها اكتسبوا منه حق السيطرة الفعلية على مقاطعات البنغال ، وبهار ، وأوريسا ثم اخذوا يحالجون الامراء الاقوياء وفي مقدمتهم حيدر علي أمير ميسور . وفي سنة ١٧٧٣ أصدرت الحكومة الانجليزية قراراً بتعيين حاكم البنغال من قبل الشركة حاكما عاما لما اطلقت عليه الممتلكات البريطانية في الهند . ثم اتبعت ذلك القرار بخطوه كبرى في سنة ١٧٨٤ باصدارها قرارا آخر بتعيين وزير للهند تساعده هيئة من الخبراء في شئونها ، واعطت لهذا الوزير حق الاشراف التام على نشاط شركة الهند الانجليزية من الناحية التجارية ومن الناحية الاستعمارية . كما جعل هذا القرار أمر تعيين الحاكم العام للهند من اختصاص الحكومة الانجليزية ، كما جعل من حقها التدخل في تعيين كبار الموظفين بالشركة . وبعبارة اخرى يمكن القول بانه منذ سنة ١٧٨٤ دخلت الهند المرحلة الثالثة من خطوات الاستعمار الانجليزي . وهي الخطوة التي يتدخل فيها رجال السياسة . واصبحت الشركة الانجليزية بعد ذلك موسسة تجارية فقط ،

---

(٤١) ابراهيم شريف : مرجع سبق ذكره ص ٥٢ .

بينما تولت الحكومة الانجليزية عنها مهمة الدفاع ، والجانب السياسي ايضا . وفي سنة ١٧٩٦ عينت الحكومة الانجليزية لورد كارنواليس حاكما عاما على الممتلكات الانجليزية في الهند ، وفي عهده استطاع الانجليز ان يستولوا على ثلث ممتلكات تيپو سلطان وهو ابن حيدر على أمير ميسور (٤٢)

وحينما انتهت حرب الاستقلال الامريكية عام ١٧٨٣ كانت نتائج ذلك على فرنسا سيئة كما كانت على انجلترا . فقد لجأ الامريكيون المستقلون الى التهريب ، لانشاء صلات تجارية واسعة مع جزر الهند الغربية وذلك لأن القوانين الفرنسية كانت تمنعهم من الدخول الى موانئ هذه الجزر، فكان ذلك من اكبر الاسباب التي ارغمت فرنسا على الغاء احد قاعدتي الاحتكار التجاري وفتحت هذه الموانئ للسفن الاجنبية من اغسطس ١٧٨٤ ، وبعد تعديل قانون السود في ديسمبر من نفس العام انهار النظام الاستعماري القديم في جزر الهند الغربية . ومع ذلك فقد ظل السياسيون الفرنسيون مثل ("ترجو" Turgot ١٧٢٧-١٧٨١ ) ("ونكر Necker ١٧٢٩-١٧٩٤ ) مؤمنين بفكرة الاستعمار، في وقت كانت ما تزال الرغبة في الانتقام من انجلترا مسيطرة على الاذهان في فرنسا ، فقد أيد "ترجو" امتلاك جزر بربون وايل دى فرانس ، لامكان استخدام هذه الجزر على حد قوله ـ قواعد تستطيع فرنسا ان ترسل منها الحملات الى الهند ، عندما يحين الوقت الملائم للاقتصاص من الانجليز وطردهم من اهم مستعمراتهم في الشرق ، ودافع "نكر" عن شركة الهند الشرقية الفرنسية ، وأقر الحق الاحتكاري ، واثنى على كولبير ونظام حماية التجارة .(٤٣)

---

(٤٢) ابراهيم شريف : مرجع سبق ذكره ص ٢-٢٢

(٤٣) الدكتور محمد فؤاد شكرى : مرجع سبق ذكره ص ٢٩ ، ٣٠ .

## ٦ ـ الثورة الفرنسية وآثارها على الصراع بين فرنسا وانجلترا :

وبرغم ان فرنسا خرجت منتصرة ظافرة في حرب الاستقلال الامريكية وبرغم ان عدد سكانها كان يقرب من ثلاثة اضعاف عدد سكان منافستها المهزومة بريطانيا العظمى ، وبرغم انها كانت تملك موارد زراعية هائلة ، وصناعة نسيج رائجة ، وطرقا وترعا ضخمة ، وتجارة خارجية زادت خمسمائة في المائة منذ وفاة لويس الرابع عشر ، برغم هذا كله ، فانها اخذت تجابه معضلات داخلية خطيرة الشأن . وعندما تولى لويس السادس عشر الحكم في فرنسا سنة ١٧٧٤ كانت فرنسا تواجه مشاكل خطيرة . . ورجعت بلا جدوى كل ضروب العلاج فلم تنجح (٤٤) .

وتحالفت الظروف التي ادت الى نشوب الثورة في فرنسا والغاء الملكية واعلان الجمهورية واعدام الملك لويس السادس عشر ، ولما كان هذا البحث ليس من خطته متابعة تفاصيل تطورات الثورة الفرنسية ، فاننا سنتجاوز عن هذه التفاصيل الواسعة لنوجه النظر الى خط سير هذا البحث وهو التنافس بين الدولتين الأوروبيتين الكبيرتين فرنسا وانجلترا .

وقد كانت الثورة الفرنسية في الواقع تحديا للنظم القديمة بانحاء اوروبا ، كما ان قيامها هز ما بين الطبقات من التوازن والانسجام الذى امتازت به انجلترا في القرن الثامن عشر الميلادى ذلك ان الثورة الفرنسية ـ وهي كما نعرف ثورة الطبقة الوسطى ـ خلقت كثيرا من الأمل في المستقبل ، لدى جميع العناصر الشعبية التي طالما حالت الارستقراطية بينها وبين التمتع بأية سلطة او نفوذ ، ولهذا احدثت مطالع الثورة

---

(٤٤) فيشر ، هـ . أ . ل : تاريخ اوروبا في العصر الحديث ( ١٧٨٩ - ١٩٥٠ ) ص ٥ - ٢٢ .

وصرخاتها المثالية الأولى انقساما فى الرأى بانجلترا ، حيث وجدت الافكار الثورية عطفا كبيرا بين الطبقة الوسطى وطبقات العمال . وفى بداية الأمر رفضت انجلترا التعاون مع الدول الأوروبية لمهاجمة فرنسا ، الا أن الثورة الفرنسية نفسها مالبثت ان انطلقت فى شتاء عام ١٧٩٢ الى مابعد حدود فرنسا ، تحمل العلم المثلث الألوان عبر بلاد الرين وسافوى ، بل الاراضى المنخفضة النمساوية وهولندا كذلك ، وهى البلاد التى رفرفت عليها الوية لويس الرابع عشر من قبل . ومعنى ذلك ان فرنسا عادت الى تحديها القديم لسلامة انجلترا وغيرها من الدول الأوروبية ، فضلا عن تهديدها لاستقلال تلك الدول . وهذا مايفسر بوضوح حقيقة النضال الانجليزى ضد فرنسا عصر الثورة ونابليون ، وقيامها بتكوين الحلف تلو الحلف بأوروبا لمقاومة السيطرة الفرنسية فى ذلك العصر.(٤٥) .

---

(٤٥) رواس . ا . ل : مرجع سبق ذكره ص ١٧٧-١٧٨ .

# الفصـــل الأول

ـ الصراع الانجليزي الفرنسي في الشرق العربي

## اولا ـ في مصـــر :

عناصر هذا الفصل :

١ ـ علاقة كل من فرنسا وبريطانيا بالدولة العثمانية (تمهيد)

٢ ـ التسابق الانجليزي الفرنسي في مصر قبل الحملة الفرنسية .

٣ ـ الحملة الفرنسية على مصر، والصراع الانجليزي الفرنســـي .

أ) اسباب هذه الحملة

ب) آثار الحملة على شبه الجزيرة العربية .

٤ ـ الحملة البريطانية على مصر عام ١٨٠٧م.

٥ ـ الصراع الانجليزي الفرنسي ومحمد علي باشا .

٦ ـ قناة السويس وآثارها في الصراع الانجليزي الفرنسي .

أ) فكرة مشروع القناة خلال الحملة الفرنسية على مصر وبعدها .

ب) المرحلة التنفيذية لشق قناة السويس

جـ) آثار مشروع قناة السويس على شبه الجزيرة العربية .

د) موقف الدولة العثمانية واستفادتها من فتح القناة .

٧ ـ الاحتلال الانجليزي لمصر عام ١٨٨٢م

أ) الخطوات العملية للاحتلال .

ب) الوضع في فترة ما بعد الاحتلال .

تمهيـد :

١ - علاقة كل من فرنسا وبريطانيا بالدولة العثمانية :

كانت الدولة العثمانية بما فيها ممتلكاتها العربية ميدانا للتنافس الانجليزي الفرنسي منذ وقت مبكر من العصور الحديثة ، فقد ادى الصراع في أوروبا في القرن السادس عشر بين الملكية الفرنسية وآل هابسبورج الذين تربعوا على عرش الامبراطورية الرومانية المقدسة ، الى عقد اتفاقية بين السلطان العثماني سليمان المشرع وملك فرنسا فرانسو الأول في عام ١٥٣٥ للتعاون والصداقة ضد آل هابسبورج كسبت فرنسا بمقتضاها كثيرا من الامتيازات Capitualatians شملت حرية الملاحة والتجارة للفرنسيين في الموانئ العثمانية وتخفيض الرسوم الجمركية على الفرنسيين الى ٥٪ فقط، واعفاء التجار الفرنسيين من الخضوع للقوانين العثمانية ومعاملتهم حسب التشريع القنصلي الفرنسي في الشئون المدنية والجنائية ، ومنح المستوطنين الفرنسيين الحرية الدينية المطلقة ، وحق حماية الاماكن المسيحية المقدسة . (١)

وقد كان لهذا التحالف ردود فعل غاضبة في أوروبا التي تنادت الى عقد حلف نيقية عام ١٥٣٨ بعد ان شجبت عمل فرانسوا الأول واتهمته بالمروق لتعاونه مع السلطان العثماني المسلم (٢) .

وكان من الطبيعي الا تسكت بريطانيا على حصول فرنسا على هذا المركز الممتاز في ممتلكات الدولة العثمانية فانتهزت كل فرصة تتدهور فيها

---

(١) جورج لنشوفسكي : الشرق الأوسط في الشئون العالمية (١٩٦٤) ص٢٢

(٢) اميل خوري وعادل سماعيل : السياسة الدولية في الشرق العربي (١٩٥٩) الجزء الأول ص١٥ .

العلاقات فمثلا انتهزت فرصة تدهور العلاقات الفرنسية العثمانية في عهد ملك فرنسا هنري الثالث بسبب ازمة بولندا فنجح وليم هاربرت سفير اليزابيث الأولى ملكة بريطانيا الى الاستانة في عقد اتفاقية تجارية عام ١٥٧٩ ضمنت فيها بريطانيا امتيازات تجارية في الشرق ، ثم اتبعتها باتفاقية أخرى ، صارت بمقتضاها امتيازات بريطانيا التجارية لا تقل اتساعا عن الامتيازات التي سبق اعطاؤها لفرنسا . (١)

ولم يلبث ان أدى نشاط بريطانيا الى تنبيه هنري الثالث الى خطأ سياسته ازاء الدولة العثمانية فسعى الى تجديد الامتيازات السابقة ، ولما تولى هنري الرابع عرش فرنسا سنة ١٥٩٠ نجح سفيره في الاستانة سافاري دي بريف في التوصل الى اتفاقية جديدة مع السلطان العثماني أحمد الأول في ٢٠ مايو ١٦٠٤ تجددت بموجبها الامتيازات القديمة واضيفت اليها امتيازات جديدة كان اهمها ما جاء في المادة الرابعة التي اعترف فيها السلطان العثماني بحق ملك فرنسا في حماية المسيحيين الكاثوليك من رعايا ممالك أوروبا في الشرق ، وهو حق لم يكن واردا ضمن الامتيازات السابقة ، وعندما ضعفت العلاقات العثمانية الفرنسية اثر وفاة هنري الرابع سنة ١٦١٠ زاد البريطانيون من تقدمهم من الباب العالي وازدهرت تجارتهم في الشرق الى ان تسلم الكاردينال ريشليو الحكم في فرنسا فعاد لتوثيق علاقات فرنسا مع الدولة العثمانية (٤) . كما حدث نفس الشيء عندما تولى عرش فرنسا لويس الرابع عشر سنة ١٦٦١ وبفضل جهود وزيره كولبير دخل السفير الفرنسي الجديد في القسطنطينية

---

(٣) اميل خوري وعادل اسماعيل : نفس المرجع السابق ص١٧ ، ١٨

(٤) اميل خوري وعادل اسماعيل : نفس المرجع ص٢٤ ، ٢٥ .

دى نوانتال فى مفاوضات طويلة ومضنية تعثرت اكثر من مرة بسبب دسائس المبعوثين السياسيين البريطانيين فى القسطنطينية الى ان تم توقيع اتفاقيته مع السلطان محمد الرابع فى ٥ يونيو ١٦٧٣م جعلت فرنسا بمقتضاها على امتيازات جديدة ، وكان السلطان العثمانى يهدف من منح هذه الامتيازات الى كسب فرنسا ضد عدوته النمسا. (٥) ولكن الدولة العثمانية لم تلبث ان غيرت من موقفها الودى من فرنسا وذلك عقب قيام الثورة الفرنسية فالسلطان سليم الثالث - رغم اعجابه بما حققته الثورة الفرنسية من انتصارات، وما ادت اليه من انشغال اوروبا عن الدولة - صار يشعر بخطر مبادئ هذه الثورة على الاستقرار الاجتماعى فى امبراطوريته لدرجة انه أصدر فرمانا سلطانيا وجه فيه نقدا عنيفا للثورة (٦) .

٢ - التسابق الانجليزى الفرنسى فى مصر قبل الحملة الفرنسية :

حرصت الدولة العثمانية - عندما دب الضعف فى أوصالها - على الا تقوم علاقات مباشرة بين البلاد العربية والعالم الخارجي خوفا من أن تؤدى هذه العلاقات الى تحقيق اطماع الدول الاجنبية فى هذه البلاد .

وبعد ان تحولت التجارة بين الشرق وأوروبا الى طريق الرأس ، وسيطرت بريطانيا على هذا الطريق رأت فرنسا ان من الافضل لها احياء الطريق البرى القديم عبر مصر حتى اصبح احياء هذا الطريق البرى قاعدة من قواعد السياسة الفرنسية فى عهد لويس الرابع عشر وخلفائه للسيطرة على الطريق البرى خدمة لمصالح فرنسا التجارية، ومن أجل انشاء مستعمرة

---

(٥) أميل خورى وعادل اسماعيل : مرجع سبق ذكره ص٢٤ ، ٢٥ .

(٦) الدكتور عبد الكريم غرايبة : سورية فى القرن ١٩ ( ١٩٦١-١٩٦٢ ) ص ١١

فرنسية تعوض ما خسرته فرنسا من مستعمرات ، وكان من الطبيعـــي أن يسترعي اهتمام فرنسا بالطريق عبر مصر انتباه الانجليز فأخذوا يتابعـون هذا النشاط ويرقبونه عن كثب(٧) خصوصا وأن انجلترا ذاتها كانـــــت مهتمة بطريق البحر الاحمر بعد ان اصبحت املاكها في الهند قلـــب الامبراطورية البريطانية عقب استقلال الولايات المتحدة الامريكيـــة عـام ١٧٧٣ . الا ان البحر الاحمر بين جده والسويس كان مغلـقـا في وجـه السفن الأوربية ، وظل الأمر كذلك حتى انفرد على بك الكبير بالحكم في مصر سنة ١٧٦٩ ، واستولى على الحجاز سنة ١٧٧٠م فأقنعه التاجـــــر البندقي كارلو روستي Carlo Rosetti بضرورة فتح البحر الاحمـــــر للملاحة الأوربية وتشجيع تجارتها (٨) ، وكان الانجليز والفرنسيـون فـي طليعة التجار الاجانب الذين انشأوا بيوتا تجارية هامة في مصر ، وبذلـوا جهودا ســن أجل صون مصالحهم التجارية فيها (٩) ، وفي سنـــة ١٧٧٢ استطاع جيمس بروس James Bruce القنصل البريطاني في الجزائر ان يعقد معاهدة مع على بك الكبير فتح بموجبها ميناء السويس للمراكـب الانجليزية (١٠) كما وصل مندوبوا حاكم البنغال وارن هيستنجـــــز Warren Hostings بعد استيلاء محمد بك ابو الذهـــب على السلطة فعقدوا معه معاهدة تجارية في ٧ مارس ١٧٧٥ خفضت بمقتضاهـا الضرائب المحصلة على البضائع الواردة من الموانئ الهندية الى ٥ر٦ ٪ ،

---

(٧) حسين فوزي النجار: السياسة والاستراتيجية في الشـرق الاوسط ص ٦٧ .

(٨) الدكتور محمد انيس: الدولة العثمانية والشرق العربي ص ١٨٧ .

(٩) الدكتور محمد فؤاد شكري : عبد الله جاك منو وخروج الفرنسيين من مصر ص ٣٢ .

(١٠) الدكتور فاروق عثمان اباظه : عدن والسياسة البريطانية في البحر الاحمر ص ٥٧ .

كما أعطت للانجليز حق تصدير المنتجات المصرية دون دفع ضرائب عليها ، كما تعهد ابو الذهب بالمحافظة على التجارة حين نقلها من الطور الى السويس والقاهرة ، الا ان محمد ابو الذهب توفى بعد شهور قلائل وخلفه مراد بك وابراهيم بك اللذين لم يحترما هذه الاتفاقية مما ادى الى فشل المشروع البريطاني سنة ١٧٧٩ .

ولم تلبث فرنسا ان دخلت ميدان المنافسة مع انجلترا في هـــذا المجال(١١) واستطاع الفرنسيون عقد معاهدة تجارية مع المكوات المماليك على غرار المعاهدة الانجليزية ، الا ان الفرنسيين عانوا من الضرائب والاضطرابات ومنافسة النمسا الى ان تمكنوا ـ مستعينين بالتاجر الفرنسي شارل مجالون * Magallon ـ من عقد معاهدة كانت اطرافهـــا الضابط تروجويه Truguet مندوب فرنسا ، ومراد بك ، ويوسف كساب ملتزم الجمارك العام والحاج ناصر شديد احد شيوخ العربان وذلك في يناير ١٧٨٥ وبمقتضاها تم تحديد قيمة الضريبة المفروضة على البضائع المنقولة من الهند الى فرنسا عبر مصر ، وتأمين هذه البضائع ضد اعتداءات العربان وقطاع الطرق بين السويس والقاهرة (١٢) وحصل الفرنسيون بموجب هذه المعاهدة على شروط افضل بكثير مما حصل عليه الانجليز ، ومما تجدر ملاحظته ان فرنسا بهذه المعاهدة لم تكن تقصد النواحي التجاريـــة في مصر بل انها كانت تهــدف الى ما هو أبعد من ذلك مثل الوقوف فـــي

---

* مجالون هذا تاجر فرنسي اقام في مصر مدة طويلة وعهدت اليه الحكومة الفرنسية بادارة قنصليتها عند انتقالها من القاهرة الى الاسكندرية عام ١٧٧٧ ، والاشراف على المصالح الفرنسية بالقاهرة .

(١١) الدكتور محمد انيس: مرجع سبق ذكره ص ١٨٨ .

(١٢) الدكتور محمد فؤاد شكري : مرجع سبق ذكره ص ٣-٢٩ .

وجه انجلترا ، بل واسترداد نفوذها في الهند ان امكن .

ورغم ان انجلترا لم تكن قبل ذلك متحمسة لاحياء الطريق البري القديم عبر مصر لان ذلك في رأيها يعود بالخسارة على شركة الهند الشرقية البريطانية فان ظهور كتاب جورج بلدوين لفت نظر انجلترا الى اهمية موقع مصر على الطريق الى الهند(١٣) وفي الوقت نفسه فان السفير البريطاني في الاستانة كتب الى حكومته سنة ١٧٧٧ عن مساعي فرنسا ( بعثة دى توت Detott ) لتوقيع معاهدة تجارية مع البكوات المماليك ولو ان فرنسا في الحقيقة كانت تهدف الى ابعد من ذلك بكثير الا وهو غزو مصر واعادة فتح القناة القديمة التي تصل بين البحرين المتوسط والاحمر عن طريق النيل (١٤) ، كما كانت فرنسا في الوقت نفسه ترصد حركات الانجليز في مصر وتصل عنها تقارير وافية الى السفارة الفرنسية في الاستانة ووزارة الخارجية في باريس ، كما ان تحالف فرنسا مع الامريكيين ضد انجلترا سنة ١٧٧٨ يوضح ان سياسة فرنسا الخارجية كانت آنذاك مرتبطة كل الارتباط بموقفها المعادى لانجلترا (١٥) ، ورغم ان جورج بلدوين - الذى اوفدته بريطانيا كقنصل عام لتوقيع اتفاقية مع المماليك مشابهة لاتفاقية فرنسا معهم - عقد مع مراد بك معاهدة فان المماليك لم يحترموها وعادوا سيرتهم الاولى في الاعتداء على الاجانب وممتلكاتهم مما دعا وزارة الخارجية البريطانية الى اصدار قرار باغلاق قنصليتها في مصر سنة ١٧٩٣

---

(١٣) حسين فوزى النجار : مرجع سبق ذكره ص ٨٦ .

(١٤) Charles-Roux: L'Angleterre, L'Isthmede Suez et l'Egypteu, 18e Siele, p. 94.

(١٥) Hoskins, H.L.: European Imperialism in Africa. p. 21.

ومنذئذ لم تعد انجلترا تعير مصر اهتماما يذكر حتى وصول الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨م[١٦] .

ومما تجدر ملاحظته ان الحكومة العثمانية كانت تعارض بشدة محاولات انجلترا وفرنسا لعقد معاهدات مع البكوات المماليك في مصر على اساس ان النشاط التجاري سيؤدي الى ازدياد ثروة المماليك وبالتالي الى زيادة قوتهم وجنوحهم نحو الانفصال عن الدولة العثمانية[١٧] .

ولا شك ان مقاومة السلطان لهذه المداخلات الاجنبية قد اوقفت اتصال مصر على نطاق واسع بالاقتصاد الأوروبي وبالحضارة الأوروبية والسياسة الأوروبية لمدة طويلة وحتى مجيء حملة بونابرت سنة ١٧٩٨م[١٨] .

٣ - الحملة الفرنسية على مصر والصراع الانجليزي الفرنسي :

أ ) اسباب هذه الحملة :

بعد عقد صلح كامبو فورميو Campo-Formio بين فرنسا والنمسا في اكتوبر ١٧٩٧ كتب تاليران وزير الخارجية الفرنسية في ١٨ أكتوبر ١٧٩٧ انه" وقد انفرط عقد المحالفة الدولية ضد فرنسا فأن الواجب يقضي على الفرنسيين توحيد جهودهم والتفرغ لمنازلة انجلترا غريمة فرنسا وعدوتها الكبرى والقضاء عليها قضاء مبرما وذلك حتى تحول دون تدمير الجمهورية[١٩]

(١٦) الدكتور محمد انيس: مرجع سبق ذكره ص٠١٩ .
(١٧) الدكتور محمد فؤاد شكري : مرجع سبق ذكره ص٣٦-٣٧ .
(١٨) الاستاذ الدكتور احمد عزت عبد الكريم : حركة التجديد في المجتمع العربي في القرن ١٩ ص١٣ .
(١٩) الدكتور محمد فؤاد شكري : مرجع سبق ذكره ص٦٢ .

وكانت الحكومة الفرنسية قد اعدت مشروعا لغزو انجلترا بانزال جيش كبير في كونوت Cannaught بايرلندا الغربية ، الا ان الاسطول الفرنسي كان ضعيفا وفشلت محاولة النزول الأولى بسبب العواصف[٢٠] وبعد عودة بونابرت القائد المظفر بعد هزيمة النمسا رأت حكومة الادارة ان تستانس برأيه فعهدت اليه القيام برحلة تفتيشية على الحملة المعدة لغزو انجلترا والتي كان يسميها رجال حكومة الادارة بالحملة او الغزوة الكبرى La Grande Expédition - وعاد بونابرت من رحلته التفتيشية وقدم تقريرا لحكومة الادارة في ١٦ أغسطس ١٧٩٧ اشار فيه الى ان ضرب البريطانيين يجب ان يتم في مصر"[٢١] . واقتنعت حكومة الادارة ، بان الاستعمار في الشرق خير من الاستعمار في افريقية الغربية ، وأن مصر افضل اقطار الشرق التي تصلح ميدانا للتجربة الاستعمارية الجديدة[٢٢]

وكانت فكرة استيلاء الفرنسيين على مصر وسيطرتهم على طريق الهند عبر البحر الاحمر هي فكرة قديمة ، غير ان اخراجها الى حيز التنفيذ دفعت به ظروف فرنسا الداخلية وعلاقاتها بالدول الأوروبية الأخرى وخاصة بريطانيا ، اذ كان التفكير في الانتقام من انجلترا يسير جنبا الى جنب مع التفكير في احياء الامبراطورية الفرنسية[٢٣] . ومما زاد حكومة الادارة اقتناعا بغزو مصر ما اكده لها شارل مجالون قنصل فرنسا في مصر من انه اذا كانت فرنسا ترغب فعلا في قطع وريد التجارة البريطانية في الهند ، فعليها

---

(٢٠) الدكتور محمد فؤاد شكري : مرجع سبق ذكره ص٦٤ .

(٢١) اميل خوري وعادل اسماعيل : مرجع سبق ذكره ص٦٧ ، ٦٨ .

(٢٢) الدكتور محمد فؤاد شكري : مرجع سبق ذكره ص٦٥ .

(٢٣) الدكتور حسن صبحي : العالم العربي من الغفوة والجمود الى اليقظة والوحدة ص٢٦ .

ان تحتل القطر المصرى ، وتقضى نهائيا على المماليك حلفاء بريطانيا[٢٤] كما حث مجالون حكومة فرنسا على ان تمتلك مصر كلها وتسيطر على السويس وذلك تمهيدا لطرد الانجليز من الهند ، وابطال استخدام طريق الرأس للتجارة الشرقية[٢٥] كما كان لتقارير وكتابات رجال السياسة الفرنسيين الذين خدموا فى الآستانة او القاهرة ، والرحالة الذين زاروا مصر، اثر الاثر فى كشف القناع عن حالة الامبراطورية العثمانية من جهة ، وتوجيه انظار مواطنيهم الى مصر، واقبل المسئولون الفرنسيون على دراسة هذه التقارير وقراءة هذه الكتب[٢٦] وشارك بونابرت كل هذه الاراء وقال : ان فرنسا سوف تجد بعد وقت قصير انه لا مندوحة لها عن الاستيلاء على مصر ذاتها ، اذا هى شاءت ان تلحق بانجلترا هزيمة فادحة[٢٧] . خاصة وأن محاولة ضرب البريطانيين فى عقر دارهم باتت محفوفة بالمخاطر والصعاب. وقد كان وزير الخارجية فى حكومة الادارة الفرنسية مؤمنا هو الآخر بان الغزوة الكبرى ضد بريطانيا لن يكتب لها النجاح . . وأكثر من اتصالاته باعضاء مجلس الخمسمئة ، وشرح لهم فائدة القيام بحملة توسعية فى الشرق واحتلال مصر، وبين لهم ان مصلحة فرنسا الحقيقية بان يكون لها مستعمرات غنية وقريبة منها ، وان حاجتها الى هذه المستعمرات باتت ملحة بعد ان افقدتها معاهدة اوترخت ١٧١٣م ومعاهدة باريس ١٧٦٣ التى أنهت حرب السبع سنوات ١٧٥٦-١٧٦٣ مستعمراتها فى امريكا الشمالية وكندا والهند . وخطب النائب الفرنسى اسكاسريو فى اوائل

---

(٢٤) اميل خورى وعادل اسماعيل : مرجع سبق ذكره ص٦٦ .
(٢٥) الدكتور محمد فؤاد شكرى ، مرجع سبق ذكره ص٤١ ، ٤٢ .
(٢٦) الدكتور محمد فؤاد شكرى : مرجع سبق ذكره ص٤٢ .
(٢٧) الدكتور محمد فؤاد شكرى : مرجع سبق ذكره ص٥٧ .

عام ١٧٩٨ مظهراً مزايا الاستيلاء على مصر فقال : ... " ان بسط الجمهورية سيادتها على تجارة البحر المتوسط ومرافئ البحر الاحمر ما يمكنها من وضع حد لجشع اعدائها ولما يقومون به من محاولات للاستئثار بتجارة الشرق ، وحتى صارت مصر مستودعا لبضائع الهند المستقدمة عن طريق الخليج الفارسي وبلاد العرب ، فانها ستصبح الحلقة الجامعة بين تجارة الشرق وتجارة الغرب ... وليست المصالح التجارية هي وحدها التي تحدو فرنسا الى احراز المجد بانشاء مستعمرة جديدة فهناك امور عظمى يجدر بالعبقرية الفرنسية ان توليها اهتمامها ، واهمها وصل البحر الابيض بالبحر الاحمر عن طريق السويس ، وهو من اضخم المشاريع التي فكر القدماء فيها ولم تكن لهم الجرأة الكافية لتنفيذها ، وثانيها اعادة حفر القناة التي كانت تحمل الى النيل البضائع المنقولة من الهند عن طريق الخليج العربي .. واضاف يقول : " ان جشع الانجليز وعطشهم المستمر الى السيطرة والثروة ، قد جعلاهم سادة اجزاء شاسعة من امريكا وافريقيا والهند ، وهما يدفعانهم منذ زمن بعيد الى استملاك جزر الارخبيل الاوروبي . وقد قاموا باكثر من محاولة جريئة لاستكمال أسباب السيطرة على البحر المتوسط وتجارة الشرق باحتلال هذه الجزر ، كما احتلوا جبل طارق ، فعلى الجمهورية ان تحول دون جشعهم وما يمتونه من أمور بتعزيز مراكزها ، وتوسيع ممتلكاتها في هذا الجزء الحساس ، واني اخشى اذا هي تلكأت ان تسبقنا بريطانيا فتصبح السيد المطلق العاتي على تجارة جنوبي فرنسا والهند ، واذ ذاك تصبح المراكز التي بسطنا عليها حكمنا بفضل المعاهدات محطات تكلفنا نفقات باهظة بدون جدوى فنقف عند مجد اعدائنا عاجزين الا عن الندم على تلكؤنا وضيق افقنا " . وكان لهذا الخطاب تأثير عميق في نفوس اعضاء المجلس(٢٧) وفي

---

(٢٧) أميل خوري وعادل اسماعيل : مرجع سبق ذكره ص ٧١-٧٢ .

اليوم الذى وصلت فيه اللجنة التى كلفها مجلس الخمسمائة الى قـــرار برفض مشروع الاستعمار فى افريقية الغربية فى ١٢ ابريل سنـــة ١٧٩٨م، كانت حكومة الادارة من جانبها قد توصلت الى رأى قاطع بصدد الاستعمار فى مصر، فاصدرت فى ١٢ ابريل سنة ١٧٩٨م قرارها التاريخى بوضـــع جيش الشرق تحت قيادة بونابرت[٢٨] . والجدير بالملاحظة ان الحملـــة المراد توجيهها الى مصر، كانت النتيجة الطبيعية والمنطقية لنمو وتطـور جيل من الساسة ورجال الاقتصاد الفرنسيين فى الشرق ، وكانـت تحقيقـا لاطماع جالت فى نفوسهم فترة طويلة من الزمن حتى وجدت الظروف ســواء فى اوروبا أو فى الشرق سانحة لتخرج الى حيز التنفيذ .

وحينما اصدرت حكومة الادارة قرارها السرى بالحملة على مصـــر وتعيين بونابرت قائدا لها اوضحت فى هذا القرار انه لما كان الانجليز قد استولوا بطريق الغدر والخيانة على راس الرجاء الصالح ، وجعلوا استخدام هذا الطريق متعذرا على السفن الفرنسية ، فقد بات من واجب حكومـــة الجمهورية ان تبحث عن طريق تجارى آخر[٢٩] وطلبت حكومـــة الادارة من بونابرت ان يعمل على طرد الانجليز من ممتلكاتهم فى الشرق او فـــى الجهات التى يستطيع الوصول اليها ، وان يقضى على مراكزهم التجاريـــة فى البحر الاحمر على وجه الخصوص، وان يبذل قصارى جهده لبسط سلطـــان فرنسا على البحر الاحمر، كما حملته رسائل الى كل من السلطان تيبو صاحب وملك جزيرة سيلان ، والى سبعة امراء آخرين فى الهند ، وفوضته الكتابة لمن يشاء من الامراء الشرقيين[٣٠] .

---

(٢٨) الدكتور محمد فؤاد شكرى : مرجع سبق ذكره ص٢٩ .

(٢٩) الدكتور محمد فؤاد شكرى : مرجع سبق ذكره ص٢٩ .

(٣٠) أميل خورى وعادل سماعيل : مرجع سبق ذكره ص٨٧-٨٨ .

ووصلت قوات الحملة الفرنسية الى مياه الاسكندرية يوم ٢٧ يونيـــو سنة ١٧٩٨م، وفى مساء ٣ يوليو بدأ زحف الجيش الفرنسى الى القاهـــرة فوصل الى الجيزة فى ٢١ يوليو حيث دارت معركة انبابة او الاهرام بيـــن الفرنسيين والمماليك ، وهزم المماليك وتمكن الجيش الفرنسى من دخـــول القاهرة فى ٢٤ يوليو (٣١) .

وكانت الحملة الفرنسية بمثابة عمل عنيف قضى على علاقات المـــودة التى كانت قائمة بين فرنسا والدولة العثمانية، وادت الى تطور الاهتمـــام الدولى بهذه المنطقة، خاصة بالنسبة لانجلترا العدوة التقليدية لفرنسا ، التى لم تكن تجهل ما ينطوى عليه مشروع الحملة من اهداف بعيدة لـــو تحققت لحطمت امبراطوريتها فى الشرق ولقضت على قوتها وهيبتها فـــى القارة الأوربية نفسها ، وتنبهت انجلترا ولمست عليا مدى التهديـــد الذى يمكن ان يوجه لمصالحها الحيوية فى الشرق ، وانقلب موقفها مـــن اهمال تام لشئون مصر الى اهتمام زائد (٣٢) ونشطت الدبلوماسيـــــة الانجليزية فى الآستانة لاستمالة تركيا لتنضم الى اعداء فرنسا،ومن ســوء حظ فرنسا ان يتوفى فجأة سفيرها فى الاستانة فى اواخر عـــام ١٧٩٧ ، حيث كان وجود السفير فى ذلك الوقت أمرا لا غنى عنه لا لاقناع العثمانيين بحسن نيات فرنسا ، بل ولا بطال مساعى الانجليز والروس الذين نشطـــت مساعيهم لينضم الباب العالى الى اعداء فرنسا ، فاستغلت انجلترا ذلـــك الوضع لصالحها بالاضافة الى ان روسيا خشيت ان ينتشر نفوذ فرنسا فـــى الليفانت ، فعملت على اقناع الباب العالى بالدخول فى محالفة ضد فرنسا

---

(٣١) Reybaub, L.: Histoire Scientifique et Militaire Française en Egypte. Vol.3,p.211-214.

(٣٢) الدكتور شوقى عطاالله الجمل : سياسة مصر فى البحر الاحمر ص٢٢ .

واعلان الحرب على الجمهورية . وبما ان بلغته أنباء هزيمة الاسطــــول الفرنسي في ابي قير على يد القائد الانجليزي نلسون في اغسطس ١٧٩٨ (٣٣) حتى اصدر بيانا ذكر فيه: ان الاعتداء الذى قامت به فرنسا يجـــب ان يقاوم بما تفرضه القوانين والعدالة اى بقوة السلاح ، ولهذا فان البـــاب العالي قد اتخذ معتمدا على رحمة الله وعونه ، كل التدابير اللازمة لصد الاعتداء الفرنسي برا وبحرا وسحق القائمين به ، فبات واجبا دينيا على كل مسلم ان يهب لمحاربة فرنسا". وتطبيقا لذلك ، تم اعتقال موظفي المفوضية الفرنسية ، وجميع القناصل والتجار الفرنسيين المقيمين في الاستانـــــة وسواها واودعوا السجن وذلك مقابل التجار العثمانيين الذين اعتقلهـــم الجيش الفرنسي في مصر .

وهكذا سجلت الدبلوماسية البريطانية انتصارا عظيما في الشـرق اذ تمكنت من حمل الباب العالي على اعلان الحرب على فرنسا وتجهيز حملـــة عسكرية عثمانية مهمتها طرد الفرنسيين من مصر بمساعدة الاسطـــــول البريطاني (٣٤) . كما ادركت بريطانيا اهمية الاشتراك العسكري السريع مـع تركيا لاخراج الفرنسيين من مصر ، خاصة عندما أمر هنــــري دنـــــداس H. Dundas احد الوزراء الانجليز الذين اهتموا بشئون الهند ، على ضرورة اخراج بونابرت وجيشه من مصر محافظة على المصالح الانجليزية في الهند (٣٥) . ونجحت الجهود البريطانية في الاستانـــة ، فعقـــدت

---

(٣٣) الدكتور محمد فؤاد شكرى : مرجع سبق ذكره ص ١١٧–١٢١
(٣٤) اميل خورى وعادل اسماعيل : مرجع سبق ذكره ص ١١٣–١١٤ .
(٣٥) Charles-Roux: op. cit., p. 95.

انجلترا - لاول مرة - معاهدة تحالف مع الدولة العثمانية وروسيا في ٥ يناير ١٧٩٩م لطرد الفرنسيين (٣٦) . ويبدو أن الحملة الفرنسية على مصر قد دفعت انجلترا لرسم سياسة واستراتيجية جديدة ، ارتبطت بهما حتى موتمر برلين سنة ١٨٧٨م ، وهي سياسة المحافظة على التكامل السياسي للدولة العثمانية ، كما انها غيرت من طبيعة العلاقة بينهما وبين الدولة العثمانية والتي كانت تجارية بحتة تتحدد بالمصالح التجارية البريطانية في انحاء الدولة العثمانية ولا سيما مصالح شركة الليفانت ، اما بعد الحملة فقد اصبحت العلاقة السياسية هي الاساسية ولم يعد السفير البريطاني في الآستانة تعينه شركة الليفانت بل وزارة الخارجية البريطانية (٣٧) .

وبعد مغادرة نابليون مصر عائدا لفرنسا وخلفه في قيادة الجيش الفرنسي في مصر كليبر كتب كليبر الى الصدر الاعظم العثماني في ١٧ سبتمبر سنة ١٧٩٩ يوضح له الرغبة في عقد صلح ، ودارت مفاوضات عثمانية فرنسية مالبثت انجلترا ان تدخلت فيها ومثلها فيها السير سدني سميث Sidney Smith والذي بادر بالكتابة الى كليبر اوضح له بان الدولة العثمانية لا تستطيع قبول الصلح او الهدنة منفردة مادامت معاهدة التحالف المبرمة بينها وبين انجلترا قائمة ، وخشي سدني سميث ان يظن الفرنسيون انه انما يريد انسحابهم من مصر خوفا منهم على المصالح الانجليزية في الهند ، ولذلك أكد لكليبر زوال كل خطر على الهند من بقاء الفرنسيين في مصر لان الانجليز استطاعوا القضاء على تيبو صاحب

---

(٣٦) الدكتور محمد انيس: مرجع سبق ذكره ص١٩٢ .

(٣٧) الدكتور محمد انيس : مرجع سبق ذكره ص١٩٢-١٩٤ .

في مايو ١٧٩٩ واقتسمت شركة الهند التجارية املاكه الواسعة مع اعدائه ، بل ان انجلترا ارادت اخلاء مصر من الفرنسيين تنفيذا لتعهدها بالمحافظة على كيان الامبراطورية العثمانية (٣٨) وحينما بدا في الافق ان الدولة العثمانية وفرنسا قد قاربتا التوصل الى اتفاق لجلاء القوات الفرنسية عن مصر ، كان السفير البريطاني الجديد في الآستانة لورد الجين والاميرال نلسون Nilson يعارضان سدني سميث ممثل بريطانيا في مفاوضات الجلاء ، وفي مجموعة الرسائل التي تبادلها الاميرال البريطاني مع رؤسائه واعضاء حكومته والمحفوظة في وزارة الخارجية البريطانية يتبين ان نلسون كان يرى ان مفاوضات سدني سميث حول الجلاء ستنتهي الى ما فيه مصلحة الفرنسيين ، وانه من الخطأ الفادح ان يسمح للجيوش الفرنسية الاسيرة في مصر بان تعود حرة طليقة الى فرنسا لتزيد جيوش بونابرت قوة وتشجعه على المضي في اعمال وحروب لن تجني منها بريطانيا وأوروبا سوى الهلاك والدمار ، ولم يكن موقف الاميرال نلسون هذا الا مظهرا من مظاهر حقده الدفين على فرنسا (٣٩) .

وبعد ابرام كليبر لاتفاق العريش في ٢٤ يناير سنة ١٨٠٠ بعث منو احد القادة الفرنسيين المعارضين لفكرة جلاء الفرنسيين عن مصر - الى نابليون بونابرت برسالة تحدث فيها عن حزنه لتوقيع هذا الاتفاق وعن الوسائل التي تمكن من عقد الصلح مع انجلترا وتركيا بدون الحاجة الى الخروج من مصر (٤٠) . كما عارض هذا الاتفاق من الجانب الانجليزي السفير البريطاني في الآستانة والذي اخذ يبعث بالرسائل الى وزير

---

(٣٨) الدكتور محمد فؤاد شكري : مرجع سبق ذكره ص٩ ١٥ .
(٣٩) اميل خوري وعادل اسماعيل : مرجع سبق ذكره ص١٥١-١٥٢ .
(٤٠) الدكتور محمد فؤاد شكري : مرجع سبق ذكره ص١٨٢-١٨٥ .

الخارجية البريطاني اللورد جرانفيل، واصفا الفرنسيين بالغدر والخيانة وانه لا يجب الوثوق بما أخذوه على انفسهم من حيث الجلاء عن مصر خلال ثلاثة شهور[41] . ويبدو ان الجيش لم يكن وحده المعارض لا تفاق العريش بل شاركته الحكومة البريطانية مسئولية نقض هذا الاتفاق عندما تبدلت سياستها شيئا فشيئا من العمل على اخراج الفرنسيين من مصر بأية صورة من الصور الى الرغبة في استبقاء جيش الشرق في مصر ومحاصرته بها[42] .

وبعد مقتل كليبر وتولي منو ( المعروف بعبد الله جاك منو ) قيادة الحملة في ١٤ يونيو سنة ١٨٠٠ والمعروف بمعارضته المطلقة لاتفاق العريش وجلاء الفرنسيين عن مصر، اوضح منذ البداية سياسته تجاه اى اتفاق بانه يشترط لقبوله مصادقة حكومة الجمهورية الفرنسية وتوقيعها عليه . وأصبح واضحا بعد ذلك أن أمر الفصل في مسألة الجلاء عن مصر أو البقاء فيها بقبول اتفاق العريش أو رفضه انما هي من اختصاص حكومة القنصل الأول في باريس .

وادرك الصدر الاعظم ومن ورائه السلطان ، ان موقف الحكومة البريطانية واغتيال كليبر ومجيء منو الى قيادة الحملة قد عقدت الأمور كثيرا ، واضعفت الأمل بتسوية النزاع مع فرنسا حول المسألة المصرية ، وبات السلطان سليم الثالث ميالا الى التفاهم مع الفرنسيين بعد ان اتضح له ان السياسة البريطانية في الشرق تهدف اولا واخيرا الى تأمين مصالحها ولا تعبأ بمصالح الدولة العثمانية ، وأن موقف الحكومة

---

(٤١) Charles-Roux, op. cit., Vol. 2, p. 45-47.

(٤٢) أميل خوري وعادل اسماعيل : مرجع سبق ذكره ص١٦٥-١٦٦ .

البريطانية من اتفاق العريش كان الدليل الصحيح على استهتار البريطانيين بمصالح الباب العالي وبكرامة الصدر الاعظم الذى وقع الاتفاق وعلى رغبتها فى ان تبقى الحرب قائمة بين الباب العالي وفرنسا . لكن تقارب فرنسا وروسيا دفع الباب العالي الى الاتفاق مجددا مع الانجليز وحزما امرهما على طرد الفرنسيين من وادى النيل ، فانصرفا الى تجهيز حملة عسكرية بقيادة الصدر الاعظم تضم حوالى ٣٠ الف جندى عثماني علاوة على جيش بريطاني لا يقل عدد افراده عن ثمانية عشر الف مقاتل (٤٣) وفى نفس الوقت كانت المفاوضات دائرة بين لندن وباريس بشأن المسألة المصرية ، والتى انتهت بموافقة بونابرت على قبول اعادة مصر الى تركيا وذلك فى ٢٣ يوليو سنة ١٨٠١م (٤٤) .

وكان الجيش العثماني الانجليزى الذى تم تجهيزه قد توجه الى مصر ، وتمكن البريطانيون من تضييق الحصار على جيش منو ، بل وانزلوا جيوشا هندية على ساحل البحر الاحمر بقيادة الجنرال بيرد G. Baird واحتل سيناء القصير وتقدم داخل الاراضى المصرية ، وكان هذا هو أول استخدام للبحر الاحمر فى الاغراض العسكرية الحديثة (٤٥) وفى الوقت الذى كانت فيه الحاميات الفرنسية تستسلم تباعا كان مندوب فرنسا فى لندن يحاول الوصول مع البريطانيين الى صلح شريف . وفى باريس كانت المفاوضات السرية بين تاليران وزير الخارجية الفرنسى وسفير الباب العالي على افندى تتقدم تقدما محسوسا ، وقد حرص تاليران على ابراز اخطار

---

(٤٣) اميل خورى وعادل اسماعيل : مرجع سبق ذكره ص ١٧٦ .

(٤٤) الدكتور محمد فؤاد شكرى : مرجع سبق ذكره ص ٣٨٥-٣٨٦ .

(٤٥) Marston, T.E.: Britain's Imperial Role in the Red Sea Area 1880-1878. p. 31-32.

التحالف بين تركيا وبريطانيا وروسيا على مصالح السلطان ووحـــــدة اميراطوريته [٤٦] .

وفي شهر اكتوبر عام ١٨٠١ تم اجلاء جيش الشرق من مصر الـــى فرنسا ، وهكذا تكون فرنسا قد فقدت مصر دون ان تنال في الشرق او في غيره من الميادين ما يعوضها عن خسارتها الكبيرة [٤٧] ولوكان قدر للحملة النجاح ، لكان امام الفرنسيين مجال واسع لاقصاء الانجليز فعلا عن الهند ، اذ كانت قبضتهم عليها لا تزال واهية ، كما كان للمغامرين الفرنسيين من رجال الحرب والجند المرتزقة تأثير بالغ بين الكثير من كبار امراء الهنود [٤٨]

ب ـ آثار الحملة على شبه الجزيرة العربية :ـ

ما ان تلقت الحكومة العثمانية نبأ وصول الحملة الفرنسية الى مصـــر حتى اصدر الباب العالي بيانا حث فيه على الاستعداد لكفاح الفرنسيين فيما لو فكروا في الزحف الى الحرمين ، وعلى اثر ذلك اصدر الشريف غالـب امير مكة أوامره للمواطنين بالتوجه الى حيث التدريب على حمل الســـلاح كما أمر باصلاح سور جدة لصد أي هجوم قد تفكر فرنسا القيام به [٤٩] كمـــا دفعت الحميـة العربية الاسلامية البعض من الشرق العربي والمغرب الى الخروج من بلادهم للاشتراك في الجهاد ضد الفرنسيين ، فمن الحجــاز

---

(٤٦) اميل خوري وعادل اسماعيل : مرجع سبق ذكره ص١٨١-١٨٢ .
(٤٧) الدكتور محمد فؤاد شكري : مرجع سبق ذكره ص٣٨٧ .
(٤٨) جورج كيرك : موجز تاريخ الشرق الاوسط ص١١١ .
(٤٩) احمد السباعي : تاريخ مكة الجزء الثاني ص١٢٥ .

خرجت حملة من المتطوعين بقيادة رجل مغربي يدعى الكيلاني (كان مجاورا بمكة والمدينة والطائف) فلما وردت اخبار الفرنسيين الى الحجاز وانهم ملكوا الديار المصرية انزعج اهله لذلك وضجو بالحرم . وصار هذا الشيخ يعظ الناس ويدعوهم الى الجهاد ويحضهم على نصرة الحق والدين وقرأ بالحرم كتابا مؤلفا في هذا المعنى ، فاتعظ جملة من الناس وبذلوا اموالهم وأنفسهم - واجتمع نحو ستمائة رجل من المجاهدين وركبوا البحر الى القصير مع ما انضم اليهم من اهل ينبع وخلافه ، وانضم اليهم جملة من اهل الصعيد المصرى ، وكانت لهم وقائع مشهورة مع الفرنسيين في الصعيد (٥٠) .

وعلى اثر استقرار الفرنسيين في مصر ، كتب قائدهم الاعلى بونابرت خطابا للشريف غالب امير مكة يعرض عليه بعض الاتفاقات التجارية وينذره اذا هو حاول قطعها ، وقد رد عليه الشريف غالب بخطاب مطول* اوضح فيه انه حث التجار على تبادل التجارة مع مصر (٥١) .

وكانت سياسة نابليون قد استندت على ثلاث قواعد هي :-

١- اظهار الاحترام للدين الاسلامي .

٢- المحافظة على تقاليد اهل البلاد وعاداتهم الدينية ، والعمل على انتزاع المصريين من احضان الخلافة العثمانية وبذر بذور التفرقة بين المصريين والعثمانيين .

---

* اوردنا نص هذا الخطاب في الفصل الثالث من هذا البحث .

(٥٠) الدكتور محمود صالح منسى : حركة اليقظة العربية في الشرق الاسيوى ص٤٣ .

(٥١) احمد السباعي : مرجع سبق ذكره ص١٢٦ .

٣ - القيام بدعاية واسعة بين الشعوب الاسلامية في الاقطار المجاورة لاظهار مبلغ احترام الفرنسيين للدين الاسلامي والمسلمين.

وعلى هذا الاساس عمل على اقناع كبار حكام البلاد المجاورة بان انشاء صلات الود والصداقة مع الفرنسيين في مصر، سوف يعود بفوائد كبيرة على هؤلاء الحكام .

وفكر بونابرت في ان يتخذ من احياء الاسلام وسيلة لانتزاع مصر وبلاد العرب من احضان الخلافة العثمانية حتى يعتمد في ذلك على مركزين هامين من مراكز الاسلام هما القاهرة ومكة . وان يستمد من هذين المركزين قوة جديدة . ولذلك فقد اوعز الى اعضاء ديوان القاهرة للاتصال بشريف مكة ، فكتب اعضاء ذلك المجلس الى الشريف رسالة في اول سبتمبر سنة ١٧٩٨م تحدثوا فيها عن الجهود التي بذلها بونابرت لتأمين طريق الحج ، واثنوا على سياسته، وذكروا اهتمامه البالغ باعياد المصريين الاسلامية والقومية واشتراكه في الاحتفالات والمهرجانات التي حرص على اقامتها في مناسبات هذه الاعياد جميعها . كما اصدر بونابرت منشورا بمناسبة اختيار الشيخ العريشي باجماع العلماء للقضاء في مصر، وذكر في هذا المنشور: بان زعيم العالم الاسلامي اليوم ( اي ايام الحملة الفرنسية ) هو شريف مكة صديق الفرنسيين (٥٢) .

وظلت موانىء البحر الاحمر طوال ايام الحملة الفرنسية مراكز التجارة الرئيسية للصادر والوارد على حد سواء . وكان بونابرت اول من اعترف بضرورة ان يصبح ميناء السويس مقر تجارة الهند والتوابل الآتية من

---

(٥٢) الدكتور محمد فؤاد شكري : مرجع سبق ذكره ص٩٣، ٩٩-١٠٠ .

بلاد العرب ، ذلك ان السويس كانت اقرب الى الوجه البحرى من القصير الميناء الثاني على البحر الاحمر، وبعد ان شدد الانجليز الحصار على شواطئ الدلتا الشمالية بات ضروريا ايجاد ميناء صالح جديد للوجه البحرى ، وعلى ذلك فقد قدم احد الفرنسيين ( المواطن رينهيه ) تقريرا ضافيا الى منو في ٧ يوليو ١٨٠٠ عن اهمية السويس التجارية ، على ان العناية بميناء السويس كانت لا تكفي وحدها لاحراز السيطرة التجارية في البحر الاحمر، بل ان ذلك كان يقتضي اولا وقبل كل شيء ان يعمل الفرنسيون على انشاء العلاقات الودية مع حكام البلدان الواقعة على هذا البحر، واستمالتهم الى ارسال بضائعهم الى الموانئ المصرية وكان بونابرت كما ذكرنا هو أول من اتبع سياسة التفاهم مع شريف مكة ، ووجد منو بعد توليه السلطة انه من الافضل ان يحذو حذوه على أمل ان يؤدى هذا التفاهم مع شريف مكه على الاقل الى ابعاد السفن الانجليزية عن البحر الاحمر، والى منع الانجليز من تأسيس مراكز جديدة لهم في جدة ، واعتقد الفرنسيون ان في وسعهم التأثير على الشريف حتى يعلن استقلاله وينفصل عن الباب العالي اذا هم افلحوا في اثارة مخاوفه وشكوكه من ناحية الانجليز والعثمانيين معا ، خاصة وان الشريف اظهر ميلا للفرنسيين اذ رفض ان يمد الانجليز بالرجال أو السفن ، كما قبل في اكتوبر عام ١٨٠٠ ان يدع بريد منو يمر بسلام الى جزيرتي إيل دى فرانس ورونيون الفرنسيتين (٥٣) .

وقد بذلت فرنسا محاولات متعددة للاتصال بالأمراء العرب في الحجاز والسودان والخليج العربي ، وفي سبيل ذلك أمر بونابرت

---

(٥٣) الدكتور محمد فؤاد شكرى : مرجع سبق ذكره ص ٢٥٥ .

" لسيو لسكاريس " Lascoaris بالسفر الى بلاد العرب ليتفاوض مع القبائل هناك لتسهيل تقدم الجيوش الفرنسية الى الهند [٥٤] ولا شك ان هذه التحركات الفرنسية قد اقلقت بريطانيا على مصالحها الحيوية في المنطقة [٥٥] .

اما بالنسبة لمسقط : فقد بعث بونابرت برسالة الى امام مسقط عن طريق شريف مكة بتاريخ ٢٥ فبراير ١٧٩٩ جاء فيها : " الى امام مسقط . اكتب اليك لاعلمك بوصول الجيش الفرنسي الى مصر، وبما انك كنت على الدوام حافظا لولائنا فكن واثقا من رغبتنا في حماية السفن التجارية التي ترسلها الى السويس ، الرجاء ايصال الكتاب المرسل بطي كتابك هذا الى تيبو صاحب في أول فرصة . وأما نص خطاب بونابرت لتيبو صاحب فكان : " الى تيبو صاحب ، لابد وقد بلغك نبأ وصولي الى سواحل البحر الاحمر على رأس جيش جرار لا يغلب ، اود ان اسمع أخبار الوضع السياسي الذى انت فيه ، وأرغب في ان ترسل الى السويس رجالا ذوى جدارة تثق بهم للمداولة معهم [٥٦] .

وفي عام ١٧٩٩ بعث بونابرت الى سلطان عمان يعرض عليه التحالف ضد انجلترا ، لكن سلطان عمان رفض العرض الفرنسي ، وذلك تنفيذا للمعاهدة التي عقدها امام مسقط مع انجلترا عام ١٧٩٨ م

---

(٥٤) سيديو ، ل . أ : خلاصة تاريخ العرب ( تعريب محمد احمد عبد الرازق ) ص ٢٨-٢٨٣ .

(٥٥) Marston, T.E.: op. cit., p. 31.

(٥٦) Miles: The Countries and Tribes of Parsian Gulf. Vol. 11, p. 20.

والتي تعهد فيها بعدم السماح بانشاء وكالة فرنسية في مسقط وتوابعها بالاضافة الى طرد جميع الرعايا الفرنسيين من بلاده.* (٥٧).

واما بالنسبة لوسط الجزيرة العربية ( نجد )** ؛ فلم نتمكن من الوقوف على ما يثبت حدوث اى اتصال بين الحملة الفرنسية ونجد . الا انه من الثابت ان بونابرت بعد مغادرته مصر الى باريس ، اصبح مؤمنا بضرورة القضاء على تجارة بريطانيا في الهند ، ولذلك فقد توسع في اتخاذ التدابير اللازمة لتحقيق هذا الغرض ، فارسل بعثة الى مسقط عام ١٨٠٢ وأخرى الى زعيم الوهابيين في نجد للاتفاق معه على تأمين تجارة فرنسا في خليج البصرة .

## ٤ ـ الحملة البريطانية على مصر عام ١٨٠٧م

كانت انجلترا قد بدأت منذ احتلال نابليون لمصر تضع في دائرة اطماعها ـ بعد ان تبينت خطر موقع مصر على امبراطوريتها ـ ان تكون صاحبة النفوذ الفعلي الوحيدة فيها ، ورأوا في المماليك واعادتهم الى سابق عهدهم السبيل الامثل لتحقيق هدفهم . وعلى الرغم من توقيع الانجليز على معاهدة الصلح مع فرنسا في اميان سنة ١٨٠٢ والتي نصت على جلاء الانجليز عن مصر(٥٨) فقد اخذوا يتلكأون في تنفيذه ، في الوقت الذي

---

* تحدثنا بتفصيل واسع عن التنافس الانجليزي الفرنسي في مسقط في الفصل الثامن من هذا البحث.

** تحدثنا عن الاتصال الفرنسي والبريطاني بالوهابيين في نجد (الدولتين السعودية الاولى والثانية) بتفصيل في الفصل السادس من هذا البحث.

(٥٧) الدكتور محمد انيس: مرجع سبق ذكره ص١٩٣ .

(٥٨) امين سعيد : تاريخ الاستعمار الانجليزي في بلاد العرب ص٩٥ .

اخذوا يستخدمون جيشهم في مصر لتهيئة السبيل لاستعادة المماليك قوتهم وسيطرتهم ، ولكن ذلك لم يتحقق ، واضطر الانجليز الى الجلاء عن مصر، ورافقهم في هذا الانسحاب محمد بك الألفي احد كبار المماليك ، ليدبر معهم الخطط والوسائل التي يستطيع بها المماليك حكم مصر بمساعدة انجلترا عند تحسن الظروف (٥٩) .

وظل الانجليز يرقبون احداث مصر السياسية ، ولم ينسوا مخاوفهم من عودة الفرنسيين اليها فأخذوا يتابعون تطور العلاقات الفرنسية التركية عن كثب ، واحتلوا جزيرة مالطة ليراقبوا تحركات الاسطول الفرنسي في البحر المتوسط (٦٠) . وزاد من قلق بريطانيا ماتوفر لديها من أدلة على ان استعادة مصر، وامتداد الممتلكات الفرنسية ،مابرحا يحتلان مكانا بين مشروعات القنصل الأول ، خاصة بعد ان نشر تقرير بقلم الكولونيل سبستياني Sebastiani في صحيفة Le Monitear في ٣٠ مايو ١٨٠٣ وصف فيه حب الشرق ومودته للفرنسيين ، وسهولة اعادة فتح مصر، مما أيد اسوأ شكوك الحكومة البريطانية في نيات نابليون (٦١)

وكان عملاء بريطانيا في القاهرة والاسكندرية ومالطة يبعثون لهما بالتقارير عن تقدم النفوذ الفرنسي في مصر، خاصة بعد ان اصبح محمد على باشا نائبا للسلطان فيها ، وحشد في بطانته عددا من الخبراء الفرنسيين ، مدنيين وعسكريين ، وأدركت انجلترا ان تجمع الفرنسيين في

---

(٥٩) احمد حسين : موسوعة تاريخ مصر الجزء الثالث ص ٩٠٩-٩١٠ .

(٦٠) حسين فوزي النجار : مرجع سبق ذكره ص١٥٢ .

(٦١) فيشر ، هـ.ا.ل : تاريخ أوروبا في العصر الحديث ص٧٣-٧٤ .

ايطاليا في نهاية سنة ١٨٠٦ ليس سوى توطئة لعودة فرنسا الى مصر برضى السلطان وبالاتفاق مع قيصر روسيا ، فقررت الوقوف دون ذلك مهما كلفها الأمر (٦١) وانتهزت انجلترا فرصة قطع العلاقات مع الباب العالي حتى بادرت لتنفيذ خطتها التي رسمتها مع عميلها محمد الألفي ، وهو بعث حملة انجليزية الى الاسكندرية وذلك لتكون اشارة للمماليك ليثوروا ويتولوا مقاليد الحكم في البلاد . فعلا وصلت الحملة الانجليزية الى الاسكندرية بقيادة الجنرال فريزر يوم ٢٠ مارس عام ١٨٠٧م . وتصدى لها محمد علي باشا . وهزمتهم قواته في رشيد ، ثم اقام في بلدة العماد وا صبح موقف القوات الانجليزية حرجا وضعيفا في الاسكندرية نفسها ، ولم تكن انجلترا آنذاك في وضع يسمح لها بأرسال المزيد من القوات الى مصر نظرا لحرج الموقف العسكري في اوروبا . ولذلك رأت انه من مصلحتها ان تنسحب من مصر ، فاجرى قائد حملتها الجنرال فريزر مفاوضات مع محمد علي باشا على شروط الجلاء عن مصر ، وانتهت تلك المفاوضات بجلاء الانجليز عن الاسكندرية وتسليمها لمحمد علي باشا مقابل استرداد هم اسراهم ، وقد تم الجلاء في ٢٤ سبتمبر ١٨٠٧م (٦٢) .

اما فرنسا فقد كان ردها على احتلال الانجليز لمصر أن قامت باحتلال الجزر الأيونية ومرفأ كاتارو في أغسطس ١٨٠٧ وفقا لمعاهدة تلست ، كما تمكنت من عقد معاهدات مع امراء وسلاطين الجزيرة العربية والخليج العربي (٦٤) .

---

(٦١) أميل خوري وعادل اسماعيل : مرجع سبق ذكره ص ٢٢٦-٢٢٨ .
(٦٢) احمد حسين : مرجع سبق ذكره ص ٩٢٣- ٩٢٥ .
(٦٤) اميل خوري وعادل اسماعيل : مرجع سبق ذكره ص ٢٢٨-٢٢٩ .

## ٥ ـ الصراع الانجليزي الفرنسي ـ ومحمد علي باشا

اذا القينا نظرة على صلات محمد على بفرنسا ، يتضح ان محمد علي منذ البداية ، وعندما لمس ان بريطانيا تظهر له العداء ، وجد ان الفرنسيين سيكونون حلفاء طبيعيين له يستعين بهم في مقاومته السياسية الانجليزية التي كانت ترمي الى الاستيلاء على وادي النيل وامتلاكه (٦٥) وفكرت الحكومة الفرنسية في الاستفادة من هذا الموقف لتدعيم سياستها في البحر المتوسط، اذا ما تمكنت عن طريق اتفاق مع الباشا ان تجد في مصر نقطة ارتكاز ضد بريطانيا ، ولكنها في نفس الوقت لم تكن ترغب في تفكك الامبراطورية العثمانية ، الذي سيؤدي الى تعقيدات دولية خطيرة (٦٦) .

وحينما ذهب محمد على الى شبه الجزيرة العربية كرغبة الدولة العثمانية لاعادة سيطرتها عليها وانتزاعها من السعوديين ، كانت انجلترا تنظر بعين الترقب والقلق الشديدين لتقدم جيوش محمد علي في شبه الجزيرة العربية ، ثم اضطرت الى الخروج عن دور الترقب الصامت الى لفت نظر محمد علي ، بل والى انذاره حينما بدأت قواته تطل على مياه الخليج العربي ، فانذرته بضرورة الابتعاد عن هذه المناطق ، خاصة بعد ان علمت بالمفاوضات الدائرة بين خورشيد باشا الحاكم المصري في شبه الجزيرة العربية وامير البحرين للاعتراف بالسيادة المصرية ، وجاء هذا الانذار قبل نهاية الحكم المصري في بلاد العرب (٦٧) .

وكان التوسع المصري في جنوب الجزيرة العربية قد وصل الى حدود اليمن ومدخل البحر الاحمر ، وعقد محمد على معاهدة مع امام اليمن استولى بمقتضاها

---

(٦٥) امين سعيد : مرجع سبق ذكره ص٤٠٢ .

(٦٦) الدكتور بيير رنوفان : تاريخ العلاقات الدولية ( تعريب د. جلال يحيى ) ص١٢٨ .

(٦٧) حسين فوزي النجار : مرجع سبق ذكره ص١٨٦ .

على ساحل اليمن وميناثيها الشهيرين مخا والحديدة ، وهال الانجليــــز واقلقهم هذا التوسع والامتداد نحو المراكز الهامة والحساسة فــي طريــق مواصلاتها الامبراطورية ، فعملت انجلترا على ان تسبقه في هذا الاتجــاه ، فاحتلت عدن عام ١٨٣٩ ، وسبق لها احتلال جزيرة بريم عندما جاءت الحملة الفرنسية الى مصر، وعقدت صلات الود مع سلطان حضرموت ،واكتفت بذلــك القدر من العلاقات بعد خروج الفرنسيين من مصر، ولكن اقتراب محمد علــي من هذه الاماكن ، وتأييد فرنسا له في سياسته التوسعية، قد اثار مخــاوف الانجليز من جديد ، فأخذت تدس الدسائس للحكم المصرى ، وتثير القبائــل عليه ، وظلت في عدن تحرس منها مدخل البحر الاحمر الجنوبي ، وترقــب الاحداث في تلك المنطقة ، ولم يهدأ لها بال حتى سحب محمد علــي قواتـه من شبه الجزيرة العربية سنة ١٨٤٠م (٦٨) .

وحينما احتلت جيوش محمد علي باشا بلاد الشام ، وتقدمت حتى اصبحت قاب قوسين أو أدنى من عاصمة الدولة العثمانية ، وباتت القوات المصرية تشكل خطرا حقيقيا على الدولة العثمانية ، تحركت روسيا لمساعدة السلطان العثماني فازعج هذا التحرك الروسي كلا من انجلترا وفرنسا على حد سواء، وكانت فرنسا قد منحت محمد علي تأييدهــا الكامل ، بل وشجعته على مد خطاه الى بلاد الشام . ولكن فرنسا رغم كل ذلك لم تكن على استعداد لان تترك روسيا تمكــن لنفوذها في تركيا . وهي في نفس الوقت تتفق مع بريطانيا على سياسة ضــرورة المحافظة على سلامة الدولة العثمانية. وهكذا وجدت الدولتان المتنافستــان انه يجب تدخلهما المباشر والمشترك لانقاذ الموقف (٦٩) . خاصة وأن بريطانيا كانت تخشى تزايد نفوذ محمد علي باشا ، ولذا فقد اجبر السلطان العثماني على قبول صلح كوتاهية في ١٨ ابريل سنة ١٨٣٣م . والذى اعترف فيه السلطان

---

(٦٨) حسين فوزى النجار: نفس المرجع ص ١٨٦ .

(٦٩) حسين فوزى النجار: مرجع سبق ذكره ص ١٥٩ .

العثماني بحقوق محمد علي باشا في مصر وشبه الجزيرة العربيـــة والسودان وعينه واليا على فلسطين وسورية وتوابعها ، واعترف محمد علي بدوره (شكليـا ) بالسيادة العليا للسلطان العثماني عليه (٧٠) .

واصبح واضحا ان انجلترا بنت سياستها حيال محمد علي على اســاس المحافظة على سلامة الامبراطورية العثمانية سواء في الشرق امام هذا الماهل ، أو في الغرب امام اطماع روسيا ، واخذت تعمل على رد محمد علي الى حدود مصرحتى لا يكون له من القوة ما يهدد مصالحها التي اخذت تظهر في تلـك المنطقة ، كما انها كانت ترى في الحد من سلطانه حدا لامتداد النفـــوذ الفرنسي الى هذه المناطق الحساسة .

اما فرنسا والتي لها اطماع قديمة في الشرق ، فقد رأت في قيام محمـد علي في مصر قوة تمهد لنفوذها ومخططاتها في المنطقة النجاح ،وتمكنها من ضرب المصالح والوجود البريطاني ، واستطاعت ان تربط هذا العاهـــل الطموح برباط الصداقة الفرنسية ، ولذلك لم يكن غريبا ان تقف فرنسـا امام الرغبة الانجليزية في اعادة محمد علي الى حدود مصر (٧١) .

لكن بريطانيا تمكنت مع حلفائها ( روسيا وبروسيا والنمسا ) وبصـــورة سرية من توقيع معاهدة لندن في ١٥ يوليو سنة ١٨٤٠ م ، والتي ابلغت لفرنسا بعد يومين من توقيعها ، فردت فرنسا على ذلك بمذكرة مطولة بتاريخ ٢١ يوليو ١٨٤٠ شجبت فيها اتفاق هذه الدول واعتبرته أمرا غير مجد ولا يحقق السلام المطلوب في المنطقة (٧٢) . وقد رفض محمدعلي هذه المعاهدة على أســـل

---

(٧٠) بوندار يفسكي : سياستان ازاء العالم العربي ص ١٢
(٧١) حسين فوزي النجار : مرجع سبق ذكره ص ١٩
(٧٢) امين سعيد : مرجع سبق ذكره ص ١٦٦-١٧٢ .

مساعدة فرنسا له ، الا ان فرنسا التي فوجئت بهذه المعاهدة ادركت ان هذا العمل هو بمثابة تحد لها ، فهاجت فرنسا كلها وتوترت العلاقات بينهما وبين انجلترا . وكادت تقع الحرب ، اذ أخذت فرنسا تستعد وتحرض مصر على نبذ قرارات الدول (٧٣) الا ان الوزارة الفرنسية التي اوشكت ان تصل في استعداداتها الى حد اعلان الحرب والوقوف بقوة الى جانب محمد علي سقطت ، وجاءت بدلها وزارة الماريشال سولين التي اعلنت منذ البداية عدم رغبتها التدخل في المسألة الشرقية . وعلى كل فاذا كانت معاهدة لندن بمثابة ضربة عنيفة وجهت لآمال وطموح محمد علي باشا الذي كان ضحية الصراعات الدولية في المنطقة خاصة الصراع بين فرنسا وانجلترا فان هذه المعاهدة قد اعطت لمحمد علي وضعا دوليا مميزا ، اذ أصبح حكمه لمصر ذو طابع استقلالي مع تبعية اسمية واهية للدولة العثمانية .

## ٦ ـ قناة السويس وآثارها في الصراع الانجليزي الفرنسي :

### (أ) فكرة مشروع القناة خلال الحملة الفرنسية على مصر وبعدها :

أن اهتمام فرنسا بمشروع شق قناة السويس يرجع الى ما قبل الحملة الفرنسية بزمن طويل ارجعه بعض الباحثين الى ايام لويس الرابع عشر ملك فرنسا . ففرنسا تمتلك موانئ هامة جدا تطل على البحر المتوسط، مثل مارسيليا وطولون ، ولها تجارة واسعة وخطوط ملاحة بحرية مستمرة مع الدول المطلة على هذا البحر. وقبل بدأ الحملة الفرنسية رحلتها من فرنسا وفي ١٤ فبراير سنة ١٧٩٨ ذكر تاليران وزير الخارجية الفرنسية في تقرير له : بان تحويل تجارة الهند الى طريق السويس لابد ان يحدث انقلابا في تجارة أوروبا ، يصيب انجلترا بضربة مميته على غرار الضربة التي نزلت بجمهوريتي البندقية وجنوة عقب كشف طريق رأس الرجاء الصالح ، وان الجمهورية الفرنسية هي التي

---

(٧٣) محمود كامل : الدولة العربية الكبرى ص ٥٠٤ .

ستجني مزايا محققة من وراء هذا الانقلاب ، وذلك بفضل موقعها الجغرافي وبفضل نشاط الفرنسيين وكفاءتهم ، وان طريق الراس لن تكون له أهمية على الاطلاق بالنسبة لفرنسا اذا وجدت اقدامها في مصر[٧٤] . وحينما تقرر ارسال الحملة الى مصر في ١٢ ابريل عام ١٧٩٨م كانت المادة الثالثة من قرار ارسال هذه الحملة تنص بكل وضوح بان يقوم بونابرت بشق قناة في برزخ السويس، وان يتخذ التدابير اللازمة لضمان سيطرة فرنسا سيطرة كاملة على البحر الاحمر وامتلاكه بعد القضاء على مراكز الانجليز ومخازنهم التجارية في هذا البحر.

وعهد بونابرت الى لجنة برئاسة لوبير Lepere كبير مهندسي الحملة بدراسة منطقة برزخ السويس ، واعداد مشروع لحفر القناة ، الا ان هذه اللجنة اقترفت خطأ في حساباتها ، وتوصلت الى استنتاج خاطئ مفاده وجود فرق كبير بين مستوى مياه البحر المتوسط والبحر الاحمر مما يجعل من المستحيل شق قناة ذاتية الجريان [٧٥] واقترحت حفر قناة غير مباشرة تصل بين البحرين عن طريق النيل ، ولكن هذه الدراسات لم يتخذ بعدها أي شيء اذ لم تبق الحملة الفرنسية في مصر وانسحبت دون تنفيذ مشروع القناة[٧٦] .

وشهد النصف الأول من القرن التاسع عشر انقسام اوربا الى فريقين ، فريق يؤيد الطريق البرى وعلى رأسه بريطانيا ، وفريق يؤيد شق قناة بحرية وعلى رأسه فرنسا . واشتدت حدة التنافس بين هاتين الدولتين الكبيرتين ، وهو تنافس اتسم بالطابع الاستعمارى كما شهدت هذه المرحلة نشاط جمعيات علمية أوروبية قامت بدراسات فنية لمشروع القناة . الا ان الفكرة الأولى وهي فكرة الطريق البرى قد وجدت طريقها للتنفيذ بطريقة متطورة

---

(٧٤) الدكتور عبد العزيز محمد الشناوى : قناة السويس والتيارات السياسية التي احاطت بانشائها جـ١ ص١٧ .

(٧٥) بوندار يفسكي : مرجع سبق ذكره ص٣٠ .

(٧٦) الدكتور عبد العزيز الشناوى : مرجع سبق ذكره ص٥٢ .

نبذت استعمال قوافل الابل ، واحلت محلها العربات التي اخذت تسير في طرق معبدة ثم تطور فيها بعد الى خط حديدي تقطعه القاطرات من الاسكندرية الى القاهرة فالسويس ، وهذا قد يعطي انطباعا بان انجلترا قد انتصرت على غريمتها فرنسا في فرض وتنفيذ فكرتها بانشاء الطريق البري المتطور (٧٧) .

وفي عام ١٨٤٠ م أنشأت شركة (Peninsular and Oriental Com.) P & O خطا ملاحيا من ميناء السويس الى الهند والشرق الأقصى يتكون أسطوله من السفن التجارية البخارية . كما كان لها خط آخر من انجلترا الى الاسكندرية . وقد عملت انجلترا وفقا لمخططها الاستعماري والذي درجت على تنفيذه بعد الحملة الفرنسية على مصر ، بتقوية قبضتها على البحر الأحمر ومنع أية دولة أخرى من منافستها فيه ، فقامت باحتلال جزيرة سوقطرة التي تتحكم في مدخل البحر الاحمر الجنوبي عام ١٨٣٥ واحتلال عدن عام ١٨٣٩ ثم بريم Perim عام ١٨٤٧ .

ويبدو أن بريطانيا وان كانت قد حققت هدفها ، وهو افتتاح واستعمال الطريق البري عبر مصر ، الا أنها كانت في حاجة الى ادخال تحسينات عليه ليكون استخدامه اكثر سهولة ويسرا وسرعة ، وقد واتتها الفرصة وخدمتها الظروف بعد وفاة محمد علي باشا عام ١٨٤٩ وتولى السلطة بعده حفيده عباس باشا والذي كان على علاقة وثيقة بالقنصل البريطاني العام في القاهرة ومع الشري البريطاني روبرت استيفنسن Robert Stephenson ابن جورج استيفنسن مخترع القاطرة البخارية (٧٨) فسارت الى استغلال ميوله وصداقته لها لتحقيق المزيد من اهدافها . ولما قامت ازمة التنظيمات الخيرية بين عباس الاول وبين

---

(٧٧) الدكتور عبد العزيز الشناوي : مرجع سبق ذكره ص ٢١-٢٢ .

(٧٨) بوندار يفسكي : مرجع سبق ذكره ص ٢٨ .

الباب العالي عام ١٨٥٠ طلب مساعدة وتأييد انجلترا له في موقفه ، وأرسل مندوبا خاصا عنه هو نوباريك الى لندن لهذا الغرض، فابدت انجلترا استعدادها لتأييده ، بينما نجد فرنسا تقف الى جانب الباب العالي وضد عباس الأول . وهكذا خدم موقف بريطانيا المؤيد لعباس اهدافها ، فوافق عباس باشا على انشاء خط حديدي بين السويس والقاهرة والاسكندرية لكن روئي البدء بمد الخط بين الاسكندرية والقاهرة اولا ، ووقع نوبار مندوب عباس اتفاقا بهذا الصدد مع روبرت استيفنسن في ١٢ يوليو١٨٥١م، وبذلك حققت بريطانيا رغبة سعت اليها منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر[٧٩] .

ب ـ المرحلة التنفيذية لشق قناة السويس:

كان محمد علي قد فهم ان قناة السويس ستثير اهتمام العالم اجمع وستكون فرصة للتدخل الاجنبي في مصر، ولكن هذا الحذر من جانب الحكومة المصرية طرح جانبا حينما أصبح محمد سعيد واليا لمصر، ونجح فرديناند دي ليسبس في اقناع الوالي الجديد بان حفر القناة سيزيد من رخاء بلاده . ووافق سعيد باشا حاكم مصر على منح صديقه دي ليسبس امتياز حفر قناة السويس[٨٠] ومنذ ذلك الوقت اصبحت مسألة القناة ميدانا للتنافس بين فرنسا وبريطانيا . وكان بالمرستون وزير الخارجيه البريطانى معاديا للمشروع حتى قبل منح الامتياز ورأى بعد عام ١٨٤٧ م ان القناة ستصبح "بوسفورا ثانيا" أوجبل طارق مصريا[٨١] .

وحينما اعلن سعيد باشا عزمه على تنفيذ مشروع القناه، كان القنصل البريطاني العام بروس يستمع الى قرار سعيد وقد بدا عليه الغضب والغيظ،

(٧٩) الدكتورعبد العزيزالشناوى : مرجع سبق ذكره ص٩٢ــ٣٠٢
(٨٠) دكتور بيير رنوفان : مرجع سبق ذكره ص٣٧٨
(٨١) دكتور بيير رنوفان : نفس المرجع ص ٣٧٩ .

وقد عمل دى ليسبس على اقناع قناصل الدول بالمشروع وفوائده . وفي سبيل ذلك بعث بمذكرة الى بروس قنصل انجلترا العام ابرز فيها الفوائد التي تعود على بلاده اكثر من أية دولة أخرى في العالم من حفر قناة السويس نظرا لضخامة اسطولها وتزايد انتاجها الصناعي واتساع علاقاتها التجارية . كما اوضح له الطابع العالمي للشركة . وفي ٢٨ نوفمبر ١٨٥٤ قام قنصل فرنسا العام في مصر ساباتيه Sabatier بزيارة لسعيد باشا مهنئا اياه على قراره بتنفيذ مشروع القناة ، واختتم القنصل حديثه مع الوالي بعبارات وصفها دى ليسبس بانها كانت ضرورية لشد ازر الباشا في موقفه والذى كان يشعر انه في حاجة مستمرة الى من يؤيده في موقفه ، حتى لا يتأثر بمعارضة انجلترا فيتراجع ويتخلى عن تمسكه بالمشروع[٨٢] .

وكان نابليون الثالث ملك فرنسا عندما عرض عليه المشروع في اول الأمر شديد التحفظ فاعطى موافقة شخصية ولكنه كان لا يرغب في اعطاء تأييد رسمي من قبل حكومته لان ذلك ربما كان معناه الحرب مع انجلترا . وكان من المنطقي أن يحاول تفادى الصعوبات مع انجلترا في هذا الوقت الذى تشترك فيه الدولتان في الحرب الدائرة في القرم تأييدا للدولة العثمانية ضد روسيا[٨٣] والطريف في موقف نابليون الثالث رغم هذا التحفظ الشديد نجده بعد ثلاثة اسابيع من صدور عقد الامتياز يهدى الى سعيد باشا الوشاح الاكبر من وسام الشرف L'Egion d'Honneur والذى سلم له من قبل قنصل فرنسا العام في مصر في حفل كبير أقيم في القلعة يوم ٢٢ ديسمبر ١٨٥٤م وذلك تقديرا من الامبراطور نابليون الثالث لقرار سعيد بمنح عقد الامتياز لدى ليسبس وقد اثار هذا الاهداء بهذه السرعة شكوك انجلترا ومخاوفها من مشروع القناة

---

(٨٢) الدكتور عبد العزيز الشناوى : مرجع سبق ذكره ص٧٦-٧٨ .

(٨٣) دكتور بيير نوفان : مرجع سبق ذكره ص ٣٩١ .

واشتدت معارضة فردريك بروس Bruce قنصل انجلترا العام في مصر للمشروع، كما اشتد ضغطه على الوالي لاحباط هذا المشروع (٨٤).

وكانت الحكومة الانجليزية تعتقد بان حفر القناة أمر في حكم الاستحالة واعتبرت ان الحكومة الفرنسية بتأييدها مشروع القناة تعمل على هدم صرح التفاهم القائم بين حكومتي باريس ولندن ، الا ان فرنسا كانت تنظر الى القناة على انها مشروع مفيد ، وممكن تنفيذه بل هو أمر مرغوب فيه ، ولكن فرنسا رغبة منها في ارضاء انجلترا اقترحت ان يمتنع ممثلو الدولتين في الآستانة عن التدخل لدى الباب العالي سواء لتأييد المشروع او الاعتراض عليه ، وان تترك الدولتان هذا المشروع للسكان ووالي مصر للبت فيه واتخاذ القرار الذي يتمشى مع مصلحة الامبراطورية العثمانية الا ان انجلترا لم تأخذ بهذا الاقتراح الفرنسي لانها خشيت ان يقع السلطان أو والي مصر أو كلاهما معا تحت تأثير نفوذ فرنسي على اي نحو وتفاجأ لندن بصدور تصديق السلطان على عقد الامتياز والشروع في حفر القناة . كما ان المرور عبر الاراضي المصرية أمر يهم انجلترا اكثر مما يهم فرنسا (٨٥) .

وخطت بريطانيا خطوة جديدة على طريق معارضتها للمشروع اذ كتب وزير الخارجية البريطانية كلاريندون Clarendon الى سعيد باشا في يناير عام ١٨٥٥م رسالة تضمنت نصحه بالامتناع عن شق القناة ، واوضح ان سبب معارضة بريطانيا للمشروع هو الاهتمام بمصالح مصر وقال : " لو ان حكومة صاحبة الجلالة ترى في هذا المشروع اية منفعة لمصر في المستقبل لنصحت بقبوله عن طيب خاطر" . وفي نفس الوقت مارست الدبلوماسية البريطانية ضغطا على الاستانة ، ولما وصل دي ليسبس اليها طلبا لتأييد ومصادقة

---

(٨٤) الدكتور عبد العزيز الشناوي : مرجع سبق ذكره ص٩١-٩٢ .

(٨٥) الدكتور عبد العزيز الشناوي : نفس المرجع ص١٢٨-١٢٩ .

الباب العالي ابلغه الصدر الاعظم رشيد باشا بكل صراحة، بأن موقف بريطانيا المعارض يجعل من المتعذر على الباب العالي ان يصادق على الامتياز، وفي شهر يوليو سنة ١٨٥٥م وجه وزير الخارجية البريطاني مذكرة شديدة اللهجة الى المسئولين في باريس اشار فيها مباشرة الى اعتقاد الحكومة البريطانية الراسخ "بان فكرة القناة أوحتها الى فرنسا سياسة معادية لبريطانيا، وهي بالذات الرغبة في فصل تركيا عن مصر وسد الطريق بين بريطانيا والهند (٨٥).

وحينما طرحت اسهم شركة قناة السويس للاكتتاب أحجم عدد كبير من الدول عن الاكتتاب بسبب معارضة انجلترا للمشروع. واستمرت المعارضة البريطانية للمشروع فحينما بدأت اعمال الحفر في القناة طلبت من الدولة العثمانية اصدار الأمر بايقاف العمل، وابلغ الصدر الاعظم العثماني سفير روسيا في الاستانة بأن أمر وقف العمل في حفر القناة املاه السفير البريطاني الذي هدد "بان بريطانيا سترى نفسها ملزمة بالسيطرة على مصر اذا لم يتخذ الباب العالي الاجراءات اللازمة. وفي مستهل ديسمبر عام ١٨٥٩ م أعلن السفير البريطاني للسلطان العثماني بصراحة: "اذا وافق الباب العالي على مشروع القناة فان بريطانيا لن تتردد في اعلان الحرب ضد تركيا" (٨٦).

وفي عام ١٨٦٣ توفي سعيد باشا وترك خلفه اسماعيل باشا ليكمل مشروع القناة. بل انه قد زاد من النشاط في عملية الحفر، وبطريقة اكثر سرعة عن ذي قبل، كما استمرت بريطانيا منجهتها في مقاومة المشروع، ودبر عملاءها صدامات مسلحة في منطقة القنال وطمروا مرارا بعض اقسام القناة،

---

(٨٥) Ch. Hallberg: The Suez Canal pp. 131-133.

(٨٦) بوندار يفسكي: مرجع سبق ذكره ص٣٢.

كما ظلت البورصة البريطانية تخلق المراقيل امام الوضع المالي للشركة العامة لقناة السويس باستمرارها على منع تداول اسهم الشركة ، وفي الوقت نفسه اسرع الرأسمالي البريطاني للاستفادة من الصعوبات التي كانت تواجه الخزينة المصرية من جراء النفقات الهائلة لشق القناة ، وبدأ رأس المال البريطاني هذا يتغلغل في اقتصاد مصر (٨٧) .

وفي ١٧ نوفمبر عام ١٨٦٩ م تم افتتاح قناة السويس للملاحة الدولية وامام هذا النصر الذي حققه دي ليسبس على المعارضة البريطانية ، رأت الحكومة البريطانية من الضروري منحه وسام نجمة الهند ، كما انتخبته مدينة لندن مواطنا فخريا ، وكتب كلاريندون وزير الخارجية البريطاني رسالة خاصة الى دي ليسبس ، ينقل له فيها تهنئة الحكومة البريطانية بمناسبة انجازه طريقا جديدا للمواصلات بين الشرق والغرب ، والمزايا السياسية والتجارية التي يمكن ترقبها بكل ثقة من القناة في المستقبل ، ويعزى هذا التحول الجذري للسياسة البريطانية في هذه المسألة ليس فقط الى المثل الانجليزي المعروف " لا جدال في الأمر الواقع " بل الى ان الاوساط الحاكمة البريطانية التي منيت بالهزيمة في محاولاتها العديدة لنسف شق القناة قد قررت ازاء الموقف الجديد ان تبذل كلما في وسعها للسيطرة على قناة السويس وعلى مصر ايضا (٨٨) .

ويبدو ان الاقدار قد ساعدت الانجليز على تحقيق هذه السياسة الجديدة عندما عرض اسماعيل باشا حصة مصر من اسهم شركة القناة للبيع في اسواق باريس عام ١٨٧٥ ، مقابل مبلغ ٩٢ مليون فرنك أو ما يوازي ٤ ملايين جنيه تقريبا ، وترددت فرنسا في شراء هذه الاسهم ، فسارع رئيس الوزراء

---

(٨٧) بوندارينفسكي : مرجع سبق ذكره ص ٣٣-٣٤

(٨٨) بوندارينفسكي : نفس المرجع ص ٣٥-٣٦ .

البريطانية دزرائيلي Dispaeli الذي أدرك ما في هذه الصفقة من مكاسب لانجلترا وذريعة لوضع اليد على شركة القناة وبالتالي التدخل في شئون مصر، وخلافا على عادة وتقاليد انجلترا وبدون عرض هذه الصفقة على اعضاء الوزارة ، فضلا عن البرلمان ، وكلف بيت روتشيلد بشراء هذه الاسهم لحساب الحكومة البريطانية ، وتمت الصفقة بمبلغ اربعة ملايين من الجنيهات . وهكذا حققت انجلترا كسبا سياسيا كبيرا لم يتمكن رئيس الوزارة البريطانية من اخفائه عندما تحدث في مجلس العموم البريطاني يوم ٢١ فبراير عام ١٨٧٦ مدافعا عن الصفقة قائلا : " لقد أوصيت البلاد دائما وما زلت اوصيها باتمام هذا الموضوع كصفقة سياسية اعتقد انها قد حسب فيها حساب تقوية الامبراطورية ، هذه هي الروح التي قبلت بها البلاد هذه الصفقة وفهمتها برغم ان عضوين من اعضاء هذا المجلس قد انتقداها ، ان أهل بريطانيا يريدون صيانة الامبراطورية ودعمها ولن يفزعهم حتى لو اتسعت رقعتها ولانهم يرون اننا قد حصلنا على تحقيق سيطرتنا الكبرى ومصلحتنا في هذا القطاع الهام من افريقيا ولانهم يعتقدون ان هذه الصفقة تضمن لنا طريقا الى امبراطوريتنا الهندية والبلاد الأخرى التابعة لنا فان شعب بريطانيا قد تبين في بادئ الأمر حكمة الخطوة التي سوف نقرها هذه الليلة" (٨٩) .

وهكذا كسبت انجلترا ،غنما كبيرا ومركزا ممتازا في شركة القناة وزاد عدد الاعضاء الانجليز في مجلس الادارة حتى بلغ الثلث ، وعلى النقيض من ذلك ، ضعف نفوذ فرنسا السياسي في مصر، وكان قد بدأ يتدهور منذ هزيمتها امام بروسيا عام ١٨٧٠ (٩٠) .

وقد علق كاتب فرنسي على هذه الصفقة في مجلة العالمين بعددها المؤرخ اول ديسمبر ١٨٧٥ قائلا : " ان هذا العمل سياسي بحت وهنا وجه

---

(٨٩) Hurewitz, J.C.: Diplomacy in the Near and Middle East. Vol. 1, pp. 184-185.

(٩٠) حسين فوزي النجار: مرجع سبق ذكره ص٧٢ .

الخطر فيه ،فاذا لم يكن في ذاته احتلالا لمصر فانه الخطوة الأولى لهـــــذا الاحتلال ، والآن وقد اصبح لانجلترا عميل يحتاج الى من يعطيه بائـــة مليون فرنك لتسوية ديونه ، فهي لن تتركه وشأنه بل تراقب ماليته ثم تقرضـــه ، وتبذل المال من جديد وستطلب منه طبعا ضمانات وتأمينات أخرى ، وهكـــذا بعد ان كانت انجلترا تعارض في انشاء القناة تحولت سياستها لامتلاكها " (٩١)

## جـ ـ آثار مشروع قناة السويس على شبه الجزيرة العربية :

ما ان استمر العمل في شق القناة حتى بادرت بريطانيا الى اتخــــاذ اجراءات أخرى لتعزيز مواقعها في المشارف العربية والبعيدة من القنـــاة (٩٢) ففي ١٤ فبراير عام ١٨٥٧ م سارعت الحكومة البريطانية بواسطة فرق من جيـــش شركة الهند الشرقية الى احتلال جزيرة بريم Perim وهي تقع عنـــد مدخل بوغاز باب المندب وتسيطر على حركة الملاحة في البحر الاحمر مـــن ناحية منفذه الجنوبي وعمدت الى تبرير هذا الاجراء العسكري ،بان هدفها منه هو اقامة فنار في الجزيرة لارشاد السفن البريطانية . والواقع ان انجلتـــرا ارادت ان تتخذ من هذه الجزيرة قاعدة او محطة عسكرية لها اذا تم انشـــاء القناة ، ويؤيد هذا الرأى التقرير الذى قدمه البريجاديـــر كوجـــلان Brigadier Coghlan المقيم السياسي في عدن عن هذه الجزيـــرة والذى اوصى فيه باحتلالها لمواجهة الموقف في وجه فرنسا اذا تم انشاء قناة السويس وقرر بان الفرنسيين يتطلعون الى الجزيرة ، وذهب في تقريره الى القـــول بأن حكومة باريس قد اوصت باحتلالها (٩٣) .

---

(٩١) احمد حسين : مرجع سبق ذكره ص ١٠٣٢

(٩٢) بوندار يفسكي : مرجع سبق ذكره ص٥٣ .

(٩٣) دكتور جاد طه : سياسة بريطانيا في جنوب اليمن ص ٢٢٨ .

وفي عام ١٨٦٢م استولت بريطانيا على جزيرة كمران والتي اتسمت هي الاخرى بأهمية كبيرة جدا من الناحية الاستراتيجية بسبب موقعها عند ساحل اليمن وعسير في البحر الاحمر، ونها بعد اعلنت بريطانيا ضرورة ابقاء سيطرتها على هذه الجزر وغيرها من المناطق التي لا تقل عنها شأنا من الناحية الاستراتيجية، والتي استولت عليها قبل وبعد شق القناة محتجة بضرورة الدفاع عن القناة (٩٤).

اما فرنسا فقد استمرت في تنفيذ مشروعاتها التوسعية على سواحل البحر الاحمر، ففي يناير من عام ١٨٦٩م اشترى فرنسيان هما ماس M.M. Mass وبوالكس Pollex مكانا يسمى بندر الشيخ سعيد من الشيخ علي ثابت شيخ قبيلة هاكورني في مقابل مبلغ ٠٠٠ر٤ الف ريال وذلك لاقامة وكالة فرنسية هناك ، وهذا المكان مواجه تماما لجزيرة بريم . وكان غرض الفرنسيين من وراء السيطرة على هذا الموقع ، اقامة وكالة فرنسية في تلك المنطقة ترعى المصالح الفرنسية في البحر الاحمر على غرار ما فعله البريطانيون في عدن ، وقد ابلغ الميجور جنرال راسيل المقيم السياسي البريطاني في عدن حكومة بومباي بان انشاء ميناء فرنسي في منطقة الشيخ سعيد المواجهة لجزيرة بريم ، انما يهدد بشدة تجارة البن اليمني الذى كان يصدر حينذاك عن طريق ميناء عدن ويعود على البريطانيين هناك بفوائد كثيرة (٩٥) . وتضمن امتياز شراء بندر الشيخ سعيد على رأس باب المندب والساحل الى مسافة قصيرة على الجانبين وقد اوضح حاكم بريم ان ذلك المكان تابع للحكومة التركية ، كما اشار مساعد المقيم السياسي في عدن ايضا الى ان الاتراك رفضوا الموافقة على هذا البيع

---

(٩٤) بوندار يفسكي : مرجع سبق ذكره ص ٥٣ .

(٩٥) الدكتور فاروق عثمان اباظة : عدن والسياسة البريطانية في البحر الاحمر، ص ٤٦٠ .

وانهم ابلغوا الحكومة الفرنسية بان تحويل ملكية هذه الاراضي لم يتم بالطريقة الشرعية، وقدموا احتجاجا على ذلك ،وقد ابدى الشيخ علي ثابت دهشته من هذا الطلب التركي ،وقرر بأن الأرض لم يحكمها اى حاكم تركي من قبل، وانه يحكمها كما حكمها اسلافه منذ زمن طويل(٩٦) .

ويبدو ان المصالح الفرنسية في منطقة البحر الأحمر كانت في معظمها وحتى فتح قناة السويس غير رسمية في مظهرها ، فضلا عن انها لم تكن تستند الى قوة كبيرة في ذلك الوقت(٩٧) الا ان بريطانيا كانت بالغة الحساسية تجاه اى تحرك فرنسي في المنطقة مهما كانت صفته ، ولذلك فقد بالغت في تصور وضع الفرنسيين في بندر الشيخ سعيد ويتضح ذلك من تأكيدات اللورد كلارندون وزير الخارجية لسفير حكومته في الاستانة بارون Barron حينما بعث اليه بتعليماته حيال هذا الموضوع والمتضمن بان الحكومة البريطانية لن توافق على اقامة مستعمرة اجنبية في تلك المنطقة المجاورة تماما لعدن ،الأمر الذى يشكل تهديدا خطيرا للمصالح البريطانية هناك(٩٨) . ومهما يكن فان الفرنسيين قد غادروا منطقة الشيخ سعيد نهائيا في شهر ديسمبر من عام ١٨٧١ ، وهكذا لم يتحقق للفرنسيين في اعقاب افتتاح قناة السويس املهم في اتخاذ الشيخ سعيد نقطة ارتكاز منافسة للوجود البريطاني في ميناء عدن الهام ، ومركز انطلاق لتحقيق المصالح الفرنسية في منطقة البحر الاحمر على نحو ما فعلته بريطانيا بسيطرتها على عدن . وأن كان ذلك قد ادى بالفرنسيين الى زيادة تركيزهم لجهودهم على الساحل الغربي للبحر الاحمر واتخاذهم من "أوبوك" نقطة انطلاق لتحقيق تطلعاتهم الاستعمارية ومنافسة النفوذ البريطاني في منطقة البحر الاحمر.

---

(٩٦) الدكتور جاد طه : مرجع سبق ذكره ص٢٤٣

(٩٧) Marston, T.E.: op. cit., p. 388.

(٩٨) الدكتور فاروق عثمان اباظة : مرجع سبق ذكره ص٤٦١

د ـ موقف الدولة العثمانية واستفادتها من فتح القناة :

يمكننا القول بان قناة السويس قد يسرت للأسطول العثماني عليه العبور الى البحر الاحمر والخليج العربي ، ووصل ميناء الاستانة بموانئ شبه الجزيرة العربية مباشرة. (٩٩) الامر الذي مكن القوات العثمانية والامدادات العسكرية اللازمة لها من الوصول الى بلدان شبه الجزيرة العربية في اقصر وقت ، بعد ان انعش فتح القناة الرغبة التي كانت تحدو رجال الدولة العثمانية منذ منتصف القرن التاسع عشر لاعادة بسط نفوذهم الفعلي على المناطق التابعة للدولة العثمانية اسيما في حوض البحر الاحمر خاصة بعد ان لمست ازدياد اهتمام الدول الاوربية بصفة عامة بشئون شبه الجزيرة العربية، ومحاولة الاستيلاء على بعض المواقع الاستراتيجية بمنطقة البحر الاحمر، وخاصة المناطق القريبة من عدن بعد فتح قناة السويس ، كما انها اعتبرتها فرصة جيدة لتضع حدا لعودة القوى المحلية الى الظهور والتمرد على سلطانها في شبه الجزيرة العربية بعد التجربة التي واجهتها واستعانت فيها بالمصريين لاخماد ثورة أمير عسير ضد النفوذ العثماني في العقد السابع من القرن التاسع عشر(١٠٠) .

وعلى هذا فانه يمكننا القول بأن افتتاح القناة وان كان له آثار استعمارية سيئة على شبه الجزيرة العربية ، الا انه بالنسبة للدول العثمانية فقد مكنها من دعم سيطرتها وتشديد قبضتها على اقليم الحجاز واليمن ، وهما الاقليمان الوحيدان الواقعان على الساحل الشرقي للبحر الاحمر *.

---

* اما عن الاثر الاقتصادي لفتح القناة على الحجاز خاصة، وشبه الجزيرة عامة وكذلك اثرها في حركة الحج ، والتطورات الدولية بصددها بعد الاحتلال البريطاني لمصر عام ١٨٨٢ ، فنجد بحثها المفصل في الفصل الثالث من هذا البحث.

(٩٩) الدكتور صلاح العقاد : الاستعمار في "الخليج العربي". ص١٦٩ .

(١٠٠) الدكتور فاروق عثمان اباظة: مرجع سبق ذكره ص٣٠٤ ( ونقلا عن دكتور محمد محمود السروجي : سياسة مصر العربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ثورة العسير (١٨٦٤-١٨٦٦) مجلة كلية الاداب بجامعة الاسكندرية المجلد التاسع ـ ديسمبر ١٩٥٥م ص٩٦-٩٧) .

## ٧ - الاحتلال الانجليزى لمصر عام ١٨٨٢م

اخذت بريطانيا تعمل - بعد فتح قناة السويس على السيطرة على القناة ومصر مستغلة الازمة المالية التي وقعت فيها مصر في عهد الخديو سعيد ، واخذت تتدخل في شؤون مصر الداخلية بالاشتراك مع فرنسا . وكانت السياسة الانجليزية في مصر منذ عام ١٨٧٥ . قد بنيت بالاتقدم انجلترا على عمل فيه سوى الى علاقتها بفرنسا ، واخذت الدولتان تعملان مجتمعتين وعلى قدم المساواة في ميدان المسألة المصرية ، ولم تحسبا اى حساب لسيادة الدولة العثمانية على مصر ، وحقوقها الشرعية التي اقراها من قبل (١٠١) .

الا انه مالبث ان ظهر بوضوح تفكير البريطانيين في احتلال مصر ، وذلك من خطاب الملكة فيكتوريا " وخطابات لورد جرانفيل Granville المودعة حاليا في دار الوثائق الحكومية البريطانية في لندن . بل ان مستقبل مصر السياسي ومصيرها كان قد تقرر في نفس السنة التي فرض فيها الفرنسيون على تونس بعد احتلالها معاهدة " باردو " او معاهدة " قصر السعيد " في ١٢ مايو عام ١٨٨١م ، الأمر الذى احدث تطورا خطيرا في ميزان القوى الدولية في البحر المتوسط ، ومع ان بريطانيا كانت قد اعطت موافقتها لفرنسا باحتلال تونس مقابل سكوتها عن احتلالها ( اى بريطانيا ) لجزيرة قبرص ، فقد اعتبرت ان احتلال الفرنسيين لتونس قد اخل بالتوازن الأوربى في البحر المتوسط ، ومنح فرنسا نفوذا متفوقا على النفوذ البريطاني ، وان هذا التوازن لن يعود الى حالته الطبيعية الا بالاحتلال البريطاني لمصر ، وقد حتم ذلك على بريطانيا ضرورة استغلال الاوضاع غير المستقرة في مصر لتحقيق غايتها (١٠٢) .

---

(١٠١) حسين فوزى النجار : مرجع سبق ذكره ص ٢١ .

(١٠٢) الدكتور محمد مصطفى صفوت : الاحتلال الانجليزى لمصر وموقف الدول الكبرى ازاءه ص ٣ .

ولقد كان الموقف السياسي آنذاك عجيبا حقا ، فوزارة غلادستون Gladstone البريطانية الحرة التي كانت تمقت التعهدات الاستعمارية وتتوق الى نفض يدها من مصر في اول فرصة ملائمة ، الفت نفسها مكرهة على التغلغل اكثر فأكثر في وادي النيل ،على حين ان فرنسا التي لم يكن ينفصل يدها عن الاستعمار وازع ادبي ، والتي كانت تتوق الى وضع يدها على مصر بأي ثمن ، نجدها تركت فجأة الثمرة الى منافستها لتقطفها من دونها (١٠٣) .

## (أ) الخطوات العملية للاحتلال :

عندما شعرت فرنسا ان بريطانيا تخطط للعمل المنفرد في مصر، لجأت الى المؤتمر الذي عقد بناءا على طلبها في الاستانة في اواخر شهر مايو عام ١٨٨٢ للنظر في احوال مصر ، وتمكنت من العمل على ان يصدر هذا المؤتمر ميثاق النزاهة والذي تتعهد فيه الدول الموقعة عليه بعدم التحدث عن احتلال اي جزء من اراضي مصر، ولا الحصول على امتياز خاص بها ، ولا على نيل امتياز تجاري لرعاياها لا يخول لرعايا الحكومات الأخرى ، وقد وقعت انجلترا على هذا القرار ( الميثاق ) في الوقت الذي كانت تعد فيه العدة لانزال ضربتها على مدينة الاسكندرية (١٠٤) وقد قرر مؤتمر الأستانة ضرورة التدخل لاقرار الحالة في مصر وأخماد ثورة عرابي بها" ورفض بسمارك اعطاء الدولتين ( فرنسا وانجلترا ) حق التدخل معا في مصر، بينما عرض المؤتمر على تركيا ارسال قوة عثمانية الى مصر لتأييد مركز الخديو بموجب مقتضى الفرمانات الصادرة ، وكانت انجلترا تعرف مقدما ان تركيا لا قدرة لها على ارسال جيش الى مصر، فطلبت من فرنسا ان تشترك معها في عمل مسلح في مصر لتأمين سلطة الخديو وابعاد عرابي الى الخارج واعادة المراقبة الثنائية . لكن

---

(١٠٣) فيشر، هـ.ا.ل : مرجع سبق ذكره ص٩١٤
(١٠٤) حسين فوزي النجار: مرجع سبق ذكره ص٢١١-٢١٢ .

فرنسا رفضت فكرة التدخل المسلح ،فلم يبق امام انجلترا الا ان تضرب ضربتها منفردة (١٠٥) .

وهكذا نجحت انجلترا في اقصاء فرنسا لكي تنفرد هي باحتلال مصر عام ١٨٨٢ م ،وتذرعت انجلترا بقيام المصريين ببناء الحصون ونصب المدافع في ميناء الاسكندرية واعتبرته عملا موجها ضد اسطولها والاسطول الفرنسي ايضا ولذلك طلبت ان يشترك الاسطول الفرنسي مع اسطولها في العمليات الحربية في الاسكندرية ، الا ان فرنسا رفضت ذلك وابلغت انجلترا بانها تعتبر قيام الاسطول البريطاني بمنع السلطات المصرية من بناء الحصون بالقوة عملا عدائيا هجوميا ، ضد مصر ولا يمكن الاشتراك فيه دون الاخلال بنص الدستور الذي يحظر الدخول في حرب بدون موافقة البرلمان (١٠٦) .

وكان الشعب الفرنسي قد اخذ يستيقظ للثأر من المانيا واسترجاع اقليم الالزاس واللورين وراح دعاة الانتقام وعلى رأسهم كليمنصو يسرد دون ان اشتراك فرنسا في حرب خارجية قبل استعادة الولايتين المفقودتين جريمة في حق الوطن ، ثم ان البرلمان قد رفض الاعتماد الذي طلبه فرنسينيه لاعداد الحملة على مصر، واستقالت وزارته على اثر ذلك في ٢٩ يوليو١٨٨٢م وهكذا ضيعت فرنسا جهود قرن كامل من السعي لبسط نفوذها على مصر (١٠٧)

وفي الساعة السابعة من صباح يوم ١١ يوليو١٨٨٢م قصفت مدفعية الاسطول الانجليزي مدينة الاسكندرية ، وتمكن الانجليز من الاستيلاء عليها ، وانسحب الجيش المصري منها . ثم زحف الانجليز الى الدلتا

---

(١٠٥) الدكتور فاروق عثمان اباظة : مرجع سبق ذكره ص٢٧٩ .
(١٠٦) امين سعيد : تاريخ الاستعمار الانجليزي في بلاد العرب ص ٢٦٣- ٢٦٤ .
(١٠٧) حسين فوزي النجار : مرجع سبق ذكره ص٢١٢ .

فاحتلوها ، وتمكنوا من هزيمة قوات عرابي باشا في موقعة التل الكبير ، واصبحت انجلترا سيدة الموقف .

ب ـ الوضع في فترة مابعد الاحتلال :

وقفت فرنسا من التدخل العسكري الانجليزي موقف المعارض له ، وعبر رئيس الوزارة الفرنسية عن استياءه لعدوان بريطانيا على الاسكندرية وشعبها وبدى التدمير الذي الحقه سيمور بها صباح ١١ يوليو ، وانه لم يكن هناك مبرر او داع للقيام بهذا العمل العدواني ، وان ماقام به المصريين انما هو عمل دفاع شرعي (١٠٨) .

وبعد ان تم الاحتلال البريطاني لقناة السويس وسائر اجزاء مصر ، تدهورت العلاقات بين فرنسا وبريطانيا ، واعتبرت فرنسا ان الاحتلال البريطاني لمصر قد شكل ضربة قاتلة لنفوذها السياسي والحضاري والادبي مما جعلها غير راضية عن الوضع الجديد في وادي النيل (١٠٩) وان هذا اخلال بالتوازن في الحوض الشرقي لبحر الابيض المتوسط والاحمر ، اذ أصبح اشراف البريطانيين تماما على الطرق المائية والبرية الموصلة الى الهند والشرق وخاصة طريق البحر الاحمر ، وساء فرنسا انها اضاعت على نفسها فرصة ذهبية هي الاشتراك مع بريطانيا في التدخل الحربي في مصر اولا وفي احتلال قناة السويس ثانيا ، ولا يزال الى الوقت الحاضر يفصح بعض كبار المؤرخين الفرنسيين عن مشاعر الأسى العميق لاحجام فرنسا عن الاشتراك مع بريطانيا في هذا العمل العسكري ويذهبون الى ان هذا الاحجام كان اكبر هزيمة سياسية منيت بها السياسة الفرنسية في الفترة الواقعة بين الحرب

---

(١٠٨) الدكتور محمد مصطفى صفوت : مرجع سبق ذكره ص ٥٠ .
(١٠٩) الدكتور فاروق عثمان اباظه : مرجع سبق ذكره ص ٢٩٧ .

السبعينية وبين الحرب العالمية الأولى (١١٠) . ويبدو أن الدول الأوروبية لم تثر على هذا الاحتلال البريطاني الكامل لمصر ما عدا فرنسا التي اعترضت بشدة على تدخل بريطانيا ، اما الحكومة العثمانية فقد كان رد فعلها هو الاحتجاج اللفظي اذ لم تكن لديها من القوات المسلحة مايسمح لها بتحدي بريطانيا ومقاومتها . الا ان الحكومة البريطانية مع كل ذلك اخذت تسير في سياسة كلها تضليل وخداع لتخفف من ثائرة الحكومتين الفرنسية والعثمانية فاخذت تصدر بين الحين والحين تصريحات مفادها بان الاحتلال البريطاني لمصر موقت ، ومرهون بعودة الامن والنظام اليها (١١١) .

وبعد مرور بضعة ايام على دخول البريطانيين للقاهرة بعث دوكلرك* رئيس وزراء فرنسا الجديد يستفسر من جرانفيل وزير الخارجية البريطاني عن نوايا حكومته تجاه مصر ، فاجاب جرانفيل بان للاحتلال طابع موقت وسوف ينتهي امده بعد تنظيم الشئون المصرية (١١٢) لكن الاجراءات التي اتخذتها بريطانيا بعد احتلالها مصر اظهرت تناقض ذلك مع تصريحاتها ، من ذلك القرار الذي اصدرته في ١٩ سبتمبر عام ١٨٨٢م بحل الجيش المصري وتشكيل جيش قليل العدد تحت اشراف ضباط بريطانيين كما عينت عددا كبيرا من الانجليز في وزارات الحكومة ، وباسم الخديو أصدرت مرسوم

---

* كان رئيس الوزراء الفرنسية فرنسينيه قد قدم استقالة وزارته يوم ٢٩ يولية ( تموز ) ١٨٨٢م بعد اخفاقه في الحصول على موافقة البرلمان الفرنسي على مشروع الاعتمادات المالية للجيش الفرنسي الذي كان مزمع اشتراكه مع القوات البريطانية في عمليات السويس ، وجاء بعده في رئاسة الوزارة دوكلرك ) .

(١١٠) عبد الرؤوف احمد عمرو : قناة السويس في العلاقات الدولية ص ٢٨٢

(١١١) عبد الرؤوف احمد عمرو : نفس المرجع ص ٢٨٥ .

(١١٢) لوتسكي : تاريخ الاقطار العربية الحديث ص ٢٧٤ .

في ١٨ يناير ١٨٨٣ م بالغاء نظام المراقبة* الثنائية على المالية المصرية (١١٣) وقد ظهر من اصدار هذا المرسوم رغبة انجلترا في التحرر من الرقابة الفرنسية وان تطلق يدها في شئون مصر، وقد اسرعت فرنسا بالاحتجاج على الحكومة المصرية لهذا الالغاء ، ولم يؤثر هذا الاحتجاج بشئ فالحكومة المصرية اصبحت مدعمة بالاسطول الانجليزي الرابض في ميناء الاسكندرية (١١٤) بل ان فرنسا مالبثت ان تلقت نبأ صدور مرسوم اخر في ٤ فبراير عام ١٨٨٣م بانشاء منصب مستشار مالي للحكومة واسناده الى بريطاني ، فادركت ان تصرفات بريطانيا في مصر لا توحي بأن الاحتلال لمصر هو احتلال مؤقت كما كان يصرح به وزراؤهم آنذاك ، وامام معارضة فرنسا بشأن الغاء نظام المراقبة الثنائية صرح لورد جرانفيل قائلا : ان نظام المراقبة لم يوضع لصالح فرنسا اوبريطانيا وانما وضع لصالح الاقتصاد المصري في وقت ما ، ولأجل غير مسمى ، وان واجب الحكومة البريطانية يحتم عليها تعديل كل النظم المصرية ولهذا فان الغاء المراقبة الثنائية الآن ، انما هو في الواقع لصالح مصر والدول الأوروبية (١١٥) . وتابعت فرنسا تثبيت الانجليز لاقدامهم في مصر بقلق شديد بينما كانت بريطانيا تواصل التصريحات بأن احتلالها مؤقت فقد ذكر جلادستون رئيس الوزراء في مجلس العموم البريطاني عام ١٨٨٤م بان "مسألة الجلاء عن مصر هي قضية شرف بالنسبة لانجلترا" . وعلى ذلك فأن انجلترا لم تقم بالحاق مصر اليها لأن مثل هذه الخطوة كانت تنطوي على وقوع أزمة دولية خطيرة ، وادركت انجلترا بأنها ستجابه مقاومة فرنسية قوية اذا ما اقدمت على ذلك ، كما ان روسيا ستساند فرنسا في هذه القضية وسيؤدي

---

* كان نظام الرقابة الثنائية هذا قد بدأ العمل به في مصر بموجب المرسوم الصادر بتاريخ ١٨ نوفمبر عام ١٨٧٦ ابان حكم اسماعيل باشا.

(١١٣) عبد الرؤوف احمد عمرو : مرجع سابق ص ٢٨٥ .

(١١٤) احمد حسين : مرجع سبق ذكره ص ١١٢٥

(١١٥) عبد الرؤوف احمد عمرو : مرجع سابق ص ٢٨٥-٢٨٦ .

ذلك بدوره الى مقاومة تركية . وفي عام ١٨٨٤م طلب الفرنسيون من انجلترا سحب القوات الانجليزية من مصر ، فوعدتهم بانها ستفعل ذلك في بداية عام ١٨٨٨م. وقد اكد ذلك رئيس الوزراء البريطانية في ٢٣ يونيو سنة ١٨٨٤م في مجلس العموم البريطاني حين قال : " نتعهد الا نطيل احتلالنا الحربي لمصر الى مابعد اول يناير عام ١٨٨٨م ، اذا كانت الدول يومئذ تصرح ان حالة البلاد تسمح برحيلنا بدون تعكير الأمن في مصر، ولا جرم اننا اذا كنا ننوى عرقلة عمل الدول بمقاومتنا عندما يحين وقت تنفيذ ما تعهدنا به ، فلن يصبح لبلادنا شرف يتكلم به احد . . . "(١١٦) وفي الوقت الذى كان فيه الشد والجذب يأخذ دوره بين فرنسا وانجلترا ، وكان موضوع حياد القناة وسلامتها يأخذ طريقا موازيا لطريق الاحتلال لمصر كموضوع عام . وعملت انجلترا على ايهام الدول كلها بانها ترغب في وضع نظام حياد دائم بمصر يكفل لجميع الدول استخدام القناة في جميع الاوقات بحرية تامة ، فاذا بفرنسا تقترح عقد لجنة دولية فنية في القاهرة للتمهيد لعقد مؤتمر دولي لعقد المعاهدة المطلوبة الا ان بريطانيا لم توافق على انعقاد اللجنة في القاهرة ، وبعد اخذ ورد بين الدولتين وافقت بريطانيا في ١٧ فبراير عام ١٨٨٥م على عقد المؤتمر في باريس يوم ١٧ مارس ١٨٨٥م واجتمعت اللجنة فعلا في باريس يوم ٣٠ مارس ١٨٨٥م وتقدمت كل من انجلترا وفرنسا بمشروعين منفصلين ، وخلال لمناقشات التي كانت تدور في المؤتمر طلب رئيس اللجنة ان تستبعد الوفود من المناقشة الحالة الواقعية في مصر ، وكان يعني بذلك مسألة الاحتلال البريطاني ، الا انه عند مستهل اعمال اللجنة الدولية التي انعقدت في باريس سقطت وزارة جول فيرى ، وعاد فرنسينيه الى الحكم ثانية . كما حدث في انجلترا تغيير سياسي اذ تولى وزارة الخارجية سالسبورى الذى طلب من المؤتمر ارجاء مفاوضاته الى مابعد الانتخابات في

(١١٦) الدكتور مصطفى الحفناوى : قناة السويس ومشكلاتها المعاصرة جـ ٢ ص ١٤ .

نوفمبر عام ١٨٨٥م. بينما استمرت انجلترا تراوغ وتماطل لأنها كانت تعـرف مقدما ان حكومة فرنسا الجديدة مصرة على جلاء القوات الانجليزية عن مصر، وتوترت العلاقات بين حكومتي فرنسا وانجلترا ، حتى سقط اللورد سالسبوري وعين بدله في وزارة الخارجية اللورد روزبري للعمل على تهدئة الجو، ولكن اسلوب المراوغة والابهام استمر في عهد هذا الوزير الجديد ايضـــا ، وراجت اشاعات في المجال الدولي بان انجلترا ستعلن ضم مصر الى املاك التاج البريطاني ، فوقف فريسينيه رئيس الوزراء الفرنسية من هذه الشائعـات موقف الحزم والتهديد ، حتى اضطرت انجلترا لتكذيبها رسميا ، واتهمـت فرنسا انجلترا بانها تماطل في انهاء مسألة حرية المرور في القناة لكي تستفيد بمركزها الشاذ في مصر على حساب الدول الأخرى ، وفي خضم قوة الجدل وتبادل الرسائل المتشددة بين الدولتين عاد سالسبوري الى الخارجيـة البريطانية مرة اخرى فقدم مشروع اتفاق بشأن القناة بتاريخ ٢١ اكتوبر عـام ١٨٨٧م وقد انتهت المناقشات حول القناة بتوقيع معاهدة الاستانة في ٢٩ اكتوبر عام ١٨٨٨ (١١٧) ولكن فرنسا لم تر في هذه المعاهدة نهاية المطاف فقد حرصت على ان تحمل بريطانيا على تنفيذ وعودها الخاصة بالجـــلاء فقد كتب المسيو وادنجتون Waddington سفير فرنسا في لندن الى اللــورد سالسبوري في ٢١ يوليو عام ١٨٨٧م معربا عن رأي حكومته قائلا : نرجـــو مخلصين ان تكمل قاعدة حرية المرور في القناة قريبا جدا بجعل مصر كلهـــا بلدا محايدا" (١١٨) . وجرت فعلا مفاوضات بهذا الشأن في عــام ١٨٨٧م بين لندن وباريس والاستانة ، وهي مايسمى بمفاوضات " درومند ولـــف" لمناقشة موضوع الجلاء كقاعدة لا بد منها لصيانة حرية المرور واحترام مبـــدأ الحياد للقناة . واتفق المتفاوضون على توقيع اتفاقية عرفت باتفاقيـــــة

---

(١١٧) الدكتور مصطفى الحفناوي : مرجع سبق ذكره ص ١٤٤ - ١٥٦ .

(١١٨) الدكتور مصطفى الحفناوي : نفس المرجع ص ١٥٩ .

الاستانة وتضمنت النص على جلاء القوات الانجليزية عن مصر فى مدى ثلاث سنوات من ابرام الاتفاق ، اى فى سنة ١٨٩٠م شريطة ان لا يحدث فى غضون هذه المدة خطر خارجى أو داخلى جديد يهدد أمن مصر، فجعل هذا التحفظ الاتفاقية غير ثابتة بكاملها . ولم تكتف انجلترا بذلك بل طالبت ايضا ان تضمن لها الاتفاقية حق احتلال مصر مجددا فى حالة حدوث خطر خارجى أو داخلى ، فعارض السلطان العثمانى مشروع الاتفاقية معارضة تامة (١١٩) وبعد هذا الرفض من قبل السلطان عملت فرنسا وروسيا على مساندة السلطان فى مطالبته بجلاء القوات الانجليزية عن مصر، بل ان فرنسا زادت من تشددها فى طلب الجلاء عن مصر، وامام هذا التشدد اعلنت بريطانيا بانها نهجت فى مصر منهج الحكومة الفرنسية فى تونس ،وردت فرنسا بان احتلالها لتونس كان لايجاد توازن فى منطقة شرقى البحر الابيض المتوسط بعد الاحتلال الانجليزى لجزيرة قبرص عام ١٨٧٨م . وانها ترى ان الاحتلال البريطانى لمصر ولقناة السويس بصفة خاصة أخل بتعادل ميزان القوى بين الدولتين فى المنطقة (١٢٠) وواصل الفرنسيون مساعيهم لاجبار الانجليز على الجلاء من مصر وحاولوا اثارة الدول الكبرى الأوروبية على بريطانيا ، كما تناولت الصحافة الفرنسية هذا الموضوع بلهجة متهكمة لاذعة وبأسلوب ثائر ساخط وفى مصر عملت فرنسا على اثارة العراقيل امام الاحتلال البريطانى ما استطاعت الى ذلك من سبيل (١٢١) الا ان الأمور مالبثت ان تطورت وخرجت من مصر وامتدت الى السودان عندما اسرع البريطانيون الى الاستيلاء على السودان بغية السيطرة على منابع النيل والوصول الى حدود اثيوبيا وأوغندا واخضاع الساحل الغربى للبحر الاحمر، وقد تقرر بعث الحملة البريطانية للسودان فى شهر مارس عام ١٨٩٦ (١٢٢) وقال تشمبرلين

---

(١١٩) لوتسكى : مرجع سبق ذكره ص٢٧٤-٢٧٥ .

(١٢٠) عبد الرؤوف احمد عمرو : مرجع سابق ص٢٨٦

(١٢١) الدكتور فاروق عثمان اباظة : مرجع سابق ص٤٧٩

(١٢٢) بوندارنسكى : مرجع سابق ص٤٨ .

بمناسبة قرار تلك الحملة : " سنثبت لفرنسا انه لا ينبغي لها ان تنتظر منـا جلاء عن مصر" . وكانت فرنسا ترغب في هذا الجلاء لتزحف من مستعمراتها الافريقية الى ضفاف النيل ، واضطرت فرنسا لان تبعث الى انجلترا برسالة تستنكر فيها الحملة على السودان ، مذكرة بان هذه الحملة ستعكر صفو العلاقات بين فرنسا وانجلترا ولانها قد تؤخر الجلاء عن مصر ، بل هي تتنافى ووعود الجلاء ، ولكن انجلترا أصمت أذنيها ، فاسقطت فرنسا وزير خارجيتها برثيلو Berthelot وكان عضوا في وزارة ليون ، وكانت فرنسا تنظر الى تصرفات انجلترا في وادى النيل بعين السخط والاستياء بل والتصميم على الانتقام من انجلترا التى اهانتها في عام ١٨٨٢م . وقال بعض الساسة الفرنسيين آنذاك أنهم اذا كانوا قد احتلوا بعض المراكز في الكنغو فلكي يزحف منها جيش فرنسي ينتقم من انجلترا ويواديها في وادى النيل ثم ينتزع منها قناة السويس . وكان من دعاة هذه الافكار جبرائيل هانوتو وزير خارجية فرنسا من مايو عام ١٨٩٤ الى نوفمبر عام ١٨٩٥م ومن ابريل ١٨٩٦م الى يونيو ١٨٩٨م وكان يقول هانوتو بصريح اللفظ ان فرنسا لم تتنازل عن احلامها في مصر(١١٣) .

ويبدو أن فرنسا رغبة في الضغط على انجلترا للجلاء عن مصر بعثت بحملة بقيادة الجنرال مارشان Marchand الذى خرج من الكنغو الفرنسية بتعليمات للاستعانة بالدراويش في السودان والتقرب منهم وكذلك الاستعانة بالحبشة التى كانت حاقدة على انجلترا لتشجيعها تلميذها الايطالي . وقد كان هدف حملة مارشان الفرنسية هو ربط ممتلكات فرنسا في الغرب بممتلكاتها في شرق افريقية ، وهذا يستلزم

---

(١١٣) الدكتور مصطفى الحفناوى : مرجع سبق ذكره ص١٦٥-١٦٦ .

الا ستحواذ على وادى النيل الذى اصبح بعد انسحاب القوات المصرية منه (ارضا بلا صاحب) .

وحينما وصلت الى لندن انباء تحرك الفيلق الفرنسي قاطعا افريقيا من الغرب الى الشرق ، ووصوله الى اعالى النيل ، سادها القلق ، واصدرت في الحال الأمر الى قوات كيتشنر Kitchner في السودان بالتحرك نحو الجنوب فورا ، وتلاقت قوات الدولتين في فاشودة باعالى النيل في ١٨ سبتمبر عام ١٨٩٨م ، وعندها بلغت العلاقات الانجليزية الفرنسية اقصى حد من التوتر ، وباتت الدولتان على شفا الحرب[١٢٤] وقال حينها وزير الخارجية الفرنسية هانوتو: " باننا اذا كنا غزاة ومغتصبين في فاشودة فهذا الوصف نفسه ينطبق على انجلترا في الخرطوم ، وفي القاهرة" . وسعى وزير الخارجية الانجليزي لتخفيف حدة الموقف بالخبث وسعة الحيلة ، عملا بسياسة انجلترا التقليدية ، فافهم الفرنسيين ان منطقة بحر الغزال يمكن ان تكون محل مساومة بين الدولتين ، الا ان فرنسا خسرت هذه الجولة ، وتراجعت وسحبت قواتها من فاشودة في نوفمبر ١٨٩٨م وتمكنت الدولتان من توقيع اتفاق ٢١ مارس عام ١٨٩٩م[١٢٥] .

ولا شك ان فرنسا لم تشأ ان تتشدد في موقفها لحاجتها الى بريطانيا في اوروبا ( لمواجهة المانيا ) .

---

(١٢٤) بوندا ريفسكي : مرجع سبق ذكره ص ٥٠ .

(١٢٥) الدكتور مصطفى الحفناوي : مرجع سبق ذكره ص ١٦٦-١٦٧ .

## (( الفصل الثاني ))

### الصراع الانجليزي الفرنسي في الشرق العربي

ثانيا - في الشام

ثالثا - في العراق

**عناصر هذا الفصل:**

ثانيا- الصراع في سورية :

١- الوضع قبل مد الحملة الفرنسية على مصر ذراعيها الى الشام:

أ- الجذور التاريخية لعلاقة فرنسا بالشام.

ب- بريطانيا تدخل منافسا لفرنسا في سورية.

٢- بونابرت في بلاد الشام:

أ- احمد الجزار وحملة نابليون.

ب- اسباب زحف بونابرت على الشام.

جـ- موقف السوريين من الحملة ونهايتها.

٣- محمد علي باشا في بلاد الشام:

أ- الاسباب التي دعت محمد علي باشا للسيطرة على بلاد الشام

ب- نهاية السيطرة المصرية على سورية.

جـ- عودة التنافس الانجليزي الفرنسي في الشام بعد جلاء محمد علي.

٤- حوادث عام ١٨٦٠م

ثالثا- الصراع في العراق :

١- اهتمامات انجلترا وفرنسا بالعراق قبل الحملة الفرنسية.

٢- الاهتمام الانجليزي الفرنسي بالعراق بعد الحملة الفرنسية على مصر.

١ ـ الوضع قبل مد الحملة الفرنسية على مصر ذراعيها الى بلاد الشام:

أ ـ الجذور التاريخية لعلاقة فرنسا بالشام:

بدأت علاقة فرنسا ببلاد الشام منذ القدم، وخلال معارك الحروب الصليبية كان لفرنسا فيها مركز الصدارة، وكان فرسانها وجنودها نواة الجيش الذى دخل بيت المقدس، والامارات اللاتينية التى عاشت فى الشام حقبة من الزمن. وفى عهد السلطان سليمان القانونى ( المشرع ) بدأت فرنسا تقترب ثانية من الشرق، وحصلت على اول امتياز لها فى الدولة العثمانية عام ١٥٣٥م عندما وقعت معاهدة الصداقة والامتيازات بينها وبين الدولة العثمانية والتى أصبح بمقتضاها من حق الرعايا الفرنسيين المقيمين فى املاك الدولة العثمانية، ان يمارسوا طقوسهم الدينية دون تدخل من السلطات العثمانية (١).

وكانت معاهدات الامتيازات تجدد مع وصول كل سلطان بل وكل سنة. وقد سار الفرنسيون على سياسة التجديد حتى عام ١٧٤٠ عندما جدد السلطان محمود الاول الامتيازات الفرنسية بشكل دائم. وركز التجار الفرنسيون اقامتهم فى حلب والاسكندرونة وطرابلس الشام وحيفا، وغيرها للاستفادة من عقود الامتيازات الممنوحة لحكومتهم. وفى نفس الوقت سعت فرنسا بكل الجهد الى توثيق علاقاتها التجارية مع بلاد المشرق العربى وخصوصا مع مصر وسورية. وتمكنت ان تقيم لها جاليات فى المدن التى تعد محطات تجارية على الطرق البرية والبحرية، كدمياط القاهرة، السويس، بيروت، طرابلس، اللاذقية، وانطاكية واهمها جميعا الاسكندرية وحلب، وقد اسس كولبير عام ١٦٦٤ شركة الهند الشرقية الفرنسية، واراد تحويل الطرق التجارية الى البحر المتوسط لانتزاع احتكارها من انجلترا، فطلب من الباب العالى السماح بفتح ميناء السويس للتجارة الفرنسية الا انه لم يوفق فى ذلك (٢).

---

(١) الدكتور محمد انيس: مرجع سبق ذكره ص٣٠٢؛

(٢) نادر العطار: تاريخ سورية فى العصور الحديثة الجزء الاول ص٦ ١٠٠ – ١١٠؛

## ب ـ بريطانيا تدخل منافسا لفرنسا في سورية :

ما ان بدأ الفرنسيون نشاطهم التجاري في الشام حتى جرى التجار الانجليز في اثرهم، وأخذوا يحلون تماما محل التجار البنادقة والجنويين في مـــدن ومرافئ سورية (٣) ورغبت فرنسا امام تقلص نفوذها في الشام ان تعيد توازن النفـوذ بتأكيد مسئوليتها نحو الكاثوليك داخل الدولة العثمانية، وكان من اهم الخطوات في هذا السبيل تبني لويس الرابع عشر في عام ١٦٤٦ قضية الجالية المارونية فـي لبنان في اعقاب زيارة الاساقفة المارونيين لفرنسا ، حتى انها عينت احد المارونيين كاتب لقنصل فرنسا في دمشق وذلك في النصف الثاني من القرن السابع عشر، كما اسس الفرنسيون مدارس لتعليم المارونيين اشهرها كلية الجزويت في انطورة (٤) .

وما أن تأسست " شركة تجار الشرق The Levant Co. of Merchants عام ١٥٨١م في عهد الملكة اليصابات ،حتى اخذ رجال الاعمال الانجليز يتدفقون الى سورية . وبلغ عددهم عام ١٦٦٢ في مدينة حلب ما يقارب الستين تاجـرا انجليزيا (٥) .

وقد حاول الفرنسيون منع الانجليز من اقامة قنصلية لهم في مدينـــة حلـب ولكنهم لم يفلحوا ، الا انهم تمكنوا بعد ذلك من منعهم فعلا من انشاء قنصليـــة في الاسكندرونة . وفي المدة بين عامي ١٧٧٨ ، ١٧٩١ اضطرت شركة تجـارة الشرق البريطانية الى اغلاق مصانعها الاربعة في سورية تاركة الفرنسيين يتحكمون في سوقها التجارية (٦) . وكانت الحكومة الفرنسية قد قررت اخضاع رعايا هـــذا الفرنسيين من تجار وقناصل ووكلاء في الدولة العثمانية لغرفة التجارة في مرسيليا

---

(٣) الدكتور فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ج٢ص٣١٩ .

(٤) الدكتور محمد انيس : مرجع سبق ذكره ص٢٠٣

(٥) الدكتور فيليب حتي : مرجع سبق ذكره ص٣١٩

(٦) Hurwitz, J.C.: op. cit., Vol. 1, p. 55.

حيث انها لم تكن تفكر في التخلي عن مركزها التجاري في هذه البلاد ،ولاتستطيع ان تسحب تجارها منها خوفا من ان ترثها دولة اجنبية وبخاصة انجلترا .. فكان الحل الوحيد امامها هو اخضاع التجارة والمشتغلين بها في الشرق العربي الى غرفة التجارة في مرسيليا ، واصبحت هذه الغرفة تضع النظم واللوائح لتنشيط العلاقات التجارية بين فرنسا والشرق العربي(٧) .

وكان دافع فرنسا للاهتمام ببلاد الشام هو الوقوف امام الانجليز في هذه المنطقة ومضايقتهم على طريق بريدهم القادم من الهند والذي يمر ببلاد الشام عن طريق حلب ثم البحر المتوسط واتخاذها كقاعدة للانطلاق منها الى الهند وذلك كجزء من المنافسة التي كانت تدور بين الدولتين ، بالاضافة الى اهتمام فرنسا الى بسط حمايتها على الكاثوليك والاماكن المسيحية المقدسة ونشر الثقافة الفرنسية . اما بريطانيا فكان دافع اهتمامها ببلاد الشام هو العمل على تأمين طريق بريدها ومواصلاتها من الهند عبر العراق وبلاد الشام ، والوقوف في وجه النفوذ الفرنسي ، ومحاولة عرقلته او منعه من الوصول الى مناطق نفوذها في العراق والخليج ثم الهند .

## ٢ - بونابرت في بلاد الشام :

### أ - احمد الجزار وحملة بونابرت

وصلت الحملة الفرنسية الى مصر وكانت بلاد الشام تعيش تحت وطأة التمزق والصراعات وكان احمد الجزار في عكا قد استحوذ عليه الخوف عندما سمع بنزول الفرنسيين في مصر(٨) . وقد اتخذت الدولة العثمانية عددا من الاجراءات لتقوية مركزها في الشام ، منها ايفاد الصدر الاعظم يوسف ضيا الى الشام ليتولى

---

(٧) نادر العطار: مرجع سبق ذكره ص ١١٠-١١١ .
(٨) نادر العطار: مرجع سبق ذكره ص ١٢٢ .

القيادة العامة ضد الفرنسيين ، وكتبت الى الجزار وغيره من الباشوات في سورية تحثهم على تقديم الدعم والوقوف بصلابة وقوة الى جانب الصدر الاعظم .

وكان الجزار قد تلقى رسالة من بونابرت ابلغه فيها سياسة فرنسا تجاه المسلمين وصداقتها لهم ، وجاء في هذه الرسالة قول بونابرت : " . . وما أتينا الا لندافع عن المسلمين ، ونحمل محامل الحج الشريف ، ونبقي الصلاة باسم حضرة السلطان سليم . " وكان الجزار قد عمل على مسايرة العثمانيين دون ان يضع تحت تصرفهم كل قواته حتى لا ينقضوا عليه ، وفي الوقت نفسه يعمل على كسب تأييد الانجليز في الدفاع عن ولايته وحمايتهم له [٩] .

## ب - اسباب زحف بونابرت على الشام :

تعددت الروايات في اسباب الحملة الفرنسية الى سورية ، فقيل ان بونابرت اراد بتقدمه في الشام التمهيد لمشروعه الضخم في الوصول الى الهند ودعم العناصر الثائرة ضد الحكم البريطاني هناك ، وانزال الهزيمة بعدوه في اثمن جوهرة ضمنتها امبراطوريته والتي كانت السبب في تفوقه السياسي وقوته الحربية في القارة الأوروبية . وقد ذكر بونابرت في مذكراته انه كان ينوي فعلا تنفيذ هذا المشروع ، وان حلم افتتاح الهند ما فتئ يراوده . [١٠] كما اشار في مذكراته التي كتبها وهو في منفاه في جزيرة سنت هيلانة ، بان حملته على الشام كانت مقدمة لمشروع ضخم هو فتح الهند ، وانه لولا فشله امام عكا لقرع أبواب الهند في مارس ١٨٠٠ م [١١] . كما يضاف الى تلك الاسباب ، ضيق الفرنسيين بالحصار الذي ضربه الاسطول البريطاني عليهم في مصر ، والذي كان

---

(٩) نادر العطار : مرجع سبق ذكره ص ١٢٤ .

(١٠) اوكتاف أوبري : نابليون ( نقله للعربية متري شماس ) ص٧٥ .

(١١) أميل لودفيغ : نابليون ( الترجمة العربية لعادل زعيتر ) ص٢٣٠ ١ .

يتمون من الموانيء السورية ، وبدا أن الاستيلاء على هذه الثغور سيقوى مركز الفرنسيين في مصر ويخفف من حدة هذا الحصار علاوة على ان ذلك سيوقفهم الاسطول البريطاني من الحصول على التموين اللازم من اماكن قريبة فيضطر ازاء ذلك ان يبحث عن موانيء أخرى بعيدة لتموينه فيضعف حصار السواحل المصرية (١٢) . وهذا قد يعطي للفرنسيين فرصة للاتصال بفرنسا ويقوى او يزيد من احتمال ورود نجدات لهم .

وتقدمت جيوش بونابرت في بلاد الشام ، وحينما استولت على حيفا اسرت فيها سفينة انجليزية ، وفي ١٨ مارس ١٧٩٩ وقفت امام اسوار عكا حصن سوريا المنيع (١٣) . وكان احمد الجزار قد أعد نفسه للمقاومة العنيفة والطويلة ، ساعده في ذلك الانجليز الذين امدوه في ٢٠ مارس ١٧٩٩ بمهندس حربي متخصص في فن التحصينات وتكتيك الدفاع اثناء الحصار ، وهذا المهندس هو ( فليبو ) الفرنسي النبيل الذي اجبرته الثورة على مغادرة فرنسا فانضم الى اعدائها ووضع نفسه في خدمتهم ( وهم الانجليز ) . ومن سوء حظ نابليون وجيشه ان يستولي الانجليز على اسطول ( برتيبه ) والقادم لعكا حاملا المدافع الثقيلة لتقوية هجومه على القلعة ، وبدلا من ان تكون هذه المدافع في ايدي الجيش الفرنسي المحاصر لعكا اصبحت في يد الجزار وجيشه واخذت تقذف قنابلها وتصب جحيمها على رؤوس اصحابها الفرنسيين .

وبعد ان قام بونابرت بدراسة شاملة للموقف العسكري والسياسي المحلي والدولي قرر رفع الحصار عن عكا والانسحاب ، وبدأ تنفيذ الانسحاب يوم ٢٠ مايو ١٧٩٩ (١٤) .

---

(١٢) حسين فوزي النجار : مرجع سبق ذكره ص١٨٣ .
(١٣) تابر المطار : مرجع سبق ذكره ص١٢٧ .
(١٤) د . فيليب حتي : مرجع سبق ذكره ص٣٣٩ .

جـ - موقف السوريين من الحملة ونهايتها :

بذلت بريطانيا عن طريق ممثلها سدني سميث جهودا متواصلة لعرقلة الحملة الفرنسية على سورية وافشالها ، فوزع سميث نسخا من منشورات بونابرت على المسيحيين ليطلعوا على مفاخرته فيها بانه زلزل عرش البابوية في ايطاليا ، الامر الذي اثار حفيظتهم على الجيش الفرنسي ، فامتنعوا عن تقديم الخمور والبارود له . ولم يكتف سدني سميث باثارة المسيحيين ضد الفرنسيين بل نجده يحاول ان يؤثر على صلابة ومعنويات الجنود الفرنسيين انفسهم عندما قـام بارسال منشورات لهم اثناء حصارهم لعكا يتعهد لهم فيها بنقل من يريد العودة منهم الى فرنسا دون ان يمسه أي أذى ، مستغلا ما كان يعانيه الجنود الفرنسيون من شدة المعارك وصعوبة الطقس وتفشي المرض (١٥) .

ولعل اثر هذه الحملة كان عميقا في نفوس الانجليز ، اذ وقفوا علـى تفاصيل مشاريع بونابرت للوصول الى الهند والقضاء على السيطـرة الانجليزية في المستعمرات ، فقاوم الانجليز ما وسعهم ذلك ، حتى اذا زال عنهم الكابوس بانسحاب الفرنسيين من سورية ثم من مصر ، ادركوا ان نجاحهم هـذه المرة غير مضمون تكراره مرة اخرى ، فقررت بريطانيا اقصاء كل دولة غريبة عـن هذه المنطقة الحيوية ووضع المنافذ الموصلة لها في كل من المحيط الهندي والشرق الاقصى تحت رقابتها الدائمة بحيث يتم لها السيطرة بشكل عام علـى البحر الاحمر وخليج العقبة وخليج البصرة ، وكل من وادي النيل والفـرات ، ويمكننا القول بصورة اكثر دقة ان بريطانيا عملت منذ ذلك الوقت للمحافظة على طرق الهند البرية والبحرية ضد أي عدوان اجنبي مع التغلل في هذه الطرق والسيطرة عليها بشكل تدريجي متتابع .

---

(١٥) د . فيليب حتي : نفس المرجع السابق ص ٣٢٨ .

اما فرنسا وان كانت قد خسرت عسكريا واستراتيجيا في هذه المنطقة، الا أنها كسبت بان مكنت للثقافة الفرنسية ان تبذر بذورها على ارض مصر والشام، ودعمها بارسال البعثات التبشيرية الى الشام لتغذي الثقافة الفرنسية وتعمقها في نفوس المسيحيين من السكان فاستقبلها هؤلاء بترحاب واقبال، فتكلموا الفرنسية واقتنوا كتبها، بل ان اثرها اصبح اكثر وضوحا حينما اتجه ساسة العرب واحرارهم فيما بعد الى باريس يعقدون بها المؤتمرات ويصدرون النشرات. كما ان الحملة الفرنسية على الشام اذكت الثقافة الفرنسية فيه وزلزلت مركز السلطان في قلوب سكانه، ومهدت لزحف محمد على اليه بعد ان هزه الفرنسيون ليفيق من سباته العميق (١٦).

٢ - محمد علي باشا في بلاد الشام :

أ - الاسباب التي دعت محمد علي باشا للسيطرة على بلاد الشام :

تطلع محمد علي باشا الى بلاد الشام باهتمام كبير، وبدأ يمد يده بالصداقة للأمير بشير الشهابي، ويعمل في عاصمة الدولة العثمانية على بث فكرة ان تكون الشام لمحمد علي، وتبع ذلك بخطوة اكثر وضوحا وعملا بأن تقدم للسلطان بطلب رسمي ان يعطى الشام مقابل تدخله لمساعدة الدولة على اخماد ثورة اليونان. واعطى السلطان موافقته لكنه عاد فسحبها (١٧) الامر الذي اغضب محمد علي باشا. ويجمع اكثر الباحثين على ان السبب المباشر كان سوء العلاقات بينه وبين عبد الله الجزار بعد رفضه طلب محمد علي باعادة الفلاحين الهاربين من التجنيد.

---

(١٦) نادر العطار: مرجع سبق ذكره ص ١٤٦- ١٤٧.
(١٧) د. اسد رستم: المحفوظات الملكية المصرية جـ١ ص ١٠.

وبعد ان زحفت جيوش محمد علي الى الشام وتمكنت من السيطـــرة عليها نهائيا بعد سحقها الجيش التركي في بيلان يوم ٢٩ يوليو سنة ١٨٣٢م اخذت تتوجه بقوتها وضغطها الى مابعد حدود سورية في اتجاه قلـــب الدولة العثمانية . وهنا يبدو أن فرنسا التي ايدت تقدم محمد علي باشا الـــى سورية وحثته على تحقيق ذلك وفقا لتعليمات الجنرال بلياربياريس لمنـــدوب فرنسا لدى محمد علي في ١٠ فبراير سنة ١٨٢٦ والمتضمنة نصح محمد علي بـأن يقوي جيشه ويستخدمه في مناطق حيوية ذات فائدة له كسورية وآسيا الجديرتين بأن تكونا مسرحا لامجاده ، وان يشكل هناك حكومات عادلة تحمي مختلـــف المصالح ، وهناك يستطيع ان يؤسس امبراطورية لا ينازعه عليها منازع"[١٨] باتت تخشى على صديقها محمد علي من مغبة التوسع والتقدم السريع الـــى قلـــب الدولة العثمانية ، حيث سيؤثر ذلك بلا شك على الميزان الدولي والصراعات التي كانت تحكمه آنذاك . فكتب وزير الخارجية الفرنسي سباستياني الى القنصـل الفرنسي بالاسكندرية ميمو في ١٢ سبتمبر عام ١٨٣٢م يأمره بان ينصح محمد علي بضرورة التعقل والحكمة ، ويقول : "ان محمد علي ، وقد اصبح سيـد سوريـــة ، يجب ان يعرف كيف يقف في الوقت المناسب ، ان قلب الامبراطورية العثمانيـــة سيكون له نتائج دولية خطيرة للغاية ."

وحينما يئست الدولة العثمانية من مساعدة بريطانيا لها ، قررت بتاريـخ ٢ يناير عام ١٨٣٣ التفاهم مع محمد علي ، واتجهت الدولة العثمانية الى فرنسا للضغط عليه بهذا الصدد . فكلف الديوان العثماني ( البـارون دو فاريـــن ) Baron de Varenne القائم بالاعمال الفرنسي في الاستانة ان يكتـــب لابراهيم باشا قائد جيوش محمد علي بالشام يرجوه ان يوقف زحفه وان ينتظـــر

---

(١٨) د . اسد رستم : نفس المرجع جـ١ ص ٩٠

تسوية النزاع بالطرق الدبلوماسية (١٩) الا ان فرنسا كانت تساند محمد علي بصورة سافرة ورفضت تقديم المساعدة للسلطان .

وامام هذا الوضع الذي واجه السلطان ، التمس المعونة من الدول الكبرى ، وكانت انجلترا في موقف حرج اذ كانت ضد محمد علي ، وفي الوقت نفسه ، كانت تخشى من تطور الخلاف التركي المصري واحتمال تدخل الروس فيه الأمر الذي سيؤدي الى تعزيز نفوذ روسيا ، أو الى تجزئة الامبراطورية العثمانية الى شطرين : قسم شمالي يعتمد على المعونة الروسية ، وقسم جنوبي سيكون خاضعا لمحمد علي ، ويتحول الى قاعدة للنفوذ الفرنسي ، ولهذا بذلت بريطانيا كل ما في وسعها لحسم الخلاف والاحتفاظ بوحدة اراضي الامبراطورية العثمانية (٢٠) .

وكان قبول روسيا لمساعدة الدولة العثمانية وتدخلها في النزاع القائم بين السلطان ومحمد علي باشا قد افزع كلا من انجلترا وفرنسا ، وامام هذا الخطر تناسيا تنافسهما وصراعهما واتحدا يعملان لمصالحة محمد علي مع السلطان حتى يحرموا روسيا من حجة تتذرع بها لابقاء قواتها في البسفور ، وبوساطة الدولتين تم اخيرا توقيع صلح كوتاهية في ٤ مايو عام ١٨٣٣ ، بين تركيا ومصر (٢١) ونصت هذه المعاهدة على اعطاء محمد علي ولاية سورية طيلة حياته ، كما اعطيت لابنه ابراهيم تحصيل اموال آدنة ، وقد قبل السلطان بهذه المعاهدة تحت ضغط شديد من جانب فرنسا وانجلترا ، وكان على محمد علي الجلاء عن الاناضول والاعتراف بسيادة السلطان .

---

(١٩) نادر العطار ص ١٦٥-١٦٦ نقلا عن Archives Françaises A.E. (Vol. No. 1 des Memoires et Document Relatifs à l'Egypte), du Colonel Seve au Baronde Varenne, 17 Janvier 1833.

(٢٠) لوتسكي : مرجع سبق ذكره ص ١٢

(٢١) لوتسكي : نفس المرجع، ص ١٢٩-١٣٠ .

ووفقا لمشيئة الدول الكبرى بقيت مصر التي غلبت على امرها ، تابعـــة للباب العالي الذي هزمته وكانت انجلترا حاقدة على محمد علي لانه كان السبب في التقارب القوى بين الباب العالي وروسيا ، واخذت تعمل جاهدة ضده ، والجدير بالملاحظة هنا ان انجلترا لم يكن لها اى ممثل يمثلها في دمشــق آنذاك على عكس فرنسا التي كان لها في دمشق وكيل قنصل وذلك قبل دخول ابراهيم باشا لها . والذى سمح لانجلترا بتعيين قنصل لها فيها ، وقد وصلها هذا القنصل عام ١٨٣٣م. وكان هذا القنصل قد ظل في بيروت اربع سنوات يحاول خلالها الدخول الى دمشق الا انه كان يواجه بالمنع. وبعد دخـول القنصل الانجليزي تتابع دخول قناصل الدول الاوروبية الاخرى (٢٢) وقد سبب هؤلاء القناصل الاجانب حرجا شديدا لولاة دمشق بسبب مداخلاتهم واتصالاتهم بالسكان واثارة الدسائس والاحقاد والعصبية فيما بينهم ، ففي الوقت الذى التزمت فرنسا جانب محمد علي منذ عام ١٨٣١-١٨٣٩ قامت بدعاية واسعة له ضد الدولة العثمانية ، اما منافستها وعدوتها انجلترا فقد التزمت جانـب الباب العالي وقامت بدعاية قوية للدولة العثمانية ضد محمد علي باشا ، وكان من الطبيعي ان تجد دعايات فرنسا ودسائسها ارضا خصبة بين الموارنة ، وان تجد دعايات انجلترا ودسائسها ارضا مماثلة بين الدروز، لذلك نجد ان الموارنـة اندفعوا لمساعدة محمد علي باشا بينما ثار الدروز ضده ، وهكذا انتقـل الصراع والنزاع القائم بين فرنسا وانجلترا الى نزاع بين الدروز والموارنة (٢٣) .

وبعد ان استقر الوضع في سورية لمحمد علي عمل ابنه ابراهيم على تنظيم ادارتها واصلاح اقتصادها ، لكن الدولة العثمانية لم تكن تريد لهــذا الاستقرار ان يستمر ويتدعم ، وكانت ترقب الوضع في سورية بصفة دقيقة . وما ان

---

(٢٢) عبد العزيز محمد عوض: الدولة العثمانية في ولاية سورية ص٣٢٤ .

(٢٣) نادر العطار: مرجع سبق ذكره ص١٦٧ .

لاح لها بادرة ظهور بعض المصاعب امام الحكم المصرى حتى سارعت الـــى استغلال الوضع وشجعت اندلاع الثورات فى سورية وأيدها فى ذلك الانجليز . وحشد السلطان العثمانى جيوشه على حدود سورية الأمر الذى ادى الـــى حدوث صدام بين الجيشين المصرى والعثمانى ، ودارت معركة نصيبين الرهيبة والتى سحق فيها جيش محمد علي بقيادة ابراهيم باشا الجيش التركى فـــى ٢٤ يونيو عام ١٨٣٩م.

وبات من المؤكد ان تتحرك الدول الكبرى للتدخل فى الأمر وعمـــل شيء ما . وكنا قد لمسنا ، مدى الحقد البريطانى ضد محمد علي باشا وتقدم جيوشه وتفوقها ، الا ان نقمتها وسخطها قد زادا بدرجة كبيرة حينما رأت فـــى زحفه على سورية هو امتلاك لطريق الفرات الموصل الى الهند ، واتهمته بانـــه صنيعة فرنسا ويدها اليمنى فى الشرق ، وشمرت بريطانيا عن ساعديها لمقاومته بمختلف الاساليب (٢٤) .

وكانت معركة نصيبين التى انتصر فيها جيش محمد علي باشا على الجيش العثمانى قد احدثت هزة عنيفة وصدى كبير لدى كل من فرنسا وانجلترا ، فقـــد سارعت فرنسا الى ارسال ( بوالكنت) لمقابلة محمد علي وتقديم النصيحـــة الفرنسية له بضرورة التوقف والتزام جانب الدفاع فقط ، وقبل محمد علي هـــذه النصيحة الفرنسية ثقة منه بتأييد فرنسا القوى اذا ماحان وقت العمل كما اشتـد الخلاف وتصاعدت حرارة التنافس بين العدوين الدائمين انجلترا وفرنسا فقـــد رأى بالمرستون Palmereston ان بقاء محمد علي فى سورية يؤثر على بريطانيا ويدخلها فى مشاكل لا نهائية لها . وان خير ضمان لتفادى الصـــدام بين الجيشين العثمانى والمصرى ، هو جعل صحراء سيناء حدا فاصلا بين

---

(٢٤) نادر العطار: مرجع سبق ذكره ص ١٧٦-١٧٨ .

الجيشين ، ولكن فرنسا رفضت هذا الاقتراح ، واصرت على منح سورية لمحمد علي ، كما رفضت اقتراحا آخر من النمسا بتقسيم سورية بين محمد علي والسلطان وايصاله الى حدود باشوية دمشق وطرابلس بعد ضم عكا اليه . وامام هذا الرفض الفرنسي اخذت بريطانيا تعمل للحصول على تأييد كل من النمسا وروسيا لموقفها على اساس ان القضاء على محمد علي باشا انما هو اضعاف لمركز فرنسا في الشرق (٢٥) .

وفي سبتمبر عام ١٨٣٩م عرضت انجلترا على الباب العالي استعدادها لاكراه محمد علي باشا على رد الاسطول التركي الذي التجأ اليه بشرط ان يكون لها حق ادخال سفنها في خليج اسطمبول لصد روسيا عند الضرورة . وحينما علمت بذلك حكومة فرنسا ، ارسلت الى قائد اسطولها في المياه التركية أمرا بتاريخ ١٨ ديسمبر ١٨٣٩ بعدم الاشتراك مع الاسطول الانجليزي في اي حركة عدوانية ضد حكومة محمد علي باشا . وتوقعت الدول الأخرى حدوث صدام بين انجلترا وفرنسا بشأن المسألة الفرنسية ، وكانت هذه الدول قد قبلت الاشتراك في الجهود التي بذلت لتسوية النزاع بين السلطان ومحمد علي ، كما كانت فرنسا وانجلترا قد قبلت بالاتحاد مع الباب العالي لتسوية المسألة الا ان الوفاق بين انجلترا وفرنسا لم يتمتع بالبقاء لسعي انجلترا في ارجاع محمد علي الى حدود مصر الاصلية ، وعدم قبول فرنسا بذلك ورغبتها في مساعدة محمد علي باشا (٢٦) .

واثمرت مساعي بريطانيا بواسطة عملائها وقناصلها في سورية على دفع النصارى والدروز على السواء للمقاومة والتمرد ضد الحكم المصري لفرضه ضريبة الفردة عن سبع سنوات مقدما على الأحياء والاموات ، وعلى الأمر الصادر بجمع

---

(٢٥) نادر العطار : مرجع سبق ذكره ص ١٨ .

(٢٦) محمد فريد بك : تاريخ الدولة العثمانية ص ٢٢٨ .

السلاح ، وامدت بريطانيا الثائرين والمتمردين بالمال والسلاح ، فاشتعلت الفتنة التى اقلقت فرنسا ومحمد على معا وذلك فى أواخر مايو عام ١٨٤٠ وطرب لها السلطان العثماني عبد المجيد وبريطانيا (٢٧) .

وفى اوائل عام ١٨٤٠ عقد موءتمر دولى فى لندن لتسوية مسألة النزاع بين محمد على والسلطان العثمانى ، وطالبت فرنسا بان تبقى الشام كلها بيد محمد على باشا ، فعارضتها انجلترا فى ذلك ، واصرت على ما اقترحته سابقا من ان يعطى لمحمد على النصف الجنوبى منها ، وقبلت بناء على الحاح فرنسا ان خال عكا ضمن هذا القسم بشرط ان يكون له مدة حياته فقط ولا ينتقل الى ورثته بل يعود الى الدولة العثمانية . فرفضت فرنسا ذلك بينما قبلته كل الدول المشتركة في الموءتمر ، وحين اصرت انجلترا على التمسك برأيها فشل الموءتمر وبقيت الحال على ما هى عليه (٢٨) .

كانت بريطانيا ترغب فى الاحتفاظ بطرق مواصلاتها مع الهند ، ورأت فى اقامة الحكم المصرى فى سورية بداية لامتداد الدولة المصرية صوب الخليج العربى ، الأمر الذى يتهدد أمن الهند ، وكانت ترغب قبل كل شىء ، فى الاحتفاظ بالامبراطورية العثمانية كحاجز ضد التوغل الروسى فى البحر المتوسط والشرق الأدنى ، ولذلك فانها لم تكن توافق على ان يخسر السلطان جزءا من اراضيه لصالح محمد على باشا الذى يحل محل السلطان كقوة عظيمة وجديدة والتى قد تصبح حاجزا اكثر فعالية امام اطماع الروس ، ولكن الحكومة الانجليزية لم تكن مستعدة لقبول ذلك لانه سيكون متعارضا مع مصالحها

---

(٢٧) نادر العطار : مرجع سبق ذكره ص ١٨ .
(٢٨) محمد فريد بك : مرجع سبق ذكره ص ٢٤٠ .

الاقتصادية في الدولة العثمانية ، خاصة وان محمدعلى يطبق نظام احتكــار التجارة الخارجية وتنفيذ برنامج للتصنيع ، ولذلك فان مشروعاته الاقتصاديــة كانت تتعارض مع المصالح الانجليزية (٢٩) .

اما الفرنسيون الذين كانوا قد ارتبطوا مع مصر بصلات تجارية وثقافيــة كثيرة منذ اليوم الذى جردت فيه حملة بونابرت فقد صاروا ينظرون الى بـــزوغ نجم محمدعلى وتعاليه بعين الرضا ، كما كانوا يأملون من جهة أخرى الحصول على منافع كثيرة بتقوية مركزه (٣٠) . وبعد فشل مؤتمر لندن الذى عارضت فيه فرنسا انجلترا ، تغير الوضع الداخلى في فرنسا اذ تسلم رئاسة الوزارة فيهــا مسيو (تيير Thiers ) في اول مارس عام ١٨٤٠ فادخل على سياستها شيئا من التعديل اذ رأى رئيس الوزارة الجديد عدم اتباع خطة اسلافه في معالجـة المسألة المصرية ، وأن على فرنسا ان تعالج المشكلة بالاتفاق مباشرة مع الباب العالى ومحمد على باشا ، وذلك بالزام الباب العالى بان يترك ولايات مصـــر والشام لمحمد على وذريته ، ويهدد بمساعدة فرنسا لوالى مصر ان لم يذعـــن الباب العالى لهذه المطالب ، فارسل الى محمد على باشا يخبره بأن لا يقبل مطالب انجلترا بل يقوى مركزه في الشام ويتأهب للكفاح ، وان فرنسا مستعــدة لنجدته لو عارضته انجلترا ، فلما علم بالمرستون Palmereston بهــذه المخابرات حنق على الحكومة الفرنسية (٣١) . وسارعت بريطانيا بجمع حلفائهــا (بروسيا ، النمسا ، روسيا ) في لندن ووقعت معهم اتفاقية لندن بتاريـــخ ١٥ يوليو عام ١٨٤٠ دون علم فرنسا ، والتى علمت بها بعد ذلك في ١٦ سبتمبر عـام ١٨٤٠ ، وقضت هذه الاتفاقية باعطاء مصر لمحمدعلى وراثية وعكا لمدى الحياة

---

(٢٩) دكتور بيير رونفان : مرجع سبق ذكره ص١٢٨ .
(٣٠) جورج لنشوفسكى : الشرق الاوسط في الشئون العالمية ص٣٦ .
(٣١) محمد فريد بك : مرجع سبق ذكره ص٢٤٥ .

على شرط ان يعترف بالسيطرة العليا للسلطان العثماني (٣٢) وقبلت فرنسا التسوية ، وانضمت الى حظيرة الدول بتوقيعها اتفاقية البوغازات في ١٣ يوليو عام ١٨٤١م وذلك بعد ان مرت العلاقات البريطانية الفرنسية بفترة حافلة بالاحداث .

ب ـ نهاية السيطرة المصرية على سورية :

كانت معاهدة لندن بتاريخ ١٥ يوليو سنة ١٨٤٠م بمثابة الصدمة القوية لفرنسا حيث ان هذا الاتفاق كان ابعد مدى من المسألة المصرية اذ كشف بالمرستون عن ذلك بكل الصراحة حينما قال : " انه من اللزوم اعطاء درس لفرنسا وجعلها تفهم ان كلماتها ورغباتها ليست قانون أوروبا " (٣٣) وخضعت فرنسا لتأثير الرأى العام بها وخاصة لرأى البرلمان ، الذى اظهر حساسية كبيرة في هذه المسألة وكان معنى التراجع من تأييد محمد على هو المخاطرة بفقدان النفوذ الذى حصلت عليه في مصر ، والتخلى عن الامكانيات التى يمنحها انتاج القطن المصرى لصناعة النسيج ، والانحناء امام رغبة انجلترا . وتمكنت المعارضة في البرلمان الفرنسي من تسجيل نجاح لها في فبراير عام ١٨٤٠م حين اتهمت الحكومة بالعجز والضعف ، بعدها اخذت فرنسا تستعد للقتال مساعدة لمحمد على باشا ولكن لسوء الحظ ان هذه الاستعدادات لم تكن كافية ولا تتم الا بعد ستة اشهر لعدم وجود السلاح والذخائر الكافية للحرب لا سيما وان فرنسا ستقاوم اكبر دول أوروبا آنذاك (٣٤) .

واعلنت فرنسا في ٧ ابريل سنة ١٨٤٠م بأنها لن توافق على رأى الدول بأستخدام القوة ضد باشا مصر ، واذا كانت أوروبا ترغب في ان تواجهنا فعليها

---

(٣٢) نادر العطار : مرجع سبق ذكره ص١٨١ .
(٣٣) دكتوربيير نوفان : مرجع سابق ص١٢٥ .
(٣٤) محمد فريد بك : مرجع سابق ص٢٤٣ .

ان تحاول" وايقظت هذه التصريحات في الرأى العام الفرنسي كل الحقد
المكبوت ضد معاهدات عام ١٨١٥ وكان من المحتم لهذا التشدد من جانب
انجلترا واشتعال المشاعر لدى الرأى العام الفرنسي ان يؤديا الى صدام
عام بين الدولتين ، لكن الساسة المسئولين في الدولتين لم يكونوا في واقع
الأمر يتمنون الحرب. ولم يكن تيير Thiers رئيس الوزراء الفرنسي يرغب في
صدام عام واعتقد ان الدول الأربع الموقعة على معاهدة لندن لن تجرؤ على
اشعال حرب أوروبية من اجل المسألة السورية كما اعتقد كذلك بان محمد على
سيتمكن من مواجهتهم بمقاومة عنيفة تتحطمهم ، واذا كان تيير قد قام بمناورة
تخويف للدول العظمى ، ولصالح شعبيته ، فان بالمرستون وزير الخارجية
الانجليزى قد هدد هو الآخر فرنسا بحرب عامة ، ولكنه ظل واثقا من انه لن
يصل الامر الى ذلك (٣٥) وفي الوقت الذى كانت فيه فرنسا وبريطانيا تتبادلان
التهديدات الكلامية ، كانت دول معاهدة لندن تعمل على وضع المعاهدة
موضع التنفيذ العملى فوجهت في ٩ أغسطس عام ١٨٤٠م انذارا لمحمد على
وابلغته فيه بالشروط التى اتفقت عليها ولفتت نظره الى انه اذا لم يقبل بهذه
الشروط في غضون عشرة ايام فسوف تترك له مصر وحدها ، واذا لم يقبل بها
في غضون عشرين يوما فسوف يزاح عن دست الحكم ، وكان بالمرستون قد صاغ
الانذار عمدا بلهجة استفزازية لكى يحمل محمد على برفضه فتتوفر في يده حجة
للتدخل في مصر أو نسف سمعة محمد على كليا في مصر وفي الولايات العربية
المتاخمة لها في حالة قبوله بهذه الشروط، ولقد رفض محمد على الانذار
مؤملا ومعتمدا على مساعدة فرنسا التى وعدته بها سابقا (٣٦) ،ولما تحقق
اهالى فرنسا ان حكومتهم لا تقوى على مساعدة محمد على باشا فعلا بعد ان
جرأته على المقاومة ووعدته بالمساعدة ، هاج الرأى العام الفرنسي على سهو

---

(٣٥) دكتور بيير نوفان : مرجع سابق ص١٣٢-١٣٦ .
(٣٦) بونداريفسكي : سياستان ازاء العالم العربي ص٢٧ .

تيير Thiers رئيس الوزراء المضد لهذه السياسة التي عادت على مصر بالضرر العظيم حتى اضطر الى الاستقالة في ٢٩ اكتوبر عام ١٨٤٠م وتبع ذلك ان بعثت فرنسا الى اسطولها بالانسحاب الى المياه اليونانية ثم بالعودة الى فرنسا تاركة مصر والشام تحت رحمة انجلترا وحلفائها (٣٧) ويبدو أن سبب الموقف الفرنسي هذا راجع الى الوضع الداخلي في فرنسا نفسها اذ تعرض ملك فرنسا لويس فيليب الى محاولة لاغتياله ، وبدأ حملته الراديكاليين من أجل اصلاح نظام الانتخابات، والازمة الاقتصادية والتي ترجمت نتائجها في شكل اضطرابات بين العمال ، وكانت كل هذه العوامل قد اعاقت فرنسا من النهوض والدخول في صدام عام مع دول حلف لندن من اجل انقاذ دولة محمد علي باشا في سورية (٣٨) . وفي ١١ سبتمبر ١٨٤٠ أنزلت السفن البريطانية بقيادة الاميرال سترانفورد ، قوات عسكرية بريطانية وتركية مشتركة شمالي بيروت ، ودبر عملاء بريطانيا انتفاضة اخرى في جبال لبنان ، في مؤخرة الجيش المصري ، وفي ١٠ اكتوبر عام ١٨٤٠م الحقت القوات الانجليزية التركية المشتركة بقيادة الاميرال شارلز نابيير Sharles هزيمة بقوات ابراهيم باشا قرب بيروت وفي ٣ نوفمبر عام ١٨٤٠ قصف الاسطول البريطاني مدينة عكا بوحشية عنيفة كما بدأت قوات بريطانية أخرى زحفها نحو القدس وفي نوفمبر عام ١٨٤٠ حاصرت قطع من الاسطول البريطاني ميناء الاسكندرية (٣٩) كما استولت القوات الحليفة على عكا .

وبعد استقالة وزارة المسيو تيير ومجيء الوزارة الفرنسية الجديدة برئاسة المارشال سوليه كان من أول اعمالها ان نفضت يدها من المسألة المصرية

---

(٣٧) محمد فريد بك : مرجع سابق ص ٢٤٣ .
(٣٨) دكتور بيير رنوفان : مرجع سابق ص ١٣٦-١٣٧ .
(٣٩) بوندارفسكي : مرجع سابق ص ١٧ .

وبذلك تحللت فرنسا من التزاماتها ووعودها له وتحقق لدى محمد علي بان افضل حل لمشكلته مع الباب العالي هو اتباع الطرق الدبلوماسية ، ولذلك لم يتردد في الاتصال بالكومندان نابيير قائد قوات الحلفاء حينما وصل الى الاسكندرية يقود ثماني سفن للقيام بمظاهرة بحرية . وبعد مراسلات تمت بين نابيير وبوغوص يوسف بك وزير خارجية محمد علي تم التوصل الى عقد اتفاق بينه وبين محمد علي في ٢٧ نوفمبر عام ١٨٤٠ ، واصدر محمد علي باشا امرا لقائد القوات المصرية بالشام واذنه بالانسحاب والعودة الى مصر(٤٠) .

## جـ - عودة التنافس الانجليزي الفرنسي في الشام بعد جلاء محمد علي :

قدم سفير انجلترا مع سفراء الدول الأخرى مذكرة الى الباب العالي يوم ١٠ يناير سنة ١٨٤١م يلحون فيها بوجوب اقرار الاتفاقية التي وقعت بين بريطانيا ومحمد علي في ٢٧ نوفمبر ١٨٤٠م، وتنفيذها ، الا ان الباب العالي اخذ يماطل ويساوف امعانا في اذلال محمدعلي ، لكنه لم يجد في النهاية مفرا من القبول والاذعان تحت الحاح سفراء الدول ، فاصدر في ١٣ فبراير ١٨٤١ فرمانا مطولا يولي بموجبه محمد علي باشا حكم مصر وبان تكون الولاية في عقبه من بعده (٤١) .

الا ان محمد علي وبهذه النهاية المؤسفة لحلمه الكبير في سورية والذي كان ضحية ثقته بفرنسا واعتقاده ان تأييدها له دبلوماسيا لا بد وسيتبعه تأييد عسكري قوي ، لكن كل ما ادته فرنسا لمحمد علي ، هي انها عقدت عليه بريطانيا فتعذر عليه التفاهم معها ، كما اثارت حفيظة روسيا ، وتسببت في انضمام بروسيا الى الحلف الدولي نكاية بفرنسا للحد من نفوذها في الشرق ،

---

(٤٠) امين سعيد : تاريخ الاستعمار الانجليزي في بلاد العرب ص١٨٦-١٨٨
(٤١) أمين سعيد : نفس المرجع ص ١٨٩-١٩٠ .

فاذا بمحمد علي يجد نفسه امام مواجهة حادة وشرسة من اربع دول كبـــرى لاستئصال وجوده في بلاد الشام (٤٢) .

وهكذا انطوت صفحة محمد علي من تاريخ الشام،الا ان صفحات الصراع الانجليزي الفرنسي لم تنطو بعد ، بل ظلت مفتوحة يدون فيها تطـــورات جديدة على ساحة وخطوط هذا الصراع والتنافس ، ففرنسا التي أهملت في مؤتمر لندن في ١٥ يوليو ١٨٤٠ رأت ان تثأر لنفسها ، فعمدت الى تأييد البطريـرك الماروني وتقديم مساعدة مالية علنية له بلغت نصف مليون فرنك ،وسعـت الـى اضعاف نفوذ آل الخازن لا تهامهم الشيخ فرنسيس الخازن بالميول النمساويـة وتعاظم نفوذ البطريرك واشتد ساعد الموارنة وتوجدوا الدروز ، واظهر الموارنة ان في نيتهم امتلاك السيادة في لبنان ولو أدى ذلك الى الحرب ، وصـدرت تهديدات موجهة لزعماء الدروز بالبطش بهم ، وازداد التوتر الطائفي ،ونال الموارنة تأييد فرنسا ، بينما اعتمد الدروز على الانجليز، وحدث الانفجار فـي ١٤ سبتمبر عام ١٨٤١ حينما وقع صدام مسلح بين دروز بعقلين ونصارى دير القمر، فتدخل القنصل البريطاني الكولونيل روز واصلح بين الفريقين ، الا ان الحوادث والقتال مالبثا ان تجددا اكثر عنفا صباح يوم ١٣ أكتوبر عام١٨٤١م (٤٣)

واخذت انجلترا ترقب الموقف بحذر خاصة بعد دعمها الـــدروز لمقاومة السياسة الفرنسية ،بعد ان ابلغها ممثلوها ان الموارنة ستسلمـــون لفرنسا جسما وروحا (٤٤) وحاول ايوب باشا والكولونيل روز القنصل الانجليـزي

---

(٤٢) نادر العطار: مرجع سبق ذكره ص١٨٤ .

(٤٣) الدكتور عبدالكريم غرايبة : سورية في القرن التاسع عشر ص ٩٨ .

(٤٤) مأخوذ من تقرير الكولونيل روز الى الحكومة البريطانية بتاريخ ١ أكتوبر عام ١٨٤١ والمنشور في الكتاب الازرق رقم ١٨٤٣ .

التوسط بين الدروز والموارنه لوقف الصدام الا انهما لم يفلحا ،وهكذا اشتعلت في الجبل نيران حرب اهلية دينية لم تشهدها البلاد من قبل (٤٥) وتدخل سفراء الدول لدى الباب العالي لوضع حد لهذه الحوادث وأسفر هذا التحرك والتدخل الى عقد اتفاقية اكتوبر - نوفمبر عام ١٨٤٢م التي حاولت الفصل بين الدروز والموارنة وتقسيم لبنان الى قائمقاميتين تضم كل واحدة منها احد الفريقين وتتبعان بيروت او صيدا وذلك رغم معارضة فرنسا واستياء الموارنة لان هذا النظام لن يحقق لهم السيادة على الجبل ، الا ان الصدام مالبث ان تجدد في المختارة وكاد الامر يستفحل لولا تدخل ( الكولونيل روز) باسم الحكومة البريطانية وتعقل مشايخ الدروز وامرائهم، وامام هذا الوضع اضطرت الحكومة العثمانية ان تدخل بعض التعديل الى مشروعها بتقسيم الجبل الى قائمقاميتين بان اضافت الى ذلك النظام ايجاد مجلس اداري يضم وجوه المنطقة لمساعدة كل قائمقام وكان ذلك في اواخر عام ١٨٤٥م (٤٦) ، ويذكر هنا ان قناصل الدول قد تدخلوا لانهاء الصدام بين الموارنة والدروز ورضى الفريقان بالصلح بعد ان اعترف المسيحيون بالحقوق الاقطاعية لمشايخ الدروز ووقعوا في بيروت في ٢ يونيو ١٨٤٥م ميثاقا لتناسي الاحقاد ، الا ان هذا الهدوء لم يكن الا مجرد هدنة بين الخصوم ليتمكن كل طرف من اتمام استعداداته لابادة خصمه ، وتوثقت العلاقات بين زعماء الدروز امثال سعيد بن بشير جنبلاط ونعمان جنبلاط من جهة والقنصل البريطاني في بيروت من جهة اخرى بينما اشتد البطريرك الماروني في حملته على الهراطقة الانجليز وازداد تمسكا بالقنصل الفرنسي ، وزاد من حدة التوتر الطائفي تعاظم نفوذ قنصلي فرنسا وانجلترا . (٤٧) الا انه في هذا الوقت جد في الافق

---

(٤٥) نادر العطار: مرجع سبق ذكره ص ١٩٧ .

(٤٦) نادر العطار: نفس المرجع ص ٢٠١ ، ٢٠٢

(٤٧) الدكتور عبد الكريم غرايبة : مرجع سبق ذكره ص ١٠١ ، ١٠٢ .

الدولي حدث جديد انبعثت شرارته من الشام واطفئت نيرانه في القرم . وقد كان الخلاف بين الطوائف المسيحية على خدمة الاماكن الدينية في القدس سببا في تقدم روسيا للدولة العثمانية بمنحها حق حماية طائفة المسيحيين الارثوذكس وعندما رفض الباب العالي منح روسيا هذا الحق الذي تدعيه ، اندلعت حرب القرم عام ١٨٥٤م ووقفت كل من فرنسا وبريطانيا الى جانب الدولة العثمانية الى ان انتهت هذه الحرب بعقد معاهدة باريس في مارس عام ١٨٥٦ والتي ضمنت سلامة الامبراطورية العثمانية (٤٨) .

٤ - حوادث عام ١٨٦٠م

لم يكن هناك سبب مباشر لنشوب فتنة عام ١٨٦٠ ، بل كان هناك مايدعو الى الاعتقاد بانها كانت فتنة مدبرة ، وان بدا في الظاهر انه تشاجر صبيان احدهما ماروني والاخر درزي تطور الى قتال رجال ما لبث ان عم البلاد كلها (٤٩) . بينما يرى نقيب اشراف دمشق الشيخ ابو السعود الحسيني ان سبب هذه الفتنة هو ازدياد نفوذ القناصل وتشجيعهم المسيحيين على التمرد (٥٠) .

وقد لعب ممثلو بريطانيا خاصة دورا بارزا في احداث عام ١٨٦٠ والحوادث السابقة لها . وبات واضحا لدى الباب العالي ان الدول الكبرى لن تسكت على هذه الحوادث فبادر بالكتابة الى كل من فرنسا وبريطانيا مبينا بانه سيتخذ اللازم لمعاقبة المذنبين وايصال كل ذي حق الى حقه .

وكانت اخبار المذابح قد وصلت الى فرنسا عن طريق المهاجرين

---

(٤٨) عبد العزيز محمد عوض : مرجع سابق ص٢١٧ .
(٤٩) الدكتور فيليب حتي : تاريخ لبنان ص٥٣ .
(٥٠) الدكتور عبد الكريم غرايبة : مرجع سبق ذكره ص١٠٢ .

ومراسلي الصحف، وتناصل الدول ، فهولت الصحافة الامر، واجمعت على ضرورة التدخل، وان فرنسا قادرة وحدها على التدخل مستندة في ذلك الـــــى تقاليدها في الشام، وتحت حملة الصحافة، قرر نابليون الثالث التدخل لدعم نفوذ فرنسا السياسي في الشرق، وحماية مصالحها التجارية فيه (٥١) وأسرعت بالاعلان انها تقترح على الدول ارسال حملة من اجل اعادة النظـــام ،الا ان فرنسا وان كانت النظرة الانسانية والرغبة في تدعيم تقاليد السياسة الفرنسية في شرق البحر المتوسط قد دفعتها الى هذا الموقف، فانه يمكن ان نضيف الى ذلك ان دوافع السياسة الداخلية كانت وراء هذا التحرك الفرنسي مضافا اليه الدوافع الاقتصادية وان كانت غير مؤكدة تماما (٥٢) .

ولا شك ان الدافع الحقيقي للحملة هو مسألة قناة السويس ، ففي هـذا الوقت الذي كان فيه السلطان العثماني يرفض ، وبتحريض من انجلترا الموافقة على عقد الامتياز الذي منحه الخديو، كانت الحكومة الفرنسية ترغب في ممارسة ضغط على الباب العالي بتهديده بتأييدها لاستقلال سورية ولبنان ، وفكرت في أن تنشىء امبراطورية عربية يمكن وضع الامير عبد القادر الجزائري على رأسها وبطبيعة الحال قلقت بريطانيا وخشيت من ان تتمكن فرنسا من فرض حمايتهـــا على سورية (٥٣) وفي نفس الوقت وافقت روسيا على التدخل الفرنسي بشـــرط امكانية تطبيق نفس المبدأ الخاص بالتدخل في المستقبل في صالح الارثوذكسين كما سيطبق في صالح الكاثوليك ، فكان ذلك سببا في اثارة مســـألة تـوازن الامبراطورية العثمانية الذي كان دائما غير مستقر، اما بريطانيا فقد عارضـت طبقا لسياستها التقليدية اذ كانت في نزاع مرير مع فرنسا في البحر الابيـض

---

(٥١) نادر العطار: مرجع سبق ذكره ص ٢١٦-٢١٧ .
(٥٢) دكتور بيير رنوفان : مرجع سبق ذكره ص ٣٨١ .
(٥٣) دكتور بييرنوفان : نفس المرجع ص ٣٨١ .

المتوسط، لذلك كانت معارضتها للمشاريع الفرنسية متوقعة خاصة بعد استقرار الفرنسيين قرب الطريقين البري والبحري للشرق الاقصى، الأمر الذي مكن فرنسا من عرقلة التجارة البريطانية، والاقلال من نفوذها في البحر المتوسط بشكل خاص، واستمرت هذه المعارضة تزداد مع الايام، حتى وصلت انباء حوادث دمشق فقبلت بريطانيا بعقد مؤتمر دولي للتداول في التدابير الواجب اتخاذها للحيلولة دون تكرار الكارثة مرة اخرى (٥٤).

وعقد هذا المؤتمر في باريس وضم كلا من بريطانيا والنمسا وبروسيا وروسيا وتركيا بالاضافة الى فرنسا، تقرر فيه التدخل لايقاف المذابح، وايفاد قوة قوامها أثنا عشر الف رجل، ومنحت فرنسا تفويضا بالتدخل باسمها جميعها، وان تكون مدة بقاء القوات هناك في حدود ستة أشهر، ونفذت فرنسا هذا القرار وبعثت بسبعة الاف جندي، فوصلت الى بيروت يوم ١٦ أغسطس عام ١٨٦٠ (٥٥).

وما كادت تصل القوات الفرنسية الى لبنان حتى اخذ القلق يساور الساسة البريطانيين، كما اخذت الصحف البريطانية تسهب في تعداد المساوىء التي ستنتج عن بقاء الفرنسيين في لبنان (٥٦). وفي ٥ اكتوبر عام ١٨٦٠ عقد مؤتمر بيروت لدراسة تعويض المسيحيين، وشكل الادارة في لبنان واتفق اعضاء المؤتمر (بريطانيا- فرنسا- النمسا- روسيا- بروسيا وتركيا) على جعل لبنان متصرفية ممتازة مركزها دير القمر، ويحكمها متصرف مسيحي عثماني (٥٧)

---

(٥٤) نادر العطار: مرجع سبق ذكره ص ٢٢٠.
(٥٥) الدكتور فيليب حتي: مرجع سبق ذكره ص ٥٢٣.
(٥٦) نادر العطار: مرجع سبق ذكره ص ٢٢٥.
(٥٧) الدكتور عبد الكريم غرايبة: مرجع سبق ذكره ص ١٠٦.

وفي ٩ يونيو عام ١٨٦١ وقع في الاستانة على نظام جديد للحكم في لبنان عرف بنظام عام ١٨٦١ وعدل بعد ثلاث سنوات وظل معمولا به حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى . وبموجبه اصبح لبنان ولاية مستقلة يحكمها متصرف مسيحي عثماني يعينه الباب العالي . وحينما انضمت ايطاليا عام ١٨٦٧ الى مجموعة الدول الموقعة على ميثاق عام ١٨٦١م وعام ١٨٦٤ اصبح عدد الدول الموقعة سبع دول (٥٨) .

وكانت فرنسا تستهدف احتلال لبنان نهائيا لولا اختلاف الدول الاوروبية الذي كان رحمة للدولة العثمانية (٥٩) .

وكانت بريطانيا قد اخذت تضغط على فرنسا منذ يناير ١٨٦١ لتسحب جيوشها من لبنان وبكثير من التردد قبلت ان تمدد مهلة الانسحاب الى الرابع من يونيو من السنة نفسها (٦٠)

وهكذا انسحب الجيش الفرنسي من لبنان في يونيو عام ١٨٦١ بعد سبعة اشهر من وصوله اليها ، وحصلت السياسة الفرنسية فقط على منح لبنان وضعا اداريا مميزا ، وكان ذلك كافيا لارضاء المصالح الكاثوليكية ، ولتأكيد النفوذ الثقافي الفرنسي ، ولكن الهدف الاكثر اهمية لم تصل اليه فرنسا ، فنابليون الثالث في هذه المناسبة مثله في مناسبات اخرى لم يجرؤ على المخاطرة بتهديد العلاقات الفرنسية الانجليزية تهديدا قويا (٦١) . ولكن فرنسا وان كانت قد فشلت في ان تجعل احتلالها للبنان دائما بسبب ضغط الدول الاوروبية الا أن نفوذها في بلاد الشام ، وبالذات حقها في حماية الاماكن

---

(٥٨) الدكتور فيليب حتى : مرجع سبق ذكره ص٥٣٦ .
(٥٩) عبد العزيز محمد عوض : مرجع سبق ذكره ص٣٣ .
(٦٠) الدكتور فيليب حتى : مرجع سبق ذكره ص٥٣٦ .
(٦١) الدكتور بيير رنوفان : مرجع سبق ذكره ص ١٨٥ .

المقدسة في فلسطين ظل كما كان (٦١) كما يعتبر التدخل الفرنسي في لبنان آخر نجاح مهم حققته فرنسا في عهد العثمانيين قبيل الحرب العالمية الأولى ، اذ كان اندحارها في الحرب مع بروسية عام ١٨٧٠م قد اضعفها وحال دون خططها واطماعها في الشرق الاوسط، ومنذ ذلك التاريخ أخذ نفوذها السياسي في التضاؤل ، واصبحت خاسرة دائما في منافستها لبريطانيا (٦٣) .

واذا كانت فرنسا قد بذلت كل هذه المحاولات في سبيل توسيع قاعدة نفوذها في هذه البلاد ، فان بريطانيا هي الأخرى كانت تسعى لنفس الشيء(٦٤)

وتتحمل فرنسا مسئولية خاصة تجاه الاحداث التي وقعت عام ١٨٦٠م لانها كانت توغر صدور الاتراك على المسيحيين بشكل غير مباشر بضغطها على ولاة الدولة ورجالها حفظا لمصالحها السياسية ،حتى ان القنصل الفرنسي في بيروت كان يجبر المسلمين على الوقوف احتراما له عندما يمر بعربته، فاذا لم يفعلوا ترجل من عربته ، والهب اجسادهم بسوطه (٦٥) وكان الموارنة أنفسهم يفخرون بتأييد فرنسا لهم، واستغل الفرنسيون ذلك دائما لخدمة اهدافهم السياسية والاقتصادية والعسكرية تحت ستار الحماية الدينية ، كما تتحمل روسيا شيئا من المسئولية لتأييدها الارثوذكس ، وانجلترا هي الأخرى تتحمل مسئولية مساندتها للدروز، فلما اشتدت المنافسة الدولية انعكست اثارها في سورية.

وهكذا نستطيع القول بان الحوادث التي وقعت كانت نتيجة لتصرفات الاوربيين والاتراك والموارنة والدروز على السواء ، وانها ليست بالتأكيد جزءا

---

(٦٢) الدكتور محمد انيس: مرجع سبق ذكره ص٢٠٦ .
(٦٣) جورج لنشوفسكي : مرجع سبق ذكره ص٤٣ .
(٦٤) د . فيليب حتي : مرجع سبق ذكره ص٥٤٧ .
(٦٥) نادر العطار: مرجع سبق ذكره ص٢٢٧ نقلا عن (حسر اللثام عن نكبات الشام ص١٢ ) .

من مؤامرة اسلامية كبرى على المسيحيةكما ادعت بعض الصحف الفرنسية آنذاك .

وكانت انجلترا ترقب بدقة كل تحركات الفرنسيين في بلاد الشام، وفقـا للوثائق الرسمية التي حصلنا عليها .

١- ففي اليوم الرابع من شهر يناير عام ١٨٦٠ ، بعث القنصل البريطاني في القدس برسالة الى اللورد جون رسل Lord John Rusell وزير الخارجية يذكر له فيها بانه سبق له ان اشار الى الكراهية الزائدة نحـــو الفرنسيين من جانب أهل المدن والفلاحين في انحاء هذه البلاد ، وانه لـم يشير الى ان هذا الشعور ينشأ من اعتقاد في صفة عامة ترتبط بالفرنسيين وهي ميلهم الى النساء و يدلل على ذلك بقوله :- واحيطكم علما باننا نجونا باعجوبة من شغب حدث هنا لهذا السبب ، فقد اقيم حفل شراب غير منظم اثناء زيـارة الجنود الفرنسيين لمنزل رجل وثيق الصلة بالقنصل الفرنسي واشتركت فيـه راقصات شعبيات، وهذا أمر يعد في الشرق ضد الاخلاقيات العامـة حين يتم في منزل رجل غير متزوج ، ويبدو أن القنصل الفرنسي لم يكن بين الحاضرين وابلغ الجيران رجال الشرطة الذين ابلغوا ضابطهم وكذلك الباشا اللـواء الذي توجه معهم الى المكان ، وكاد رجال الشرطة العسكرية ان يقتحمـوا الباب ويوقفوا هذا الصخب ، ولكن المذكرة التي ارسلت الى السلطات المدنية أدت الى استدعاء القنصل الفرنسي ومطالبته بفض الحفل بطريقة سلمية وهـو ما فعله على الفور، ولو ان الشدة التركية دخلت بالقوة لقاومها الجنـود الفرنسيون . وقد عزا كثيرون من المسلمين هذه الواقعة الى خطـة دبرهـا القنصل الفرنسي لاحداث صدام في القدس كاحتجاج على استدعاء قوة هنا ،" ويقول القنصل الانجليزي في هذه الرسالة : " بانه لا يصدق شيئا من هـذا القبيل ( اى ان هذه خطة دبرها القنصل الفرنسي ) ولكن الاحداث تثبت لا اخلاقيات للفرنسيين كما هي الفكرة عنهم عالميا ، كما تجعل من الضروري ان

تكون السلطات المحلية على حذر واستعداد لمنع اى اخلال بالسلام العام ".

٢ - وفي ١ مايو عام ١٨٦٠ م بعث القنصل البريطاني في حلب J. Sheve (٦٦) برسالة الى السير هنرى بولور Henry Bulwer السفير البريطاني في الاستانة يقول فيها : " اما وقد حققت الجهود التى بذلتها خلال السنوات الثلاث الماضية للتوسع في تجارتنا مع عرب الصحراء نجاحا ، كما سبق ان اخبرتكم بذلك ، فانني استبيح لنفسي أن اتقدم بطلب قد يؤدى تحقيقه الى مزيد من التوسع في هذا الهدف ، ففي عام ١٨٠٩ م استخدم نابليون الأول شخصا يسمى " لاسكاريس دى فينتميل " Les Caris de Vintimille ليقوم بتكوين اتحاد كنفدرالي بين القبائل العربية بهدف تيسير تحقيق مخططاته بشأن الهند البريطانية . وقضى مسيو لاسكارس ثلاث سنوات في الصحراء ولكنه توفي في عام ١٨١٢ في القاهرة قبل ان يحمل نتائج مهمته الى الحكومة الفرنسية ، وحصل مستر "سولت" القنصل العام لبريطانيا في مصر آنذاك على أوراق مسيولا سكارس ، ويقرر مترجم مسيولا سكارس وهو من مواطني حلب ويدعى " فتح الله صايغ " انه طلب هذه الوثائق بعد ذلك ، ولكن مستر سولت ابلغه انه قد بعث بها الى حكومة صاحبة الجلالة وقد تكون هذه الوثائق معينة لي بدرجة كبيرة في جهودى مع العرب . ولذلك فاني اتشرف فا طلب ان تعهدوا الي بها لبعض الوقت وسوف اهتم باعادتها بعد الاطلاع عليها "* . (٦٧) .

---

* وقد بذلت جهدا كبيرا لكي اقف على مصير هذه الوثائق في مكاتب الخارجية البريطانية بلندن ابان زيارتي لها في صيف عامي ١٩٧٧ ١٩٧٨ م ولكني لم اعثر على اى دليل لوجودها هناك .

(٦٦) الوثائق البريطانية : F.O. 78 - 1588 - Jan. 4,1860,No.3.

(٦٧) وثائق الحكومة البريطانية : F.O. 78 - 1538 - May 1, 1860, No. 10.

٣ - ويعود القنصل البريطاني في حلب للكتابة الى السير هنري بلور Henry Bulwer بتاريخ ١٩ من نفس الشهر مشيرا الى رسالة سابقة له برقم ١٥ وتاريخ ١٢ من مايو ١٨٦٠م والتي اقترح فيها احداث تغيير في نطاق نفوذ قنصليته . واقترح جعل حماة مركزا قنصليا تابعا للقنصلية في حلب ويستطرد بعد ذلك قائلا : " وكما تعلمون فان الحكومة الفرنسية قد بذلت كل جهد لتضمن لها نفوذا دائما في سورية ووسيلتها الرئيسية للوصول الى هذا الهدف هو الكاثوليكية الرومانية . وعندما اوصيت بالاهتمام بمسألة العرب الرحل منذ ثلاث سنوات ، بهدف توسيع التجارة البريطانية ، وازالة عقبة كأداء عن طريق رخاء سورية ، حاول القنصل الفرنسي - عندما ادرك أهمية هذه الحركة - ان يأخذ زمام المبادرة من يدى ، ولكنه فشل في هذا فشلا ذريعا ، والسبب الرئيسي في ذلك انه كان لي سبق الخدمة في سلاح الفرسان الذى انشأته انجلترا مع الف وخمسمائة من العرب . ومنذ ذلك الوقت فان بعض القضايا الأخرى هنا قد خرجت من نطاق المنافسة الفرنسية من أجل النفوذ في الصحراء وطبقا لوضع الامور الآن ، فانه من الواضح ان النفوذ الفرنسي في سورية ينكمش بسرعة ليصبح في نطاق المزايا التجارية والزراعية . وعلى ذلك أود أن اشير عليكم بالاهتمام بالأمر على أمل ان يكون من الأفضل لمواجهة النشاط الفرنسي تعيين نائب قنصل بريطاني كذلك في حماة وهي مكان مناسب لتطوير اهتماماتنا بالصحراء .... " (٦٨) .

وقد سبق وأشرنا الى الوثيقة الأولى والتي هي عبارة عن رسالة من القنصل البريطاني في القدس ، قد جاء فيها بانه سبق له الاشارة الى الكراهية الزائدة نحو الفرنسيين من جانب اهل المدن والفلاحين في انحاء هذه

---

(٦٨) وثائق الحكومة البريطانية : F.O. 78 - 1538 - May 19, 1860, No. 17.

البلاد . . وهنا نود ان نقف قليلا لنوضح ان هذه الكراهية التي اشار اليها ذلك التنصل في حقيقتها لم تكن ضد الفرنسيين وحدهم بل كانت عامة وشاملة . وتبين لنا ذلك الرسالة المطولة التي بعث بها علماء الشام الى علماء حماة بتاريخ ٢٧ نوفمبر من عام ١٨٦٠م والتي حملوا فيها على المسيحيين لكيدهم للمسلمين منذ ولاية السلطان عبد الحميد ، وحددوا أربعة اوجه شرعية توجب مقاتلة المسيحيين واخراجهم من البلاد . ثم وجهوا مناشدتهم لجميع المسلمين للانضمام لحركتهم خاصة وان الوقت مناسب لخروج الدول الأوروبية من حرب القرم منهوكة القوى ، ثم تطرقت الرسالة الى السلطان العثماني بالنقد الشديد لاتباعه الدول الأوروبية وتوضيحهم بانهم قد اتخذوا قرارا بالاتفاق مع بعض الوزراء والوجهاء لاعدام السلطان عبد الحميد ومن يلوذ به وتنصيب ابنه محله لاتفاقه معهم في الرأي والخط السياسي العام (٦٩) .

وهذه الرسالة للعلماء وان كانت متشددة الى حد بعيد وليس في مقدورنا ان نناقشها او ننقدها ، الا اننا نوردها كدليل على وجود شعور معاد لكل الاجانب في بلاد الشام ليس للفرنسيين فقط كما كانت تصور ذلك الرسائل والتقارير السياسية البريطانية .

---

(٦٩) وثائق الخارجية البريطانية ؛ نص رسالة العلماء رقم ٢٩٠ بتاريخ ٢٧ نوفمبر ١٨٦٠م F.O. 78 - 1538 - 07451
وانظر نص خطاب العلماء في ملحق الوثائق .

الصراع الانجليزي الفرنسي في الشرق العربي

ثالثا ـ في العـــراق :

في هذا القسم :ـ

١ ـ اهتمامات انجلترا وفرنسا بالعراق قبل الحملة الفرنسية

٢ ـ الاهتمام الانجليزي الفرنسي بالعراق بعد الحملـــة الفرنسية على مصر.

١ ـ اهتمامات انجلترا وفرنسا بالعراق قبل الحملة الفرنسية :

لم يوجه الانجليز اهتمامهم الى العراق الا في أواخر القرن السادس عشر، رغبة في استخدام طريق الفرات للتجارة مع الهند ، وذلك حينما ارسلت بعثة لدراسة هذا الطريق عام ١٥٨٣م واعتبر رجالها اول من دخل العراق من الانجليز (٧٠) وفي عام ١٦٣٥ بدأ الانجليز يتطلعون الى نقل نشاطهم من بندر عباس الى البصرة وذلك ليكونوا في منأى عن المنافسة الهولندية ، والتي كانت تضيق عليهم الخناق آنذاك الا ان الجو مالبث ان خلا للانجليز، بعد هزيمة الهولنديين على يد الفرنسيين . وتمكن الانجليز عام ١٧٢٣ من اقامة مقر دائم لهم في البصرة واصبحت البصرة مركزا هاما لهم اذ كانت رسائل شركة الهند الشرقية البريطانية ترسل من البصرة الى الهند واوروبا وبالعكس .

وما لبث الفرنسيون ان ظهروا في المنطقة في الربع الاخير من القرن السابع عشر وكانوا يتعاونون مع الهولنديين ، واصبحوا منافسين للانجليز بل انهم هاجموا مركز التجارة الانجليزي في بندر عباس ودمروه (٧١) وعندما ارادت فرنسا تأسيس علاقات تجارية لها في العراق عينت رئيس دير الكرمليين قنصلا لها في بغداد عام ١٦٧٩ في عهد لويس الرابع عشر (٧٢) وفي عام ١٧٣٩ عين الفرنسيون مقيما لهم في البصرة (٧٣) .

على ان المنافسة الحقيقية بين الدولتين ( فرنسا وانجلترا ) لم تبدأ الا في عهد الثورة الفرنسية وحروب نابليون (٧٤) ومع ان فرنسا سبقت غيرها

(٧٠) عبد الفتاح ابراهيم : رسائل الأهالي ـ الرسالة الأولى ـ على طريق الهند ص ٢٣ـ٢٥ .
(٧١) عبد الفتاح ابراهيم : نفس المرجع ص ٢٨ .
(٧٢) محمد طاهر العمري : تاريخ مقدرات العراق السياسية المجلد الاول ص ١٧
(٧٣) الدكتور عبد الامير محمد الامين : المصالح البريطانية في الخليج العربي ص ٤
(٧٤) عبد الفتاح ابراهيم ، مرجع سبق ذكره ص ٢٩ .

من الدول في ايجاد صلات سياسية مع العراق ، الا انها لم تكتسب بينهم مركزا ممتازا ، ويرجع بعض الباحثين السبب في ذلك الى ضعف كفاية الموظفين الفرنسيين من جهة ، وان فرنسا لم تعط هؤلاء الموظفين العناية الكافية ليبدوا من ناحية المظهر امام الشعب العراقي كممثلين لدولة عظيمة (٧٥) .

ولما لم يظهر الفرنسيون اهتماما خاصا بمنطقة الخليج والعراق حتى نهاية القرن الثامن عشر تقريبا ، فقد كان النشاط الانجليزي محدودا في هذا الجزء من العالم.

٢ - الاهتمام الانجليزي الفرنسي بالعراق بعد الحملة الفرنسية على مصر :

قذفت الثورة الفرنسية والحروب النابليونية بالدولة العثمانية منذ عام ١٧٩٨ في خضم الصراع الدولي الدموي وجعلت من الهلال العثماني ميدانا تتنافس فيه فرنسا واعداؤها دبلوماسيا وثقافيا وعسكريا واقتصاديا ، كما جعلت من ولايات الدولة العثمانية مجالات للنشاط الاستعماري خاصة في مصر والشام والعراق وشبه الجزيرة العربية وشمال افريقية (٧٦) .

ووجدت العراق نفسها مع فلسطين وسورية على حين غرة تجرالى دوامة الاحداث التي كانت تهز أوربا في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر.

وقبل وصول الحملة الفرنسية الى مصر أي عام ١٧٩٦ أرسلت فرنسا بعثة سياسية الى العراق وعينت السنيو (جان باتست روسو) وكيل شركة الهند الفرنسية في البصرة معتمدا لها ، الا انه في الوقت الذي اخذت فيه

---

(٧٥) د . ابراهيم شريف: الشرق الاوسط ص٣٢ .

(٧٦) الدكتور عبد العزيز نوار: تاريخ العرب الحديث الجزء الأول العراق ص٩٢ .

المصالح والمشاريع الاقتصادية الاوربية في كل من بغداد والبصرة التي التوسع ، كانت علاقات العراق السياسية والتجارية مرتبطة بالانجليز نظرا لتوسع معاملاتهم التجارية والاقتصادية في خليج فارس( الخليج العربي ) والعراق ، وكان للقنصلية الانجليزية في البصرة وكيل في بغداد من سكان العراق (٧٧) .

وفي عام ١٧٩٨م أرسل هارفورد جونز Harford Jones المقيم البريطاني في البصرة الى بغداد وعين مقرا بها لغايتين : اولاهما ـ اجراء الترتيبات مع باشا بغداد شبه المستقل لنقل الرسائل الرسمية عبر الولاية وثانيهما ـ مراقبة اعمال الوكلاء الفرنسيين الذين كان يعتقد انهم نشطون للعمل في تلك المناطق ، ومحاولة مقاومتهم في اعمالهم (٧٨) .

وفي غضون الصراع العنيف بين انجلترا وفرنسا في الهند ، ثم لدى الحملة الفرنسية على مصر دخلت هذه الأقاليم في مدار السياسة العالمية ، فارتبطت بها برامج وخطط وحسابات نابليون البعيدة المدى ، فشغلت العراق كما شغلت سورية ايضا مركزا هاما في الخطط العديدة التي وضعت لهذه الحملة . كما انه في اثناء الحملة الفرنسية على مصر ، اعدت خطة الزحف الى الهند عبر سورية والعراق بمحاذاة وادي الفرات (٧٩) .

وامام هذه المخططات الفرنسية تحركت انجلترا لتوطيد صداقتها مع كل من العراق وسلطنة عمان ، ونجحت في العراق والتي بعثت لها بعثة

---

(٧٧) محمد طاهر العمري الموصلي : مرجع سبق ذكره ص١٧٠ .
(٧٨) فيليب د بلارد ايرلاند : العراق : دراسة في تطوره السياسي ( نقلته للعربية جعفر خياط ) ص١٤
(٧٩) لوتسكي : مرجع سبق ذكره ص٧٦ .

برئاسة هارفورد جونز لكسب ولاة بغداد الى جانبها ضد فرنسا ، وقد سهل ذلك ان الدولة العثمانية كانت قد اعلنت الحرب على فرنسا ، يضاف الى ذلك ان سليمان باشا حاكم بغداد كان في اشد الحاجة الى مساعدات بريطانيا لمواجهة الخطر ( السعودي ) الزاحف من نجد الى جنوب العراق (٨٠) .

الا ان نابليون استمر في مسعاة لتحقيق مطامعه في الشرق حتى بعد عودته من مصر الى فرنسا ، وكانت خطته الجديدة ان يعتمد على فرنسا وحدها لغزو الهند ويستعين بالناقمين من امراء الهند ، ويسلك طريق الفرات ، ورأى ان يرسل في الخفاء قوة كافية تنزل على مقربة من خليج الاسكندرونة حيث يكون في انتظارها احد الثقاة من رجاله ليقودها الى مرعش ، وهي قرية اختارها ليستفيد من الغابات المحيطة بها في بناء السفن لتحمل جنوده الى البصرة ، وكان ينوي تحصين البصرة واتخاذها مقرا لجيشه وتدابيره السياسية والعسكرية ، وقد فاوض الاتراك سرا للاذن بمرور جيشه ، وكان وكيل فرنسا السياسي يسعى لتهيئة الاذهان في الشرق ، ويفاوض الشاه بشأن هذه الحملة. (٨١) وكانت فرنسا من اجل تأمين سلامة مرور قواتها عبر العراق في طريقها الى الهند قامت بالاتفاق مع حافظ علي باشا والي بغداد الذي كان قد استولى على السلطة في العراق بعد موت سليمان الكبير عام ١٨٠٢م ، والذي تمكن من تشكيل وحدة عسكرية نظامية على الطراز الاوروبي بمساعدة المدربين الفرنسيين . (٨٢)

ولم يرق الانجليز تقرب والي العراق حافظ علي الى الفرنسيين والاعتماد عليهم ، لأن ذلك لا يتفق ومصالح شركة الهند الشرقية التي رتبت منذ

---

(٨٠) الدكتور محمد انيس: مرجع سبق ذكره ص١٩٤ .
(٨١) عبد الفتاح ابراهيم: مرجع سبق ذكره ص٥٠ .
(٨٢) لوتسكي : مرجع سبق ذكره ص٧٨-٧٩ .

اواخر القرن الثامن عشر الاتصال البريدي المنتظم بين بريطانيا والهند عبر العراق بالذات ، وكانت السفن المبحرة بانتظام من بومباي الى البصرة تنقل البريد الذي يرسل من هناك في نهر دجلة الى بغداد ، ومن بغداد ينقل على جمال سريعة الى حلب والاستانة ، ومن هذه الاخيرة الى بريطانيا عن طريق البحر ، واعتبرت بريطانيا ان العلاقات الوثيقة بين حافظ علي وفرنسا تهدد مصالحها السياسية والاقتصادية والاستراتيجية ، ولكن حافظ باليت ان قتل في اغسطس عام ١٨٠٧ وذكر ان لممثل شركة الهند الشرقية البريطانية يد في قتله (٨٣) وقد تمكن ابن اخيه سليمان الصغير من سحق المتآمرين بمساعدة هذه الوحدة النظامية الفرنسية التدريب ، وكان سليمان هذا مرتبطا بصلات وثيقة مع الفرنسيين هو الآخر ، واخذ يعارض مصالح شركة الهند الشرقية الانجليزية (٨٤) وكانت فرنسا بعد جلاء قواتها من مصر اخذت تسعى الى استعادة شيء من مكانتها في مصر والعراق (٨٥) .

وتحت تأثير المساعي الانجليزية عزل الباب العالي سليمان الصغير من ولاية بغداد ، بل وحكم عليه بالموت ، وقد وعد والي بغداد الجديد الشركة البريطانية باعادة امتيازاتها ، وبعدم التدخل في شؤونها ، وهكذا اعادت الشركة انشاء مؤسساتها التجارية في البصرة وبغداد (٨٦) .

وقد حاول داود باشا حاكم العراق خلال اربعة عشر عاما من ١٨١٧ - ١٨٣١م أن يصفي نظام الامتيازات المرهق بالنسبة للتجار المحليين ، وهو

---

(٨٣) بونداريفسكي : مرجع سبق ذكره ص ٢ .
(٨٤) لوتسكي : مرجع سبق ذكره ص ٧٩ .
(٨٥) الدكتور عبد العزيز نوار : مرجع سبق ذكره ص ٩٣ .
(٨٦) لوتسكي : مرجع سبق ذكره ص ٧٩ .

النظام الذي كان يؤمن لشركة الهند الشرقية الانجليزية امتيازات واسعة وردا على خطط داود باشا بدأت الشركة عمليات حربية فعلية ضد العراق (٨٧)

ولقد افادت بريطانيا في تخطيط سياستها في المنطقة ولوضع استراتيجية حماية امبراطوريتها في الهند من خطط نابليون المتعددة لغزو الهند والتي وجهت بريطانيا الى جميع الجهات التي يتوقع ان تهاجم الهند منها ، فعملوا جادين الى السيطرة عليها ، وهذه الطرق كانت ثلاثة هي : ـ طريق البحر الاحمر ، وطريق هرات ، وطريق العراق والخليج العربي اما الأول فقد سيطرت بريطانيا عليه بسيطرتها على مالطة وقبرص ومصر والسودان وعدن والنواحي التسع المحمية ، والسواحل العربية والجزر القريبة منها ، وسدت الطريق الثاني ( هرات ) بضم بلوخستان الى الهند وتوطيد نفوذها في افغانستان والتبت والنصف الجنوبي من بلاد فارس ، اما الطريق الثالث ، طريق الفرات والخليج العربي ، فقد كان السبب في اهتمام بريطانيا بطرق المواصلات بين البحر المتوسط والخليج العربي ، وقد حولت بريطانيا سياستها في الشرق ، بعد مساعي نابليون المتكررة لغزو الهند من سياسة تنطوي على حماية مصالحها التجارية فقط ، الى سياسة استعمارية استهدفت السيطرة على الشرق الأدنى والأوسط ، وسد جميع السبل في وجه النفوذ الفرنسي (٨٨) .

وكانت الحكومة البريطانية قد اشعرت سفيرها في الأستانة اللورد سترانفورد روكلف برغبتها في الحصول على معلومات ضافية عن الفرات ، وصادف أن مر بالاستانة يومئذ الكابتن تشيزني Chesney احد ضباط

---

(٨٧) يوند اريلسكي : مرجع سبق ذكره ص٥٢ .

(٨٨) عبد الفتاح ابراهيم : مرجع سبق ذكره ص٤ .

البعثة البريطانيين ، وهوفي طريقة الى لندن بعد انجازه بحوثه العسكرية على الحدود الروسية التركية ، فاخبره السفير برغبة الحكومة البريطانية ، وكان الضابط شابا يتعشق المخاطرات والمغامرات فلم يتردد في قبول تولي هذه المهمة ، وتعهد ان يقوم بها على مسئوليته وحسابه لأن الحكومة البريطانية لم تكن آنذاك قد خصصت لها شيئا من المال (٨٩) وفي هذا الوقت كانت بريطانيا تعمل بكل الجهد على ابعاد الخطر الجديد على مصالحها في العراق الا وهو محاولات محمد علي ان يمد جسور التفاهم مع العراقيين ، فعندما علم الوكيل السياسي الانجليزي في بغداد الميجور روبرت تايلر Robert Taylor بوصول مكاتبات من ابراهيم باشا الى عشائر كعب والمنتفق ، كتب الى حكومته محذرا من هذه النشاطات المصرية التي قد تضر ايضا بمستقبل المصالح البريطانية في العراق(٩٠) .

وكان مجلس العموم البريطاني قد وافق على اعتماد مبلغ عشرين الف جنيه لاستكشاف نهر الفرات ، وعهد برئاسة البعثة الى الكولونيل تشيزني Chesney (٩١) .

وقد أوضحت البعثة البرلمانية المذكورة في تقريرها عام ١٨٣٤م "انها تعتقد ان تأسيس الطريق القديم الموصل الى بلاد الهند بأوروبا يهم انجلترا اهتماما كثيرا ولها اشد علاقة بذلك ، اذ انه هو السر الوحيد لاتصالات آسيا الجنوبية ، ولتجارتها مع الشرق ، فعلى انجلترا ان تقاوم كل حادثة تهدد بلاد الهند ، وتقف امام كل تيار يكسر النفوذ البريطاني فيها" فمن هذا يفهم ان السياسة البريطانية قديمة وثابتة ، الا وهي الاستيلاء على أهم

---

(٨٩) عبد الفتاح ابراهيم : نفس المرجع السابق ص٦٩ .
(٩٠) الدكتور عبد العزيز نوار : مرجع سبق ذكره ص١٢٩ .
(٩١) Hurewitz, J.C.: op. cit., pp. 109-110.

الطرق التي تهدد بلاد الهند ، ولما كان العراق من جملة الطرق المذكورة فقد استهدفته انجلترا منذ زمن بعيد فشرعت توسس نفوذها على ضفاف خليج فارس( الخليج العربي )(٩٢) وفي عام ١٨٣٥ م عادت البعثة برئاسة تشهزنسي ومعاونه هنري لنج ومعهم باخرتان دجلة والفرات ورحلا الى بيره جك غيران الباخرة دجلة غرقت في نهر الفرات على اثر عاصفة ثارت هناك واما الباخرة الثانية الفرات فقد رحلت الى البصرة ثم بوشهر، وفي عام ١٨٣٧م خلف لنج الكولونيل تشيزني في رئاسة البعثة وقام بفحص مجرى دجلة من بلاد ارمينية حتى الخليج العربي وفي عام ١٨٣٩م بعثت شركة الهند الشرقية بثلاث سفن تجارية فوصلت في العام التالي الى بغداد وفي عام ١٨٤١م وصلت الباخرة نمرود الى مسكنة على الفرات* (٩٣)

وفي الفترة الواقعة ما بين ١٨٤١ - ١٨٤٤م اخذت العلاقات الفرنسية مع العراق تظهر بصورة واضحة اذ عمل القنصل الفرنسي في بغداد على الاهتمام بالاحوال الداخلية وخاصة تلك التي تتعلق بأيران ، وكان هدف فرنسا في العراق مقصورا على تنمية مصالحها السياسية والتجارية وكانت تعتمد على جماعة المبشرين الكاثوليك في انجاح تلك السياسة ، وربما كان لموقف فرنسا في مصر وسوريا العامل الاساسي الذي أخر تعاون الباب العالي مع القنصل العام الفرنسي في بغداد (٩٤) .

ويرى بالملاحظة انه في الوقت الذي كانت فيه فرنسا تركز جهودها

---

* في كتاب المصالح البريطانية في انهار العراق للأستاذ الدكتور عبد العزيز نوار دراسة موسعة عن بعثة تشهزنسي بشأن الفرات ( في الفصل الثالث منه ) .

(٩٢) محمد طاهر العمري الموصلي: مرجع سبق ذكره ص٢٨ .

(٩٣) محمد طاهر العمري الموصلي: نفس المرجع ص ٢٠

(٩٤) د . محمود علي الداود : محاضرات عن الخليج العربي والعلاقات الدولية ص٢٢ .

من أجل تنفيذ مشروع قناة السويس ، كانت تنافس بريطانيا ايضا في مشروعات خطوط المواصلات العالمية عبر العراق ، وهكذا نجد انه في الوقت الذي كانت فيه بريطانيا تقف امام فرنسا لعرقلة مشروع القناة كانت فرنسا بدورها تقف في وجه بريطانيا في مشروع خط حديد الفرات(٩٥) . واصبح التنافس بين مشروع خط حديد العراق ( الانجليزي ) ومشروع شق قناة السويس ( الفرنسي ) على أعلى المستويات الدولية ، بل كان حجر الزاوية في السياسة الشرقية للدول الأوربية الكبرى . وقد نجح الفرنسيون في الحصول على امتياز قناة السويس عام ١٨٥٤م ، لكن الانجليز لم يتمكنوا من الحصول على امتياز خط حديد الفرات ، بل ان الفرنسيين انفسهم تقدموا في عام ١٨٥٦م الى السلطان العثماني بمشروع لمد خط حديدي على طول نهر الفرات ونجح الانجليز في القضاء على المشروع الفرنسي الخاص بخط حديد الفرات(٩٦) .

وعادت فرنسا في عام ١٨٦٤م فتقدمت عن طريق شركة ملاحة فرنسية بطلب الى الباب العالي لمنحها امتيازات حرية التجارة والملاحة في الانهار العراقية على غرار الامتيازات التي سبق ان منحتها الحكومة التركية لشركة دجلة للملاحة التجارية البريطانية ، وطالبت بالمساواة التجارية مع الانجليز ، ويظهر من الوثائق ان فرنسا دأبت على تعيين قنصل عام لها في بغداد الى عام ١٨٧٠م(٩٧) . وقد توقف التنافس الانجليزي الفرنسي حول خطوط المواصلات في العراق عام ١٨٩١ م حينما علمت الدولتان بمشروع خط حديد بغداد *

---

* لقد تكلم الاستاذ عبد الفتاح ابراهيم في كتابة رسائل الاهالي (الرسالة الأولى على طريق الهند ) عن هذا المشروع والملابسات والصراع الدولي الواسع حوله بشيء من التفصيل في الصفحات ٩٨ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٢-١٣٧ ..

(٩٥) الدكتور نوار: مرجع سبق ذكره ص ١٧ .

(٩٦) الدكتور نوار: نفس المرجع ص ١٦٩-١٧١ .

(٩٧) الدكتور محمود على الداود : مرجع سابق ص ٢٢ .

الالماني فقامتا على الفور بحملة كبرى لمنع حصول المانيا على امتياز مد هذا الخط. وقدم السفير البريطاني في الاستانة السيد كلارفورد احتجاجا شديد اللهجة الى السلطان عبدالحميد الثاني طالبا منــه ان يمتنع عن اعطاء رأى نهائي بشأن خط حديد بغداد الا بعدأن يحــاط السلطان علما بوجهة نظر الحكومة البريطانية في هذا المشروع الخطير، كما قدمت فرنسا تحذيرا الى الحكومة العثمانية من اية اضرار تصيــب المصالح الفرنسية من جراء اعطاء الالمان امتياز خط بغداد ، الا أن فرنسا تراجعت بعد ذلك عن تشددها ومعارضتها للمشروع الألماني على اثر الازمــة التي نشبت بينها وبين انجلترا في فاشودة عام١٨٩٨م، والتي كانت من العوامل الرئيسية التي مهدت للتقارب الفرنسي الانجليزي والذي انتهــى بعقد الوفاق الودي بينهما عام ١٩٠٤م وتوقف على اثره الصراع بين الدولتين (٩٨).

---

(٩٨) الدكتور نوار: ص١٧٧–١٨٤ .

## الفصل الثالث

## التنافس الانجليزي الفرنسي في غرب شبه الجزيرة العربية ( الحجاز ) في القرن ١٩ الميلادي

**عناصر هذا الفصل :**

١ - السيطرة العثمانية على الحجاز.

٢ - الحجاز خلال الحملة الفرنسية على مصر وآثارها عليه.

أ ) الوضع قبل الحملة. ب) اصداء الحملة الفرنسية على مصر في الحجاز.

جـ) آثار الحملة الفرنسية على مصر في الحجاز.

٣ - حملة محمد علي باشا على الحجاز ودورها في الصراع الانجليزي الفرنسي :

أ ) الحجاز قبل وصول قوات محمد علي .

ب) وصول قوات محمد علي للحجاز.

جـ) آثار حملة محمد علي على الحجاز

٤ - الوضع في الحجاز قبل افتتاح قناة السويس للملاحة الدولية :

أ ) الوضع قبل عام ١٨٥٨م.

ب) محاولة فرنسا فتح قنصلية لها بمكة المكرمة وينبع.

جـ) مشروع اتحاد شبه الجزيرة العربية مع مصر.

٥ - مذبحة جدة عام ١٨٥٨م وآثارها خارج الحجاز وردود الفعل التي احدثتها وتصف جدة بالمدفعية.

٦- اثر فتح قناة السويس على الحجاز.

٧- احوال الحجاز في الفترة الاخيرة من القرن التاسع عشر

أ- فترة مابعد فتح قناة السويس ب- الحجاز بعد تولي السلطان عبد الحميد الثاني . جـ - مقتل الشريف حسين بن محمد بن عون ( والنفوذ البريطاني ) د - مدى النفوذ الانجليزي في الحجاز. هـ - جمعية سرية في مكة . و - امارة الشريف عبد المطلب وموقف الانجليز منها . ز - احوال الحجاز في عهد الشريف عبد المطلب. ح - ذوي عون يقاومون الشريف عبد المطلب في الاستانة. ط - الاهتمام البريطاني بالحجاز. ى - عودة ذوي عون لشرافة مكة . ك - الانجليز وتصديهم لتأثيرات ثورة عرابي . ل - بريطانيا تخطط لاقامة دولة عربية في الحجاز . م - مرض الشريف عون الرفيق واستغلال بريطانيا له .

١ ـ السيطرة العثمانية على الحجاز :

حينما دخل السلطان العثماني سليم الأول القاهرة في ٥ يوليو عام ١٥١٧م كان الحجاز تحت السيادة الاسمية لدولة المماليك ، وما ان وصلت انباء السيطرة العثمانية على مصر حتى بادر أمير مكة الشريف بركات الى ارسال ابنه ابو نمي الى القاهرة حاملا معه مفاتيح الحرمين الشريفين ، وقدما معها الولاء للسلطان العثماني . فقابله السلطان بالحفاوة ، واصدر فرمانا بتفويض الشريف بركات في حكم الحجاز كله . وهكذا يكون الحجاز قد دخل تحت السيادة العثمانية ، وابقى العثمانيون على نظام الشرافة ، الا أنهما نشأوا صنجقية في جدة اقاموا عليها واليا اوباشا تركيا ليكون ممثلا للباب العالي في الحجاز . (وهذه الازدواجية في الحكم ادت فيما بعد الى ادخال الحجاز في حالة من الفوضى واصبح النزاع بين الممثل التركي وشريف مكة طابع الحياة فيها ) .

٢ ـ الحجاز خلال الحملة الفرنسية على مصر وآثارها عليه :

(أ) الوضع قبل وصول الحملة :

بعد خضوع الحجاز للدولة العثمانية دخل في عزلة سياسية واقتصادية وفكرية كبقية البلاد العربية التي خضعت للعثمانيين ، فلم تعد محور النشاط العالمي ولم تعد تتصل من قرب او بعد بالاحداث العالمية ، بل اخذت حياتها تسير وفق احداث محلية خاصة بها (١) .

وخضوع الحجاز للعثمانيين لم يضعف علاقته بمصر* ، بل زادت ، فمن مصر

---

* يقول الاستاذ احمد السباعي صاحب كتاب تاريخ مكة : بانه في القرن الحادي عشر والثاني عشر الهجري ، كانت اوامر السلطان العثماني (الخليفة) ترسل عن طريق الوالي التركي في مصر ليبلغها الى الامير في مكة ، او ينفذها بقوة عسكره المرابطين في مصر ، ولهذا توهم بعضهم أن مكة كانت تتبع الوالي في مصر ، والواقع ان امراء مكة كانت علاقتهم بالولاة في مصر علاقة المحصل بالوسيط الذي يثق به الخليفة ويقدر عنصره التركي ص ١٠١

(١) الدكتور محمد انيس : الدولة العثمانية والشرق العربي مرجع سبق ذكره ص ١٠١

كانت ترسل الارزاق التي رصدها السلاطين للحرمين، ومنها كانت تجهز التجريدات التي كانت تضطر السلطة الى ارسالها للحجاز لضبط احواله، كما أن منها كانت مراقبة حركات الاوربيين في البحر الاحمر.[٢] والذي حاولت فرنسا لدى الباب العالي عام ١٧٧٧م منحها الموافقة على التجارة فيه. لكن الباب العالي رفض ذلك بل وأصدر فرمانا في ذلك العام يحرم فيه على السفن الاوروبية الملاحة في البحر الاحمر بين جدة والسويس، وأعادت فرنسا محاولتها للمرة الثانية حينما ارسلت بعثة برئاسة البارون دي توت، ولكن الباب العالي لم يتراجع عن موقفه واصر على منع الملاحة في البحر الاحمر خشية ان تقع مصر وسواحل الجزيرة العربية في قبضة احدى الدول الأوروبية، ولم يكن السلطان العثماني على خطأ في سوء ظنه وبثه الارصاد والعيون حول اسباب التجارة الشرقية من الأوروبيين. وفي عام ١٧٧٩ قبض في الاستانة على تاجر انجليزي يدعى رولي كان قدحضر بمهمة من الهند، فحامت حوله الشبهات، ولدى تفتيشه عثر بين اوراقه على كتاب من الاميرال هوكز، قائد القوات البحرية البريطانية في الهند موجها الى شريف مكة وآخر الى الباشا العثماني في مصر، وفي هذه الكتب دعوة صريحة لاعطاء بريطانيا امتيازات خاصة في مصر والبحر الاحمر[٣].

(ب) اصداء الحملة الفرنسية على مصر في الحجاز:

سبق ان ذكرنا انه ما ان وصلت الحملة الفرنسية الى مصر واستولت عليها عام ١٧٩٨م حتى وصلت اخبارها الى الحجاز، ووصلت مع هذه الأخبار الاوامر من السلطات العثمانية بالاستعداد لكفاح الفرنسيين فيما لو فكروا في الزحف الى الحرمين الشريفين، وكان على رأس اشراف مكة آنذاك الشريف غالب الذي

---

(٢) الدكتور شوقي عطاالله الجمل: سياسة مصر في البحر الاحمر ص٤٢.
(٣) اميل خوري وعادل اسماعيل: السياسة الدولية في الشرق العربي، الجزء الاول ص٣٩.

اصدر تعليماته الى الأهالي والمجاورين ان يتعلموا استعمال السلاح واعد لذلك ساحة في جرول*، فخرجت اليها فرق عظيمة من الناس للتدريب والتعليم، كما امر الشريف غالب باصلاح سور جدة وتقويته استعدادا للكفاح ضد الفرنسيين، ولكن الفرنسيين لم يفكروا في الزحف الى مكة (٤).

وكان الشريف غالب قبل وصول الحملة الفرنسية قد بدأ ما يسمى بالحملات الأربعة عشر ضد آل سعود في نجد، وسعى لاقناع العثمانيين باهمية الحركة السعودية وخطرها على الدولة، ولكن غالب وجد نفسه امام خطر جديد يجب الاستعداد له، ولذلك بادر الى عقد الصلح مع السعود بين عام ١٧٩٨ ليتفرغ لخطر اكبر وهو الحملة الفرنسية، واخذ يعد مع اهل الحجاز جيشا للدفاع الشعبي استعدادا لاحتمالات الغزو الفرنسي (٥).

وكان الباب العالي قد اصدر بيانا اعلن فيه بان مصر هي باب البلد ين المقدستين، مكة والمدينة ولها في نظر المسلمين أهمية عظمى.. وانه قد اتخذ معتمدا على رحمة الله وعونه كل التدابير اللازمة لصد الاعتداء الفرنسي برا وبحرا وسحق القائمين به، ولذلك فانه بات واجبا دينيا على كل مسلم ان يهب لمحاربة فرنسا، وقرر الباب العالي ووفقا للمعاهدة التي ابرمها مع انجلترا في ٥ يناير عام ١٧٩٩ اقفال موانئه جميعا بدون استثناء بوجه تجارة العدو (الفرنسي) (٦) ولكن هل سيلتزم شريف مكة بهذا الأمر؟

---

* حي من أحياء مكة المكرمة في اعلاها، بالقرب من عرفات وفي الطريق الى الطائف.

(٤) احمد زيني دحلان: خلاصة الكلام، مرجع ذكر سابقا ص ٢٦٣.
(٥) الدكتور عبد الكريم غرايبة: قيام الدولة السعودية العربية مرجع سبق ذكره ص ٨٢
(٦) أميل خوري وعادل اسماعيل: مرجع سبق ذكره جـ١ ص ١١٣-١١٧.

(جـ) آثار الحملة الفرنسية على مصر في الحجاز:

كان بونابرت يسترشد في سياسته الاسلامية ( التي اعلنها في مصر ) باعتبارات سياسية عملية فحسب وآية ذلك ، انه عندما انهدم كل أمل لديه في امكان الاتفاق مع العثمانيين ، وانحاز هؤلاء الى جانب اعدائه في الحرب ضده ، واضطر الى تسيير حملته على الشام حتى يشن الغارة عليهم في اقرب اقطارهم الى مصر قبل ان يبدأوا هم بغزو هذه البلاد ، فكر بونابرت في ان يتخذ من احياء الاسلام وسيلة لانتزاع مصر وبلاد العرب من احضان الخلافة العثمانية حتى يعتمد في ذلك على مركزين هامين من مراكز الاسلام ، هما القاهرة ومكة ؛ القاهرة حيث يوجد بها الجامع الازهر ، فالقاهرة لذلك مركز علمي وديني معا ، ومكة مقر العلوم الاسلامية والدينية البحتة وعقد بونابرت آمالا كبيرة على استطاعة الاسلام أن يستمد من هذين المركزين قوة جديدة ، تكفل له الاصلاح على ضوء تلك العلوم الحديثة ، التي انتظر بونابرت أن يفضي نشاط علماء الحملة الفرنسية الى ذيوعها ، نتيجة لانتشار الوية الحضارة في هذه البلاد من جهة ، ثم انضواء الانظار المجاورة تحت الوية هذه الحضارة من جهة أخرى (٧) .

وفي اطار هذه السياسة حاول بونابرت الاتصال بشريف مكة مباشرة ، وعن طريق اعضاء ديوان القاهرة ، وتجار الحجاز في السويس ، بطريق غير مباشره وقد بعث الشريف غالب بن مساعد شريف مكة برسالة الى بونابرت ردا على رسالته التي عرض فيها عقد بعض الاتفاقيات التجارية ، وقد اوضح الشريف غالب في رسالته هذه لبونابرت بانه قد قام ببعث الرسائل المرسلة منه لكل من تيبو صاحب وامام مسقط ولوكيلهم بالمخا . وانه بناء على تأكيدات بونابرت له فقد عمل على حث

---

(٧) الدكتور محمد فؤاد شكري : عبد الله جاك منو وخروج الفرنسيين من مصر ص ٨٦ - ٩٣ .

تجار الحجاز بمواصلة التجارة مع مصر، وازاح عن عقولهم ما علق بها من مخاوف نتيجة ما يصلهم من اخبار غير مشجعة على أمن اموالهم، وان الشريف غالب قد تعهد لهم بضمان الأمن لأموالهم الا انه الح في طلب توفير الجند اللازم لحماية اموال تجار الحجاز، لان ذلك سيشجعهم على توسيع تلك التجارة. واختتم الشريف رسالته ببيان تفصيلي للمبالغ التي يتلقاها من مصر كل عام (٨).

واستمر اتصال الفرنسيين بشريف مكة حتى بعد سفر بونابرت من مصر، وكان احد مهام الحملة الفرنسية على مصر شق قناة السويس لتصل البحر الاحمر بالبحر المتوسط، على ان العناية بميناء السويس كانت لا تكفي وحدها لاحراز السيطرة التجارية في البحر الاحمر، بل ان ذلك كان يقتضي أولا وقبل كل شيء ان يعمل الفرنسيون على انشاء العلاقات الودية مع حكام البلدان الواقعة على هذا البحر، واستمالتهم الى ارسال بضائعهم الى الموانيء المصرية. وكان بونابرت اول من اتبع سياسة التفاهم مع شريف مكة، ووجد منو* أن يحذو حذوه على أمل أن يؤدي هذا التفاهم مع الشريف على الاقل الى ابعاد السفن الانجليزية عن البحر الاحمر، والى منع الانجليز من تأسيس مراكز جديدة لهم في جدة. واعتقد الفرنسيون ان في وسعهم التأثير على الشريف حتى يعلن استقلاله وينفصل عن الباب العالي اذا هم افلحوا في اثارة مخاوفه وشكوكه من ناحية الانجليز والعثمانيين معا، فضلا عن ان الشريف في هذه الحالة سوف لا يحجم عن اغلاق ( مخا ) في وجه الانجليز كذلك واعتقد منو ان مساعيه سوف تكلل بالنجاح في هذه الناحية لان الشريف اظهر في السنتين الماضيتين ميولا ظاهرة نحو الفرنسيين، فقد رفض ان يمد الانجليز بالرجال أو السفن، كما انه

---

* بعد مغادرة نابليون لمصر تسلم كليبر القيادة الفرنسية بها، الا ان كليبر مالبث ان اغتيل فخلفه في القيادة منو، والذي عرف (بعبدالله جاك منو)

(٨) أحمد السباعي: تاريخ مكة (دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران) ص١٢٦ - ١٢٨.

نهل في اكتوبر سنة ١٨٠٠ ان يدع بريد منو يمر الى جزيرتي ايل دي فرانـــس وريئيون الفرنسيتين ، وفي ٣٠ نوفمبر عام ١٨٠٠ كتب منو الى شريف مكة يقول له : بان بونابرت قد كلفه بان يعمل على تجديد معاهدات الود والصداقة مع الشريف وان يتجهز لذلك هذه الفرصة حتى ينبئه بان جميع رعايا الشريف في وسعهم ان يحضروا الى السويس دون خوف أو وجل ، ويؤكد له ان التجار لن يدفعوا أيـــة أتاوات أو مغارم ، كما انه لن يقع لهم ما يزعجهم ، لان منو على حد قوله قـــد الغى جميع ما كان يفرض على متاجرهم في الزمن الماضي ، مكتفيا بتحصيل ضريبة واحدة فحسب ، فلا يستطيع فرنسي ان يحصل على بارة واحدة زيادة على الضريبة المقررة فاذا فعل كان نصيبه الموت فورا ودون امهال" وعزا منو هذا القرار الى ما يكنه من احترام وتقدير للشريف ، ثم استمر منو يقول : انه كان يعتزم ارســـال قافلة الحج الى مكة المكرمة في هذا العام وارسال الكسوة الى الكعبة الشريفة ، لولا ان ظروف الحرب القائمة جعلت ارسال ذلك متعذرا ، ووعد بالعمل علـــى تحقيق هذه الرغبة في العام القادم . وقد افلحت ولا شك هذه الخطة الحكيمة ، فجاءت السفن من جدة وينبع الى السويس في شهري نوفمبر وديسمبر محملـــة بالانسجة القطنية والشيلان الصوفية والحرائر والبن والجدير بالملاحظة هو ان الشريف غالب مع موافقته على انشاء العلاقات التجارية مع الفرنسيين ، ظل مهتما في الوقت نفسه باجراء الاستعدادات العسكرية في جدة وينبع ، ترقبا لما عساه ان يطرأ من حوادث في المستقبل . (٩)

وبعد جلاء القوات الفرنسية عن مصر ، ظل نابليون يخطط لغزو الهنـــد والقضاء على المصالح البريطانية بها وكان من خططه الاتصال بزعماء البلاد التي ستمر بها قواته ويقول المؤرخ الفرنسي سيديو بان نابليون اوفد سنـــة ١٨٠٤م

---

(٩) الدكتور محمد فؤاد شكري : مرجع سبق ذكره ص ص ٢٥٥-٢٥٦ .

السيد ليسكاريس الى جزيرة العرب والعراق وسوريا بقصد الاتفاق مع امرائهـــا وشيوخها على تسهيل مرور جيش كان يعد لاكتساح الهند . والتقارير التي رفعها هذا المندوب الى الامبراطور الفرنسي اشارت الى ان البدو عمومـــا (ماعدا قبيلة عنزه) كانوا يكرهون تركيا ، وتتوق نفوسهم للتحرر من ربقة سلطتها(١٠) وذكر القنصل البريطاني في حلب في خطابه للسفير البريطاني في الاستانـــة بتاريخ ١ مايو ١٨٦٠ بان نابليون الأول استخدم شخصا يدعى لاسكـــارس دي فينتميل Lascaris de Vintimille عام ١٨٠٩ ليقوم بتكوين اتحـــاد كنفدرالي بين القبائل العربية بهدف تيسير تحقيق مخططاته بشأن الهنـــد البريطانية وان لاسكارس هذا قضى ثلاث سنوات في الصحراء ، ولكنه توفي في عام ١٨١٢ في القاهرة قبل ان يحمل نتائج مهمته الى الحكومة الفرنسية ، وان مستر "سولت Mr. Salt القنصل العام لبريطانيا في مصر آنذاك قد استولى على اوراق مسيو لاسكارس(١١) ولا ندري ما اذا كان مسيو لاسكارس قد وصل الى الحجاز او شبه الجزيرة العربية عموما ؟ فان ذلك لم يكن واضحا تماما حتى الآن ، كما انه لــم يكن واضحا ما اذا كان هذا هو نفس الشخص الذي بعثه نابليون الى الجزيـــرة العربية عام ١٨٠٤ ام لا ؟

يضاف الى ذلك قصة الحاج علي بك العباسي الذي وصل الى مكة سنـــة ١٨٠٧ م تصحبه حاشية كبيرة من الخدم ، ولم يدر في خلد احد من العـــرب ان يشك في أمر هذا الحاج المسلم الشريف النسب ، الواسع المعرفة والـــذي يتقن التكلم بعدة لغات أوروبية منها الفرنسية والايطالية والاسبانية ، كان ذلك

---

(١٠) محمد جميل بيهم : العرب والترك في الصراع بين الشرق والغرب ، ص ١٤٤ ؛ وانظر ايضا سيديو : خلاصة تاريخ العرب تعريب محمد احمد عبد الرزاق ) ص ٢٨٢-٢٨٣ .

(١١) الوثائق البريطانية : رسالة القنصل البريطاني في حلب رقم ٢٩٣ وتاريخ (مايو ١٨٦٠ . F.O. 78 - 1538.

المرسى الشريف في الحقيقة الرحالة الاسبانية دومنغو باديا اى ليلينج الذى غادر قادس في عام ١٨٠٣ بعد ان اجرى محادثات مع مختلف الشخصيات البارزة في باريس، اعتقد البعض ان على بك، كان في الحقيقة جاسوسا اسبانيا لنابليون، ومن المحتمل ان يكون الامبراطور قد رغب في ان يعلم شيئا عن موقف مسلمي الشرق الأدنى، وقيل انه كان احد موظفي امارة البحر الفرنسية، ارسل الى البحر الاحمر لتدوين ملاحظات فلكية، وفي عام ١٨١٨ غادر دمشق في طريقه الى مكة ولكن المنية فاجأته وهو على بعد مائة وعشرين ميلا من دمشق ويقال في سبب وفاته ان احد العملاء الانجليز قام بتسميمه ظنا منه انه جاسوس فرنسي . وهذا ما بقى سرا من الاسرار حتى الان (١٢) .

والحقيقة الهامة هي ان حملة بونابرت على مصر برهنت للغرب عن الاهمية السياسية لبلدان الشرق الأدنى، وان الجزيرة العربية لم تعد جزءا عديم الاهمية على رقعة الشطرنج في عالم السياسة (١٣) .

ولعل من آثار الحملة الفرنسية على مصر، انها دفعت انجلترا للاسراع في تدعيم وجودها في الحجاز، فنجدها تسارع في تأسيس قنصلية لها في جدة وافتتحتها عام ١٨٠١م اى في نفس السنة التي جلت فيها قوات الحملة الفرنسية عن مصر، وبذلك رفرف العلم البريطاني لاول مرة في تاريخ التمثيل السياسي الاجنبي في الحجاز (١٤) .

---

(١٢) جاكلين بيرين : اكتشاف جزيرة العرب ص١٨٤-١٨٦ .
(١٣) جاكلين بيرين : نفس المرجع ص١٨١ .
(١٤) احمد السباعي : مرجع سبق ذكره ص٥٣٢ وقد نقل هذه المعلومة عن كتاب (المخطوطة) افادة الانام للشيخ عبد الله غازى .

## ٣ ـ حملة محمد علي باشا على الحجاز ودورها في الصراع الانجليزي الفرنسي

### أ ) الحجاز قبل وصول قوات محمد علي :

كانت الدولة السعودية الأولى قد تمكنت من فتح الطائف ومكة المكرمة والمدينة المنورة وغيرها من مدن الحجاز عام ١٨٠٣م فهال الدولة العثمانية هذا النجاح العسكري الذي حققه آل سعود ، وما اعلنه الأمير سعود بن عبد العزيز من زوال السيادة العثمانية عن الحجاز ، وخشيت الدولة العثمانية ان تفقد زعامتها على العالم الاسلامي ، فبادرت الى الاستعانة بوالي مصر محمد علي باشا للقيام بمهمة استرجاع الحجاز للسلطة العثمانية ، ومن ثم القضاء على الحركة السلفية في نجد ، وهي المهمة التي فشل فيها كل من والي بغداد ووالي دمشق .

### ب) وصول قوات محمد علي لحجاز :

قبل محمد علي القيام بمهمة استعادة الحجاز من ايدي السعود بعد تردد وتسويف ، اذ لم يكن محمد علي متحمسا بادئ الأمر لذلك ، حيث كان متخوفا من سوء مقاصد الدولة العثمانية تجاهه (١٥) ووصلت قوات محمد علي بقيادة ابنه احمد طوسون عام ١٨١١ ، ودخلت قواته المدينة المنورة في نوفمبر من عام ١٨١٢م ، ثم تمكنت بعد ذلك من اجلاء السعود عن جدة ومكة في العام التالي (١٦) . ومن ثم خضع الحجاز كله لسلطة محمد علي ، واصبح شريف مكة من موظفي محمد علي في الحجاز (١٧) وكان محمد علي باشا قد عين الشريف يحيى بن سرور على شرافة مكة ، وقد عزله احمد يكن باشا حاكم الحجاز

---

(١٥) عبد الرحمن الرافعي بك : عصر محمد علي ص١٢٥ .

(١٦) احمد عسة : معجزة فوق الرمال ص٢٧ .

(١٧) صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية ج١ ص١٢٨ .

من قبل محمد على وعين بدله الشريف عبد المطلب بن غالب ، الا ان محمد على باشا لم يوافق على تعيينه ، فعين بدله الشريف محمد بن عبد المعين بن عوف الذى كان بمصر ، واصبحت شرافة مكة منذ ان تسلمها محمد بن عون العوبة فى يد عزيز مصر(١٨) واستمر الوضع على ذلك حتى خروج القوات المصرية من شبه الجزيرة العربية .

جـ) آثار حملة محمد على باشا على الحجاز

لقد كان لحملة محمد على باشا على الحجاز آثار هامة قد يكون من ابرزها انه اسهم فى تقريب شبه الجزيرة العربية بصفة عامة والحجاز بصفة خاصة للمعرفة الأوروبية ، بل وادخلها ايضا فى اطار السياسات الاوروبية (١٩) .

وكان جيش محمد على قد ضم عددا من الأوروبيين ، وبرز منهم طوسون كيث من فرقة " الهايلند ثانية والسبعين فاصبح اغا للمماليك ، وشغل لبعض الوقت عام ١٨١٥ اغرب منصب يمكن ان يشغله رجل غير مسلم ، وهو منصب حاكم المدينة المنورة ، وكما كان اتكنيز الانجليزى مسئولا عن المدفعية (٢٠) .

وبعد ان انتهى ابراهيم باشا من تدمير الدرعية فى اليوم التاسع من شهر سبتمبر عام ١٨١٨ ، توغلت قواته تجاه الخليج العربى واطلت على شواطئه كما سبق لها ان اطلت على الشواطئ الغربية للجزيرة العربية الامر الذى اعتبرته بريطانيا يشكل خطرا كبيرا على مصالحها التقليدية فى المنطقة ، فى الوقت الذى كان فيه محمد على يبدى عدم رغبته فى الاصطدام بالانجليز ، واعلن انه لم يبغ من توسعه فى شبه الجزيرة العربية وسواحل الخليج العربى اكثر من

---

(١٨) انيس صايغ : الهاشميون والثورة العربية الكبرى ص٣٣-٣٤ .
(١٩) الدكتور محمد امين : مرجع سبق ذكره ص٢٢١ .
(٢٠) جاكلين بيرين : مرجع سبق ذكره ص٢٣٢-٢٣٥ ، وكذلك احمد عسه : مرجع سبق ذكره ص٢٦٥ .

اخضاع السعود بين وحماية الحرمين الشريفين ، كما اعلن عن استعداده لتقديم كافة الضمانات لتيسير الاتصال بين مصر والهند (٢١) ولم يكن من السهل ان تسلم بريطانيا بذلك اذ ان بالمرستون Palmerston لم يكن ليرضى عن قيام دولة قوية في ذلك الجزء من الأرض تستطيع ان تتحكم في الطريق البري الى الهند وتهدد مصالح انجلترا في تلك البلاد .(٢٢) كما ان العداء والصراع بين الانجليز والفرنسيين قد انعكس على موقف بريطانيا من محمد علي . فقد اعتقد البريطانيون ان محمد علي ماهو الا منفذ للسياسة الفرنسية المنافسة للنفوذ البريطاني في الشرق ، وقد بنوا اعتقادهم الخاطئ هذا على اساس ان عددا من الضباط ورجال البحرية الذين استخدمهم في جيوشه كانوا فرنسيين . وقد بلغ هذا الاعتقاد مبلغه عند بعض الكتاب الانجليز، حتى انهم اشاروا الى ان انتصارات محمد علي في شبه الجزيرة العربية ماهي الا تنفيذ للاطماع التي كان يحلم بها بونابرت لتكوين امبراطورية فرنسية في الشرق . والحقيقة ان محمد علي كان يلقى تأييدا وعطفا من قبل الفرنسيين ، كما انه كان يعتمد في تنفيذ بعض مشروعاته الاقتصادية عليهم ، واستخدم بعضهم في جيشه ، غير انه لم يكن منفذا للسياسة الفرنسية في عدائها للبريطانيين ، بل كانت له طموحاته وآماله العريضة الخاصة به (٢٣) .

وقد احدث تمكن محمد علي من السيطرة على شبه الجزيرة العربية صداما مروعا بينه وبين المصالح البريطانية في الشرق خاصة وان محمد علي اصبح المسيطر على البحر الاحمر من ناحية الغرب والخليج العربي من ناحية الشرق ، فصار بذلك متحكما في اهم طريقين للمواصلات البريطانية الى الهند

---

(٢١) الدكتور جاد طه : سياسة بريطانيا في جنوب اليمن ص ٦١-٦٢ .
(٢٢) حسين فوزي النجار : مرجع سبق ذكره ص ٦٩ .
(٢٣) الدكتور فاروق عثمان اباظه : عدن والسياسة البريطانية في البحر الاحمر ص ٩٥ .

بلاد الشرق بوجه عام .

٤ - الوضع في الحجاز قبل افتتاح قناة السويس للملاحة الدولية :

أ ) الوضع قبل عام ١٨٥٨م

في عام ١٨٤٠ وقبل ان يسحب محمد على باشا قواته من الحجاز كانت القنصلية الفرنسية بجدة قد اعدت تقريرا مطولا عن التجارة في شبه الجزيرة العربية كطلب الحكومة الفرنسية . وقد ابرز هذا التقرير عدة نقاط هامة نورد منها الاتي :-

١ - ان تجارة السويس ليست الا جزءا من تجارة جدة اذ ان السويس يمكن ان توصف بمخزن لتجارة جدة ومصر . ومن يدعون بتجار السويس في الواقع ما هم الا قائمون بالاعمال لتجار القاهرة وجدة ، وكثيرون من هؤلاء يملكون رأس مال يتكون من مائة او ثلاثمائة الف تلاري* ، وبسبب نطاق اعمالهم الواسعة يوضعون في اول القائمة بين التجار المسلمين ، ومعظم تجار جدة من اصل حضرمي ( سكان جنوب الجزيرة العربية ) ومن الهند ، ويمتاز اهل حضرموت بين جميع المسلمين بالاستقامة والذكاء ، وان ما يتصفون به من تعصب راجع الى ندرة زيارات المسيحين لهم .

٢ - ان مدينة جدة لا تضاهيها اى مدينة اخرى في الحجاز بادارة حكومية محلية ، او بتجارتها المالية المتميزة بالنظام .

٣ - يوجد في جدة اكثر من اثنى عشرة مؤسسة تبلغ ثروتها من اربعين الى خمسين الف جنيه استرليني ومن هذه المؤسسات شركة السفر الى جزيرة العرب Tavels on Arabia .

---

* عملة نمساوية .

٤ - ان كل اقتصاد البلد يؤسس على تجارة العبيد ، الا ان الرق هنــــا لا يمكن ان يكون مشابها لما هو عليه في امريكا ، لان معظم مفاتيح خزائن الاموال في جدة بايدي هؤلاء العبيد . وان الرق هنا اكثر تأصلا فــي العادات ، كما انه لا يوجد بلد في العالم يعيش فيه العبيد في سعادة وهناء كهذا البلد .

ويترك القنصل الفرنسي الجانب التجاري والاقتصادي في التقرير ليحدث حكومته عن الجانب السياسي في المنطقة فيقول : بانه بعد زيارته للسويس اقتنع بان محمد على باشا يرسل كل سنة الى جزيرة العرب مالا يقل عن ستين الــف كيس من النقود علاوة على المصروفات التي تتطلبها قوة مكونة من ثلاثين الــف جندي ، ذخيرة وعتاد وسلاح ومؤن . وستون الف كيس تمثل اكثر من سبعـــة ملايين وخمسمائة الف فرنك ، واذا اضفنا الى هذه النفقات ايرادات الجمارك في الحجاز واليمن فاننا نصل بالمبلغ الى عشرة ملايين فرنك سنويا كل ذلـــك بخلاف مصاريف الذخيرة والتموين والشاي (٢٤) .

وحينما قرر محمد على باشا سحب قواته من شبه الجزيرة العربية سلـــم مقاليد الحكم في مكة للشريف محمد بن عون ، وغادر الحاكم العام للحجـــاز احمد باشا يكن ، واخذت القوات النظامية المصرية في مغادرة الحجاز الى مصر ، وبعد وأن المسئولين في مصر كانوا يخشون من تعرض القوات المنسحبة لنشـاط معاد من قبل الانجليز ، ولذلك فان التعليمات التي صدرت الى السفن المصرية ( وعددها ست سفن وهي تشكل اسطولا بحريا نصف عسكري ونصف تجـاري ) تقضي بعدم المخاطرة بالتوغل في عرض البحر الاحمر وان تبقى في الموانئ حيث

---

(٢٤) وثائق الخارجية الفرنسية : رسالة القنصل الفرنسي بجدة رقم (ف بتاريخ ٢٩ مايو عام ١٨٤٠ م .
Ref. A.E. 445, Vol. I.

توجد ، على ان يتم نقل القوات الى مصر على سفن عربية يمكنها السير بمحاذاة الساحل ، وفي حالة الخطر يمكنها ان تنزل الجنود الى البر في شبه الجزيرة العربية حيث يمكن لتلك القوات مواصلة رحلتها الى مصر بالطريق البري .

واخذت احداث مصر وموقف الدول الكبرى من محمد علي باشا تلقي بظلالها على الحجاز ، الذي اصبح يتأثر كثيرا بالموقف الدولي . فحينما تأزم الموقف بين بريطانيا ومحمد علي وبعثت بريطانيا باسطولها الى الاسكندرية فان التساؤلات في الحجاز كانت تدور حول آثار الوجود البريطاني العسكري بالقرب من مصر على الحجاز والحركة التجارية فيه وعما اذا كانت جدة ستستقبل سفنا انجليزية ام لا ؟ . حيث ان الحجاز لا يستطيع الاستغناء عن ارز الهند .

وكانت فرنسا آنذاك تعتقد بان الانجليز لا يعطون الحجاز اهمية خاصة في مخططاتهم السياسية ، الا انها كانت قلقة بالنسبة للسويس والقصير ، نظرا لعدم وجود قوات كافية بها لحمايتها ، ولذلك فقد كان القنصل الفرنسي بجدة يحث حكومته بتاريخ ٢٠ اكتوبر عام ١٨٤٠ م بسرعة ارسال ضباط من الهند سنة العسكرية الفرنسية الى هذين المركزين الهامين على البحر الاحمر حتى لا يحتلهما الانجليز . بل ان فرنسا كانت تقوم بمراقبة تحركات الانجليز من الهند الى البحر الاحمر ، وتتلقى التقارير عن ذلك من قنصلها بجدة وسفيرها في الاستانة (٢٥) .

اما بريطانيا فقد كانت تراقب مصالحها في الحجاز ورعاياها من قاعدتها في عدن ، الا انها مالبثت ان نقلت هذه المراقبة والرعاية الى داخل الحجاز ، اذ قامت شركة الهند الشرقية البريطانية بتعيين "السيد اوجلفي" Ogilvi قنصلا

---

(٢٥) وثائق الخارجية الفرنسية : رسالة القنصل الفرنسي بجدة الى وزير الخارجية بتاريخ ٢٠ أكتوبر عام ١٨٤٠ رقم ٤ ج ١
Ref. A.E. 445, Vol. I.

بريطانيا في جدة والذى اصبح مسئولا امام القنصل العام البريطاني في الاستانة واصبحت مصالح البريطانيين في المنطقة متروكة" لاجولفي" ليديرها بامكانياته وذكائه ، واصطدم اوجلفي في سنة ١٨٤٩ بحكومة جدة العثمانية ، التي كان حاكمها يقضي معظم وقته في مكة تاركا جدة في يد احد اتباعه الذى لم يكن يخضع لاية رقابة ، ومن أهم المشاكل التي كان عليه ان يجد حلا لها ، هي تلك الزيادة الملحوظة في نسبة الضرائب التي كان يفرضها العثمانيون في جدة على البضائع الانجليزية (٢٦) .

واخذ القنصل البريطاني بجدة السيد اوجلفي يمكن للنفوذ البريطاني في الحجاز ، ولما وجد ان الشريف محمد بن عون شريف مكة والذى سبق ان عينه محمد علي باشا ، لا يساعد على التمكين لتلك السياسة ، عمل على بعث التقارير عن هذا الشريف الى حكومته متهما اياه بالوقوف امام المصالح البريطانية ، فبادر وزير الخارجية البريطانية بالمرستون Palmerston الى اصدار تعليماته الى السفير البريطاني لدى الباب العالي "كاننج Stratford Canning لكى يخبر الباب العالي بانه اذا لم يكن قادرا على احقاق الحق بالنسبة للرعايا البريطانيين في جدة ، فان بريطانيا تعرف كيف تفعل ذلك حفاظا على مصالحها ومصالح وممتلكات رعاياها (٢٧) .

وامام هذا التهديد البريطاني بادر السلطان العثماني الى اصدار أمره بنقل الشريف محمد بن عون وولديه عبد الله وعلي من مكة الى الاستانة عام ١٨٥١م وعينت بدله منافسه الشريف عبد المطلب (٢٨) .

---

(٢٦) Marston, T.E.: op. cit., pp. 157-158.

(٢٧) Marston, T.E.: Ibid, p. 158.

(٢٨) انيس صايغ : مرجع سبق ذكره ص ٢٤ .

وقد كان عزل الشريف محمد بن عون لطمة قوية للسياسة الفرنسيـــة فـي الحجاز ، ولذلك فان القنصل الفرنسي بعث الى حكومته مذكرا اياها بمواقـــف هذا الشريف الطيبة تجاه فرنسا وان هذا الشريف هو الذى اصدر تعليماتـه بتحية العلم الفرنسي في مصوع ، وهو شرف او تكريم لم يحظ به اى علم أوروبى من قبل في منطقة البحر الاحمر كلها ، وانه لمن الوفاء ان تعمل فرنسا علـــى بسط حمايتها ومساعدتها له [٢٩] . وبذلت فرنسا كل جهدها لدى البـــاب العالي في هذا الصدد حتى تكللت جهودها بالنجاح ، واعيد الشريف محمد بن عون ثانية الى شرافة مكة والتى ظل بها حتى وفاته عام ١٨٥٨م [٣٠] .

واخذت فرنسا تعمل هى الاخرى على التمكين لنفوذها في الحجـــاز وتوسيعه فنجدها تطلب من قنصلها بجدة السيد فلورى Flory استغـــلال استقبال الحاكم العام للحجاز له من أجل مصلحة فرنسا [٣١] .

ب) محاولة فرنسا فتح قنصلية لها بمكة المكرمة - ونجح - :

وتمشيا مع السياسة الفرنسية الهادفة الى تدعيم نفوذها في الحجـــاز ، بعث القنصل الفرنسي السيد فلورى بتقرير الى حكومته عن اهمية تأسيس فـــرع للقنصلية الفرنسية بمكة المكرمة لتتولى رعاية المصالح الفرنسية والحجاج الجزائريين ولتكون على مقربة من رئاسة الحجاز (اى شريف مكة ) ، الا ان السفير الفرنسي في الآستانة كان يعارض هذه الفكرة ويقف امام تحقيقها ، وحينما تولى السيد فريسنل عمله كقنصل جديد لفرنسا بجدة بادر هو الاخر الى تأييد زميلـه السابق فلورى في طلب الموافقة على افتتاح القنصلية بمكة ، وهاجم بشدة معارضة

---

(٢٩) وثائق الخارجية الفرنسية : رسالة القنصل الفرنسي بجدة بتاريخ ٣٠ نوفمبر ١٨٤١م رقم ٢١ .
Ref. A.E. 445, Vol. I.

(٣٠) انيس صايغ : مرجع سبق ذكره ص ٢٤ .

(٣١) وثائق الخارجية الفرنسية : رسالة وزير الخارجية الفرنسي الى السفير فلورى بجدة بتاريخ ٢٤ ابريل ١٨٤٦م رقم ٣ف
Ref. A.E. 445, Vol. I.

السفير الفرنسي في الأستانة، واوضح فريسنل لوزير الخارجية الفرنسي بانـــه لن يتمكن من حماية الحجاج الجزائريين بدون وجود قنصل في المدينة المقدسة خاصة امام النظرية الدينية التي اعلنها شريف باشا الحاكم العام للحجـــاز، والتي تتلخص في ان كل حاج مسلم لا يخضع لقوانين بلاده اثناء اقامتــــه فـي الأرض المقدسة وانما خضوعه يكون للسلطات المحلية فقط وهي السلطـــة التـي انشأها السلطان بصفته خليفة المؤمنين . وقد رشح القنصل الفرنسي لمنصـب وكيل قنصل بمكة الشيخ توفيق والذي قال عنه بانه قد نال اعجاب وخوف كبـار القوم بطبعه المستقل (٣٢) .

وفي عام ١٨٦٢ طالب القنصل الفرنسي بجدة حكومته بالسماح له بفتـــح فرع للقنصلية الفرنسية في مدينة ينبع ( الميناء على البحر الاحمر) وذلك لمنـــع الظلم الذي يتعرض له الحجاج الجزائريين بها ويوضح القنصل مبررات طلبـــه هو انه قد تأكد بنفسه ان السلطات العثمانية في ميناء ينبع تتصرف دون خوف اوارادع من السلطة العليا في جدة، وتتصرف بما لا يتفق مع الحقوق المقررة لهم طبقا للمعاهدات والتنظيمات المعمول بها في جدة (٣٣) وقد تكون الرغبة فـــي فتح فرع للقنصلية بينبع هو لتوسيع مراقبة تحركات الانجليز في هذا الجزء مـن البحر الاحمر .

وكان الفرنسيون يبدون اهتماما بهذه التحركات، ولذلك فقد كـــــان قناصلهم يواصلون بعث التقارير المفصلة عن هذه التحركات، فنجد مثـــلا ان القنصل الفرنسي بجدة حينما لاحظ وجود تحرك للانجليز في الحجـــاز بادر بالكتابة الى حكومته موضحا بان اللفتنانت كولونيل ماري كورس Mari Corse

---

(٣٢) وثائق الخارجية الفرنسية : رسالة القنصل الفرنسي فريسنل بجدة بتاريخ ٢٣ يونيو عام ١٨٤٧ رقم ٥ ف Ref. A.E. 445, Vol. I.

(٣٣) وثائق الخارجية الفرنسية : رسالة القنصل الفرنسي فريسنل بجدة بتاريخ ٣٠ يونيو ١٨٦٢ رقم ١٢ ف. Ref. A.E. 445, Vol. I.

المساعد الحربي لاحمد باشا يكن ( ابن اخت محمد على باشا ووزير الحربيــــة للحكومة المصرية ، قد وصل الى جدة على السفينة الانجليزية التي قدمها القنصل العام لجلالة ملك بريطانيا في مصر السيد موراى Morray وذلك لابلاغ عباس باشا حفيد محمد على والذى كان يقيم بمدينة الطائف بالعودة الى مصر لتنصيبه واليا عليها (٣٤) .

جـ - مشروع اتحاد شبه الجزيرة العربية مع مصر :

تلقت الحكومة الفرنسية بعض التفاصيل عن مشروع الاتحاد بين شبــه الجزيرة العربية ومصر وذلك في عام ١٨٤٨م . وذكر بان هذا المشروع سبـق ان اتفق عليه وزير الحربية مع والى مصر قبل وفاة ابراهيم باشا . وانه في حالة قبـول المشروع ( من قبل السلطان العثماني ) فان مصر سوف تتكفل بمصروفات شبــه الجزيرة العربية ، نظرا لان هذا الاقليم غير منتج كما انه يكلف الخزينة السلطانية مبالغ كبيرة ، وستقوم مصر بخصم مصاريف شبه الجزيرة من اصل الستين الف كيس التي تدفعها مصر سنويا الى السلطان العثماني . وطبقا لتقديرات احمد باشا يكن فان شبه الجزيرة العربية سوف تلتهم نصف هذا المبلغ ( اى ثلاثون الــف كيس) .

وفي الواقع وطبقا لمجرى الامور فان سلطة الباب العالي في شبــه الجزيرة العربية اسمية ، وان شريف باشا الحاكم العام للحجاز ليس الا ظل لحاكم وأن الشريف محمد بن عون بالأحرى ابنه عبد الله هو الذى يحكم الحجــاز ، ويقوم بجمع الاموال ، ولا يدفع منها شيء لأي جهة ، وقد نجح الحاكم العام للحجاز في جعل الناس يعتقدون ان الشريف يلتهم كل شيء ، السلطــــة والاموال . وانه بعد وضع مشروع الاتحاد فسوف يكون شريف مكة خاضعـــا

---

(٣٤) وثائق الخارجية الفرنسية : رسالة القنصل الفرنسي فرسنل بجدة بتاريخ ١٧ نوفمبر ١٨٤٨ م رقم ٦ ف . Ref. A.E.: 445, Vol. I.

لسلطة مصر [٣٥] .
( انظر الوثيقة في ملحق الوثائق )

وفي عام ١٨٥٠ بعثت فرنسا بقنصل جديد لها الى جدة هو السيد أ. ميليزييه A. Melaysier وزودته بتعليمات مفادها ان يقوم بعمله في الحجاز دون اثارة متاعب وفي يسر وسهولة. وكان رد القنصل بعد وصوله الى جدة وتسلمه مهام عمله، بانه سوف ينفذ ما ترغب فيه حكومته ولكن دون تخاذل مع محافظته على قوة وكرامة البلد الذى شرفه بتمثيله بالقوة وبالكرامة التي يستحقها بلده لاكثر من سبب [٣٦] الا ان الحكومة الفرنسية وبعد ست سنوات اى في عام ١٨٥٦ عينت قنصلا جديدا آخر لها في جدة ب. لا فالي دى مونبرون B. Lavalitt de Monbrun والذى بعث لحكومته بوصف مسهب عن الاستقبال الحار الذى استقبل به في جدة، حيث اطلقت المدفعية احدى عشرة طلقة تحية له وانه قام بزيارة الحاكم العام للحجاز في اليوم الثاني لوصوله وقد رد الحاكم هذه الزيارة للقنصل، واوضح القنصل الفرنسي لحكومته بان الاتراك يعطون اهمية كبيرة للمراسم والتشريفات، وان الحاكم العام للحجاز كامل باشا ذكر له في عدة مناسبات بانه يعمل دائما على توطيد احسن العلاقات مع القنصلية الفرنسية، وان الحكومتين العثمانية والفرنسية حكومة واحدة تعمل لهدف واحد [٣٧] . ويبدو أن كامل باشا لم يكن على علاقات طيبة مع القنصل البريطاني بجدة وقد يكون ذلك راجعا الى كره خاص لهم ولميله الظاهر للفرنسيين ووضح ذلك من استقباله للقنصل الفرنسي بتلك الحفاوة الكبيرة ثم

---

(٣٥) وثائق الخارجية الفرنسية : رسالة القنصل الفرنسي بجدة فريسنل بتاريخ ٧ نوفمبر عام ١٨٤٨ م رقم ٦ ف ١ . Ref. A.E.: 445, Vol. I.

(٣٦) وثائق الخارجية الفرنسية : رسالة القنصل الفرنسي بجدة ميليزييه بتاريخ ١٥ يونيو عام ١٨٥٠ م رقم ٨ ف . Ref. A.E.: 445, Vol. I.

(٣٧) وثائق الخارجية الفرنسية : رسالة القنصل الفرنسي بجدة لا فالي دى مونبرو بتاريخ ١٠ مارس عام ١٨٥٦ رقم ٧ ف ٥ . Ref. A.E.: 445, Vol. I.

تصريحاته المتكررة عن رغبته في توطيد علاقات الصداقة بالقنصلية الفرنسية . ويدعم هذه النظرة ،عدم حضور الحاكم العام للحجاز كامل باشا الاحتفال الذي اقامته القنصلية البريطانية بمناسبة اعتلاء الاميرة فيكتوريا العرش البريطاني ،ولم يرفع العلم التركي على سبيل المجاملة للقنصل وفقا للتقاليد المتبعة، بالاضافة الى ان الاحتجاجات المتكررة التي كان يبعث بها اليه القنصل البريطاني لم تؤد الى نتيجة للبت في بعض القضايا التي كان قد عرضها القنصل البريطاني عليه .

وبناء على العلاقة السيئة بين الحاكم العام للحجاز كامل باشا وبين القنصل البريطاني بجدة السيد بيج Page أخذت تقارير هذا القنصل تميل الى المبالغة في نقل صورة من الاوضاع الداخلية السياسية وغيرها ،ومن ذلك انه حينما ابلغ حكومته عن الاحداث التي جرت في الحجاز عام ١٨٥٥ على اثر اعلان قاضي مكة الفرمان الصادر بمنع تجارة الرقيق في الحجاز، وعزل الشريف غالب من امارة مكة ، وبان المسيحيين في جدة يواجهون خطر الفتك بهم ، اسرعت الحكومة البريطانية باصدار تعليمات الى بعض قطع اسطولها الحربي للتوجه الى جدة لانقاذ ارواح البريطانيين والتدخل في الموقف في الوقت المناسب. ويقول القنصل البريطاني بجدة : ان ظهور السفينتين البريطانيتين "كوين والفنستون" Elphinstone في مياه جدة والحديدة هو الذي حفظ الحجاز وتهامة في ايدي العثمانيين (٣٨) وفي تقرير للقنصل البريطاني بجدة لحكومته يصف فيه الموقف العدائي لحاكم الحجاز من المصالح البريطانية ثم يقول : بانه لولا وجود البريطانيين في عدن (آنذاك) لاقدم الباشا على خطوات كبيرة وخطيرة ضد بريطانيا في الحجاز، وضد مصالحها الحيوية في منطقة البحر الاحمر (٣٩) .

---

(٣٨) I.O., B.S.C. 1856, Page to Bombay, 4-19-56.

(٣٩) Marston, T.E.: op. cit., pp. 261, 262.

ويبدو ان المساعي البريطانية لاستبدال الحاكم العام للحجاز قـد نجحت ، واستدعي كامل باشا الى الاستانة وعين بدله حاكما عاما للحجاز نامق باشا والذى وصل الى جدة فى شهر اكتوبر من عام ١٨٥٧م فاعاد القنصل البريطانى رفع العلم البريطانى على مبنى القنصلية بعد ان كان قد انزله احتجاجا على تصرفات ومواقف الحاكم العام السابق . وقد قام نامق باشا بالغاء الضرائب التى كان يشكو منها بيج Page .

ونتيجة لحرب القرم اصبح لقناصل بريطانيا وفرنسا نفوذ ومكانة كبيرة اثارت حسد الموظفين الاتراك الذين يكرهون القناصل لانهم كانوا يفضحون اختلاساتهم وسرقاتهم من الاهالى ، كما اثارت حسد اهالى الحجاز الذين يكرهون وجود هؤلاء الاجانب فى الاراضى المقدسة(٤٠) .

وعقب وفاة الشريف ابن عون ( شريف مكة ) فى ٢٨ مارس سنة ١٨٥٨م شهدت البلاد موجة من التمرد والثورة ، غير ان القنصل البريطانى بيج لم يقلق على المصالح البريطانية نظرا لوجود السفينة الحربية البريطانية سيكلوبس Cyclops على مقربة من شاطىء جدة كما ان علاقته بالحاكم العام الجديد كانت جيدة " .

٥ - مذبحة جدة عام ١٨٥٨م

فى مساء الخامس عشر من شهر يونيو عام ١٨٥٨م شهدت مدينة جدة حادثة قتل القنصل البريطانى فى جدة السيد بيج Page والسيد ايفيلارد Eveillard القنصل الفرنسي وزوجته وما يقارب العشرين شخصا غيرهم

(٤٠) Marston, T.E.: op. cit., pp. 263-264.

وقد اطلقت عليها بريطانيا اسم مذبحة المسيحيين بجدة *. وهنا نسود أن نسأل ، ما هي الحقيقة بالضبط ؟ ولماذا قام بعض سكان مدينة جدة بهذا العمل ضد المسيحيين ؟

تشير وثائق وزارة الخارجية البريطانية الى ان الدافع وراء هذه المذبحة هو الخلاف والنزاع الذى حدث بين ملاك السفينة "ايران" Eranee والتي كانت ترفع العلم البريطاني والمسجلة في سجلات القنصلية البريطانية بجدة ولحدوث خلاف بين مالكي السفينة رفع احدهما وهو السيد حسين ابراهيم حجو شكوى للقنصل البريطاني يتهم فيها شريكه في ملكية السفينة السيد سليمان سعيد بن حجر بمحاولة التلاعب في الحسابات الجارية بينهما ، وقيامه برفع العلم التركي على السفينة بطريقة غير شرعية رغبة منه في الاستحواذ عليها لنفسه ونظرا لانهما رعايا بريطانيين ، طلب تدخل القنصل لحفظ حقوقه القانونية .

وفي هذا الوقت اى في ٩ يونيوعام ١٨٥٨ كانت ترسو بالقرب من ميناء جدة السفينة الحربية البريطانية سيكلوبس Cyclops بقيادة الكابتن بولين Pullen ، فارسل له القنصل البريطاني السيد بيج Page باوراق الشكوى لتنفيذ ما يقضى به القانون البريطاني في مثل هذه الحالة. فشكل

---

* كل المراجع العربية المحلية منها وغير المحلية لم تذكر مثل هذه الحادثة الا في سطور قليلة موجزة لا تعطى التوضيح المطلوب ، ولما كان توضيح هذه الحادثة يعتبر استكمالا لتاريخ الحجاز ولمدينة جدة بالذات ، فقد وجدت لزاما على ان اعكف على دراسة الوثائق الخاصة بهذه الحادثة ، والتي يعود الفضل في حصولي عليها لسيادة الاستاذ الدكتورعبد العزيز نوار الذى تفضل باعارتي الميكروفلم المسجلة عليه هذه الوثائق والبالغ عددها اكثر من ثلاثمائة وتسع وتسعين وثيقة ، وسمح لي بطبعها منه ، كما كان لسيادته الفضل في مراجعة بعضها معي في مركز بحوث الشرق الاوسط بجامعة عين شمس بالقاهرة . ونظرا لان ذكر كل الوثائق هنا أمر فيه الكثير من الاطالة ، ولذلك فقد اخذت منها ما اعتبرته نقاطا اساسية لبناء الفكرة الكاملة عن هذا الموضوع .

الكابتن بولين لجنة من تاجرين يملكان عددا من السفن هما السيد بن فـــرج يسر، ومحمود محمد حسن الذين اقرا بان السفينة ايران معروفة لديهما بانهما ترفع العلم البريطاني وتأكد ذلك من اوراقها المسجلة في القنصلية البريطانيـة في جدة تحت رقم ٦٧٩-٣٠ وكذلك في كلكتا بالهند ، واتضح ان القانـــون والمتعارف عليه بانه في حالة تغير احدى السفن للعلم الذى ترفعه تكون عرضـة للحجز بواسطة القنصل . وعلى ذلك فقد طلب الكابتن بولين من القنصـــل البريطاني انزال العلم التركي الذى ترفعه السفينة بطريقة غير قانونيـة ،كما امر احد الضباط البريطانيين بالتوجه الى السفينة "ايران" والتحفظ عليها تمهيدا لارسالها الى نيابة محكمة القيادة البحرية لاصدار حكمها . (٤١)

وحينما شاهد السكان رجال البحرية البريطانية يقومون بانزال العلـــم التركي من على سارية السفينة "ايران Eranee ليرفع بدله العلم البريطاني ، هبوا للدفاع عن صاحب السفينة والاعلام العثمانية ، وفي الحال بعثت السلطات المحلية بقائد الشرطة عبد الله المحتسب الى القنصل البريطاني تطلب اليه التوقف عن أتمام مصادرة السفينة حتى لا تسوء الحال وينفجر غضب المواطنيـن في جدة . وتوجه جمع غفير من المواطنين بلغ عددهم حوالى ثمانمائة مواطن الى دار القنصلية البريطانية للاحتجاج على حجز السفينة وانزال الاعـــلام العثمانية من فوقها ، فخرج لهم القنصل بيج Page واخذ يؤنبهم بكلمات نابية ، مما زاد في اثارتهم ، فاندفعوا لرد أهانة القنصل لهم والذى اخـــذ يهددهم باطلاق النار عليهم ، وعلى اثر ذلك اندفعت تلك الجموع الغاضبـــة دون تفكير في نتائج ماسيحدث بعد ذلك ، وهاجموه بشدة وقوة (٤٢) ، وقتلـــوا

---

(٤١) وثائق وزارة الخارجية البريطانية : رسالة الكابتن بولين الى سكرتير القيادة البحرية رقم ١٢ وتاريخ ١٩ يونيو ١٨٥٨م F.O. 424-18.

(٤٢) وثائق وزارة الخارجية البريطانية : رسالة نامق باشا Namick P. الى الكابتن بولين برقم ١٢ مرفق ١٥ وتاريخ ٢٢ يونيو ١٨٥٨م F.O. 424-18.

القنصل بيج Page ثم القنصل الفرنسي ايفيلارد Eveillard وزوجته وما يقارب العشرين شخصا غيرهم ، ثم اندفع المهاجمون الى القنصليتين الانجليزية والفرنسية يدمرون كل ما فيهما .

وكانت السفينة البريطانية سيكلوبس Cyclops راسية على بعد ميلين من شاطئ جدة وفي اثناء ليلة ١٥ يونيو تمكن بعض اليونانيين من السباحة والوصول الى السفينة المذكورة واخبرا الكابتن بولين بما حدث في جدة خلال ذلك اليوم ، وفي اليوم التاسع عشر من يونيو غادرت السفينة البريطانية ميناء جدة متوجهة الى السويس وعلى ظهرها عدد من المسيحيين الذين تمكنوا من الهرب والنجاة ومن بينهم ابنة القنصل الفرنسي والمترجم الفرنسي . ولدى وصول السفينة الى السويس ابرقت السلطات البريطانية في مصر بانباء هذه الحادثة الى لندن [٤٣] وقبل ان نقف على رد الفعل لدى الحكومتين البريطانية والفرنسية فانه يجدر بنا ان نستعرض بايجاز الاراء المختلفة في الاسباب التي دفعت بهولاء الناس للقيام بهذه المذبحة الكبيرة في جدة .

## آراء حول اسباب هذه الحادثة

تعددت الآراء حول اسباب هذه الحادثة . فالبريطانيون يرجعونها الى تحريض سليلي بن حجر والشيخ عبد الغفار ورئيس الشرطة ، والشيخ علي ابراهيم القاضي وغيرهم ، للمواطنين لارتكاب تلك الحوادث ، كما ان وصول شيخ من دلهي ومعه ستون من اتباعه قبل اندلاع تلك الحادثة يوحي ان له علاقة ايضا بما حدث ، اما السلطات البريطانية في عدن فقد رأت بانها كانت ثورة شعبية دون ترتيب مسبق وأنها كانت رد فعل لانتقام القنصل البريطاني لرفع العلم

---

(٤٣) وثائق وزارة الخارجية البريطانية : رسالة من نائب القنصل البريطاني العام في الاسكندرية جرين Green رقم ١ بتاريخ ٦ يوليو ١٨٥٨م .

التركى على السفينة البريطانية ( ايران ) بدون تروء وكانت ايضا سبب الاجراءات التى اتخذها كابتن بولين Pullen بخصوص جنسية السفينة المتنازع عليها ، وان التفكير فى طرد المسيحيين من الأراضى المقدسة قد اصبح ومنذ وقت طويل موضوعا للمناقشة بين سكان جدة (٤٤) اما فرنسا فقد كانت ترى ان سبب ماحدث يرجع الى التنافس التجارى ، وانها كانت بمثابة تعبير السكان عن عدم رضائهم عن السيطرة التركية التى كانت تخضع للنفوذ الاوربى (٤٥) اما المسئولون الاتراك ، فانهم ارجعوا ماحدث كنتيجة لاهانة القنصل البريطانى لهم حيث ان المواطنين حينما توجهوا للقنصلية لم يكن فى نيتهم قتل احد من المسيحيين . (٤٦)

ردود الفعل البريطانية والفرنسية :

ما ان تلقت لندن انباء ماحدث فى جدة حتى اصدرت تعليماتها الى القيادة البحرية البريطانية بعودة السفينة الحربية البريطانية سيكلوبس Cyclops الى جدة لانزال العقاب فى القتلة ، وان يترك لقائدها حرية التصرف فى استخدام القوة لضمان الاستجابة لطلبه . وهنا يبدو ان المصائب والازمات قد تجمع بين الاعداء ، فبريطانيا امام ماحدث فى جدة تناست تنافسها وصراعها مع فرنسا ، وبعثت تبلغها بما حدث وتطلب منها الانضمام لها فى عمل حربى انتقامى ضد مدينة جدة وسكانها . واستجابت فرنسا للطلب البريطانى

---

(٤٤) الوثائق البريطانية : رسالة المندوب السياسى فى عدن كوجلان Coghlan مرفق ٥ من رقم ٨٨ الى حكومة الهند بتاريخ ١ يوليو ١٨٥٨ م

(٤٥) الوثائق البريطانية : من السفير البريطانى فى الاستانة Bulwer الى مالميسبورى Malmesbury رقم ٧٨ وتاريخ ٢٧ يوليو ١٨٥٨ م

(٤٦) الوثائق البريطانية : من كابتن بولين Pullen الى المندوب السامى بعدن مرفق ٢ من رقم ٨٨ وتاريخ ٢٢ يونيو ١٨٥٨ م .

وعزمت على ان تسير معها على هذا الطريق ، واخبر وزير الخارجية الفرنسية والوسكى Walewski السفير البريطاني في باريس اللورد كولى Cowley بان التعليمات ستصدر الى قائد اى سفينة حربية فرنسية تكون في البحر الاحمر للانضمام للسفينة الحربية البريطانية المتوجهة الى جدة (٤٧) .

وقامت الدولتان بريطانيا وفرنسا بالابراق الى سفيريهما في الاستانة لكي يطلبا من الباب العالي تقديم تفسير عما حدث في جدة . واحاطته بما صدر من تعليمات بتوجه السفينة الحربية البريطانية الى جدة لا تزال العقاب العاجل بقاتلي القنصلين الانجليزي والفرنسي بجدة (٤٨) .

ولكن الحكومة العثمانية اعلنت لكل من بريطانيا وفرنسا انها لم تسمع حتى يوم ١٣ يوليو عن هذا الحادث ( وكان قد مرعلى هذا الحادث قرابة الشهر ) ، وانها تشك في صحة المعلومات التي وصلت للدولتين في هذا الصدد ، وان الدولة العثمانية تعبر عن اسفها العميق لما حدث في جدة ان صح ذلك . كما انها ستكون مستعدة لتقديم كل تفسير ممكن اذا تأكدت من صحة ماحدث (٤٩) .

الا ان الحكومة البريطانية بتاريخ ١٥ يوليو ١٨٥٨م اى بعد يومين من الاعلان الذى اصدرته الحكومة العثمانية عادت لتؤكد على سفيرها في الاستانة بعدم الاستهانة بالحالة في جدة ، وان التحالف البريطاني مع الباب العالي

---

(٤٧) الوثائق البريطانية : من السفير البريطاني في باريس الى اللورد مالسبوري رقم ٧ وتاريخ ١٣ يوليو ١٨٥٨م . F.O. 424-18.

(٤٨) الوثائق البريطانية : برقية من مالسبوري وزير الخارجية البريطاني الى السفير في الاستانة بولور Bulwer رقم ٢ وتاريخ ١١ يوليو ١٨٥٨م .

(٤٩) الوثائق البريطانية : رسالة السفير البريطاني في الاستانة الى وزير الخارجية البريطاني مالسبوري رقم ٨ وتاريخ ١٣ يوليو ١٨٥٨م

كان يجب ان يؤدى الى حماية المكانة المسيحية والبريطانية فى هذه المناطق .
ومن ثم اخذت الحكومة البريطانية تزيد من ضغطها على الحكومة العثمانية لكى تقوم باجراء عاجل باعدام من يثبت ادانتهم من المشتركين فى حوادث مذبحة جدة ، واوضحت بريطانيا انها لن تقبل بالاجراءات الروتينية المطولة التى تتميز بها الادارة العثمانية وهددت بريطانيا بانها ستحتل مدينة جدة بالقوة العسكرية ان لم تستطع الدولة العثمانية معاقبة المذنبين وبأقصى سرعة ، ولذلك فان بريطانيا قد اصدرت تعليماتها الى ثلاث سفن حربية مع جنودها بالتوجه الى جدة (٥٠) وكان السفير البريطانى فى باريس الماركيز كولى Cowley قد ابلغ فؤاد باشا السفير العثمانى فى باريس بانه اذا لم تظهر الحكومة العثمانية تصميما ونشاطا فى الأخذ بالثأر من قتلة المسيحيين بجدة ، فلن تكون هناك مصالح سياسية تغرى الحكومة البريطانية لاقامة اى علاقات ودية مع الحكومة العثمانية (٥١) .

وفى ١٨ يوليو ١٨٥٨م اقترح وزير الخارجية الفرنسى الكونت والوسكى Count Walweski على الحكومة البريطانية بوضع مدينة جدة تحت الاشراف الفرنسى البريطانى المشترك وذلك لضمان الحصول على تعويض العائلات ضحايا مذبحة الخامس عشر من يونيه ١٨٥٨ ، ووجوب اعدام القتلة ، وان ينزل بمدينة جدة عقاب يكون بمثابة تحذير ، كما احاطت الحكومة الفرنسية بريطانيا بان الامبراطور الفرنسى قد أمر بعض السفن الحربية الفرنسية بالتوجه الى البحر الاحمر للانضمام الى السفن الانجليزية فيه ، الا ان ذلك سيستغرق بعض الوقت (٥٢) .

---

(٥٠) الوثائق البريطانية : رسالة مالسبورى الى السير بولور السفير فى الاستانة رقم ١٥ وتاريخ ١٥ يوليو ١٨٥٨م . F.O. 424-18.

(٥١) الوثائق البريطانية : رسالة السفير البريطانى فى باريس الى وزير الخارجية البريطانى رقم ٨١ وتاريخ ١٦ يوليو ١٨٥٨م . F.O. 424-18.

(٥٢) الوثائق البريطانية : من السفير كولى بباريس الى وزير الخارجية البريطانى مالسبورى رقم ٣١ وتاريخ ١٨ يوليو ١٨٥٨م . F.O. 424-18.

وتجاه هذه التهديدات الانجليزية الفرنسية سارعت الحكومة العثمانية بابلاغ بريطانيا قلقها الشديد حيال التحركات العسكرية للدولتين العظيمتين وطالبت ان تصدر التعليمات الى قائد الاسطول البريطاني في البحر الاحمر بان لا يتقدم الى جدة، وان لا يقوم باي اجراء عدائي ضدها وذلك حتى يصل مندوب الباب العالي اسماعيل باشا ومعه القوات العثمانية [٥٣] وكان السلطان العثماني قد اصدر أمره الى اسماعيل باشا بالتحقيق العاجل في الوضع والبت الفوري في الامور المتعلقة بالمذنبين ومنحه صلاحية تنفيذ الحكم بالاعدام فيمن تثبت ادانته، وان عليه ان يخطر السلطات الانجليزية والفرنسية بكل مجريات التحقيق في جدة، والقيام بانزال العلم التركي من على السفينة ابان موضع النزاع، ولا يرفع عليها علم حتى يبت في امرها مستقبلا. كما اصدر السلطان العثماني امره بتخصيص مبلغ مليون قرش لتوزع على المتضررين في جدة. وصرف الف فرنك كمعاش شهري لابنة القنصل الفرنسي المقتول مدى الحياة. ونفس الشيء بالنسبة لورثة القنصل البريطاني ان وجدوا [٥٤].

وكان السفير البريطاني في الاستانة السير بولور Bulwer قد ابلغ حكومته بتاريخ ١٧ يوليو ١٨٥٨ بان سكرتير السلطان العثماني قد استدعاه صباحا وابلغه ان السلطان لا يزال يعاني من الصدمة التي سببتها له اخبار مذبحة جدة وانه يؤكد للحكومة البريطانية تصميمه على عمل كل شيء لارضاء الحكومة البريطانية، كما ان الصدر الاعظم اكد له هو الاخر بان حكومته ستبذل كل جهدها لتحقيق رغبات الحكومة البريطانية، وان من قاموا بتلك

---

(٥٣) الوثائق البريطانية: رسالة السفير البريطاني في الاستانة الى وزير الخارجية البريطاني مالمسبوري رقم ٣٦ وتاريخ ٢٠ يوليو ١٨٥٨م.

(٥٤) الوثائق البريطانية: رسالة السفير البريطاني في الاستانة الى الخارجية البريطانية رقم ٣٩ وتاريخ ٢١ يوليو ١٨٥٨م F.O. 424-18.

المذبحة هم رعاع الناس وان اهل جدة قد استنكروا بكل قوة ماحدث(٥٥) .

وكان السفيران البريطاني السير بلور Bulwer والسفير الفرنسي مسيوتوفنيل Thouvenel يعملان سويا في هذا الصدد ، وان مطالبهما التي تقدما بها الى الباب العالي كانت متطابقة(٥٦) . وكانت بريطانيا تخشى ان تعمل فرنسا منفردة لمعالجة موضوع المذبحة ، ولذلك كانت تؤكد على سفيرها في الاستانة من اجل العمل مع السفير الفرنسي بها ، وقد اشعر السفير البريطاني حكومته بانه اتفق والسفير الفرنسي مسيوتوفنيل Thouvenel للعمل بوفاق بقدر المستطاع في كل الأمور التي تبدو مصالح بلديهما فيها متماثلة او متطابقة(٥٧) .

وقد اشرنا سابقا الى ان الحكومة البريطانية قد اصدرت تعليماتها الى ثلاث سفن حربية بريطانية بجنودها بالتوجه الى جدة ، ولكن في نفس الوقت كانت المناقشات تدور حول الخطط الموضوعة للتدخل العسكري في مدينة جدة كما تم دراسة التقارير الواردة من العاصمة العثمانية والتي كانت تشير الى ان السلطات العثمانية لن تتردد في اعدام المذنبين وباي عدد ، وان طلب بريطانيا من السلطات المحلية ان تقوم بالاعدام وهي لا تملك سلطة القيام بذلك سيجعل الأمور تتعقد اكثر واكثر ، وتوصلت الحكومة البريطانية الى رأي محدد وهو انه يجب معاقبة المذنبين عن طريق قوات السلطان العثماني ، وان لا تظهر القوات البريطانية الا خلف القوات التركية ، اي ان يكون وصول القوات البريطانية الى جدة بعد وصول القوات التركية مباشرة حتى يكون ما تم قد تم باسم

(٥٥) الوثائق البريطانية : رسالة السفير البريطاني في الاستانة رقم ٢٢ في ١٢ يوليو ١٨٥٨

(٥٦) الوثائق البريطانية : رسالة السفير البريطاني في الاستانة الى الخارجية البريطانية رقم ١٥ وتاريخ ٢٤ يوليو ١٨٥٨م

(٥٧) الوثائق البريطانية : رسالة السفير البريطاني في الاستانة الى الخارجية البريطانية رقم ٦١ وتاريخ ٢٠ يوليو ١٨٥٨م .

السلطان ، وتلك هي احسن فرصة للقضاء على المعارضة الاسلامية في الشرق ، وان يترك السلطان يعاقب من اجل العبرة (٥٨) . وكانت بريطانيا قد تأكدت بانه اذا تولت العقاب والقصاص قوة مسيحية فسوف تكون هناك ثورة عامة من المسلمين في هذا الجزء من العالم ، وستتبعها ثورات في كل مكان ، وخاصة في الهند ، وان المسلمين سيفعلون اي شيء من اجل كرامتهم (٥٩) .

وهكذا ورغم الاستياء الشديد الذي ساد أوروبا بسبب احداث جدة ، ورغبة الحكومة البريطانية في ان تقوم بعمل عسكري ضد هذه المدينة وسكانها الا ان ما كان يمنعها من تنفيذ ذلك هو خوفها من الصدى وردة الفعل الذي سيحدثه عملها في العالم الاسلامي كله .

وأوعزت بريطانيا لقادة سفنها الحربية في البحر الاحمر بان يعملوا بالتشاور مع سلطات الباب العالي والقوات المرسلة الى جدة ، وان عليهم التوجه الى اي مكان آخر لاخماد أي اعمال قد يقوم بها المسلمون ضد المسيحيين (٦٠) .

وكان موقف الحكومة الفرنسية حيال معالجة مذبحة جدة متشددا للغاية وكانت ترى ان تقوم فرنسا وانجلترا بانزال العقاب بالقتلة بواسطة قواتهما وبكل قوة احتراما لنفوذهما في المنطقة ، واشترطت لموافقتها بان يجري الباب العالي التحقيق في هذه الحادثة وجوب اشتراك مندوبين عن الحكومتين

---

(٥٨) وثائق الخارجية البريطانية : رسالة السفير البريطاني في الاستانة الى الخارجية البريطانية رقم ٧٨ وتاريخ ٢٧ يوليو ١٨٥٨م F.O. 424-18.

(٥٩) وثائق الخارجية البريطانية : رسالة السفير البريطاني في الاستانة الى الخارجية البريطانية رقم ٦٢ وتاريخ ٢٠ يوليو ١٨٥٨م . F.O. 424-18.

(٦٠) وثائق الخارجية البريطانية : من سكرتير القيادة البحرية البريطانية رقم ٨٤ و٩ اغسطس ١٨٥٨م . F.O. 424-18.

البريطانية والفرنسية والذين سيكون من حقهم الاشراف على سير التحقيق والمساعدة فيه ، ومن ثم معاقبة المدانين بالقتل . وايضا معاقبة المسئولين الحكوميين في جدة على سوء تصرفهم ، واخيرا فرض غرامة على مدينة جدة نفسها تقدر بمبلغ ثلاثة ملايين فرنك تدفع على الفور وذلك عقابا لتصرفات اهلها ، وتعويضا للمتضررين من المسيحيين . (٦١)

وكما اوضحنا سابقا كان الباب العالي قد اصدر امره الى اسماعيل باشا بالتوجه الى جدة واجراء التحقيق في الحادثة ومجازاة من تثبت ادانته ومنحه صلاحية الاعدام الفوري . وحينما وصل الى مصر حمل معه تكليفا لوالي مصر بارسال قوات مصرية الى جدة تكون تحت امرة الجنرال اسماعيل باشا ، ويبدو ان والي مصر حينها خاف من غضب بريطانيا ، فبعث اليها يستطلع رأيها في موضوع ارسال قوات مصرية الى جدة وهل لديها اى اعتراض على ذلك . وكان رد الحكومة البريطانية هو أن وجود قوات مصرية في جدة سيكون مصدرا لرضائها (٦٢) .

السفينة سيكلوبس تضرب مدينة جدة بالقنابل :

في الوقت الذى كانت تدور فيه المخابرات وتستمر الاتصالات بين العواصم الثلاث لندن ، باريس والاستانة ، وفي الوقت الذى اتخذت فيه الحكومة العثمانية الخطوات التنفيذية لتحقيق مطالب انجلترا وفرنسا ، كانت السفينة الحربية البريطانية سيكلوبس Cyclops تشق طريقها في البحر

---

(٦١) وثائق الخارجية البريطانية : من السفير البريطاني في باريس مستر Cowley الى مالسبوري رقم ٦٣ ، ٢٩ يوليو ١٨٥٨ F.O. 424-18.

(٦٢) وثائق الخارجية البريطانية : رسالة القنصل العام البريطاني في مصر مستر Green الى مالسبري رقم ٧١ ، ٢٤ يوليو ١٨٥٨م F.O. 424-18.

الاحمر الى جدة التي وصلتها في ٢٣ يوليو ١٨٥٨م وكان الحاكم العام للحجاز نامق باشا Namick حينها في مكة المكرمة ، فبعث قائد السفينة الكابتن بولين Pullen برسالة الى قائمقام جدة يطلب اليه فيها معاقبة من قتلوا قنصلي بريطانيا وفرنسا والمسيحيين وحدد ستا وثلاثين ساعة لتلقي الرد والا فانه سيتقدم الى حدود المدينة .

وفي صباح اليوم الخامس والعشرين وقد مر على بعث الخطاب اربعون ساعة ، فتحت القوات البريطانية نيران مدافعها على مدينة جدة ، وعلى فترات متتابعة ، ونتيجة لهذا القصف الأولي تم تدمير واحراق اربعة وعشرين قاربا تجاريا كانت رسو في الميناء .

وبعد هذا القصف تسلم الكابتن بولين رد القائمقام ، ونظرا لانه لم يكن مرضيا من وجهة نظر الكابتن ، فقد استأنفت مدافع السفينة الحربية البريطانية قصفها لمدينة جدة من جديد واستمر هذا القصف حتى مساء اليوم التالي (السادس والعشرين) ، وتوقف هذا القصف صباح السابع والعشرين لاتاحة الفرصة لنزول القوات البريطانية النظامية والبالغ عددها ٧٠ جندي الى الساحل

وكان الحاكم العام للحجاز نامق باشا قد وصل الى جدة قادما من مكة يوم ٢٨ يوليو ، وقام صباح يوم ٢٩ يوليو بزيارة للكابتن بولين على ظهر السفينة سيكلوبس ، وبعد مناقشات مطولة لم يتم التوصل الى اي حل حيث ابلغ نامق باشا الكابتن بولين بانه لا يملك صلاحية اصدار الحكم بالاعدام او البراءة ، ولكنه توقف القصف حتى يتمكن الحجاج من ركوب سفنهم ومغادرة ميناء جدة ، وكان من بين هؤلاء الحجاج اميرة مغربية وقد حملتها سفينة بريطانية هي "ليدي كاننج" Lady Canning الى مدينة ينبع البحر ، واستمر توقف القصف حتى صباح اليوم الخامس من شهر أغسطس ١٨٥٨م حين عاودت القوات البريطانية قصفها لمدينة جدة من جديد واثناء هذا القصف وصلت الباخرة

" جبارى " Gabarri حاملة الجنرال اسماعيل باشا مندوب الباب العالى ومعه ٤٨٠ جنديا مصريا ، فأمر بتحقيق المطالب الانجليزية والفرنسية فورا ، وعلى اثر ذلك توقف ضرب مدينة جدة ، وقد حدد الكابتن بولين المكان الذى اختاره على الشاطئ" ليقيم فيه تنفيذ الاعدام ، كما وصلت القوات البريطانية بكامل اسلحتها الى نفس المكان ( وكان الغرض من هذه المظاهرة العسكرية حسب قول كابتن بوجن نفسه هو ان تصل هذه الصورة الى كل مكان وخاصة للهند ) وقبل شروق شمس اليوم التالى اى السادس من اغسطس تم تنفيذ حكم الاعدام فى احد عشر شخصا على مرأى من اهل مدينة جدة ، وتقرر ارسال اربعة من المتهمين الى الاستانة .

وبعدها غادرت السفينة الحربية البريطانية ورحلت القوات البريطانية من ميا جدة صباح يوم ٧ اغسطس الى السويس حيث وصلتها فى ١٢ اغسطس عام ١٨٥٨م (٣) .

## آثار حادث قتل المسيحيين خارج الحجاز:

نود ان نستعرض آثار حادث مذبحة جدة خارج الحجاز قبل ان نقف على ردود الفعل التى احدثها قصف المدفعية البريطانية لمدينة جدة .

١ - في السويس:

تنبأ القنصل البريطاني في السويس السيد وست West ووفقا للمعلومات التي جمعتها له الاستخبارات والتي تشير بان الاحداث التي وقعت في جدة ربما تؤدى الى قيام السكان في السويس باعمال مضادة للمصالح البريطانية في السويس والمتمثلة في وكالات ومخازن شبه الجزيرة ، والشركة الشرقية ، والشركة الاسترالية ، والمستشفى العسكرى

(٣) وثائق الخارجية البريطانية : تقرير الكابتن بولين عن قصف مدينة جدة رقم ١٢٨ وتاريخ ٨ أغسطس ١٨٥٨م
F.O. 424-18.

البريطاني ، ووكالة ومكتب بيد شركة الهند الشرقية، والفندق ، الى جانب عدد كبير من الانجليز الذين يعملون في ادارة المرور والتلغراف . وان مصدر الخوف يأتي من اصحاب القوارب التي تعمل في نقل الحجاج بين السويس وجدة ، والبالغ عددهم حوالى خمسمائة بحار ، خاصـــة وان هؤلاء البحارة اصبحوا ينظرون بعداء للسفن التجارية التابعة لشركـــة قيد جيد بك والتي وصلت الى السويس ودخلت كمنافس لهم . ولذلـــك وامام ظهور شعور معاد تجاه المسيحيين في اسواق مدينة السويــــس بادرت السلطات المحلية باتخاذ الاحتياطات الامنية اللازمـــة لحمايـــة المسيحيين بها (٦٤)

٢ - في القاهرة :

بدا ان المسيحيين اخذوا يشعرون بالقلق من تأثير اخبار مذبحة جدة على المسلمين ، خاصة وان حكومة البلاد هي حكومة مسلمة ، كما ان فترة الامن والسلام التي عاشتها البلاد في ظل حكومة قوية لا يمكن الاعتـــاد عليها ، فضلا عن ان المسيحيين اصبحوا يقيمون في اماكن متفرقـــة من القاهرة واصبح امر الدفاع عنهم وحمايتهم أمرا صعبا ، على عكس ماكـــان في السابق حينما كان المسيحيون يقيمون في احياء خاصة بهم يتوفر لهم فيها قدر معين من الدفاع . ولذلك كان القنصل البريطاني في القاهرة السيد " والين" A. Walne بعث لحكومته بوجوب ان يكـــــون المسيحيون في القاهرة على حذر ، وان يؤخذ في الاعتبار ما ســــوف تتعرض له المصالح البريطانية من خطر(٦٥) .

---

(٦٤) وثائق الخارجية البريطانية : رسالة نائب القنصل العام البريطانـــي في الاسكندرية جرين Green الى وزير الخارجية البريطاني رقم ٢١ ، وتاريخ ٧ يوليو ١٨٥٨م F.O. 424-18.

(٦٥) وثائق الخارجية البريطانية : رسالة القنصل البريطاني في القاهرة مرفق ٣ من رقم ٢١ وتاريخ ٥ يوليو ١٨٥٨م . F.O. 424-18.

وكانت بريطانيا تخشى ان يتصاعد شعور الكراهية ضد المسيحيين في مصر وينفجر الموقف ، فطالبت الحكومة المصرية بضرورة توفير الحماية الكافية للمسيحيين ضد أى هجوم ، بل ومنع اى اعمال عنف بمنتهى الشدة (٦٦) وتمشيا مع هذه الظروف عينت الحكومة المصرية ضابطا جديدا هو عبدى باشا Abdy Pasha والذى قال عنه القنصل البريطاني بالقاهرة : انه اخذ يجلد اى رجل ينوى عمل اى اضطراب مهما كان بسيطا (٦٧) وكان القنصلان الانجليزى والفرنسي قد اجتمعا بالوالى ونقلا له قلق حكومتيهما تجاه الشعور العدائي نحو المسيحيين ، واخبرهم بان سكان القاهرة مسالمين ، وانه سيسحق اى محاولة للاضطراب خلال خمس دقائق فقط . كما انه نبه على رجال الأمن باليقظة التامة (٦٨) .

٣ - في الاسكندرية :

اخذ شيخ مسلم يحرض الناس على الثورة ضد المسيحيين ، وحينما تم القبض عليه ادعى انه فارسي ، ولكن بعد فحص اوراقه تبين انه يحمل جنسية هندية وجواز مرور مسلم له من شرطة القاهرة ، وبتنظيم بين حاكم الاسكندرية ونائب القنصل البريطاني بها ادخل احد الانكشارية التابع للقنصلية البريطانية ، الى السجن ليعيش مع ذلك الشيخ بغرض الكشف عن حقيقته واهدافه . وفي الوقت نفسه كانت السلطات المصرية في

---

(٦٦) وثائق الخارجية البريطانية : رسالة مالسبورى الى القنصل العام جرين رقم ١٢ وتاريخ ١٥ يوليو ١٨٥٨م . F.O. 424-18.

(٦٧) وثائق الخارجية البريطانية : من رسالة القنصل فريد أيرتون Fred Ayrton مرفق ١ من رقم ٨٢ وتاريخ ٢٧ يوليو ١٨٥٨م .

(٦٨) وثائق الخارجية البريطانية : رسالة من القنصل جرين الى مالسبورى رقم ٢٦ وتاريخ ١٠ يوليو ١٨٥٨م . F.O. 424-18.

الاسكندرية تراقب تصرفات وتحركات مواطن هندى آخر جاء من القاهرة ومكث في الاسكندرية عدة ايام ثم عاد الى القاهرة ثانية (٦١) .

٤ - في دمشق :

ساد دمشق شعور بالرضى لان ( الكفرة ) قد عوملوا بما يستحقونه جزاء تدنيسهم الاراضى المقدسة بوجودهم فيها ، وقد عملت بريطانيا جهدها مع المسئولين الاتراك لكبت هذا الشعور العدائي والتغلب عليه الا انها كانت تردد بان الطبقة المريضة في دمشق تظهر عدم المبالاة بما حصل بالفرنسيين ، بينما تظهر الندم بالنسبة للانجليز ، واشارت الى ان البعض في دمشق قد اخذ يتحدث بصراحة عن ضرورة طرد القناصل الأوروبيين من دمشق . وكان القنصل البريطاني في دمشق جيمس برانت قد بعث لحكومته يصف لها الوضع السائد في دمشق آنذاك ويوضح بانه لو حدث اى شيء للقناصل الأوروبيين أو رعاياهم فان المسئولية لن تقع على الدولة العثمانية لانها ضعيفة ولا تملك من القوة شيئا . ولذلك فان المسيحيين قد اخذوا على عاتقهم حماية انفسهم واخذوا يتسلحون ، واصبحوا حذرين من المغامرة بترك منازلهم ، وانه مراعاة لعدم اثارة مشاعر المسلمين فان الناقوس الكبير الذى علق في الدير الكاثوليكي بمناسبة عهد الامبراطور الفرنسي لم يدق بل وارجىء الاحتفال بتوليه الامبراطوره وان سلامة الأوروبيين ستعتمد على مدى القوة واعلانها من قبل الدول الأوروبية ، والتصميم على العقاب الشديد لمن يفكر في مهاجمة المسيحيين ، والا يترك ذلك لحماية السلطات المحلية التى لا تملك اى نفوذ او قوة للقضاء على اى اضطراب يقوم به المسلمون . وطلبت بريطانيا من السلطات التركية اتخاذ اجراءات مراقبة بعض الاشخاص

---

(٦١) الوثائق البريطانية : رسالة من القنصل البريطاني في الاسكندرية الى الخارجية البريطانية رقم ٦٠ وتاريخ ٢٠ يوليو ١٨٥٨م . F.O. 424-18

الذين قد يسببون الاضطرابات وقد عملت تلك السلطات على تقوية الشرطة والمراقبة فعلا (٧٠) .

ردود الفعل حيال قصف جدة :

ما ان وصلت انباء قصف مدينة جدة بعد قصف الاسطول البريطاني ، حتى ابلغ الصدر الاعظم سفير بريطانيا بالاستانة عن انزعاجه لما حدث خاصة وأن الباب العالي قد فعل كل شيء في سلطته وانه لم يكن يتوقع حدوث مثل هذا القصف ، وباتت الحكومة العثمانية تخشى من تأثيرات هذا القصف حينما يبلغ السلطان به . لكن الصدر الاعظم على ما يبدو كان على علاقات وثيقة ببريطانيا ولذلك فقد اتفق مع السفير البريطاني على عدم اذاعة انباء هذا القصف وارجاء ابلاغ السلطان به حتى تهدأ الحالة . ومن ناحية أخرى فان السفير البريطاني في الاستانة السيد بولور Bulwer ابلغ حكومته بانه كان يوجد في مكة اثناء القصف حوالي ثلاثمائة الف حاج وانهم حينما يعودون الى اوطانهم فان الانطباع الذي سيعطى سيجعل من الصعب وجود اي تفاهم بين المسلمين والمسيحيين ، ومع ان النتيجة المباشرة لما حدث ليست مؤكدة وهي السخط أو الخوف ، وانه ولاسابيع قادمة فان حياة اي شخص في اجزاء معينة من الامبراطورية العثمانية لن تكون آمنة (٧١) .

وفي ٢٣ اغسطس ١٨٥٨م علمت الحكومة البريطانية ان احداث جدة قد تركت انطباعا بالحزن والالام على وزراء السلطان العثماني ، وانه تقرر ان تقدم الحكومة العثمانية احتجاجا رسميا وقويا ضد هذا العمل ، لان الحكومة

---

(٧٠) الوثائق البريطانية : رسالة من القنصل البريطاني في دمشق James Brant الى مالسبوري رقم ١٥٧ وتاريخ ٢١ اغسطس ١٨٥٨ F.O. 424-18.

(٧١) وثائق الخارجية البريطانية : رسالة السفير البريطاني في الاستانة الى الخارجية البريطانية رقم ٢٩٧ وتاريخ ٢٣ أغسطس ١٨٥٨م F.O. 424-18.

العثمانية ترى ان ماقامت به بريطانيا من هجوم على مدينة جدة سيفتح الباب امام الدول الاخرى ان تفعل نفس الشيء في المستقبل . واسرعت الحكومة البريطانية كعادتها لاحتواء الموقف وامتصاص الغضب الذى بدأ يظهر في الاستانــــة . فبعثت الى سفيرها السير بولور Bulwer لابلاغ الحكومة العثمانية بأسف بريطانيا لما قام به قائد السفينة الحربية سيكلوبس من ضرب مدينة جــــدة بالقنابل ، وان يوضح لهم الملابسات التى ادت الى ذلك ، والتى نتجـت عن تنفيذ قائد السفينة المذكورة لتعليمات الحكومة البريطانية الأولى ، وقام بالقصف قبل ان تصله التعليمات الجديدة والتى قضت بالتوقف عن تنفيذ استخـــدام القوة ضد جدة الى ان تصل القوات التركية التي تعهد السلطان بارسالها الى جدة (٧٢) .

ولكن الحكومة البريطانية رغم تقديمها الاعتذار للحكومة العثمانيــة عن ضرب مدينة جدة ، الا انها على مايبدو كانت مقتنعة بما تم بل وفخورة به ايضا ونتبين ذلك من رسالة وزير الخارجية مالسبورى Malmesbury حيث قـال : لقد كان من الأهمية منذ اللحظة الأولى هو اقناع العقلية الاسلامية فى الحـال بان القوى المسيحيـة لن تتوان فى كل الحالات عن انزال العقاب للأنتهــاك الفظيع الذى ارتكب ضد المسيحيين فى جدة ، وان الاخبار التى تلقتها الحكومة البريطانية من مناطق مختلفة ، اظهرت اثر واهمية الاجراءات التى اتخذتهـا بريطانيا ضد المدينة المعتدية ( جده ) ، خاصة بالنسبة لعامل الوقت ، عندما عادت اعداد كبيرة من الحجاج الى اوطانهم ، ولانه قد لاتكون لدى بريطانيا فرصة اخرى لتتخذ مثل هذا العمل الانتقامي السريع (٧٣) .

---

(٧٢) وثائق الخارجية البريطانية : رسالة وزير الخارجية مالسبورى الى السفير فى الاستانة رقم ٩٦ وتاريخ ٢٣ أغسطس ١٨٥٨م F.O. 424-18.

(٧٣) وثائق الخارجية البريطانية : رسالة وزير الخارجية الى السفير البريطانى فى باريس رقم ٩٢٥ فى ٢٣ نوفمبر ١٨٥٨م . F.O. 424-18.

وعلى صعيد علاقات بريطانيا بفرنسا وحساسيته سارعت الحكومة البريطانية بالابراق لسفيرها في باريس كولي Cowley معبرة عن أسفها لعمل كابتن بولين المتسرع ، الا ان الحكومة البريطانية اشارت لسفيرها بانه يجب المساعدة لتبرير ماتم (٧٤) ومن هنا اخذت العلاقات الفرنسية الانجليزية تسير نحو التدهور والشك ، وبدا ان بعض الاوساط الفرنسية قد اعتبرت ان القصف الذى قامت به بريطانيا لمدينة جدة بداية لتدخلات اوسع ، ولذا فقد سارع ماركيز سالسبورى وزير الخارجية البريطانية بابلاغ سفير بلاده في باريس عن استيائه لظهور تقارير وبيانات مغرضة في باريس عن قصف مدينة جدة ، وان الحكومة البريطانية لا تجد نفسها ملزمة لتبرير ماقامت به أو أضاعة وقتها في الاتصال بالحكومة الفرنسية في هذا الصدد (٧٥) .

واعلنت الحكومة الفرنسية موقفها حيال التصرف البريطاني على لسان وزير خارجيتها الكونت والوسكى Count Walwski الذى ابدى اسفه لان كابتن بولين لم ينتظر وصول المندوب الفرنسي لاجراء تحقيق دقيق في الاحداث الاخيرة بجدة ، ومع ذلك فان فرنسا لا ترغب في اثارة النزاع مع الحكومة البريطانية ، واخذ العمل البريطاني المنفرد في جدة يلقى ظلالا من الشك على النوايا الحقيقية للسياسة البريطانية في المنطقة ، حتى ان الصحافة الفرنسية اخذت تعلق بحرارة على مسلك الكابتن بولين وقالت إنه كان على هذا الضابط الانجليزى ان لا يعمل حتى تصله السفينة الحربية الفرنسية وتنضم اليه ليعملا سويا . وكان الرد البريطاني على هذه الاتهامات هو ان الحكومة البريطانية لم تكن لديها اية نوايا مسبقة لاستبعاد التعاون الفرنسي (٧٦) .

---

(٧٤) وثائق الخارجية البريطانية : رسالة وزير الخارجية الى السفير البريطاني في باريس رقم ٩٢ في ٢٠ أغسطس ١٨٥٨م F.O. 424-18.

(٧٥) وثائق الخارجية البريطانية : رسالة وزير الخارجية الى السفير البريطاني في باريس رقم ١١٦ في ٢٧ أغسطس ١٨٥٨م. F.O. 424-18.

(٧٦) وثائق الخارجية البريطانية : رسالة السفير البريطاني في باريس الى الخارجية البريطانية رقم ١٢١ في ٢٥ أغسطس ١٨٥٨م. F.O. 424-18.

الخلاف بين فرنسا وانجلترا بصدد التعويضات :

كانت بريطانيا وفرنسا قد اتفقتا على تشكيل لجنة ثلاثية ( انجلترا ، فرنسا ، تركيا ) مهمتها بحث موضوع التعويضات. فعينت انجلترا الكابتن بولين مندوبا عنها وعينت فرنسا السيد سباتير Sabatier مندوبا عنها ، الا ان الخلاف بين الدولتين بشأن التعويضات برز منذ البداية ، أذ اصرت فرنسا على تمسكها بفرض الثلاثة ملايين فرنك كضريبة على اهالي مدينة جدة بينما عارضت بريطانيا هذا التقدير وقالت ان هذا المبلغ سيكون كبيرا جدا (٧٧) وحاولت بريطانيا اقناع فرنسا بتعديل موقفها . وقد احاط السفير البريطاني في باريس حكومته بانه شعر بان الامور اصبح يكتنفها الغموض وان فرنسا تصر على موقفها من فرض الضريبة على مدينة جدة (٧٨) . وبعد الحاح متكرر من قبل الحكومة البريطانية ، وافقت الحكومة الفرنسية على اقتراح بريطانيا بان يترك أمر تحديد الغرامة للمندوبين المرسلين الى جدة للتحقيق (٧٩) .

وكانت بريطانيا ترغب في انهاء هذا الموضوع باسرع ما يمكن وابلغت سفيرها في باريس بحث الحكومة الفرنسية على ذلك . وان تشاركها في بعث تعليمات الى مندوبيها في جدة بعدم اتخاذ أي اجراء عدائي ضد مدينة جدة (٨٠) ويبدو أن بريطانيا كانت تخشى من قيام فرنسا بعمل حربي ضد جدة

---

(٧٧) وثائق الخارجية البريطانية : رسالة وزير الخارجية البريطاني للسفير في باريس رقم ٦٤ في ٣١ يوليو ١٨٥٨م. F.O. 424-18.

(٧٨) وثائق الخارجية البريطانية : رسالة السفير البريطاني في باريس الى الخارجية البريطانية رقم ١٢٩ في ٢٩ اغسطس ١٨٥٨م. F.O. 424-18.

(٧٩) الوثائق البريطانية : رسالة السفير البريطاني في باريس ايرل كولي الى مالسبوري رقم ١٦٧ وتاريخ ١٧ سبتمبر ١٨٥٨م F.O. 424-18.

(٨٠) الوثائق البريطانية : رسالة مالسبوري الى ايرلي السفير بباريس رقم ١٦٨ وتاريخ ١٨ سبتمبر ١٨٥٨م. F.O. 424-18.

مساويا لما قامت هي به من قبل .

وقد دفع تباطوء الباب العالي وتأخره في تعيين مندوب عنه ليشترك مع اللجنة المشكلة لبحث موضوع التعويضات الى نفاذ صبر انجلترا ، ومن ثم الى تغير موقفها السابق المتسم بشيء من الليونة في معاملة مدينة جدة وخاصة مايتعلق منها بالتعويضات. وذلك بابلاغها الحكومة الفرنسية بضرورة التعامل بقسوة مع الحكومة العثمانية ومع مدينة جدة نفسها (٨١) . واوضحت ان موقف الباب العالي سيء جدا وانه لا يمكن قبوله .

واثناء اجتماع مندوبي الدولتين الانجليزية والفرنسية في مياه جدة طالب المندوب الفرنسي زميله المندوب البريطاني القيام باحتلال مدينة جدة بالقوة العسكرية ، الا ان الحكومة البريطانية ابلغت مندوبها بعدم الموافقة على الاحتلال او حتى الحصار بالقوات الانجليزية . ومن ثم اخذ المندوب الفرنسي يضع العراقيل امام لجنة التعويضات. وعلى اثر خلافه مع المندوب البريطاني انسحب من اللجنة وغادر جدة الى مصر، وعينت فرنسامندوبا آخر بدله هو السيد روسو Rousseau ( والذي عين قنصلا لفرنسا بجدة ) (٨٢) وبعد ذلك اقترح ان تنقل المفاوضات الى العاصمة العثمانية لتتمكن اللجنة من ان تنهي عملها هناك بمساعدة الباب العالي . هذا وقد استغرق موضوع التعويض الكثير من المناقشات والمراسلات حتى نهاية عام ١٨٥٩م .

وفي اول يناير عام ١٨٥٩م انتهى التحقيق في اسباب مذبحة جدة، وقد اظهر التحقيق بان مذبحة المسيحيين بجدة او مايطلق عليها في بعض

---

(٨١) الوثائق البريطانية : رسالة مالسبوري الى ايرل كولي السفير بباريس رقم ٢٠٠ وتاريخ ١٤ أكتوبر ١٨٥٨م. F.O. 424-18.

(٨٢) الوثائق البريطانية :رسالة مندوب بريطانيا في اللجنة الى مالسبوري رقم ٢٩٥ وتاريخ ١٦ مارس ١٨٥٩م F.O. 424-18.

الوثائق حادثة الثورة ضد المسيحيين الاجانب في جدة ـ بان هذه الحادثة كانت عبارة عن حادثة سرقة وسطو وليس لها علاقة بالنواحي الدينية كما اظهر التحقيق ايضا ، ان أثنين من التجار الحضارمة دبرا سلب اموال القنصلية البريطانية في جدة وان هذين الشخصين قد اعدما علانية ،وقد حبس بعض تجار جدة ممن أدينو بأشتراكهم او بتحريضهم على حوادث الشغب والفتنة التي اثيرت ضد الاجانب (٨٣) .

## الوجود البريطاني والفرنسي في الحجاز بعد فترة مذبحة جدة :

وبعد حوادث عام ١٨٥٨ بجدة والتي قتل فيها القنصل الانجليزي ، بعثت الحكومة البريطانية بقنصل جديد في يناير عام ١٨٥٩م،وحينما وجد هذا القنصل ان زميله الفرنسي يتمتع بصلاحيات كبيرة يستمدها من الامبراطور الى حد تعيين نائب قنصل بانبر بالكتابة الى حكومته طالبا منحه تفويضا بالتحقيق في القضايا ، وتوقيع العقوبات دون طلب التصديق من الحكومة البريطانية واوضح انه توجد العديد من القضايا التي تستحق السجن او خلافه وهو لا يستطيع اجراء ذلك طبقا للمرسوم الصادر عام ١٨٤٤ والذي ينص" انه ليس من حق نائب القنصل ان يحكم بعقوبة السجن مالم تصدق حكومة جلالة الملكة على ذلك" ويجب تفويض قنصلية جدة بالذات بصلاحيات اكثر، اذ انه لم يعد عدد الرعايا البريطانيين خمسمائة كما كان في الماضي ، بل ان عددهم قد ارتفع الى الالاف بالاضافة الى الحجاج الذين يفدون بالسفن ، وان عدد السفن يصل الى ثلاثين أو أربعين سفينة بريطانية ، وانه يجب ان يوضع في الاعتبار الفارق الكبير بين مسئولياته ومسئوليات القنصل الفرنسي ، خاصة وانه لا توجد تجارة فرنسية

---

(٨٣) Marston, T.E.: op. cit., p. 267.

بجدة ، بينما تمثل التجارة البريطانية ٣/٤ ثلاثة ارباع مجموع التجارة في جدة وعلى هذا فان سلطات القنصل الفرنسي كان يجب ان تكون اقل من سلطاته (٨٤).

اما الحجاز فقد ظل قلقا مضطربا اذ تعاقب الاشراف على منصب الشرافة واحدا بعد الآخر ابان العصر العثماني الثاني وتحولت الشرافة خلاله الى احجار شطرنج يتلاعب السلاطين والوزراء بهم ، وينقلونهم حسب مصالحهم ، فينتقل الواحد منهم من المنفى الى الامارة ، أو من الامارة الى المنفى ، دون اي تفسير غير تقلب عواطف الحاكمين في الاستانة (٨٥).

وكان مما ساعد العثمانيين في تشديد قبضتهم على الحجاز خلال العصر العثماني الثاني ، حفر قناة السويس وفتحها للملاحة عام ١٨٦٩م.

## ٦ ـ أثر فتح قناة السويس على الحجاز:

كان فتح قناة السويس في ١٧ نوفمبر عام ١٨٦٩ م نقطة تحول هامة في تاريخ البحر الاحمر والمنطقة المطلة عليه ، ومن ضمنها بطبيعة الحال الحجاز ، كما انها كانت نقطة تحول في استراتيجية السياسة البريطانية في المنطقة بوجه عام. كما ان افتتاح قناة السويس للملاحة العالمية ، جعل البحر الاحمر من الناحية الاقتصادية معبرا هاما ميسرا للمحيط الهندي ، ولم يعد هذا البحر طريقا للمسافرين والبريد الى الهند فحسب ، بل انه اصبح واحدا من اهم الطرق البحرية التجارية الرئيسية في العالم. الا ان بريطانيا واجهت منافسا صلبا هو فرنسا التي اشرفت على مشروع قناة السويس.

---

(٨٤) وثائق الخارجية البريطانية: رسالة القنصل البريطاني في جدة رقم ٧ ب وتاريخ ٢٨ يناير ١٨٦٠م F.O. 78-1538-07451

(٨٥) انيس صايغ : مرجع سبق ذكره ص٣٤ .

وكانت فرنسا تأمل الاستفادة من شق قناة السويس لتحقيق أهدافهـا في المنطقة، فقد اشار القنصل الفرنسي بجدة في رسالة له لحكومته بتاريخ ١٧ ديسمبر عام ١٨٥٧ الى ان مشروع قناة السويس العظيم النفع للعالم كله سوف يفتح من جديد منفذا لتجارتنا القومية وبالتالي فان المنشآت التجاريـة الفرنسية ستكون على شواطئ الحجاز واليمن، وسيصبح لتدخلنا سبب مهم، وبالتأكيد سيفيد مصالحنا التجارية (٨٦).

وعند ما احتلت بريطانيا مصر عام ١٨٨٢ فزعت فرنسا لسيطرة بريطانيـا على مصر وعلى قناة السويس لان ذلك يعتبر تهديدا للمصالح الفرنسيـة في منطقة البحر الاحمر، الا ان بريطانيا مالبثت ان اصبحت بالفعل سيدة قناة السويس كما هي سيدة عدن التي تتحكم في المدخل الجنوبي للبحر الاحمـر، وبذلك كاد هذا البحر ان يصبح اشبه مايكون ببحيرة بريطانية في ذلك الوقت، ذلك ان المصالح الفرنسية كانت في معظمها وحتى فتح قناة السويس غير رسمية في مظهرها، فضلا عن انها لا تستند الى قوة كبيرة في ذلك الحين (٨٧).

وكان من الطبيعي ان تخشى الدولة العثمانية من النفوذ البريطانـي المتزايد في سواحل الجزيرة العربية بوجه خاص، وفي البحر الاحمر بوجه عام، خاصة وان العثمانيين قد لاحظوا ان الامر لن يقتصر على بريطانيا وحدها، بل زاد اهتمام الأوروبيين بصفة عامة بشئون الجزيرة العربية، ومحاولة الاستيـلاء على بعض المواقع الاستراتيجية بمنطقة البحر الاحمر، وخاصة المناطق القريبـة من عدن بعد فتح قناة السويس (٨٨) وبذلت الدولة العثمانية كل جهدهـا

---

(٨٦) وثائق الخارجية الفرنسية: رسالة القنصل الفرنسي بجدة رقم ١١ في تاريخ ١٣ ديسمبر عام ١٨٥٧. Ref. A.E.: 445, Vol. I.

(٨٧) Marston, T.E.: op. cit., p. 388.

(٨٨) الدكتور فاروق عثمان اباظه: مرجع سبق ذكره ص ٤٠.

للحيلولة دون وقوف الاتفاقيات التي كان يدور حولها النقاش ، لتنظيم حرية مرور السفن في قناة السويس في ممارسة حقها في السيادة على القناة والمرور فيها دون عائق ، ولذلك ابلغت بريطانيا وفرنسا الحكومة العثمانية بالصياغة النهائية التي اقترحاها بعد محادثات بينهما ( التي رأت حكومات الدول الأوروبية السبع المجتمعة في لندن من ٣٠ مارس ١٨٨٥م الى ١٣ يونيو ١٨٨٥م أن تقوم تلك الدولتان باجرائها بينهما ) للموافقة عليها ، ولما كانت هذه الصياغة او مواد الاتفاقية لم تقرر لها من الامتيازات ما يجعل لها مركزا ممتازا عن سائر الدول رفضته ، وكانت تهدف من وراء ذلك الى تحقيق اغراض عسكرية ودينية ، فالسلطان عبد الحميد الثاني آان يتبنى فكرة الجامعة الاسلامية الداعية لتوحيد الصفوف الاسلامية ضد الزحف الاستعماري الأوروبي بعد ان اخذت الولايات العثمانية تتساقط الواحدة بعد الأخرى في ايدي الدول الأوروبية ، واستمرت هذه الدول ترنو ببصرها لالتهام البقية الباقية منها ، فارادت الدولة العثمانية الا تقف النصوص العسكرية الخاصة بالدول التجارية والواردة في مشروع الاتفاقية عائقا يحد من حرية تحركات القوات العثمانية المسلحة عبر قناة السويس وهي في طريقها الى الحجاز أو اليمن للدفاع عنها ضد أي خطر خارجي أو داخلي (٨٩) .

وكان من اهم التعديلات التي طلبت الحكومة العثمانية ادراجها في اتفاقية حرية المرور في قناة السويس تعديلان رئيسيان هما : ١ - اعفاء الدولة العثمانية من القيود العسكرية الخاصة بحرية الملاحة في قناة السويس والواردة في المادة العاشرة من مشروع الاتفاقية عندما يكون الأمر متعلقا بقيام قواتها المسلحة بالدفاع عن الحجاز أو اليمن . ٢- تمثيل الحكومتين العثمانية والمصرية في لجنة قناصل الدول مع جعل رياسة هذه اللجنة للحكومة العثمانية .

---

(٨٩) الدكتور فائق بكر الصواف : العلاقات بين الدولة العثمانية واقليم الحجاز ( رسالة دكتوراه ) ص٤٠١ -٤٠٥ .

وعارضت فرنسا بادئ الأمر هذا الطلب العثماني بشدة وكذلك بريطانيا الا انه امام الاصرار العنيد من الحكومة العثمانية على موقفها ، اخذت فرنسا تعمل للتقريب بين وجهات النظر العثمانية والبريطانية ، بعد ان وافقت فرنسا على التعديل العسكري المطلوب ارضاء للسلطان ، وانتهت المساعي الفرنسية بان وافقت الحكومة البريطانية على التعديل العسكري ورفضت التعديل السياسي ،(٩٠) وفي ٨ مايو ١٨٨٨م تنازل السلطان العثماني عن التعديل السياسي وبذلك حلت المشكلة وضمن السلطان السيطرة العسكرية على ممتلكاته في الحجاز واليمن ، بل والبحر الأحمر ايضا .

## ٧ - أحوال الحجاز في الفترة الأخيرة من القرن التاسع عشر :

### أ ) فترة مابعد فتح قناة السويس :

قبل تسلم السلطان عبد الحميد زمام الحكم كسلطان للدولة العثمانية بثلاث سنوات تقريبا كان شريف مكة عبد الله بن محمد بن عون يجرى اتصالا بالفرنسيين بغية الحصول على مساعدتهم وتعضيدهم له ، ولذلك بادر القنصل الفرنسي بجدة بالكتابة الى حكومته واصفا الشريف بأنه أمير متنور ومحب للتقدم ، ويرغب في تقدم الحجاز ، وتحسين احوال العرب في هذه البلاد ، وهو يحلم في تحقيق العديد من المشروعات ، وكان يلح وباستمرار في المطالبة بمساعدة فرنساله ليتمكن من تحقيق مايفكر فيه من الاعمال والاصلاحات ، وحث القنصل حكومته باغتنام هذه الفرصة والقيام بدور مهم ونشط في هذه البلاد التي توقع ان تشهد في القريب احداثا مهمة ، واشار الى انه ينبغي على فرنسا ان تسيطر على الاماكن التي تمكنها من انشاء قاعدة قوية في هذه الجهات(٩١).

---

(٩٠) الدكتور فائق بكر الصواف : العلاقات بين الدول العثمانية واقليم الحجاز (رسالة دكتوراه) ص١١١-١١٢ .

(٩١) وثائق الخارجية الفرنسية : رسالة من القنصل الفرنسي بجدة رقم ١٦ ف عام ١٨٧٣م .
Ref. A.E.: 445, Vol. 3.

الا أنه على مايبدو ان فرنساكانت آنذاك تتبع سياسة انكماشية بعد هزيمتها امام المانيا (بروسيا) عام ١٨٧٠م فلم تتحرك بسرعة لمساعدة هذا الشريف وعلى الرغم من ذلك فان فرنسالم تغب عن المنطقة بدليل انها كانت تواصل بعث العديد من رجالها الى منطقة البحر الاحمر، ووفقا للتقارير الرسمية الفرنسية نفسها ، فان بعض الفرنسيين قد وصلوا الى جدة ومنها توجهوا الى مصوع لاكتشاف مناجم هناك ، وان القنصل الفرنسي بجدة ابلغهم بوجوب الحذر في تحركهما لان جواسيس خديو مصر يتابعونهم[٩٢] كما شهدت جدة في نفس الفترة تزايدا في عدد الفرنسيين بها ،وكان في جدة من قبل ، القنصل الفرنسي وحافظ الاختام فقط،ولم تكن هناك سفن تخضع للادارة الفرنسية لكن اعداد البواخر التي ترفع الاعلام الفرنسية اخذت في عام ١٨٧٥ ترد الى ميناء جدة وباستمرار[٩٣] .

وفي عام١٨٧٦م اخذ النشاط الفرنسي في الحجاز يتسع نطاقه بحيث اخذت فرنسا تمد هذا النشاط الى مكة المكرمة نفسها مستغلة عملية الحج ، فتبعث بمندوبين لجمع المعلومات واعداد التقارير عن النشاطات المختلفة هناك ، والجدير بالملاحظة ان تقارير القنصل الفرنسي في جدة في عام١٨٧٦ وما بعده ، اتسمت بتركيز شديد على الشئون الصحية ولعل ذلك يرجع الى ان القنصل كان طبيبا ، الا ان تلك التقارير لم تغفل النواحي السياسية التي تهم الحكومة الفرنسية معرفتها ، ففي تقرير للقنصل الفرنسي بجدة عام ١٨٧٦م يحيط فيه حكومته باخبار شريف مكة فيذكر: بان نفوذ الشريف على بدو

---

(٩٢) وثائق الخارجية الفرنسية : رسالة من القنصل الفرنسي بجدة رقم ١٦ عام ١٨٧٣م. Ref. A.E.: 445, Vol. 3.

(٩٣) وثائق الخارجية الفرنسية : رسالة من القنصل الفرنسي بجدة رقم ٢٠ ف في ٢ ديسمبر١٨٧٥م. Ref. A.E.: EE5, Vol. 4.

الصحراء نفوذ قوى ، فهو يستخدمهم وفقا لرغبته وتبعا لاحتياجاته وأغراضه تجاه الاستانة ، فهو يجعل هذه القبائل البدوية تثور ضد الحكومة المركزية في الاستانة اذا ساءت علاقته بها ويوقف ثورة هذه القبائل وحركاتها اذا قدمت له الاستانة مايطلب . وان قبائل البدو هذه ، قبائل شرسة تهاجم قوافل الحج وهى على طرق مكة جدة أو جدة المدينة ، أو من ينبع الى المدينة وبالعكس ويسلبونهم ويفرضون عليهم الضرائب النقدية ( التى يعتقد القنصل الفرنسى ) انها ستعود الى شريف مكة . وان سلطة الباب العالي العثماني في الحجاز سلطة اسمية بحتة ، وان العداء بين السكان العرب والعناصر التركية هوعداء حيوى وحاد . يشير القنصل على حكومته ان تستغل هذه النقطة بالذات اى نقطة كراهية العرب للترك ويقول "انها مفيدة لنا الى حد كبير اذا ما صرفنا النظر عن العواطف الدينية والتعصب" . الا ان هذا القنصل يقرر احقيقة هامة وهى ان تعصب الاهالى ضد الأوروبيين ، ماهو الا رد فعل لتصرف الأوروبيين فى جدة بطريقة سيئة جدا تجعل مشاعر الكراهية من الشعب تجاههم تزيد . ثم نجد هذا القنصل لا يغفل نظره عن منافسة الانجليزى فيصفه بقوله : ان قنصل انجلترا هو تاجر ووكيل سفن لا يستخدم سلطته القنصلية الا لمصالحه الخاصة ، اما قنصل هولندا فقد اخذ نفس الشكل وتشرب نفس المبادئ ، وبالتالى نسى كرامته وانساق وراء طمعه فى احتكار تجارة المشروبات الكحولية بمساعدة موظفيه" (٩٤) .

ب - الحجاز بعد تولى السلطان عبد الحميد الثانى الحكم :

وبعد عام من تولى السلطان عبد الحميد مقاليد الامور في الدولة العثمانية اى فى عام ١٨٧٧ اصدر أمرا بعزل الشريف عبد الله بن محمد بن عون وعين بدله

---

(٩٤) وثائق الخارجية الفرنسية : رسالة القنصل الفرنسى بجدة رقم ٢٣ ف وتاريخ ١٠ نوفمبر ١٨٧٦م
Ref. A.E.: 445, Vol. 4.

اخاه الشريف الحسين بن محمد بن عون (٩٥) وفي هذه الفترة كانت القوة البحرية المتفوقة في البحر الأحمر وعلى سواحل الحجاز هي القوة البريطانية والتي اصبح طريق القناة تحت رحمتها بعد الكارثة السياسية والحربية الكبرى التي حلت بفرنسا في الحرب الفرنسية الألمانية سنة ١٨٧٠م (٩٦) . كما كانت سياسة فرنسا الخارجية سنة ١٨٧٧ تقوم على منع بريطانيا من الاستئثار بنفوذ متفوق في وادي النيل او في قناة السويس (٩٧) .

ويبدو ان السياسة البريطانية والنفوذ البريطاني كان يقوى ويمتد في المنطقة على حساب النفوذ الفرنسي ، وقد ساعدته في ذلك الظروف ، نفسي الحجاز حيث تولى الشريف الحسين منصب شريف مكة واصبح المهيمن على شئون الحجاز أخذ يتجه شطر انجلترا يمد لها المساعدة لتحقيق شيء من اطماعها بل ويعمل على مساعدتها في التخلص من بعض المصاعب التي كانت تواجهها آنذاك في افغانستان ، فحينما تلقى الشريف الحسين رسالة من شير علي Shere Ali عام ١٨٧٩م يطلب منه الاعلان بان الحكومة الانجليزية تسيء معاملة الهنود المسلمين وتضطهدهم ، سارع الى الاتصال بانجلترا ، واخبرها بمحتويات هذه الرسالة واكد انه نظرا لكونه على اوثق الصلات الودية مع انجلترا ، ولقناعته بان انجلترا كانت انسانية وعادلة في حكمها للهند وستان ، فانه رفض تلبية طلبه حرصا على مصالح انجلترا . كما بعث الشريف الحسين الى انجلترا يحيطها بان الحالة السيئة لشعور المسلمين في الهند وانحاء آسيا وفي مصر ، قد تجعل اقل حادثة بمثابة النقطة التي تطلق للثورة في كل البلاد

---

(٩٥) ابن دحلان : تاريخ الدولة الاسلامية ص ١٦٤ .
(٩٦) الدكتور محمد مصطفى صفوت : انجلترا وقناة السويس ص ص ٤٦ ، ٤٩ .
(٩٧) الدكتور محمد مصطفى صفوت : نفس المرجع ص ٦٧ .

الاسلامية العثمان . كما احاط بريطانيا بانه يسعده ان يقدم العون لحكومة صاحب الجلالة في أي مشكلة يكون مركزه الديني ذا نفع فيها ، وطالب بريطانيا بان تكون كل اتصالاتها به سرية ، ويجب الا تبلغ لأى أحد ( وكان يعني بذلك الحكومة التركية ) . ويعمل الشريف الحسين على ان يبرهن لبريطانيا على صدق رغبته في مساعدتها خاصة في مشكلة الحرب الافغانية حيث ابلغ القنصل البريطاني في جده السيد جيمس زهراب James Zohrab عن استعداده للاتصال المباشر بيعقوب خان ورؤساء آخرين في افغانستان ، ويعمل كوسيط وبصفة شخصية اذا وافقت الحكومة البريطانية على ذلك (٩٨) وكان رد وزير الخارجية البريطانية ماركيز سالزبوري Salisbury على عرض الشريف الحسين هو ان مجرى الاحداث قد جعل من غير الضروري ان تستفيد بريطانيا بعرض سموه الذى ربما امكن مناقشته في وقت ما في المستقبل ، كما ابدت الحكومة البريطانية في نفس الوقت تقديرها العميق الشريف للمشاعر الودية التي اظهرها نحو بريطانيا ، واكدت الحكومة البريطانية للشريف الحسين انها لن تنسى له ابدا هذا العون والرغبة التي ابداها لتحسين العلاقات بين بريطانيا وحاكم افغانستان (٩٩) .

## جـ ) مقتل الشريف حسين بن محمد بن عون ( والنفوذ البريطاني )

يعتبر مقتل الشريف حسين بن عون أو الشهيد حسين كما تطلق عليه المصادر المحلية - بداية لفترة هامة في تاريخ الحجاز ، اذ يبدأ فيها النفوذ البريطاني صراع مع الشريف الجديد المناهض للسيطرة الانجليزية .

---

(٩٨) وثائق الخارجية البريطانية : رسالة سرية من القنصل البريطاني في جدة لوزير الخارجية سالزبوري Salisbury رقم ٩ وتاريخ ١٢ مارس ١٨٧٩ م F.O. 195-1251-07283.

(٩٩) وثائق الخارجية البريطانية : رسالة وزير الخارجية البريطاني السرية (مكتب المخابرات) رقم ٢٣ وتاريخ ٧ أغسطس ١٨٧٩ م F.O. 195-1251-07283 انظر نص الوثيقتين رقم ٩ ورقم ٢٣ في ملحق الوثائق .

ويبدو ان بريطانيا عاودت الاتصال بالشريف حسين للاستفادة من خدماته في موضوع افغانستان ، ويذكر القنصل البريطاني في جدة بانه قبل مقتل الشريف حسين كان قد تم الاتفاق على ان يلتقيا سويا في بحرة ( قرية بين جدة ومكة ) ولكنه غير المكان وتحدد ان يلتقيا في جدة وذلك للابتعاد عن اثارة اي شكوك . كما ان الشريف قد بعث يخبره بانه قد رتب كل شيء لارسال اثنين من تابعيه الى افغانستان ولكن اراد ان يتحدث اليه في شأن الرسائل التي سيحملها المبعوثان واللذان كانا جاهزين للسفر يوم ٦ ١ مارس ١٨٨٠ م . الا ان الشريف حسين تعرض لطعنة من درويش افغاني عند وصوله الى جدة قادما من مكة يوم ١٥ مارس عام ١٨٨٠ م[100] ( انظر الوثيقة في ملحق الوثائق ) .

واراد السلطان عبد الحميد الثاني استغلال هذا الحادث لاشعال حدة التنافس على مركز الشرافة في مكة المكرمة ، فقرر ان يعهد الامارة الى ذوي زيد في شخص الشريف عبد المطلب . ولكنا نعتقد ان السلطان قد وجدها فرصة لتقليص النفوذ البريطاني في الحجاز بعد ان علم بالصلة الوثيقة بين بني عون والانجليز .

اما فرنسا فانها على ما يبدو كانت تتابع اتصالات الشريف الحسين بن عون بالانجليز وتقف على تطوراتها ، ويتضح ذلك من ابلاغ الملحق الفرنسي في القاهرة القنصل العام البريطاني بها السيد ماليت Malet عن مقتل الشريف حسين على يد رجل افغاني ارسل من افغانستان لهذا الغرض لانه عرف ان سمو الشريف على وشك ارسال اشخاص الى افغانستان لمساعدة البريطانيين هناك[101]

---

(١٠٠) وثائق الخارجية البريطانية : رسالة القنصل البريطاني في جدة رقم ٢٧ وتاريخ ١٦ مارس ١٨٨٠ م .

(١٠١) الوثائق البريطانية : رسالة القنصل العام البريطاني في القاهرة رقم ٢٦ وتاريخ ٣ ابريل ١٨٨٠ م . F.O. 195-1813-07344.

وقد علمت فرنسا بذلك رغم انه كان سريا للغاية . ومن هذا يتضح ان كلا الدولتين البريطانية والفرنسية كانت تتابع كل منهما حركات الأخرى في المنطقة.

د ) مدى النفوذ الانجليزي في الحجاز:

واذا كنا قد اوضحنا الصلة والعلاقة التي كانت تربط الشريف حسين ببريطانيا فاننا نود ايضا ان نلقي نظرة سريعة على دور بريطانيا في المجال الداخلي وفي الاحداث اليومية من واقع الوثائق البريطانية .

ففي ١٨ مايو عام ١٨٧٩ كان قد وصل الى جدة قادما من مكة الحاكم العام للحجاز، فبادر القنصل البريطاني بزيارته وعبر له الحاكم العام للحجاز عن رغبته في ان يعمل معه في توافق تام، وابلغ القنصل حكومته بان الحاكم العام للحجاز لديه الكثير من العمل وانه اذا عمل بأمانة فسوف يستطيع تغيير حال جدة (١٠٢) الا اننا نلاحظ بان القنصل البريطاني لم يكتف بهذا التعاون بل انه ذهب شوطا بعيدا في تدخله في تسيير وتوجيه الأمور فنجده يمتدح الحاكم العام ويذكر ان زيارته لجدة لها اهمية خاصة وانه قد ناقشه بالتفصيل النقاط التالية : ١- تنظيم قوة شرطة مناسبة ٢- نظافة البلدة وهيمنة البلدية على المباني ٣- تطهير الحجر الصحي ورصيف الميناء ٤- رفع الصخور الغارقة تحت الماء في الميناء، وتعلية المنارات الموجودة، وبناء منارات على الصخور الموجودة تحت الماء في المنطقة المجاورة ٥- انشاء ممر للسفن من الرصيف الى المرفأ ٦- انشاء هيئة مرشدين لميناء جدة ٧- امداد جدة بالمياه ٨- انشاء محاكم مناسبة ٩- وقف تجارة الرقيق . ويذكر القنصل بان الحاكم

(١٠٢) الوثائق البريطانية : رسالة القنصل البريطاني في جدة رقم ١٣ وتاريخ ١٨ مايو ١٨٧٩م.
F.O. 195-1251-07283.

العام للحجاز علي بك وعد بتوجيه اهتمامه اليها جميعا ، وطلب اليه تقديم مقترحاته (١٠٣) . الا ان الحاكم العام هذا توفي بعد يومين من ذلك .

وفي ٩ يوليو ١٨٧٩ بعث القنصل البريطاني برسالة الى القائم باعمال الحاكم العام للحجاز يحيطه فيها علما بان الجزء الاكبر من تجارة جدة يديره رعايا بريطانيون ، ومن الطبيعي جدا الا يحس التجار بالأمن بينما المدينة معرضة للاضطراب ونذر الخطر تلوح نتيجة ضعف السلطات التي لا تستطيع قمعها . ويقول بما يشبه الأمر : " وبصفتي ممثلا للمصالح البريطانية في الحجاز أرى لزاما على ان اطلب اليكم ابقاء القوات التي أحضرها الحاكم العام السابق ( علي بك ) في احياء هذه المدينة (جده) لضمان الهدوء العام واستعادة الثقة " . (١٠٤) .

وامام هذا الوضع القلق في جدة طالب القنصل حكومته ان تعمل لدى الباب العالي لتوفير القوة الكافية لحماية الأمن الداخلي نظرا لأن ثلثا تجارة جدة بريطاني وان الرعايا البريطانيون هم الذين سيعانون اكثر من غيرهم اذا حدثت اضطرابات (١٠٥) .

وفي ٢٣ اكتوبر اجتمع الحاكم العام للحجاز الجديد ناشد باشا ، بالقنصل البريطاني في جدة وطلب منه ان يطلب من السفير البريطاني في الاستانة حث الحكومة العثمانية بضرورة ارسال تعزيزات عسكرية في الحال

---

(١٠٣) الوثائق البريطانية : رسالة القنصل العام البريطاني في جدة رقم ١٤ وتاريخ ٢٨ مايو ١٨٧٩م . F.O. 195-1251-07283.

(١٠٤) وثائق الخارجية البريطانية : رسالة القنصل البريطاني رقم ١٦ وتاريخ ٩ يوليو ١٨٧٩م F.O. 195-1251-07283.

(١٠٥) وثائق الخارجية البريطانية : رسالة القنصل البريطاني بجدة رقم ١٧ وتاريخ ١٧ يوليو ١٨٧٩م . F.O. 195-1251-07283.

الى الحجاز . ويبدو ان الوفاق كان تاما بين الحاكم الجديد والقنصل البريطاني الذى اخذ يوافي حكومته بتقارير ضافية عن نشاط هذا الحاكم العام واستعداده التام مع بريطانيا ، وانه يطلب تأييد الحكومة البريطانية له ومساعدتها وذلك في حث الباب العالي بتلبية طلباته . وانه اذا وجد مساندة بريطانية فانه سيشعر بالثقة والنجاح وقد اكد الحاكم العام على القنصل البريطاني ان تظـــل اتصالاتهما ومفاهماتهما سرية ، وانه سوف يبلغ الحكومة البريطانية عن طريقه بكل ما قد يحتاج اليه من الحكومة العثمانية حتى يبدو ان الضغط الذى يوجه الى الباب العالي وكأنه نتيجة لاحتجاجات القنصل البريطاني في جدة (١٠٦) .

ويظهر القنصل البريطاني في جده مدى تدخله في امور الحجـــاز وتوجيهها ويبلغ حكومته انه ناقش يوم ٢ اكتوبر ١٨٧٩م مع الحاكم العام للحجاز المشاريع التى سبق وناقشها مع الحاكم السابق وابلغه ناشد باشا بانه سيعين لجنة لفحص تلك المشاريع وكتابة تقارير عنها ، ووعد بانه سيعرضها على القنصل البريطاني ويستشيره ويجرى ما يراه من تغييرات ضرورية عليها (١٠٧) .

## هـ ـ جمعية سرية في مكة المكرمة :

في الوقت الذى كانت فيه بريطانيا تعمل على بسط نفوذها في الحجــاز بكسب صداقة وولاء شريف مكة والحاكم العام للحجاز ، تلقت انباء صادرة مـــن الحجاز ، اعتبرتها ذات طبيعة خطيرة ، واقلقها ما قد تسببه لها من متاعــب وصعوبات في المستقبل ، تلك هي الجمعية السرية التى تكونت في مكة المكرمة من شيوخ القبائل والاشراف والتى تهدف الى تخليص المسلمين من السيطرة

---

(١٠٦) وثائق الخارجية البريطانية : رسالة سرية من القنصل البريطاني في جدة رقم ٢٢ وتاريخ ٢٥ اكتوبر ١٨٧٩م F.O. 195-1251-07283.

(١٠٧) وثائق الخارجية البريطانية : رسالة القنصل البريطاني في جدة رقم ٧٠ وتاريخ ٣ اكتوبر ١٨٧٩م . F.O. 195-1251-08632.

المسيحية ، والتي كانت على اتصال بكل المجتمعات الاسلامية في أنحاء العالم، وذكر انه كان لها دور كبير في ثورة الجزائر التي بدأت في وقت لم يكن من المتوقع ان تبدأ فيه ، اذ كانت الخطة ان تبدأ الثورة في الجزائر حينما تتهيأ الظروف للثورة والحرب في بلاد أخرى . وهذه الجمعية لم تكن راضية عن نتائج الحرب الاخيرة بين الدولة العثمانية وروسيا ، لدرجة ان اعضاء الجمعية اخذوا يناقشون بصورة جدية فكرة سحب لقب" خليفة المسلمين" من السلطان العثماني ويعللون انه طالما ان السلطان واقع تحت سيطرة القوى المسيحية فانه لم يعد في الامكان اعتباره مستقلا ، وعلى هذا لا يمكن أن يستمر الممثل الحقيقي للنبي صلى الله عليه وسلم ويجب ان توكل المهمة المقدسة هذه لشخص آخر.

وعلمت الحكومة البريطانية بان هذه الآراء التي تبنتها جمعية مكة السرية نشأت بادئ الأمر في دمشق ، حيث كان من المقرر أن تكون تلك المدينة مقرا لرئاسة المسلمين ، ولكن جمعية مكة كانت ضد هذه الفكرة ، على اساس ان دمشق لا تصلح لهذا الغرض اذ انها في متناول النفوذ الاوروبي ، واقترحت ان تكون المدينة المنورة مقرا للرئاسة حيث تتوفر لها كل العوامل التي تؤهلها لهذا الغرض ، مثل بعدها عن النفوذ الاوربي ، وصعوبة الوصول اليها وقدسيتها ، وطهر اخلاق المسلمين فيها (١٠٨) (انظر نص الوثيقة في ملحق الوثائق )

ونحن لا نشك في صحة هذه المعلومات اذا ربطنا بينها وبين عدة امور منها مثلا
١ـ ما سبق ان اوضحناه في الفصل الثاني عن الرسالة التي بعث بها علماء دمشق الى علماء حماة يدعونهم فيها الى الانضمام اليهم في حركتهم للقضاء على المسيحيين ويبلغونهم بما تم الاتفاق عليه لقتل السلطان العثماني وتنصيب ولده

---

(١٠٨) وثائق الخارجية البريطانية : رسالة القنصل البريطاني في جدة السرية برقم ١٩ وتاريخ ٦ اغسطس ١٨٧٩م F.O. 195-1251-07283.

مكانه بعد تعهده بالسير في الاتجاه الاسلامي وتطبيق تعاليم الشريعة الاسلامية (١٠٩) ٢ ـ رسالة القنصل البريطاني في جدة التي يعلق فيها على أخبار هذه الجمعية ويقول لحكومته ان هذه الاخبار عن جمعية مكة السرية توضح وتثبت لبريطانيا صدق المعلومات التي سبق ان ابلغها الشريف حسين لها كما تبين مدى اخلاصه . ٣ـ ماذكره القنصل البريطاني في جدة ايضا عن استفساره من الحاكم العام للحجاز ناشد باشا عما اذاكان يدرك الشعور السائد في الحجاز ( يقصد بذلك ما تردد من انباء عن الجمعية السرية وكان رد ناشد باشا هو الايجاب ، بل اضاف الى ذلك قوله بانه ستكون هناك متاعب خطيرة في المستقبل القريب (١١٠) وكل ما اوردناه يثبت حقيقة وجود تلك الجمعية والتي قد يكون شريف مكة الشريف حسين هو الذى سرب هذه المعلومات عنها بهدف معرفة ردود الفعل لدى بريطانيا ، وربما ليثبت لهم عمق الاخلاص، كل ذلك كان محتملا ، ولكن الشريف قتل ، واخذت المخططات البريطانية تواجه انتكاسة قوية من قبل الشريف الجديد .

و ) امارة الشريف عبد المطلب وموقف الانجليز منها :

بعد مقتل الشريف حسين في جدة عين الشريف عبد الله من قبل الحاكم العام قائما بعمل الشريف. وقبل ان تعرف بريطانيا بنيات الباب العالي تجاه تعيين الشريف عبد المطلب* لشرافة مكة ، بادر القنصل البريطاني في جدة ،

---

* كان الشريف عبد المطلب قد تولى الشرافة قبل ذلك مرتين الأولى : من سنة ١٨٢٧ والثانية من ١٨٥٢ الى ١٨٥٦ حين قررت الدولة عزله ونفيه الى الاستانة نتيجة فتنة وقعت بين اهل مكة والاتراك وكان سببها تحريم بيع الرقيق في مكة المكرمة .

(١٠٩) وثائق الخارجية البريطانية : رسالة العلماء الشام الى علماء حماة رقم ٢٩٠ وتاريخ ١٨٦٠م F.O. 78-1538-07451.

(١١٠) وثائق الخارجية البريطانية : رسالة القنصل البريطاني في جدة السرية رقم ٩١ وتاريخ ٦ اغسطس ١٨٧٩م F.O. 195-1251-07283.

بالكتابة الى وزير الخارجية البريطاني يحثه للوقوف الى جانب ذوى عون والعمل لدى الباب العالي لتعيين الشريف عون باشا اميرا لمكة ، لأهمية وضرورة ذلك للنفوذ البريطاني ، ولأن مصالح بريطانيا تقضي ان تظل اسرة زيد بعيدا عن السلطة ، ثم بعث بتقرير مطول سرد فيه تاريخ اسرة زيد والذى اتصف بعدم التعاون مع الانجليز . واكد في هذا التقرير ايضا على نقطتين هامتين هما : ١- "انه اذا استطاعت الحكومة البريطانية ان تمكن للشريف عون تولي منصب شرافة مكه ، فانها تكون قد كسبت كل اقليم الحجاز لنفسها وبالتالي سوف يقوى مركزها في العالم الاسلامي . ٢- اما اذا تولى عبد المطلب هذا المنصب فانه سيستغل نفوذه ضد انجلترا ومصالحها ، وهو كوهابي في داخل نفسه يرى ان المسيحيين جميعا كلاب - يجب استئصالهم من فوق الأرض (١١١) .

وسبق ان اشرنا الى استغلال السلطان عبد الحميد لمقتل الشريف حسين لتقليص النفوذ الانجليزى في الحجاز ، وتدعيما لهذا الرأى ، فان السلطان عبد الحميد كان قد وعد الشريف عبد المطلب بمنصب الشرافة قبل مقتل الشريف حسين ، ويعتقد ان هذا الوعد ربما كان وراء مقتل الشريف السابق . وتمشيا مع سياسة تقليص النفوذ الانجليزى ، اعتبر السلطان عبد الحميد ان الشريف عبد المطلب هو الرجل الذى يلائم السياسة القائمة نظرا لما عرف عنه من تعصب ضد المسيحيين عامة وعداء للانجليز بصفة خاصة (١١٢) .

وبوصول الشريف عبد المطلب الى مكة في ٢٨ مايو ١٨٨٠م تبدأ امارته للمرة الثالثة ، وكانت قد تقدمت به السن ، وبعد ثلاثة شهور من تقلده منصب الشرافة بدأت انجلترا حملتها ضده تدعيما لنفوذها ومصالحها في الحجاز خاصة

---

(١١١) وثائق الخارجية البريطانية : رسالة القنصل البريطاني في جدة السرية رقم ٢٨ وتاريخ ١٧ مارس ١٨٨٠م . F.O. 195-1813-07344.

(١١٢) وثائق الخارجية البريطانية : رسالة القنصل البريطاني في جدة السرية رقم ٣٥ وتاريخ ٢٢ ديسمبر ١٨٨٠م F.O. 195-1314-07301.

حيث كانت تعرف ان الشريف عبد المطلب يدرك الخطوات التى اتخذها كل القناصل فى جدة لمحاولة منع تعيينه شريفا لمكة ، كما كانت على علم بمدى تعصبه وتعصب المحيطين به ونظرته المليئة بالريبة الى كل الاجانب والرعايا العثمانيين الذين يميلون الى الأوروبيين (١١٣) .

ويبدو ان الشريف عبد المطلب اخذ يتخذ عددا من الخطوات للحد من النفوذ البريطانى فى الحجاز بل ومحاربته فى مستعمرته الهامه ( الهند ) ولذلك نجده يساند احد الثائرين الهنود من مليبار هو سيد فضول Sayed Fédool بل ويجعله وكيلا خاصا له فى استانبول ، وكانت تعليمات الحكومة البريطانية قد صدرت لقنصليتها بجدة بمراقبة تحركات هذا الثائر الهندى فى الحجاز وبعث تقارير عنه .

ويوجه الشريف عبد المطلب للنفوذ الانجليزى فى الحجاز ضربة أخرى بمباشرة سلطته على الرعايا البريطانيين من الهنود ، واعلن بانه سيتم النظر فى كل نزاع يحدث بين الرعايا البريطانيين من الهنود والرعايا العثمانيين ، من قبل السلطة القضائية فى مكة لا فى جدة كما كانت تطالب بريطانيا استنادا الى الامتيازات الاجنبية المعمول بها فى الدولة العثمانية ، واعتبرت بريطانيا ان هذه الممارسة القضائية التى يرغب فى اجرائها الشريف انتهاك للأمتيازات المشروعة لرعاياها (١١٤) .

ويتابع الشريف السير فى طريق تقليص النفوذ الانجليزى فى الحجاز فيطلب من الباب العالى عزل ناشد باشا الحاكم العام للحجاز لتعاونه مع

---

(١١٣) وثائق الخارجية البريطانية : رسالة القنصل البريطانى فى جدة السريه رقم ٣٢ وتاريخ ٢٠ سبتمبر ١٨٨٠م F.O. 195-1314-07301.

(١١٤) وثائق الخارجية البريطانية : رسالة القنصل البريطانى فى جدة السريه رقم ٣٢ وتاريخ ٢٠ سبتمبر عام ١٨٨٠م F.O. 195-1314-07301.

الانجليز، ولما لم يستجب الباب العالي لطلبه ، بعث بطلب آخر ضمنه التهديد بالاستقالة من منصب الشرافة اذا لم يتم عزل الحاكم العام وطالب بتعيين صفوت باشا حاكما عاما بدله لكونه صديقا قديما له، ويستطيع العمل معه ، واستجاب الباب العالي لهذا الطلب الاخير وعزل ناشد باشا وعين صفوت باشا والذي وصل الى جدة في ٢٩ اكتوبر سنة ١٨٨٠م.

وما ان علمت بريطانيا بعزل ناشد باشا حتى ابدت اسفها لذلك نظرا لعلاقاته الودية معها . وقد اوضح القنصل البريطاني في جدة بانه اذا حدث واقيل قائمقام جدة هو الاخر من منصبه كما تم بالنسبة للحاكم العام فان ذلك سيكون كارثة لكل الاوروبيين . وان تعيين صفوت باشا كحاكم عام للحجاز يعني تقوية الجانب المعادي لبريطانيا وسيشكل ذلك في المستقبل عقبة امام المصالح البريطانية ، الا ان القنصل البريطاني رغبة منه في احتواء الحاكم العام الجديد للحجاز وكسب صداقته لصالح النفوذ البريطاني سارع الى زيارته والتودد له ، وابلغ حكومته عن سروره لان الحاكم العام الجديد قد اختار مقرا لاقامته بيت احد الرعايا البريطانيين هو السيد عمر بن محمد السقاف (١١٥) واخذت بريطانيا تنفي ان يكون سبب عزل ناشد باشا هو علاقته بها ، وعزت هذا العزل الى عدم تحمل الشريف عبد المطلب وقوف ناشد باشا في وجه سرقاته وتصرفاته غير الشرعية. والغريب العجيب في الامر ان بريطانيا رغم نفيها هذا نجد قنصلها بجدة يكرر في اكثر من تقرير بان ناشد باشا كان على علاقة وثيقة به، وانه كان دائما يقدم له العون في اداء واجبه ورعاية المصالح البريطانية (١١٦) .

---

(١١٥) وثائق الخارجية البريطانية : رسالة القنصل الانجليزي بجدة رقم ٣٣ وتاريخ ٣٠ اكتوبر عام ١٨٨٠م F.O. 195-1314-07301.

(١١٦) وثائق الخارجية البريطانية : رسالة القنصل الانجليزي بجدة رقم ٣٤ وتاريخ ٥ نوفمبر عام ١٨٨٠م. F.O. 195-1314-07301.

ولم تكتف بريطانيا باظهار معارضتها لتعيين الشريف عبد المطلب ، بل انها اخذت تبث جواسيسها ليجمعوا لها الاخبار عن هذا الشريف ، من ذلك بعثها بترجمان القنصلية الانجليزية في جدة السيد يوسف قدسي الى مكة المكرمة في شهر ديسمبر عام ١٨٨٠م للاتصال بوجهاء مكة ومن يعتقد انهم مناهضون وكارهون للشريف عبد المطلب ، وللتعرف على تيار الرأى العام داخل مكة وبين صفوف الحجاج . وقد قدم السيد قدسي تقريرا مطولا ضمنه الكثير من النقد لسياسة الشريف عبد المطلب كما صور فيه ان السخط عليه عام وانه مكروه جدا من كل الطبقات .

لكن الشريف عبد المطلب يواصل شن حملته على بريطانيا ويحاول هذه المرة اغتنام فرصة اجتماع الحجاج في منى فيجتمع مع بعض زعماء الهنود محاولا تأليبهم واثارتهم على النفوذ والسيطرة البريطانية ، بل ان بعض المعلومات التي وصلت الى بريطانيا كانت قد اوضحت بان الشريف عبد المطلب امعانا منه في اظهار عداءه للانجليز، كتب الى ذوى النفوذ في الهند بهدف ايقاظ نزعة التعصب عندهم ، وحضهم على الثورة (١١٧) .

ز ـ احوال الحجاز في عهد الشريف عبد المطلب :

ساد اقليم الحجاز في عهد الشريف عبد المطلب الاضطرابات، ففي المدن ساد شعور بعدم الرضا والخوف والغضب ، وفي الريف تزايدت اعمال السلب واتسعت الفوضى ، واختل الأمن على كل الطرق ، حيث اخذت عصابات اللصوص من البدو على المسافرين ، حتى ان الشريف عبد المطلب نفسه لم يأمن على نفسه وهو عائد من الطائف. كما ان قافلة الحجاج القادمة من نجد قد

---

(١١٧) وثائق الخارجية البريطانية بتقرير مترجم القنصلية بجدة رقم ٣٦ وتاريخ ٢٢ ديسمبر عام ١٨٨٠م F.O. 195-1314-07301.

سرقت امتعتها ، واعتدى اللصوص على الحجاج الهنود في الطريق بين جدة ومكة المكرمة (١١٨) .

وضج اهالي مكة المكرمة بالشكوى من سوء الحالة وقسوة المعاملة والظلم ، وفي عام ١٨٨١م رفع اهالي مكة المكرمة معروضا الى الباب العالي عن طريق سليمان بيك ياور السلطان عبدالحميد الثاني يشكون فيها الظلم الذي يتعرضون له من شريف مكة ، وانهم قد تعبوا من رفع التظلمات الى الحاكم العام للحجاز وقالوا في هذه الشكوى : انه منذ شرفت ركاب الامارة الى مكة المكرمة والى حين تقديم شكواهم وهم في اشد الكرب من جهة المظالم الحالة بهم بوجوه متعددة منها : ١- ان منهم من ضرب ( انغرش ) بغير جناية ومات منهم من مات ٢- ومنهم من أخذت امواله بطرق مختلفة ، فالشريف واعوانه اذ اشتروا اي مشتروات لا يدفعون اثمانها ، بل انهم يطلبون نقودا بالجبر ، ويرفضون اعطاء اي سند بالاستلام ٣- صودرت املاك الكثيرين بدون وجه حق او حكم شرعي . ٤- عدم تمكن اي مظلوم من الوصول الى مقر الشريف (الامارة) ويتعجب مقدمو الشكوى من عدم سماع الدولة العثمانية بما هو حادث من المظالم ويقررون انهم قدموا شكاواهم الى رشد باشا الحاكم العام السابق والى صفوت باشا الحاكم الحالي ولكنهم كانوا يواجهون بعد كل شكوى بزيادة الظلم عليهم ، وان الكرب الذي حل بهم جعلهم يشعرون بان الروح بلغت الحلقوم وضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، حتى ان بعضهم امام هذا الأمر الواقع قرر الالتجاء الى حماية الدول الاجنبية من اجل حقن دمائهم وحفظ اموالهم (١١٩) .

---

(١١٨) وثائق الخارجية البريطانية : تقرير مترجم القنصلية بجدة رقم ٣٦ بتاريخ ٢٢ ديسمبر عام ١٨٨٠م F.O. 195-1314-07301.

(١١٩) الوثائق البريطانية : معروض اهالي مكة رقم ٣٩ وتاريخ ١٨٨١م F.O. 195-1375-07429.

وعلى طريق المدينة المنورة هاجمت عصابة من قبيلة " عوف " تحت زعامة ابن بنبان قافلة فيها بعض الهنود ذوى المكانة وسرقوا منهم مبلغا كبيرا من المال . وتكاد مدينة الطائف تكون محاصرة ، والاسعار فى اسواقها مرتفعة بسبب المجاعة ، ولم يكن مستطاعا ارسال شئ الى هذه المدينة والناس فى خوف من الموت جوعا ، ولا يمكن تجنب ذلك الا بدفع المال الى البدو ليسمحوا بمرور المؤن ، ويقول البدو انهم لا يسرقون المسافرين ولكن يأخذون ما هو حق لهم من جانب الحكومة والشريف ، ويطلبون الى ضحاياهم ان يطالبوا بالتعويض من السلطات . وهنا نجد ان بريطانيا تحاول استغلال هذا الوضع الداخلى السيئ كذريعة للتخلص من الشريف عبد المطلب ، فتذكر بأن مثل هذه الحال لا يمكن ان تستمر طويلا . وانه اذا لم يعزل الشريف عبد المطلب ومعه الحاكم العام صفوت باشا فان الباب العالى سيجد نفسه فى مواجهة عدو خطير عندما يكون محتاجا لكل قواه كى يقاوم اخطارا اقرب الى وطنه (١٢٠) . وتتابع بريطانيا الاحداث فى الحجاز باهتمام ومواصلة السعى لدى الباب العالى للاساءة الى سمعة الشريف عبد المطلب فى الاستانة وتأخذ العريضة المطولة التى ارسلت من مكة المكرمة الى الباب العالى تتهم اساءة استعمال السلطة من جانب الشريف ، وتشكو من نزوات وجشع عبد المطلب ، وتعلق بريطانيا على هذه العريضة التى لا تحمل اية توقيعات بان عدم وجود توقيعات عليها يعطيها جدية اكثر لان هذا يثبت كيف ان أهالى مكة يعيشون تحت حكم ارهاب ، وشددت بريطانيا على القول بانه اذا سمح لعبد المطلب بحرية العمل فترة اطول فان اهل الحجاز سيثورون على السلطة الحاكمة (١٢١) ( انظر لصورة هذه الشكوى فى ملحق الوثائق ) .

---

(١٢٠) الوثائق البريطانية : رسالة القنصل البريطانى فى جدة رقم ٥ ٤ وتاريخ ٦ فبراير ١٨٨١م .
F.O. 195-1375-07429.

(١٢١) الوثائق البريطانية : رسالة القنصل البريطانى فى جدة رقم ٤٣ وتاريخ ١٣ يناير ١٨٨١م .
F.O. 195-1375-07429.

٢ - اتصل اعضاء الوفد بالسفير البريطاني وحثوه على وجوب اعتماد بريطانيا على ذوي عون دون غيرهم في اتصالات بريطانيا مع امراء شبه الجزيرة العربية، وردد وا على مسامعه ماكان قد اشيع( عرف)بان الشريف السابق حسين بن عون قتل لانه كان صديقا للأنجليز وعلى صلة سرية بهم* (١٢٣) ولكن يبدو ان هذا الوفد كان يعمل بطريقة عجيبة فهو في الوقت الذي يتهم فيه الشريف عبد المطلب بصداقته للانجليز، يقوم هذا الوفد بحث السفير البريطاني في الاستانة بالاعتماد على ذوي عون لانهم اصدقاء تقليديون للأنجليز، اي انهم يحلون لانفسهم صداقة الانجليز ويحرمونها على سواهم، ومع ذلك فان الاستاذ انيس صايغ الذي نقل لنا هذه الرواية، يقرر بان المصادر الزيدية طعنت في صحة هذه الوثائق ووصفتها بانها مزوره . ونحن هنا نؤيد ما ذهبت اليه المصادر الزيدية ، ونشك في صحة الرواية بل نؤكد ذلك من واقع ما أوردناه في هذا الفصل من الوثائق البريطانية الرسمية عن المحاولات البريطانية المتكررة لنزع عبد المطلب من شرافة مكة، لانه كان عدوا لها ولنفوذها .

والجدير بالملاحظة ان فرنسا لم تحاول ان تستغل عداء الشريف عبد المطلب لمنافستها انجلترا ، لصالح نفوذها في الحجاز، وقد يعود ذلك الى ان الشريف عبد المطلب كان في عدائه لا يفرق بين الانجليز والفرنسيين فهو عدو لكل المسيحيين .

ط - الاهتمام البريطاني بالحجاز:

وقبل خمسة شهور تقريبا من عزل الشريف عبد المطلب من شرافة مكة

---

* لقد اثبتنا صحة ذلك الاتصال بالوثائق الرسمية في هذا الفصل .

(١٢٣) انيس صايغ : مرجع سبق ذكره ص٣٥ .

اى فى اول شهر يوليو سنة ١٨٨١م بعث القنصل الانجليزى بجدة الى حكومته بتقرير هام جدا ، ناقش فيه ثلاث مسائل او مشكلات هى :-

١- المشكلة التجارية. ٢- المشكلة السياسية. ٣- مشكلة الرق .

وسنورد ملخصا عن المشكلتين التجارية والسياسية لعلاقتهما المباشرة ببحثنا ، وسنترك الحديث عن مشكلة الرق نظرا لأن ماورد فى هذا التقرير عنها يحتاج الى مناقشة دقيقة ، وهذه لا يمكن ان تتم الا بعد بحث خلفيات هذه المشكلة وجذورها ، وهذا قد يخرجنا من اطار هذا البحث وهو ما تجنبناه هنا .

فبالنسبة للمشكلة التجارية: اوضح القنصل فى هذا التقرير ، ان تجارة البحر الاحمر ترتكز فى نقطتين هما جدة والحديدة ، ومنهما تنتشر على شكل مروحة فوق بلاد العرب والساحل الافريقى المواجه ونصيب انجلترا ومستعمراتها من هذه التجارة يقدر فى المتوسط بحوالى اربعة ملايين جنيه استرلينى سنويا والحجاز ليس بلدا منتجا ، وعلى ذلك فان صادراته ذات قيمة ضئيلة ، ومع ذلك فان الواردات الى جدة تزيد على مليون وخمسمائة الف جنيه استرلينى سنويا ويعمل فى هذه التجارة عدد يتراوح بين ١٠٠-١٥٠ ، ومائة وخمسون سفينة بريطانية ، ويقدر عدد الرعايا البريطانيين والهنود ورعايا المستعمرات المنتشرين فى الحجاز واليمن والساحل الافريقى معا كتجار وبائعين وحرفيين يقدر فى المتوسط بعشرين الفا ، ولكن يحتمل ان يكون هناك اكثر من خمسة وعشرين الفا .

وفى جدة تتم جميع عمليات الشحن فى نشاط ويسر ، ولكن فى الموانئ الاخرى حيث لا توجد سلطة بريطانية تساعدهم وتحميهم فان الربابنة كثيرا ما يواجهون العقبات التى توضع عمدا بهدف زيادة التكاليف.

اما بالنسبة للمشكلة السياسية فقد اشار الى ان الاراضي المحيطة بالبحر الاحمر قد جذبت اهتمام المانيا وفرنسا وايطاليا ، ولكن قصدهم غير واضح تماما حتى كتابة التقرير، ولكنما لا شك فيه ان لهم اهدافا سياسية، ولا ينفى ان نفترض ان المانيا وايطاليا ترسلان باستمرار مبعوثين لأهداف علمية او تجارية والذين تحت ستار كونهم تجارا وسائحين ورياضيين أو قوميين يدرسون مصادر الثروة، والمنتجات . . . ويبدو ان فرنسا تسلك طريقا مشابها بواسطة مبعوثيها .

والنقطة التي لها اهمية، بالنسبة لانجلترا من الناحية السياسية هي الحجاز، لكونه مركز الفكر الاسلامي ، والنواة التي منها تشع الافكار والنصائح والتعاليم والتفاسير العقائدية . وتسيطر مكة روحيا على كل مسلم حيثما يكون وطالما بقيت مكة كأقدس مقدسات المسلمين، فسيبقى كذلك اميرها - سيبو الشريف - يملك النفوذ الاقوى على العالم الاسلامي . وقد نما تدريجيا الاعتقاد ان السلطان "كخليفة" هو الرئيس المعترف به للعقيدة الاسلامية، وهذا خطأ كان يمكن للعرب والهند والذين ظهر الاسلام بينهم ان يمحوه لو كانت لديهم الوسائل لتحرير بلدهم من الوجود التركي . وفي بلاد العرب ينظر الى خلافة السلطان على انها اغتصاب ، وليست هذه عقيدة سرية ولكنهم يعبرون عن ذلك بحرية ، ويسمع هذا الاف الحجاج الذين يأتون الى الحجاز كل عام، ولايوجد شك في انه حيث يوجد الاسلام فان الشريف العظيم يعد الرئيس الحقيقي للدين ويؤكد ذلك المبالغ الكبيرة والهدايا الأخرى التي ترسل باستمرار الى مكة المكرمة من كل بلد اسلامي . ويستطيع الشريف ان يحصل على النقود لاستعماله ، ولكن السلطان الذى تعد النقود الان ضرورة له، لا يستطيع الحصول على قطعة صغيرة من العملة على صورة هبات

اختيارية حتى من رعاياه هو، ومع ذلك نسلمه ايضا ان يرسل هدايا ثمينة الى الشريف وكذلك الى المكمة ( المشرفة ) ، والشريف عبد المطلب يعلن نفسه الرئيس الديني ، وعندما يتحدث عن السلطان فانه يسميه ( ابنه ) ويقول انه كثيرا ماقبل جلالة السلطان يده. وبصفته اميرا لمكة فان الشريف غير مطالب بان يحلل تصرفاته في امور الدين أو كحاكم للبدو. ويمكن ان نضرب مثلا للتدليل على الاجلال والاحترام اللذين يتمتع بهما الشريف المعظم. بان احد الاهداف الرئيسية للحاج هو ان يراه ويسمعه يتحدث ولا يستطيع أي رجل ان يدعي انه حج الا اذا شهد في عرفات الحفل الذي يرى فيه سموه في هيئته الرسمية، ويسمع كرئيس ديني. وينهي القنصل البريطاني تقريره الهام هذا بقوله: " والحجاز ايضا نقطة ذات أهمية كبيرة لانجلترا وعلاقتها بالهند ومستعمرات المضايق ، بسبب الالاف الكثيرة من الرعايا البريطانيين المسلمين الذين يفدون اليه كل عام، وهؤلاء الزوار السنويون ينتمون الى كل طبقة، الى الطبقة العليا، والى الطبقة الدنيا ، وانا على قناعة ان كثيرين من الطبقة العليا من المسلمين يأتون الى الحج لاسباب سياسية ، ولكون مكة خالية من التدخل الأوروبي ، فانها ارض آمنة ، يمكن ان تعقد فيها الاجتماعات ، ويتم تبادل الأفكار وتكوين الاتحادات ومهامها ، ولأن مكة تستخدم لهذا الغرض ، خاصة وانه يحكمها رجل لاحد لتعصبه، فأن هناك سببا للشك ، ولم نقم حتى الآن ( يقصد عند وضع التقرير ) بمراقبة أولئك الذين يأتون اليها ويذهبون ، كما اننا لا نعرف من يغادر الهند الى مكة، وهكذا فربما تعقد الاجتماعات في مكة حيث تتكون الاتحادات المعادية لنا دون أن ندري شيئا ، حتى تنفجر القنبلة بيننا .

ويمكن تغير هذا الوضع الخطير للأمور، فان نظام جوازات السفر الذي يسير عليه الميناء سيتيح للحكومة الهندية فرصة معرفة الهنود الذين

يغادرون الهند الى الحجاز. واذا استطاعت هذه القنصلية ان يكون لهـا وكيل موثوق به في مكة المكرمة فاني اعتقد انه يمكن الحصول على قدر كبير من الاستخبارات التي سوف يثبت انها ذات فائدة كبيرة لـ حكومة الهند البريطانية" (١٢٤)

ى ـ عودة ذوى عون لشرافة مكة :

في الحادى عشر من نوفمبر ١٨٨١م وصل الى جدة الجنرال اسماعيل باشا قادما من الاستانة حاملا معه الفرمان السلطانى الصادر بعزل الشريف عبد المطلب من شرافة مكة، وتعيين الشريف عبد الله بن عون اميرا لمكة بالوكالة ريثما يصدر فرمان آخر بتعيين شريف لهذا المنصب . ولعل عزل الشريف عبد المطلب من شرافة مكة يعتبر انتصارا لمساعي ذوى عون، وهو في نفس الوقت انتصار لبريطانيا وتمكينا لنفوذها في الحجاز من جديد . خاصة وان السلطان العثماني كان قد اصدر في عام ١٨٨٢ فرمانا بتعيين الشريف عون بن محمد المعروف بعون الرفيق شريفا لمكة مكافأة لبني عون الذين نفذوا أمر السلطان بقتل مدحت باشا في سجنه بالطائف .

وهذا الشريف الجديد هو الذى سعت بريطانيا لتعيينه منذ عام ١٨٨٠م ووصل هذا الشريف الى الحجاز في ٢٢ اكتوبر ١٨٨٢م واستقبل بمظاهر التكريم والفرحة وواجه في الايام الاولى لاثارته اضطرابا في الأمن اذ تمردت قبائل زبيد، وبشر وعبد وسليم (١٢٥) .

---

(١٢٤) وثائق الحكومة البريطانية : تقرير القنصل البريطاني في جدة رقم ٢٧ وتاريخ الاول من يونيو ١٨٨١م . F.O. 195-1375-07429.

(١٢٥) فؤاد حمزة : قلب جزيرة العرب (طبعة مكة ١٩٣٣) ص ٣١ .

ك - الانجليز وتصديهم لتأثيرات الثورة العرابية في الحجاز :

قبل وصول عون الرفيق الى الحجاز بحوالي شهرين ، حـــدث أن اندلعت الثورة العرابية في مصر وبدأ الانجليز يوسعون من خطواتهـــم لاحتلال القطر المصرى ، ففي ٤ أغسطس من عام ١٨٨٢ بعث عرابي باشـــا برسالتين للحجاز احداهما لحسن* خان ، والثانية لحاكم الحجاز العـــام عثمان باشا يرجوه بان يلتمس من سمو الشريف ان يقيم الصلوات من أجـــل نجاحه في مكة المكرمة ، حيث انه حمل السلاح من اجل بلده ودفاعا عن كرامة أمته ، وان يخبر الشريف بان هذا هو أوان تقديم مساعدة سموه للمسلميـــن ، كما طلب الى المسلمين قراءة صحيح البخارى في المساجد (١٣٦) .

ولسوء حظ عرابي باشا فان رسالته جاءت في وقت غير مناسب فلو كان على رأس السلطة في مكة عبد المطلب عدو الانجليز فانه بلا شك كان سيعمل اى شيء في وسعه لمساعدة عرابي ، ولكن الوضع قد تغير واصبح على رأس السلطة في الحجاز آل عون اصدقاء الانجليز لذلك فان رسالة عرابي ظلت في طـــي الكتمان لا يعرف بها احد من الناس ، وعلى هذا فان بريطانيا لم تقلق على مصالحها في الحجاز خاصة وان انضمام السلطان العثماني الى انجلتـــرا ، باعلانه عرابي باشا متمردا كان له اثره على السياسة البريطانية وشعورهـــا بالارتياح . ورغم ذلك فان بريطانيا كانت تخشى من انتصار عرابي ، ولذلـــك فانها اخذت بسياسة عرض للقوة في المنطقة وفي مياه جدة بالذات حتـــى لا يفكر احد في مساعدة عرابي والوقوف في وجه المخططات الانجليزيـــة وتمشيا مع هذه السياسة بعثت بالسفينة ( سي جل ) Sea Gull

---

* مواطن من كابول بافغانستان اتخذ لنفسه وضعا مع الاتراك على انـــه واحد من الاسرة المالكة الافغانية الا ان شقيق مشير علي انكره حينمـــا كان في حج عام ١٨٧٩ م .

(١٣٦) وثائق الخارجية البريطانية : رسالة القنصل البريطاني في جدة رقم ٤٩ السرية وتاريخ ١٨ أغسطس ١٨٨٢ م F.O. 195-1415-07451.

ورأت في ارسال سفينة اخرى الى جدة سيكون امرا مفيدا وانه لا شيء افضل من عرض هادىء للقوة" حيث ازعجها وجود بعض الاشخاص في الحجاز من ذوي النفوذ يسرهم هزيمة الانجليز ويروجون للتقارير والاخبار التي كانت ترد من مصر وتقول بان بطارية المدفعية المصرية قد اغرقت السفن البريطانية، وان القوات الانجليزية قد هزمت في كفر لدواره واخذت تعمل على التهديد والوعيد لمنع الاثار السيئة التي كانت تخشاها من وراء هذه الكراهية التي اخذت في الظهور في اوساط مجتمع جدة، مذكرة اهالي جدة ان مدينتهم ستكون تحت رحمة بارجة حربية . واوعزت الى قنصليتها بجدة للاستيلاء على الصحف العربية التي ترد من مصر، وفعلا اخذ يقوم بهذا العمل السيد القنصي احد موظفي القنصلية البريطانية بجدة (١١٧) .

## ل- بريطانيا تخطط لاقامة دولة عربية في الحجاز:

وبعد ان أحكم الانجليز قبضتهم على مصر كخطوة هامة لمد نفوذهم وسيطرتهم الى اتجاهات واماكن أخرى ، اخذوا في تدعيم مراكزهم التي أسسوها خلال القرن التاسع عشر في شبه الجزيرة العربية، بعد ان واجهوا منافسة ومقاومة قوية من جانب فرنسا لوجودهم في مصر وتمكنت بريطانيا بوسائل متعددة ان تحصل على شيء من المهادنة الفرنسية بان تركتها تبتلع اراضي شمولها افريقية. واخذت بعد ذلك في استخدام مصر كرأس جسر لتوسيع نفوذها وتعزيز مواقعها ليس في السودان وشمال شرقي افريقيا فحسب ، بل وفي شبه الجزيرة العربية ايضا . ففي سبتمبر عام ١٨٩١ بعث رئيس الوزارة البريطانية Salisbury الى السفير البريطاني في الاستانة يقول له : " ان جزيرة العرب هي كابوس احلام السلطان، ونقطة الضعف في درعه، ففي

---

(١١٧) وثائق الخارجية البريطانية : رسالة القنصل البريطاني في جدة رقم ١٤٤ وتاريخ ١ اغسطس ١٨٨٢م F.O. 195-1415-07451.

ساعة ما من الليل او النهار يمكن ان يظهر في الجزيرة العربية بالذات امام المؤمنين المعارض له" (١٢٨) وفي عام ١٨٩٢ علم قنصل روسيا العام في مصر من مختار باشا المندوب العثماني في مصر بان الباب العالي قلق جداً للخطط البريطانية الرامية الى تأسيس دولة عربية في الحجاز والمناطق المتاخمة لها (١٢٩) كما أن فرنسا كانت تتابع النشاط البريطاني وعلى علم بالخطط البريطانية ولذلك فقد نبهت الاستانة الى ابعاد هذا المخطط في عام ١٨٩٣ وقد اوضح السفير الفرنسي في الاستانة في احد تقاريره لحكومته قائلاً: "ان السلطان عبد الحميد لا يفهم ان استمرار احتلال مصر سيؤدي الى الحماية البريطانية، والى تجزئة الامبراطورية، والى استبدال الخلافة العربية بالخلافة العثمانية عاجلا ام آجلا" (١٣٠) ويبدو ان السلطان العثماني قد اخذ يتابع ما تلقاه من معلومات عن الخطط البريطانية الرامية الى اقامة دولة عربية في الحجاز، وخاصة في اواخر عام ١٨٩٤ واوائل عام ١٨٩٥ حين بدأ يتحرك في طلب تقارير دقيقة عن نشاط عملاء بريطانيا الذين تسربوا الى الحجاز من مصر. كما طلب من المسئولين ابداء مرئياتهم ومقترحاتهم حيال الاجراءات المضادة. واكدت الوثائق الروسية ان الدبلوماسية البريطانية كانت تسعى في اتخاذ الاجراءات الجدية الهادفة الى ضم الحجاز الى مصر، وتأسيس خلافة جديدة في شبه الجزيرة العربية لمواجهة تركيا (١٣١).

---

(١٢٨) بونداريفسكي: سياستان تجاه العالم العربي ص٢٥

(١٢٩) ارشيف الخارجية الروسية: الارشيف السياسي ملف ٤٨٣ ص١٣١ من القنصل الروسي الى الخارجية الروسية رقم ٩ وتاريخ ٢٣ يناير عام ١٨٩٢م

(١٣٠) ارشيف الخارجية الفرنسية: Documents Diplomatiques Français Ser. I.V.IX, Paris, 1935, No. 279.

(١٣١) ارشيف الخارجية الروسية: موجودات الديوان ١٨٩٥ ملف ٢٦ المجلد الاول ص٤٦-٤٨ من السفير الروسي في الاستانة الى وزارة الخارجية برقم ٥٦ عام ١٨٩٥م.

ويبدو لنا ان هذه الفكرة قد استمرت مناقشتها فى اكثر من جهــــة مسئولة فى بريطانيا والهند ومصر وغيرها حتى كادت تتحقق خلال فترة الحرب العالمية الأولى ، لولا ان مصالح بريطانيا وحلفائها فى المنطقة اقتضـــت ادخال بعض التعديلات عليها .

والى جانب اهتمام بريطانيا بالحجاز سياسيا فان الناحية الاقتصادية كانت تلقى هى الأخرى الاهتمام اللازم ، فكانت التجارة البريطانية فــــى الحجاز تمثل ثلاثة ارباع تجارتها بالاضافة الي الاعداد الكبيرة من السفن البريطانية التي كانت تنقل تلك التجارة .

اما فرنسا منافسة بريطانيا فانتجارتها مع الحجاز كانت وفق التقاريـــر الفرنسية الرسمية قليلة الاهمية ويرجع ذلك الى نقص وسائل المواصـــــلات المباشرة بين فرنسا والحجاز ، حيث ان الخطوط الملاحية الفرنسية لا تقف فى اغلب الاوقات بميناء جدة ، وكانت اكثر خطوطها تصل الى السويس فقط ومـن السويس يتم نقل البضائع الفرنسية الى موانيء الحجاز ، وتلك تضيف الى اثمان الواردات الفرنسيةمصاريف تجعلها اغلى فى الاسواق من البضائع الانجليزية المنافسة لها ، كما ان شركات السكك الحديدية الفرنسية ترفض قبول الطـرود البريدية المرسلة الى جدة على اساس ان الحجاز لم يكن آنذاك مدرجا فـــى قائمة البلدان التى قبلت تبادل الطرود البريدية ، وان كانت هذه الخدمة تؤدى فى بعض الاحيان من قبل الشركة المصرية للبواخر ( الخديوية ) والتى تؤمن الخدمة البريدية الى ينبع وجدة وسواكن (١٣٦) .

---

(١٣٦) وثائق الخارجية الفرنسية : رسالة القنصل الفرنسى بجدة الى باريــس رقم ٢٥ وتاريخ ١٢ ابريل ١٨٩٦م .  Ref. A.E.: 445, Vol. 5.

م مرض الشريف عون الرفيق واستغلال بريطانيا له :

في يوم ٤ فبراير عام ١٩٠٢ م اعلن في الطائف عن فرار كل من الشريف صادق واخوه الاصغر وهما حفيدان من احفاد الشريف عبد المطلب ، كانا قد أبعدا الى الطائف في شهر نوفمبر عام ١٩٠١ م تحت حراسة عسكرية قوية ، وتمكنا من الفرار نتيجة لعدم تشديد الحراسة عليهما . ويظن انهما قد دخلا اقليم نجد ، واذا لم يكن ذلك قد حدث فيحتمل ان يحاولا الوصول الى قرية ساحلية في المنطقة المجاورة لجدة ، ومنها يبحران الى الساحل المصري (١٢٣)

وبعد هرب الأخوين باكثر من شهرين إعتلت صحة الشريف عون الرفيق امير مكة المكرمة فكتب رسالة الى القنصل البريطاني بجدة بتاريخ الأربعاء اول يوليو عام ١٩٠٢ ، يطلب فيها ان يبعث له القنصل بالدكتور محمد حسين لعلاجه والبقاء لديه مدة شهر او شهرين ويرسله له مع والي باشا . وقد بعث القنصل برد ، لسمو الشريف ابدى فيه أسفه لمرضه واستعداده ليبعث الطبيب مع والي باشا ليقيم لدى سموه شهرا واحدا فقط (١٢٤) . ويبدو ان القنصل الانجليزي السيد ديفي Devey قد اعتبرها فرصة ذهبية لجمع اكبر قدر ممكن من المعلومات عن اسرار الاشراف ولذلك فانه حال عودة الطبيب المعالج لسمو الشريف من الطائف قدم تقريرا سريا هاما جاء فيه : " انه اثناء زيارتي للطائف لعلاج سمو الشريف ( عون الرفيق ) ، اتيحت لي فرصة فريدة للتعرف على كل الاشراف من اقرباء الشريف الحالي وامراء مكة المكرمة السابقين ، وكانت لي صلة بكل عائلات الاشراف كطبيب ، وكانت لدى فرصة

---

(١٢٣) وثائق الخارجية البريطانية : رسالة القنصل البريطاني الى السفير في ١١ فبراير عام ١٩٠٢ م رقم ٧٥ F.O. 195-2126-08300.

(١٢٤) وثائق الخارجية البريطانية : صورة رسالة الشريف عون الرفيق الى القنصل بتاريخ ١٧ يوليو عام ١٩٠٢ م ورقم ٦٢ F.O. 195-2148-07313.

التعرف عليهم بطريقة غير رسمية . واتيحت لي مناسبات لاجراء احاديث ودية
مع جميع الاشراف والسهم في الحجاز الآن ( آنذاك ) .
الشريف علي بك ابن الشريف السابق عبد الله باشا .
والشريف ناصر بك عوني ابن عم الشريف علي بك .
والشريف ناصر بك حفيد الشريف السابق عبد المطلب .

وقد تبينت ان الشريف الحالي مكروه من كل الاشراف وشيوخ قبائل البدو وكذلك من عامة الشعب ، وسبب ذلك راجع الى سلوكه الاستبدادي والطغياني ، كما انه لا يعامل الاشراف وشيوخ القبائل بالاحترام والتقدير اللائقين بمكانتهم ووضعهم ، كما ان منح القمح والنقود التي تقدمها الحكومة التركية لا تصل اليهم كاملة أو بانتظام ، وفوق كل ذلك فان الشريف الحالي مجرد من اللباقة والقدرة الادارية . ولا يتمتع سموه حتى بحب ابنه واعضاء أسرته لانه بدلا من أن يوفر احتياجات الأسرة ، ينفق كل المال في أمور لا تدر أي دخل ، وعلى من يحابيهم ممن لا يمتون بصلة للأسرة .

واثناء الحديث عن خلافة الشريف ، عرفت أن أخاه الاصغر الشريف عبد الله الموجود الآن ( آنذاك ) في الآستانة قد يكون من المحتمل جدا ان يخلفه ، ولكنني في نفس الوقت وجدت أن رأي جميع الاشراف والجمهور يؤيد الشريف علي بك ابن الشريف السابق عبد الله باشا . ويقال أن أهل الحجاز كانوا يحبون الشريف عبد الله عندما كان يقيم هنا ، ولكن يعتقد بصفة عامة ان غيابه عن الحجاز لمدة اكثر من عشرين سنة ، ونزعته الدينية وحلمه مضافا اليهما ضعف ارادته تجعله غير لائق لوظيفة الشريف في الظروف الراهنة ، لان الاعتقاد السائد انه لا يستطيع السيطرة على البدو والذين زاد سخطهم خلال عهد الشريف الحالي ، وعلى النقيض من ذلك فان الشريف

علي بك ، هو رجل ذو ذكاء شديد ولباقة وارادة قوية ، وقد كسب حب واحترام وثقة كل الاشراف وشيوخ القبائل بفضل سلوكه الوقور وكرمه الفياض نحوهم - هو الرجل الذى اعتقد فى صلاحيته فى هذه الظروف .

وأود ان اذكر انه فى محادثاتى مع الشريف على بك ، وجدت انه ذو ميل نحو الحكومة البريطانية ، واذا أهتز الحكم التركى فى الحجاز فى أى وقت فى المستقبل القريب سيكون على بك رجلا نافعا جدا ، وانى أميل الى الاعتقاد ، انه اذا حظى بأقل تأييد معنوى من جانب الحكومة البريطانية ، فانه لن يتردد فى التخلص من نير الحكم التركى وقبول حماية الحكومة البريطانية" (١٢٥) .

وهذا التقرير الهام يبين بوضوح ان الحكومة البريطانية كانت تبحث عن شخصية قوية من بين الاشراف تستطيع تحقيق اهدافها . وهو ما يؤكد ما أوردناه عن الخطط البريطانية باقامة دولة عربية فى الحجاز ، خاصة وان الاشراف كانوا يرون آنذاك انه لكونهم من نسل النبى (صلى الله عليه وسلم) ، ولأنهم حكموا البلاد طويلا ، فانهم وحدهم الذين لهم الحق فى حكم الحجاز ولم تتزعزع هذه الفكرة لديهم ابدا فى ظل الحكم التركى الضعيف .

---

(١٢٥) وثائق الخارجية البريطانية : تقرير الطبيب محمد حسين رقم ٧٧ وتاريخ ٨ أكتوبر عام ١٩٠٢م F.O. 195-2148-08300.
انظر نص التقرير فى ملحق الوثائق .

# الفصل الرابــــع

## التنافس الانجليزي الفرنسي في جنوب شبه الجزيـــرة العربية - في اليمن - خلال القرن التاسع عشر الميـــلادي

عناصر هذا الفصل:

اولا - بداية الاتصال الأوروبي باليمن .

ثانيا - السيطرة العثمانية على اليمن .

ثالثا - استمرار الاتصال الأوروبي باليمن . ( الهولنديون )

١ - التسابق الانجليزي الفرنسي في اليمن قبل الحملة الفرنسية على مصر .

أ ) ظهور النشاط البريطاني .

ب ) ظهور النشاط الفرنسي .

٢ - اليمن بعد الحملة الفرنسية على مصر .

٣ - الفرنسيون واليمن ابان عهد محمد علي باشا .

٤ - اليمن بعد خروج قوات محمد علي .

٥ - اليمن بعد فتح قناة السويس .

٦ - الاهتمام الانجليزي والفرنسي باليمن بعد افتتاح قناة السويس .

٧ - بريطانيا تساعد الحركة الصهيونية للاتصال بيهود اليمن .

٨ - تدهور الوضع في اليمن .

٩ - دور الحجاز في اليمن .

اولا ـ بداية الاتصال الأوروبي باليمن :

يعتبر ( لودفيكو دي بارتيما Ludvico de Barthema اول اوروبي* دخل اليمن وتمكن من نشر الأخبار عن مدنها ومزروعاتها ومناخها عام ١٥٠٣م .

وكان الرحالة البرتغالي فاسكو دا جاما Vasco da Gama قد قام برحلته الشهيرة في التاريخ والتي دار خلالها حول افريقيا عن طريق رأس الرجاء الصالح ، ووصل الى سواحل جنوبي شبه الجزيرة العربية عام ١٤٩٨م وقام في رحلته الثانية عام ١٥٠٢ ببعث خمس سفن حربية لمهاجمة السفن العربية ومنع السفن الأخرى من المتاجرة والابحار في المحيط الهندي الا بتصريح خاص من قبل البرتغاليين كما قام البرتغاليون بمهاجمة سبع سفن عربية ، وهددوا جدة عام ١٥٠٥م وكان ملك البرتغال قد اقسم ان يستولي على مكة وان يقوم بنبش قبر الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة ، وقد اهتز المسلمون جميعا والعرب ومن بينهم اهالي اليمن على وجه الخصوص ازاء هذا الخطر البرتغالي (١) .

وقد ابدى المماليك اهتماما بالغا بمحاربة البرتغاليين ووقف تحول التجارة اليهم .

وعندما وصلت انباء محاولات البرتغاليين الجديدة بقيادة البوكيرك Al Buquerque للاستيلاء على عدن والتوغل في البحر الاحمر الى المماليك في مصر سارعوا الى تحصين ميناء جدة ووضع خطة دفاعية قوية في البحر الاحمر

---

* يذكر الدكتور فاروق عثمان اباظة في كتابه عدن والسياسة البريطانية في البحر الاحمر ص ٣٥ بانه في منتصف عام ١٤٨٧م تمكن الرحالة البرتغالي " بيرودي كوفلهام Perode Kovilham من الوصول الى عدن ووصفها بانها مدينة عظيمة وان بها تجارا من جميع الاجناس .

(١) د . فاروق عثمان اباظة : مرجع سبق ذكره ص ص ٣٦-٣٩ .

باقامة قواعد بحرية على السواحل اليمنية وخاصة فى عدن التى وافق السلطان عامر بن عبد الوهاب على ان يقيم السلطان الغورى قواعد بحرية على السواحل اليمنية لمواجهة اى عدوان جديد من قبل البرتغاليين ولتعقبهم فى المحيط الهندى ، الا ان عامر مالبث ان تراجع عن موافقته تلك مما اغضب المماليك (٢).

ورد المماليك على نقض السلطان عامر لوعده باحتلال جزيرة كمران واشتباك القوات المملوكية مع قوات عامر الظاهرى ، وتمكن المماليك من الاستيلاء على زبيد عام ١٥١٦ م ثم تعز وآب ورداع وزمار وصنعاء حيث دارت المعركة الفاصلة ( معركة الصافية ) وفر السلطان عامر الا انه وقع بعد فترة قصيرة اسيرا واعدم عام ١٥١٧ م (٣) .

<u>ثانياً- السيطرة العثمانية على اليمن :</u>

كان المماليك قد اصطدموا مع حليف الأمس الامام شرف الدين الذى رفض الحضور الى صنعاء لمقابلة القائد المملوكى ، فتقدم المماليك لحصاره فى مدينة ثلاء واثناء حصارهم لها وصلتهم انباء سقوط دولتهم فى مصر بيد العثمانيين ، فرفعوا الحصار عن ثلاء وعادوا الى صنعاء فى ١٥ يونيو عام ١٥١٧ م . واعلن قائدهم الامير اسكندر خضوع المماليك فى اليمن للسيادة العثمانية وتوجه الى زبيد لقربها من الساحل .

وقد رأى العثمانيون ان سيطرتهم الفعلية على اليمن ستمكنهم من الدفاع عن حدود الامبراطورية العثمانية من الجهة الجنوبية وذلك بحكم موقعها الاستراتيجى الهام المتحكم فى مدخل البحر الاحمر ، كما ان سيطرتهم

---

(٢) محمود كامل : مرجع سبق ذكره ص ٢٠١

(٣) قطب الدين النهروانى ( محمد بن احمد المكى ) : الاعلام باعلام بلد الله الحرام ، القاهرة ١٨٨١ م ص ٢٨٣ .

على اليمن ستمكنهم من ضمان سلامة الاراضي المقدسة في الحجاز بالاضافة الي تطويق اعدائهم الشيعة الصفويين في ايران من الجنوب (٤) ولذلك أمر السلطان سليمان القانوني بتجهيز حملة لتنفيذ خطة العثمانيين في السيطرة على البحر الاحمر قبل بعث حملته الى الهند لطرد البرتغاليين ، وقد بدأت هذه الحملة رحلتها من السويس في ٢٧ يونيو سنة ١٥٣٨م بقيادة سليمان باشا فوصلت الى اليمن ( عدن ) في اليوم الثالث من أغسطس عام ١٥٣٨م ، وتمكنت من الاستيلاء على عدن ثم اتجهت قوة عثمانية الى صنعاء بقيادة ازدمر باشا وهزمت قوات الامام الزيدي يحيى شرف الدين واستولت على صنعاء عام ١٥٤٧م وفي عام ١٥٥٨م آلت الامامة الزيدية الى المطهر ابن يحيى شرف الدين بعد وفاته وتحصن المطهر في بلدة ثلاء واخذ يوالي قتاله ضد القوات التركية حتى عام ١٥٦٨م عندما استرد صنعاء ثم استولى على تعز وعدن ولم يبق في يد الاتراك الا زبيد (٥) . وفي عام ١٥٦٩ تدفقت قوات عثمانية جديدة الى زبيد بقيادة الوزير سنان وتقدمت هذه القوات الى صنعاء وتمكنت من دخولها عام ١٥٧٠م .

ومر وجود الاتراك باليمن بفترة هدوء لم تتجاوز الاثني عشر عاما بين عامي ١٥٨٥-١٥٩٧م وما ان حل عام ١٦١٣م حتى واجه الاتراك هزيمة على يد القوات الزيدية اليمنية واضطروا الى عقد صلح مع زعمائهم ، ثم اخذ النفوذ العثماني في الانحسار امام زحف قوات الامام المؤيد محمد بن القاسم الى ان غادر الاتراك اليمن بعد عام ١٦٣٦م وانتهت بذلك المرحلة الثانية للوجود التركي باليمن (٦) .

---

(٤) Scott, Hugh, Dr. In the High Yemen, Murray, p.227.

(٥) محمود كامل : مرجع سبق ذكره ص ٢١ .

(٦) عبد الله احمد الثور : هذه هي اليمن ١٩٦٩ ص ص ٢٢٢-٢٢٥ .

## ثالثاً استمرار الاتصال الأوروبي باليمن :

### الهولنديـــون :

سبق ان وقفنا في الصفحات السابقة على بداية الاتصال الأوروبي باليمن وعرفنا في تلك الوقفة ان هذا الاتصال الذى قام به البرتغاليون اتسم بالعدوان والتدمير . . . وبعد ان سيطر العثمانيون على اليمن والبحر الاحمر ظهرت قوة أوروبية جديدة تمارس نشاطها في المنطقة هي القوة الهولندية التي أسست شركة الهند الشرقية الهولندية The Dutch East India Co. عام ١٦٠٢ وقامت هذه الشركة عام ١٦١٤ بارسال اسطول الى البحر الاحمر للحصول على المعلومات اللازمة لتنشيط حركة التجارة في سواحل البحر الاحمر (٧) .

ووصلت السفينة الهولندية الى عدن بقيادة بيتر فان دين بروكة Pieter Vanden Broecke ورحب به ايضا من قبل سلطان الشحر في حضرموت على اساس ان امير اورانج الهولندي حليف للسلطان العثماني . ثم زارت السفينة قشن ومخا التي اصبحت ميناء دوليا ، وفي عام ١٦١٨ م حصلت شركة الهند الشرقية الهولندية على فرمان تركي للقيام بتجارة سلمية في موانئ اليمن . . وفي هذه الاثناء كانت المنافسة قد اخذت تشتد بين الهولنديين والانجليز . كما واجه الهولنديون في اليمن ازدياد السخط عليهم بعد مهاجمتهم بعض السفن العربية* التي كانت تقوم بنقل بضائع

---

* وقد عرفت هذه السفن باسم الديبل وكانت تقوم بنقل بضائع برتغالية وكان يعتبرها العرب كمصدر اكبر للربح بالنسبة لهم وقد سبب الهولنديون لأنفسهم نقمة العرب لدى مهاجمتهم هذه السفن ، ويضاف الى هذا ان الحاكم العثماني في صنعاء كان يستفيد من هذه السفن وذكر بان خسارته الشخصية من حجز سفن الديبل قد بلغت مليونا من الريالات .

(٧) Hunter, F.M.: An Account of the British Statement At Aden, p. 164.

برتغالية[٨] وحينما فشل الهولنديون في اقامة وكالة تجارية لهم في مخا حيث كان الوالي العثماني في صنعاء قد اصر على عدم الموافقة محافظة على سلامة الأماكن الاسلامية المقدسة الذي يعرضها للخطر اقتحام اية قوة اجنبية مسيحية للبحر الاحمر قام الهولنديون بنقل مقر بعثتهم التجارية الى الشحر[٩]

وقد استمرت التجارة الهولندية في اليمن فترة غير قصيرة وكانت تعتمد على محصول البن اليمني حتى نقل الهولنديون زراعته الى جزر الهند الشرقية والغربية في عام ١٧١٢ تقريبا كما انتقلت زراعة البن بعد ذلك الى امريكا الجنوبية مما ادى في النهاية الى القضاء على احتكار اليمن لانتاج ذلك المحصول الهام، وقد نتج عن ذلك قلة دخل اليمن وتدهوره اقتصاديا [١٠] .

وحينما فقد الهولنديون كل امل لهم في استمرار وكالاتهم التجارية باليمن غادروها عام ١٧٦٢ فانفسح المجال امام البريطانيين للأشتغال بتصدير البن والتجارة اليمنية الى بلدان اوروبا ، بينما كان التجار الهنود يحتكرون التجارة في داخل اليمن ذاتها [١١] كما ان الفرنسيين بدأوا منذ مطلع القرن السابع عشر يقومون بدورهم في هذا المجال ، حتى اصبح السباق والتنافس بين بريطانيا وفرنسا ظاهرة واضحة خلال القرن التاسع عشر على وجه الخصوص .

---

(٨) محمود كامل : مرجع سبق ذكره ص ص ٢١٤-٢١٥ .

(٩) Marston, T.E.: op. cit., pp. 25-26.

(١٠) الدكتور عبد الحميد البطريق : من تاريخ اليمن الحديث ١٥١٧-١٨٤٠ ص ٤٦ .

(١١) Marston, T.E.: op. cit., p. 29.

## ١ ـ التسابق الانجليزى الفرنسى فى اليمن قبل الحملة الفرنسية على مصر:

### (أ) ظهور النشاط البريطانى :

يعتبر تأسيس شركة الهند الشرقية البريطانية المعروفـة باسـم : The Honourable East India Co. والذى بدأ بتوقيع الملكـة اليزابيث الأولى Elizabeth I على وثيقة انشائها فى ٣١ ديسمبر عـام ١٦٠٠ هو البداية العملية لانطلاق المد البريطانى الاستعمارى الى الهند وبلاد الشرق . وعندما منحت الملكة اليزابث الأولى امتيازا للشركـة المذكـورة يسمح لها باقامة مشروعات تجارية مع بلدان الجزيرة العربية ومنطقة البحر الأحمر فى مطلع القرن السابع عشر (١٢) ، قامت الشركة بارسال سفينة تجارية بقيـادة وليم كلينج William Keeling الى عدن لاقامة وكالة تجارية بها ، الا أنـه لم يتمكن من تحقيق ذلك لوجود العثمانيين آنذاك فى اليمن . الا ان البريطانيين عادوا وبعثوا بسفينة اخرى عام ١٦٠٩ وهى اسنسيون Ascension بقيادة الكابتن الكسندر شاربى Alexander Sharpy وذلك لاقامة علاقـات تجارية مع اليمن . وكان نصيب هذه المحاولة كسابقتها الفشل حيث اعتقلـت السلطات العثمانية الكابتن البريطانى ورحلته الى ميناء مخا (١٣) ولكن الشركـة لم يوقفها هذا الفشل عن محاولاتها فعادت وبعثت فى عام ١٦١٠ بثلاث سفن بريطانية الى عدن تحت قيادة سير هنرى ميدلتون Henry Middeleton الذى توجه الى مخا واستقبله حاكمها العثمانى رجب اغا بالترحيب ولكن هـذا الترحيب تحول فجأة الى هجوم شنه عليه بعض الجنود العثمانيين وقتلوا ثمانية من رجاله وساقوه (سير ميدلتون) وعددا من رفاقه الى صنعاء اسيرا وبعد أن

---

(١٢) الدكتور سيد نوفل : الاوضاع السياسية لامارات الخليج العربى وجنوب الجزيرة العربية ص٩٤ .

(١٣) Marston, T.E.: op. cit., p. 25.

استطلع الحاكم العام لليمن رأي الباب العالي قام باطلاق سراح ميدلتون ورفاقه بعد انذارهم بعدم العودة الى الجزيرة العربية (١٤) وجاءت المحاولة الرابعة في عام ١٦١٢ بثلاث سفن بريطانية بقيادة جون ساريز John Saris ووصلت الى ميناء المخا اليمني ، وقد لقي ساريز استقبالا طيبا من حاكم مخا العثماني "أدهر" بل واعتذارا من معاملة سلفه رجب اغا لقائد البعثة البريطانية السابق ميدلتون ومن حسن حظ هذه البعثة ان الحاكم العام لليمن قد أصدر انذاك تعليمات تعطي للأجانب حرية الاتجار في سواحل اليمن وشراء مايحتاجونه من ميناء مخا (١٥) .

ولدى قدوم البريطانيين الى اليمن في المرة الخامسة عام ١٦١٨ كان هدفهم تأسيس وكالة تابعة لشركة الهند الشرقية البريطانية في مخا ، وقد استقبل حاكم مخا رجب اغا ( وقد اعيد ثانيه ) قبطان السفينة آن رويال Anne Royal الكابتن شلنج Captain Shilling باعتذار على ما ملته لميدلتون وعزا ذلك الى التعليمات التي تلقاها من الوالي العثماني في صنعاء . وقد سمح للبريطانيين بتشييد وكالة تجارية لهم في مخا ، وبتحديد الضرائب على الاستيرادا والتصدير ٣٪ فقط ، واهتمت السياسة البريطانية منذ البداية بمساندة الحكم الامامي الزيدي متوخية في ذلك مساندته داخليا لتسهيل عمليات التبادل التجاري وخاصة ما يتعلق منها بتجارة البن اليمني في ميناء مخا .

وكان اليمن قد ظل ولمدة قرنين كاملين متمتعا باستقلاله الذاتي تحت حكم الائمة الزيديين بعد جلاء العثمانيين عن اليمن في عام ١٦٣٥ ، الا ان التنافس على الامامة الزيدية وعدم الاستقرار ادى الى ضعف وانهيار حكم ائمة

---

(١٤) الدكتور السيد مصطفى سالم : الفتح العثماني الأول لليمن ١٥٣٨-١٦٣٥ ص ٤٢٧ .

(١٥) Hunter, F.M.: op. cit., p. 164.

صنعاء في اوائل القرن الثامن عشر الامر الذى ادى الى انفصال بعض اجزاء اليمن ، مثل حضرموت ولحج وعدن واذا تجاوزنا الدخول في تفصيلات النزاعات الداخلية وعدنا الى خطنا السابق فاننا نلمس في بلاد اليمن نشاطا تجاريا ملحوظا في منتصف القرن الثامن عشر، حيث لم يعد في مقدور العثمانيين ان يطبقوا سياسة اغلاق البحر الاحمر في وجه التجارة الاوروبية. واخذت هذه التجارة تتدفق الى ميناء مخا ،حتى اطلق اسم هذا الميناء على البن الذى يصدر الى اسواق العالم في ذلك الوقت وقد اوضح الرحالة الدانمركي " كارستن نيبور Karsten Nibuhr الذى زار اليمن عام ١٧٦٢ في مؤلفه المشهور وهو * الذى ترجم الى عدة لغات ، ان اليمنيين كانوا يتبعون سياسة التسامح مع العناصر غير الاسلامية التي كانت تصل الى بلادهم حينذاك مما ادى الى تنشيط الحركة التجارية بين العرب والاجانب (١٦) وعندما ضعف حكم الائمة الزيديين في اليمن ، قام بعض اليمنيين بالهجوم على الوكالة التجارية البريطانية في ميناء مخا عام ١٧٧٠ ورد البريطانيون على هذا الهجوم بقصف ميناء مخا بالمدافع عام ١٧٧١م (١٧).

ب ـ ظهور النشاط الفرنسي :

قبل ظهور النشاط الفرنسي في البحر الاحمر عامة وبلاد اليمن خاصة كانت فرنسا قد اسست " شركة الهند الشرقية الفرنسية" عام ١٦٦٤م. الا ان الاتصال الحقيقي للفرنسيين بسواحل البحر الاحمر لم يبدأ الا في عام ١٧٠٩م حينما وصلت سفينتان فرنسيتان هما كوريز Curieuse وديلجينت Diligent

---

* Karston Niebuhr: Beschreiblun Von Arabien (1772).

(١٦) الدكتور محمد انيس: مرجع سبق ذكره ص ٢٢٤ .

(١٧) Marston, T.E.: op. cit., p. 30.

بقيادة دى ميرفيل De Marveille الى ميناء عدن فى ٦ فبراير عام ١٧٠٨م ثم بعد ذلك وصلتا الى ميناء مخا فى الثالث من يناير عام ١٧٠٩ وقد ظفر قائد السفينتين الفرنسيتين بابرام معاهدة مع حاكم مخا كمند وبعن الامام المهدى ، ومنحت هذه المعاهدة للفرنسيين حق ممارسة التجارة فى الميناء اليمنى نهارا والعودة الى سفنهم ليلا ، ورفع العلم الفرنسى فوق وكالتهم التجارية ودفع ٣٪ كضريبة على بضائعهم المباعة فى اليمن ، كما اعطتهم هذه المعاهدة حق ممارسة طقوسهم الدينية خلال اقامتهم على ارض اليمن (١٨) .

وقد دفع هذا النجاح الذى حققه الفرنسيون فى اليمن الى تحقيق نجاحات أخرى اوسع واكبر حجما وعمقا داخل اليمن ففى عام ١٧١١م وصلت الى مخا بعثة فرنسية جديدة برئاسة دى لا لاند De la Lande وبريكولين Bricolaine وقد قدر لهذه البعثة ان تكون ذات اهمية خاصة . فقد سأل الامام المهدى المريض الفرنسيين الذين نزلوا بميناء مخا عما اذا كان بينهم طبيب يستطيع علاجه من دملين كان مصابا بهما . فارسل اليه الجراح الثانى فى البعثة يصحبه السيد لاغرلودبيير الضابط الاكبر لبحارة السفينة بوند يشيرى كمندوبعن فرنسا لدى امام اليمن ، فبدآ السير باتجاه العاصمة حاملين الهدايا تخفرهما فصيلة من الخيالة وعدد من الجمال (١٩) .

ويبدو ان الفرنسيين عملوا على الاستفادة من تقديم هذه الخدمة الطبية للامام المهدى احمد بن حسن فارسلوا بعثة مكونة من عشرين شخصا الى مدينة كوكبة حيث يقيم الامام المريض لمقابلته وذلك فى ١٤ اكتوبر عام ١٧١٢ وقد مرت هذه البعثة فى طريقها الى كوكبة بعدد من المدن اليمنية منها جبلة ويريم وذمار (٢٠) . وتمكنت خلال الثلاثة الاسابيع التى قضتها فى كوكبة ان تعقد

---

(١٨) الدكتور جاد طه : مرجع سبق ذكره ص ٥٣ .

(١٩) جاكلين بيرين : مرجع سبق ذكره ص ١٠٩ .

(٢٠) Marston, T.E.: op. cit., p. 28.

معاهدة تجارة وولاء مع الامام بعد شفائه من مرضه (٢١) وقد شاهد الفرنسيون في كوكبه وصول سفراء من قبل الباب العالي ، جاءوا بوصفهم اصدقاء في هذه المرة حاملين طلبا من السلطان العثماني بوقف الاتجار مع الأوروبيين ، وعدم تصدير البن الا الى مصر ، لان التجارة المباشرة لهذا المحصول مع الاوروبيين أحدثت ارتفاعا فاحشا في اسعاره وسببت كسادا تجاريا في الموانئ التركية ومع ان الامام استقبل رسل السلطان استقبالا حسنا سريعا ، الا انه لم يغير موقفه الودى من الفرنسيين الذين كان يلتذ بسؤالهم عن بلادهم ، وملكهم ، وفرساى ، والبلاط ، والادارة ، والجيش (٢٢) .

الا ان هذه العلاقات الحسنة بين حكومة الامام وفرنسا لم يقدر لها ان تستمر وقتا طويلا اذ حدث خلاف خطير بينهما سببه ان حاكم مخا كان يضع تقديرا اوليا زائدا على قيمة الضرائب الجمركية ، وحينما يتم تقرير الضريبة الحقيقية وتحسب لم يكن يقوم بدفع الفرق الزائد للفرنسيين في حينه ، بل كان يؤجله حتى تراكم هذا المبلغ وتضخم واصبح مدينا للشركة الفرنسية بمبلغ ٨٢,٠٠٠ اثنان وثمانون الف ريال (٢٣) . وماطل حاكم مخا في الدفع فارسلت شركة الهند الفرنسية قطعة من اسطولها الحربي في شهر يناير عام ١٧٣٧م ، بقيادة " لا غارد جازيه ، وحاولت بادئ ذى بدء سلوك سبيل المصالحة ولكنها حينما رأت الا فائدة من ذلك امام رفض الحاكم التفاهم على دفع المبلغ ، بل واعداد نفسه للدفاع عن مخا اضطرت السفينة الحربية الى قذف القلاع بقنابلها (٢٤) وتحت وطأة الضرب المدفعي المؤثر اذعن حاكم مخا للدفع به بل والى توقيع معاهدة خفضت فيها النسبة الضريبية على البضائع الفرنسية من ٣٪ الى ٢½٪ . وقد

---

(٢١) امين الريحاني : ملوك العرب ( بيروت ١٩٦٧ ) ج١ ص ١٤٤ .
(٢٢) جاكلين بيرين : مرجع سبق ذكره ص ١١٢ .
(٢٣) الدكتور جاد طه : مرجع سبق ذكره ص ٣١ .
(٢٤) جاكلين بيرين : مرجع سبق ذكره ص ١١٥ .

اثار هذا الحادث حفيظة الامام ضد حاكم مخا فعزله وصادر قصره في صنعاء [٢٥]

وهكذا فقد كان الفرنسيون يقتفون اثر الانجليز حيثما ضربوا وحلوا ، فحينما احس الفرنسيون ان الانجليز يعقدون عقد معاهدة مع امام صنعاء سارعوا الى منافستهم في اليمن ، والامام حينها كان مطلق الارادة بعيدا عن قيود السلطة العثمانية . والجدير بالملاحظة ان الفرنسيين كانوا سباقين الى اليمن والى تجارة البن على وجه الخصوص [٢٦] .

وغدت الحبوب الصغيرة التي تحملها شجيرات البن في شبه الجزيرة العربية في الاعوام الاولى من القرن الثامن عشر ليس فقط ذات قيمة بالنسبة الى اوروبا ، بل ضرورية للحفاظ على حقيقة اجتماعية ذات طابع فرنسي كانت قد دفعت الى نشأتها ، وكان تجار مرسيليا قد احتفظوا حتى ذلك الوقت باحتكار استيراد البن من مصر ، ولكنهم اخذوا يتساءلون عن سبب عدم اقدامهم على شرائه من شبه الجزيرة العربية مباشرة . وكانت شركة الهند الشرقية البريطانية ترسل في كل سنة بعض سفنها الى مخا . وكانت تستورد حمولة سفينة من البن كل سنتين الى مدينة لندن . وعندما نجح الهولنديون في زراعته في جزر جاوة ، وبعد ان ثبت ان بلاد البرازيل قادرة على انتاجه بكميات هائلة فقد اخذ الطلب على البن العربي يضعف شيئا فشيئا ، واخذ عهد البن الزاهر في شبه الجزيرة العربية يميل الى الزوال [٢٧] .

وفي عام ١٧٦٢ غادر الفرنسيون والهولنديون وكالاتهم في اليمن واصبح المجال مفتوحا امام التجارة الانجليزية في اليمن [٢٨] .

---

(٢٥) الدكتور جاد طه : مرجع سبق ذكره ص ١٣٠ .

(٢٦) امين الريحاني : مرجع سبق ذكره ص ٢١٢ .

(٢٧) جاكلين بيرين : مرجع سابق ص ص ١٠٣ ـ ١٠٨ .

(٢٨) Marston, T.E.: op. cit., p. 29.

## ٢ ـ اليمن بعد الحملة الفرنسية على مصر:

سبق ان عرفنا كيف تم وصول الفرنسيين والانجليز الى بلاد اليمن واقامتهم العلاقات التجارية معها ، وكانت السلطة العثمانية خلالها قد تلاشت ولم يعد لها وجود بالمعنى الدقيق ، وفي الوقت نفسه كان الصراع والتنافس بين فرنسا وبريطانيا قد اخذت ملامحه تظهر بوضوح اكثر في بلاد الشرق ، واخذت كل من الدولتين تهدد مصالح الاخرى عبر المحاولات المستمرة للسيطرة على الطرق المؤدية الى الهند (قلب النزاع بينهما) ومن بينها طريق البحر الاحمر والذي تحتل اليمن بموانئها نقطة استراتيجية هامة عليه . وقد ادى تطور الاحداث في مصر منذ منتصف القرن الثامن عشر الى التأثير على سياسة الدولتين المتنافستين في البحر الاحمر والاقطار الواقعة على هذا الطريق الهام ، فعندما اعلن على بك الكبير في مصر استقلاله عن الباب العالي عام ١٧٦٩ وضمه الحجاز الى مصر عام ١٧٧٠ واصبح له اثر على ما يجري في البحر الاحمر وسياسته المرنة تجاه التجارة الاوروبية ، بدأت كل من فرنسا وبريطانيا التحرك لتحقيق اغراضها وتقوية نفوذها [٢٩] فحصلت بريطانيا من على بك الكبير عام ١٧٧٣م على معاهدة تتمكن سفنها بموجبها من استخدام مرفأ السويس واصبح العلم البريطاني اول علم اوروبي رفرف في البحر الاحمر بعد ان كان بحيرة اسلامية مغلقة في وجه كافة السفن الاوروبية .

وجاء الفرنسيون بعد واحد وبريطانيا وعقدوا اتفاقية مع مراد بك اوائل عام ١٧٨٥م وحققوا في هذه الاتفاقية ميزات فاقت ما حصلت عليه بريطانيا من على بك الكبير، ثم من محمد ابو الذهب[٣٠] . الا ان البريطانيين وجدوا انفسهم في عام ١٧٨٥ امام منافس جديد في البحر الاحمر وخاصة عند الساحل اليمني

---

(٢٩) الدكتور محمد انيس: مرجع سبق ذكره ص١٨٧ ، ١٨٨ .
(٣٠) الدكتور محمد انيس: نفس المصدر ص١٨٨ .

تمثل فى التجار الأمريكيين الذين لم يكتفوا بالعمل فى تجارة البن اليمنى بل انهم قاموا بنقل هذه التجارة من اليمن الى اوربا وباسعار ارخص من اسعار البريطانيين (٣١) .

وبذل الفرنسيون قصارى جهدهم للسيطرة على الطريق الملاحى عبر البحر الاحمر منافسين كل المحاولات البريطانية فى هذا السبيل ، وكانت بريطانيا وحتى منتصف القرن الثامن عشر تعتقد ان الفرنسيين لا يرغبون فى اكثر من ايجاد مركز ممتاز لهم على طريق الملاحة فى البحر الاحمر، بينما كان الفرنسيون يخططون الى ابعد من ذلك وليصبحوا سادة البحر الاحمر ومن ثم يهددوا المصالح البريطانية ويطردونهم من الهند (٣٢) . ولكن النوايا الفرنسية مالبثت ان اتضحت وخرجت من حيز التفكير الى التصريح ثم العمل ، وكانت الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨ ، فاتحة الصراع العلنى بين فرنسا وبريطانيا حول البحر الاحمر. وتحركت بريطانيا تعمل على كل المحاور لاحباط المخطط الفرنسى ، فى الاستانة بالدبلوماسية والتأييد للباب العالى ومع روسيا كحليف ، وفى البحر بمعركة ابو قير، وفى الشام بالتصدى والتأييد العملى لجزار عكة ، ثم ترسل قواتها البحرية فى مظاهرة بحرية فى البحر الاحمر بقيادة الاد ميرال بلانكت Admiral Blankett تمحو بها من الاذهان فكرة الفرنسيين للسيطرة على هذا الطريق (٣٣) كما قامت حكومة بومباى البريطانية بنشاط واسع للسيطرة على المراكز الاستراتيجية فى المدخل الجنوبى للبحر الاحمر وللوقوف فى وجه اى محاولة فرنسية للوثوب الى الهند . ففى ابريل عام ١٧٩٩ احتلت القوات البريطانية بقيادة الكولونيل جون موراى John Murray

---

(٣١) Marston, T.E.: op. cit., p. 31.
(٣٢) Charles-Roux: op. cit., p. 342.
(٣٣) Marston, T.E.: op. cit., p. 31.

جزيرة ميون او بريم Perim الواقعة فى اضيق نقطة ببوغاز باب المنـــدب الا ان بريطانيا اخلت الجزيرة بعد جلاء الفرنسيين عن مصر، وغادرت القـوات البريطانية البحر الاحمر فى شهر مارس سنة ١٨٠٠م ، وكان موراى قد عقـــد اجتماعا مع حاكم مخا واتفق معه على ترتيبات معينة وتعهد بعدم تقديم ايـــة مساعدة للفرنسيين . وكانت جهود شركة الهند الشرقية البريطانية لتنشيط التجارة فى الموانئ اليمنية تبدو واضحة فى المحاولات التى بذلها الدكتـــور برنجل Pringle الجراح المساعد الذى عمل مع حكومة بومباى ثم صاحب موراى Murray فى رحلته السابقة الى الموانئ اليمنية عـام ١٧٩٩م فقد كلف هذا الطبيب بمهمة من قبل الحاكم العام للهند الى الامام على منصـــور امام اليمن ، وقد غادر مخا الى صنعاء فى مايو ١٨٠١ حاملا رسائل ومبلغ ثلاثين الف روبية ثمنا للشيلان Shannls والستان Satins والموسلين Muslins والاقمشة الحريرية كهدايا للامام . وقد استقبل امام صنعاء الدكتور برنجـل بحفاوة وتكريم ، واصدر تعليماته لحكام الموانئ اليمنية فى مخا والحديدة واللحية لتقديم كافة التسهيلات اللازمة للسفن البريطانية بالاسعار العادية ، واعـادة الامتيازات التجارية التى كان يتمتع بها البريطانيون سابقا ، كما وافق على انشاء مستشفى للأسطول البحرى البريطانى فى مخا (٢٤) .

وفى عام ١٨٠٢ عين السير هوم Sir Home مندوبا لبريطانيا فـى الجزيرة العربية لرعاية مصالحها فى منطقة البحر الاحمر ومنح صلاحيات كاملـة تمكنه من عقد المعاهدات التجارية تبعا لما تتطلبه المصالح البريطانية ، وطلـب اليه التوصل الى عقد معاهدات تجارية مع امام صنعاء وسلطان لحج وعـــدن على وجه الخصوص . فارسل بعثة الى امام صنعاء مكونة من المستـــر اليـوت Elliot والملازم لامب ، Lamb والدكتور برنجل لتعرض عليه اقتراحـــا

---

(٢٤) Eric Marco: Yemen and the Western World, p. 18.

بعقد معاهدة تجارية وقد حملت هذه البعثة للأمام هدية عبارة عن عدد ساعات وسيوف والتي لم ترق له ابدا . وفشلت مهمة هذه البعثة اذ رفض الامام سوان المعاهدة المقترحة. ولكنه اصدر أوامره بعدم امداد السفن الفرنسية بالمؤن في جميع الموانى اليمنية (٣٥) .

وفى عام ١٨١٧ تعرضت الوكالة البريطانية فى مخا الى هجوم المواطنين وسلبوا ونهبوا محتوياتها واهانوا عددا من الضباط البريطانيين الموجودين بالوكالة كما تعرض الوكيل البريطاني الملازم دومنيكتي Lieutenant Domincetti للأهانة والابعاد من مخا من قبل حاكمها وبالتالي اغلقت الوكالة البريطانية في المدينة ، وفى ٢٣ اغسطس سنة ١٨١٩ بعثت الحكومة البريطانية في الهند بقوة بحرية حربية الى اليمن بقيادة الكابتن وليام بروس Captain William Bruce لمطالبة امام صنعاء بانزال العقاب بالحاكم السابق لمخا ، وتوقيع معاهدة يوافق فيها الامام على ان يكون للوكيل البريطاني في مخا حرس خاص مثلما لنظيره في البصرة وبغداد ، وانقاص النسبة الضريبية على التجارة البريطانية من ٣½٪ الى ٢½٪ ، ولما أخذ الامام يماطل في الاستجابة لهذه الطلبات حذرت القوة البريطانية السفن الراسية في مخا بان الميناء محاصر من قبل اسطولها ، وفى اليوم الثالث من ديسمبر سنة ١٨١٩ بدأ قصف الميناء بمدفعية الأسطول ، واضطر امام صنعاء الى الرضوخ الى المطالب البريطانية وتم توقيع المعاهدة التي اقترحتها بريطانيا في ١٥ يناير سنة ١٨٢١ ، وارسلت صورة معتمدة منها الى المبعوث البريطاني في ميناء مخا (٣٦) .

---

(٣٥) Eric Marco: op. cit., p. 20.

(٣٦) بوندار يفسكي : مرجع سبق ذكره ص ٢٢ .

وعندما غادرت القوات الفرنسية الارض المصرية تنفست بريطانيا الصعداء الا ان هذا الهناء لم يدم طويلا اذ ظهر لها منافس جديد يقترب بسرعة من مناطق نفوذها في شبه الجزيرة العربية وتقترب معه اليد الفرنسية والقوة الفرنسية ، ففي نطاق اليمن كانت قوات محمد علي قد وصلت قريبا منها في تهامة عام ١٨١٩ بل واحتل اسطول محمد علي بعض الموانئ اليمنية ، ولكن محمد علي لامام اليمن الامام عبد الله المهدى ان يعيد نفوذه على اراضي اليمن مقابل ارسال جزية سنوية من البن مقدارها ثلاثة الاف قنطار . الا ان الاحداث مالبثت ان جعلت محمد علي يحتل اليمن بعد ان قضى على حركة احمد تواده في الحجاز تركجة بيلمز عام ١٨٣٢ . وفر بيلميز مع فلول عصابة نرتته الحربية الى اليمن . فبعث محمد علي بابن اخته ابراهيم يكن على رأس قوات تطارده في اليمن فاستولت قوات محمد علي على بيت الفقيه في عام ١٨٣٥م ثم زبيد ، وفي نفس الوقت كان الاسطول المصرى يتقدم جنوبا بمحاذاة ساحل البحر الأحمر الشرقي ، فاستولى على وجميع الموانئ اليمنية التهامة باستثناء عدن ، وفي اوائل شهر اغسطس عام ١٨٣٧ تمكنت القوات المصرية من فتح اقليم تعز ، وفي ٢٥ اغسطس دخلت احدى الكتائب المصرية بقيادة البكباشي محمد صادق الى عدن (٣٧) . وهي خطوة مالبثت بريطانيا ان ردت عليها باحتلال عدن في يناير عام ١٨٣٩م . وكان احتلال عدن ضربة موجهة لمحمد علي لارغامه على الانسحاب من اليمن وانتهزت بريطانيا فرصة انشغال محمد علي بحربه في الشام وطلبت منه سحب جيوشه من اليمن كلها ، وامام الوضع الدولي الذى تعرض له محمد علي اضطر ان يصدر اوامره في ١٣ مارس عام ١٨٤٠ الى حاكم اليمن وقائد القوات المصرية بالجلاء عن اليمن . وفي ٩ مايو غادرت القوات المصرية ارض اليمن عائدة الى مصر (٣٨) .

---

(٣٧) بوندارينسكي : مرجع سبق ذكره ص٢٢ .
(٣٨) الدكتورعبد الحميد البطريق : مرجع سبق ذكره ص٨٢ .

٣ ـ الفرنسيون واليمن ابان عهد محمد علي :

تميز النشاط الفرنسي في فترة حكم محمد علي في شبه الجزيرة العربية بانه كان نشاطا استطلاعيا علميا تركز في بعث العديد من العلماء لجمع المعلومات اللازمة عن اليمن وعن الحبشة ايضا ومسح البحر الاحمر وفي الوقت نفسه كانت بريطانيا تبذل جهودا مركزة وواسعة لدراسة طبيعة البحر الاحمر ففي الوقت الذي كان الاهتمام الفرنسي موجها للشمال الافريقي والذي كان من نتائجه احتلال فرنسا للجزائر عام ١٨٣٠ وتقديم التأييد الكامل لمحمد علي في سياساته التوسعية ، لم تغفل فرنسا مخططاتها في البحر الاحمر وفي اليمن على وجه الخصوص ، فنجد انها قد بعثت في عام ١٨٣١ باحد علماء النبات بوفي Bové الى منطقة الحديدة باليمن وبعد ست سنوات من بعثة بوفي هذا بعثت فرنسا بالدكتور بول اميل بوتا Paul Emile Botta والذي كان في خدمة محمد علي باشا الى الحديدة ومنها سافر الى بيت الفقيه وحايس ومنها الى تعز وان هذا العالم النباتي والذي كان له شهرته قد فوض ظاهريا من جانب متحف التاريخ الطبيعي بباريس بمهمة اكتشاف بلاد اليمن الا انه لم يتمكن من الوصول الى صنعاء رغم كل الجهود التي بذلها ، كما وصل الى اليمن بعد ذلك عالم فرنسي آخر كان في خدمة محمد علي ايضا هو شيدوفو Chedufau وحينما ارسل احمد باشا الى اليمن لتعقب المتمردين الهاربين من الحجاز من رجال تركجة بيلميز كان يرافق هذا الجيش عدد من الفرنسيين من ابرزهم موريس تاميزيه Mautice Tamisier وادوارد كومب Edouard Combes وبلانت وماري Plant, Mari (٣٩)

وفي عام ١٨٣٥ عندما زار العديد من رجال فرنسا معا باليمن كانت احدى سفن شركة الهند الشرقية الفرنسية تجوب البحر الاحمر وازداد النشاط

---

(٣٩) Eric Merco: op. cit., pp. 31-32.

الفرنسي في البحر الاحمر عام ١٨٤٠ فقد ارسل العديد من رجال سلاح المهندسين الفرنسي ترافقهم سفينة تجارية مسلحة" الانكوبار" Ankobar الى البحر الاحمر الامر الذى ازعج بريطانيا وجعلها تتحرك لوقفه ومراقبته فأصدرت تعليماتها الى حكومة الهند البريطانية لتعميد هنز Haines في عدن بان يشترى بعض الاراضى التى تسيطر على مرفأ تاجوره Tajura وفعلا بعث هينز القبطان روبرت مورسبى Robert Moresby ليدخل في مفاوضات مع الروساء المحليين لشراء ثلاث جزر صغيرة بالقرب من تاجورة كما تم له شراء جزيرة تابعة لزيلع بمبلغ تافه لتكون على الحياد بين فرنسا وبريطانيا ، الا ان النشاط الفرنسي استمر في البحر الاحمر واحرز الفرنسيون كسبا اكبر من البريطانيين في شوا Shoa في الحبشة . وكانت السفينة الحربية الفرنسية بريفيوانت Prévoyante تقوم برحلة خاصة وكشفية في البحر الاحمر منذ عام ١٨٣٨ وفى شتاء عام ١٨٤١ اشتركت مع عدد من سفن الاسطول الفرنسي في مسح شواطئ البحر الاحمر . وفي يناير من عام ١٨٤٢ رست السفينة المذكورة بقيادة الكابتن جويلان Captain Guillain في ميناء مخا اليمني وبعثت بـ انسين ج باساما Ensign J. Passama لاجراء ابحاث واستطلاعات فنية فقام بزيارة مدينة حايس وزبيد وتمكن من الحصول على معلومات طوبوغرافية هامة كما تمكن من وضع تقرير عن الاحوال الجوية هناك . وكان يدعم النشاط الفرنسي في اليمن القنصل الفرنسي في جدة فرسنل Fulgence Fresnl وقد تسلم هذا القنصل العالم معلومات هامة من الدكتور الفرنسي ت.ج . ف. ارنو T.J.F. Arnaud ( والذى سبق له العمل في الجيش المصرى ) والذى رحل الى صنعاء في يوليو عام ١٨٤٣م . ثم اخذت الزيارات العلمية الاثرية الفرنسية تتوالى على مدينة مأرب (٤٠) .

---

(٤٠) Eric Marco: op. cit., p. 33.

٤- اليمن بعد خروج قوات محمد علي :

ساد اليمن المطل على البحر الاحمر والتي تعرف بتهامة الفوضى والاضطراب عقب جلاء القوات المصرية عنها سنة ١٨٤٠ م. فقد نتج عن خروج القوات المصرية من اليمن ان فقد امام صنعاء منطقة تهامة بعد ان سلمها محمد علي للحسين بن علي بن حيدر، شريف ابي عريش( عاصمة المخلاف السليماني بشمالي اليمن ) والذي اعلن على الفور تبعيته للسيادة العثمانية وتعهد بدفع تسعين الف ريال سنويا للباب العالي[٤١] فارسل السلطان عبد المجيد (١٨٣٩-١٨٦١) تأييده للحسين عن طريق امير مكة وحاكم جدة واطلق عليه لقب " حاكم اليمن حسين باشا" وذلك عام ١٨٤٣م وشرع الحسين من مركزه بالحديدة في توسيع منطقة نفوذه فضم اليه مخا، وزبيد وعبس[٤٢] ولكن الحسين واجه تحدى امام صنعاء الامام محمد بن يحيى الذي تحالف معه في بادئ الامر للتغلب على خصومه ولما استقر له الوضع في صنعاء قلب له ظهر المجن. وحاول الامام محمد بن يحيى ان يعقد معاهدة للصلح وتبادل التجارة مع البريطانيين في عدن، وكان يأمل في الحصول على معونة بريطانية لمواجهة الشريف الحسين بن علي بن حيدر غير ان ذلك لم يتحقق[٤٣] ومع ذلك فقد تمكن امام صنعاء من هزيمة الحسين والقبض عليه اسيرا الا أن اخوة الحسين استطاعوا ان يخلصوه من الأسر بعد ان استعانوا برجال قبائل يام اليمنية سنة ١٨٤٨م وقرر الحسين امام ماحدث ان يستعين بالسلطان العثماني عبد المجيد، فاصدر الباب العالي اوامره الي نائبه في الحجاز توفيق باشا والي شريف مكة محمد بن عون بسرعة التحرك الى اليمن، ففي عام ١٨٤٩م، تمكنت القوة العثمانية بقيادة توفيق باشا من الاستيلاء على الحديدة وتهامة وابو عريش واخيرا صنعاء. الا ان هذا الوجود العثماني لم يستمر طويلا

---

(٤١) امين الريحاني : مرجع سبق ذكره ج١ ص٢٦٩.

(٤٢) Marston, T.E.: op. cit., pp. 100-101.

(٤٣) Marston, T.E.: Ibid, p. 102.

فسرعان ما اندلعت الثورة ضدهم، واضطر توفيق الى الانسحاب بما تبقى معه من قوات الى الحديدة، وبقى الحكم العثماني في اليمن قاصرا على الجهات الساحلية حتى افتتحت قناة السويس في عام ١٨٦٩م[٤٤] .

وفي تقرير للقنصل الفرنسي بجدة السيد فريسنل بتاريخ ١٦ مايو عام ١٨٤٧ جاء فيه انه حينما توقف في مخا وهو في طريقه الى جدة التقى في ٢٤ ابريل عام ١٨٤٧ م بالسيد عبد الرسول* القائم بالاعمال البريطاني وكان قبلها قائما باعمال القنصلية الفرنسية بمخا وانه استقبله بترحيب حينما علم بمركزه وكان كثير من الرحالة الفرنسيين قد اشتكوا من معاملته لهم . ويقول القنصل الفرنسي بانه حينما سافر الى الحديدة وجد بها تاجرا مسيحيا واحدا فقط هو السيد يوسف عبد الرزاق من الموصل وهو كبير السن ويتمتع بالحماية الفرنسية منذ كانت اليمن خاضعة لمحمد علي . كما وجد بالحديدة يوسف اغا وهو مملوك قديم لمحمد علي ويتمتع بثقة الشريف حسين حاكم الحديدة فهو يشغل منصب وزير المالية ومدير الجمارك وقائد البوليس والمسئول عن كل ما يتعلق بالتجارة الخارجية والاجانب ، وميوله فرنسية وقد برهن بانه لن يستطيع احد ان يقدم من الخدمات من اجلنا اكثر مما قدمه هو[٤٥] (من اجل فرنسا)

وعن الحالة التجارية في اليمن والصعوبات التي تواجه التجارة ولا وربية على وجه الخصوص اوضح القنصل الفرنسي بجدة في تقرير مطول الى حكومته عام ١٨٥٧ بان هناك مخالفات متعددة للاتفاقيات التي تربط فرنسا بالدولة

---

* هو تاجر من اصل فارسي اقام في مخا منذ مدة طويلة .

(٤٤) الدكتور السيد رجب حراز : الدولة العثمانية وشبه الجزيرة العربية ص ٨٤ ، ٨٥ .

(٤٥) الوثائق الفرنسية : رسالة القنصل الفرنسي بجدة الى وزير الخارجية الفرنسية بتاريخ ١٦ مايو ١٨٤٧م رقم ٤ ف Ref. A.E.: 445, Vol. I.

العثمانية في موانئ البحر الاحمر وخاصة في بلاد اليمن والتي تتمثل فـي ثلاثة انواع :ـ

١ ـ رسم المدجب* Madjabi (Le Droit de Madjeba)

وهو رسم يضاف الى التكلفة الكلية للبن بواقع ١٢٪ الى ٢٠٪ .

٢ ـ رسم السنبوك Sambauquie : وهو رسم يفرض على المعديات وعلى البضائع التي تستخدم هذه المعديات عند تفريغها من السفن .

٣ ـ احتكار الملح .

والرسم الاول لا يطبق في اى ميناء من موانى البحر الاحمر عدا اليمـن ، وهو نوع من انواع المكوس ، وهو ليس ابتكارا تركيا على الاطلاق ، فالعثمانيون حينما تسلموا زمام الأمر في اليمن ، وجدوا هذا الرسم معمولا به ، وكان يحصل لصالح السكان في المدن والقرى الا ان الجزء الاكبر منه كان في الحقيقة يذهب لجيوب المشايخ والروساء الذين يمارسون الحكم ، ورأت الدولة العثمانية ان تلتزم الصمت بشأن هذا الرسم فهي لم تؤيد فرضه ، وتضع الضوابط لاستيفائه ، وفي نفس الوقت لم تلغه الأمر الذي ادى بها الى اهمال مصالحها المالية ، وترك الموظفين ينتهكون نصوص اتفاقية عام ١٨٣٨ ، وبدا من الصعب ادخال اصلاح جذري لانهاء هذه الانتهاكات ونقض القوانين ، الا ان القنصل الفرنسي يؤكد بانه يمكن الاصلاح بشرطين :ـ

الاول ـ " ان يكون لفرنسا وجود فعلي في الحديدة ، حيث يقيم حاكم الاقليم ويناط بموظف قنصلي العمل على تنفيذ الاتفاقيات بدقة " . وهـذا الشرط يبرز حقيقة هامة وهي ان فرنسا ارادت استغلال سوء استعمال السلطات في اليمن والفوضى في الادارة الى كسب خاص يدعم نفوذها ومركزها في هذا الجزء من شبه الجزيرة العربية ، وان يكون لها وجود ومؤثر في الحديدة .

* ربما كان رسم على المجلب ( اى الوارد من جهة اخرى ) .

الثاني - ان تصدر الادارة العثمانية تصريحا واضحا تلتزم فيه بالخسارة التي يسببها هذا الرسم للتجارة الأوروبية (الفرنسية) .

ولكن مايكشف لناحقيقة نوايا فرنسا في ان يكون لها وجود فعلي فقط حتى وان كانت الخسائرة والانتهاكات التي تشكو منها لا تمسها او تؤثر على تجارتها اصلا هو ما اوضحه القنصل الفرنسي في نفس التقرير حيث يقول : " وانه لا توجد مصالح تجارية فرنسية مشتركة مع اليمن لها من الاهمية ما يستوجب انشاء وكالة قنصلية في الحديدة أو ارسال مسئول في هذه الاماكن له طابع رسمي " .

والجدير بالملاحظة انه لا توجد اى مؤسسة تجارية اجنبية أو فرنسية في اليمن ، حيث ان تجارة الاستيراد والتصدير في أيدى المواطنين فهم الذين يصدرون المنتجات التي يشترونها من الداخل الى تجار جدة والذين يقومون بدورهم بتصديرها الى مصر حيث لا تجد لها اسواقا استهلاكية في الحجاز ، فالبن مثلا الكميات المستهلكة منه في الحجاز قليلة ولذا فهو يصدر الى القاهرة والاسكندرية ، وهناك يباع للتجار الأوروبيين وبهذه الطريقة فالبضاعة هي التي تتحمل كل الرسوم التي فرضت عليها في اليمن وفي ميناء التفريغ ، وهكذا يزيد الثمن الأساسي للبضاعة بتكاليف النقل من اليمن لجدة ومن جدة الى القاهرة مضافا اليها ارباح وعمولات التجار في الحجاز ومصر ، فسعر قنطار ونصف من البن من الدرجة الاولى في الحديدة بما في ذلك النقل ورسم الدجب يساوى من ٥٠٠ الى ٦٠٠ قرش وعند وصوله الى جدة فانه يساوى من ٦٧٥ الى ٧٢٥ قرش ويباع في القاهرة من ٧٨٠ الى ٨٠٠ قرش اى بزيادة تساوى حوالى ٣٣٪ قرش عن ثمن الشراء الاساسى ، ويضاف الى ذلك ان التجار في جدة يقومون بخلط بن الدرجة الأولى بجزء من بن اقل درجة

يستوردونه من اليمن او من الحبشة وبذلك يتصاعد ربح التاجر الى ٥٠٪ وحينما يصل هذا البن الى مرسيليا فتكاليفه ترتفع باضافة اجور النقل وارباح جد يدة لتجار مرسيليا . ونحن سنكتفي بما اوردناه عن رسم الدجبي وسنتجاوز عن تفصيلات رسم السنبوك واحتكار الملح اختصارا للبحث ويمكن الاطلاع على هذه التفصيلات في نص الوثيقة رقم ١١ في ملحق الوثائق .

وانهى القنصل الفرنسي تقريره لحكومته بان نصح بالامتناع عن تقديم الاحتجاجات للحكومة العثمانية ، وان تدخر فرنسا مساعيها لمسائل في المستقبل ولأن ما ستقوم به من مساع في هذا الظرف قد يضر بصورة مباشرة بالمصالح الفرنسية في البحر الاحمر ، وان تدخل الحكومة الفرنسية لن يفيد الا الوطنيين لانها لا تستطيع ان تبني مطالبتها على تضرر من التجار الفرنسيين او المشمولين بالحماية الفرنسية خاصة وان مشروع قناة السويس سوف يفتح من جديد منفذا للتجارة الفرنسية وبعدها سيصبح للتدخل الفرنسي مبرر هام وسيفيد حينها المصالح التجارية الفرنسية(٤٦) .

وكانت التقارير الفرنسية عن اليمن عام ١٨٦٤ تشير بوضوح الى أن العثمانيين يواجهون متاعب وصعوبات كبيرة في تثبيت وجودهم حتى في المراكز الساحلية فالحديدة اوجيزان (٤٧) وقد عملت الحكومة العثمانية على تقوية سيطرتها على اليمن واستبدلت به الحاكم السابق حاكما جديدا هو احمد باشا والذي لم ترحب فرنسا بتعيينه حاكما لليمن ورأت ان هذا التصرف من قبل السلطة العثمانية لا يتسم بالحكمة حيث انه كان يشغل هذا المنصب عام

---

(٤٦) الوثائق الفرنسية : رسالة القنصل الفرنسي بجدة الى الخارجية الفرنسية بتاريخ ١٧ دبسمبر ١٨٥٧م رقم ١١ ف Ref. A.E.: 445, Vol. I.

(٤٧) الوثائق الفرنسية : رسالة القنصل الفرنسي بجدة الى الخارجية الفرنسية بتاريخ ٠ ابريل ١٨٦٤م رقم ٣ ف ١ Ref. A.E.: 445,Vol.I.

١٨٥٩ وحامت حوله الشكوك لعلاقته بحادث مقتل القنصل الفرنسي في زيلع، كما انه ضايق بعد ذلك قبطان السفينة الحربية الفرنسية فلوريو دى Fleuroit de Langle والذى كلف من قبل الامبراطور الفرنسي بالكشف عن القاتلين وانزال العقاب بهم وان عودة احمد باشا الى منصبه القديم سوف يؤخر عملية دفع التعويض لعائلة السيد لهرت(٤٨) . واستمر اليمن في تدهور مستمر تحت التبعية الاسمية للدولة العثمانية، حيث كان الاتراك يبتذون الاموال من التجار ولا يعملون على تنشيط الموانئ اليمنية المطلة على البحر الاحمر، ووصلت اليمن الى ادنى مستوى في حوالي عام ١٨٦٠ نتيجة لانتشار وباء الكوليرا وضعف الانتاج الزراعي وكثرة القلاقل والاضطرابات بل ان منطقة البحر الاحمر ايضا وصلت لأقل مستوى في الفترة الممتدة بين عامي ١٨٦٣، ١٨٦٦م بحيث اصبحت تجارة الرقيق هي التجارة الرائجة خاصة وان بريطانيا والباب العالي لم تكن بينهما حينذاك معاهدة لمنع هذه التجارة.(٤٩) .

٥ - اليمن بعد فتح قناة السويس :

ادى افتتاح قناة السويس للملاحة عام ١٨٦٩م الى ابراز الأهمية الاقتصادية والاستراتيجية لموانئ شبه الجزيرة العربية ، كما كان لهذا الافتتاح أهمية خاصة بالنسبة للدولة العثمانية حيث قربت القناة المسافة بين الساحل الغربي لشبه الجزيرة وبين الاستانة ، الأمر الذى شجع العثمانيين على محاولة تشديد قبضتهم على الحجاز واليمن ، فضلا عن محاولة القضاء على مساوئ الادارة

---

(٤٨) الوثائق الفرنسية : رسالة القنصل الفرنسي بجدة الى الخارجية الفرنسية بتاريخ ٢٥ اكتوبر ١٨٦٤م رقم ١٣ مكرر. Ref. A.E. 445, Vol. I

(٤٩) Marston, T.E.: op. cit., pp. 365-367.

العثمانية في اليمن وتطبيق القانون الصادر عام ١٨٦٤ بشأن تنظيم حكومة الولايات . وعلى ذلك فقد ارسلت الى اليمن حملة بقيادة رؤوف باشا عام ١٨٧٢ تمكنت من الاستيلاء على الحديدة ، وقد مرض رؤوف باشا بعد ذلك وتوقف نشاطه عند هذا الحد ، الا ان خلفه احمد مختار باشا قائد القوات التركية المرابطة بعسير تمكن من دخول صنعاء والقضاء على كل الخلافات الناشبة فيها وما حولها ، واعقب ذلك احتلال بقية اجزاء اليمن واعادة السيطرة العثمانية اليها (٥٠) ومن ثم قسمت اليمن الى اربعة الوية او متصرفيات هي : تعز وصنعاء وعسير والحديدة ، واصبحت مدينة صنعاء مقرا للوالي او الباشا العثماني ، وكانت كل متصرفية من هذه المتصرفيات تنقسم الى عدد من الاقضية والاقضية الى نواح ، والنواحي الى عزب والعزب الى قرى (٥١) .

ولقد قدرت بريطانيا الاهمية البالغة لقناة السويس بالنسبة لامبراطوريتها وتجارتها كأكبر دولة بحرية في ذلك الوقت ، ولا شك ان التفوق البحري البريطاني جعل هذا الطريق تحت رحمة القوة البريطانية وخاصة بعد ان تقلص النفوذ الفرنسي المنافس لها بعد الكارثة السياسية والحربية الكبرى التي حلت بفرنسا في الحرب الفرنسية الالمانية سنة ١٨٧٠م (٥٢) .

وكانت الدولة العثمانية قد تمكنت بعد افتتاح قناة السويس من تدعيم سيطرتها في اليمن بينما كانت بريطانيا تتابع هذه السيطرة العثمانية وتوتها من قاعدتها بعدن بقلق شديد ، اما فرنسا فقد انصرفت الى منافسة بريطانيا على الجزر المتناثرة في البحر الاحمر .

---

(٥٠) الدكتور جاد طه : مرجع سبق ذكره ص٢٥٩ .
(٥١) ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية ص٢٤١-٢٤٢ .

(٥٢) الدكتور فاروق اباظة : مرجع سبق ذكره ص٣٨ .

٦ - الاهتمام الانجليزي والفرنسي باليمن بعد افتتاح قناة السويس :

عملت كل من بريطانيا وفرنسا بعد افتتاح قناة السويس على التركيز على منطقة البحر الاحمر عموما ، واليمن على وجه الخصوص ، وفي الوقت الذي كانت فيه فرنسا تواصل نشاطها في اليمن استمرارا لوجودها في عهد محمد على باشا كانت بريطانيا قد اغلقت وكالتها التجارية في مخا عام ١٨١٧ وأبعد وكيلها الملازم دومينكي Lievtenant Domincetti وعلى الرغم من قصف الاسطول البريطاني بمدافعه مدينة مخا عام ١٨١٩ ، واجبار امام صنعاء على توقيع معاهدة تعطي لبريطانيا بعض المميزات وذلك عام ١٨٢١ الا ان وجود هذا الفعلي لم يكن مستمرا ودائما ، ولم تكن لها قنصلية حتى عام ١٨٨٢ وكان القنصل البريطاني في جدة يبعث بين وقت واخر بمندوب عنه يقوم بانهاء الاجراءات الرسمية للرعايا البريطانيين باليمن ، ففي عام ١٨٧٩م بعث متصرف لواء الحديدة بخطاب الى القنصل البريطاني بجدة يحيطه بانه لدى وصول ابنه ( اى ابن القنصل ) ووكيله يوسف افندي الى الحديدة قدم لهم المساعدة اللازمة لتمكينهم من سرعة انهاء اعمالهما وانهاء جوازات السفر الخاصة بالرعايا البريطانيين (٥٣) .

ولما ان علم القنصل البريطاني في جدة بوريل Burrell بقيام فرنسا بتعيين مسيو لوسيان Leucciana قنصلا لها في الحديدة والذي كان يقيم في الشرق منذ زمن طويل حتى انتابه القلق على المصالح البريطانية هناك فسارع الى مطالبة حكومته بان تبعث هي الأخرى بشخص موثوق به الى الحديدة ليرعى مصالحها حيث يوجد عدد كبير من الموظفين البريطانيين والهنود هناك الذين يلحون في طلب ممثل لحكومة جلالة الملكة ، وان من سيبعث الى

---

(٥٣) الوثائق البريطانية : رسالة متصرف لواء الحديدة للقنصل البريطاني بجدة عام ١٨٧٩م رقم ٨٠ب . F.O. 195-1375-07429.

الحديدة يجب ان يكون على لباقة وخبرة كافية ، ويمكن منحه مرتبا قدره مـن ٤٠ الى ٥٠ جنيها شهريا ، ثم تحدث القنصل عن تجارة العبيد التي تمارس في الحديدة على نطاق واسع كمثل للحاجة لوجود قنصل بها ، وقال عـن هذه التجارة : بان مأمور البوليس في الحديدة فابر اجاسيا Fabur Aghasi يجرى تحت بصره تدفق عبيد الحبشة الى الحديدة ، وهذا الشخص يتسم بقبوله الرشوة ومستعد لعمل اى شئ يزيد من نفوذه شأنه شأن غالبيـة المسئولين الاتراك في قيادة الشرطة ، كما ان قائد البوليس هذا كان على علاقة سيئة مع بعض الاوروبيين الذين يعيشون في الحديدة لان ادخال الخمـور هناك ممنوع منعا باتا ، كما انه لا يسمح بهذا الا مقابل رشوة كبيرة (٥٤) .

وبعد وصول القنصل الفرنسي مسيو لوسيـان Lucciana الى الحديدة بعث بتقرير عن تجارة الرقيق في اليمن فقال انها مشابهة لمثيلتها في الحجاز ، وان كل شئ مباح في هاتين المقاطعتين وخاصة جلب وبيـع الرقيق بالرغم من تحريم السلطان العثماني له وان بعض المسئولين الاتـراك ليسوا نزها ، او انسانيون ، وان المسئولين والتجار يتحايلون على التعليمـات المانعة لهذه التجارة باصدار صكوك التحرير لهؤلاء الارقاء ، ثم يوزعونهـم فيما بينهم مدعين انهم يأخذونهم كخدم بدافع الرحمة ، وما ذلك الا لبيعهـم مرة أخرى ، وانه امام عجز اوروبا عن التدخل لمنع هذه التجارة ، فانه يصبح من المحال منع مرور الزنوج باليمن والحجاز تحت دقون القناصل ، وانه في بعض الاحيان يقوم مسئول تركي بدعوة احد القناصل لحضور محاكمة مهربي الرقيق ، وان هذا القنصل لا يملك حق التصويت في المحكمة وعلى هذا فهو شاهد ، وهنا يبدو لنا ان القنصل الفرنسي لم يكتف بان يكون شاهدا على ما يجرى في المحكمة

---

(٥٤) الوثائق البريطانية : رسالة القنصل البريطاني في جدة بوريل الى وزيـر المستعمرات البريطانية رقم ٨١ وتاريخ ٢٣ اغسطس ١٨٨٠ .
F.O. 195-1314-07301.

لكنه يريد ان يكون احد اعضاءها اى انه وبالمعنى الواسع يريد ان يعطـــــى لنفسه ولحكومته نفوذا وصلاحيات هي في الاصل من صميم اختصاص السلطـــــة الشرعية في البلاد . ولذلك فهو يحقد ويشن حملة خاصةمينا يقول بانه لـــم يحـدث ان هذه المحكمة التركية قد اعطت احد هؤلاء الارقاء الى اى مـــن المسيحيين اثناء توزيعهم الذى كان يقتصر على المسلمين ، وهؤلاء يقومـــون بدورهم ببيعهم بعد ذلك . ويصعد القنصل حملته على تجارة الرقيق ليدخـل فيها طرفا بعيدا عن اليمن وهو شريف مكة فيذكر بان احد اليمنيين جلب معـه من ساحل افريقيا احد عشر من الرقيق لبيعهم في الحديدة ، ولكن السلطـــة امسكت بهم ، فسافر هذا التاجر الى مكة وعاد منها حاملا معه خطابا من سمو شريف مكة لوالى اليمن لتسليمه عبيده ، وفعلا سلم له الاحد عشر شخصا ، وعاد هذا التاجر الى ممارسة تجارة العبيد . وينهى هذا القنصل تقريره بالحديث عن الحديدة نفسها فيوضح ، بان الحديدة اردأ من جدة فكل شيء ينقـــص الانسان بها ، ولكي يحيى حياة لائقة فانه ( اى القنصل ) يحضر كل شيء مـــن مصر ، وان هذه المدينة موحشة وماؤها مالح (٥٥).

ولم يتوقف القنصل البريطاني عن حث حكومته الى تقوية نفوذها في اليمن امام النفوذ الفرنسي ، واراد القنصل ان يبرز اهمية ذلك ويؤكد ما سبق ان ابلغ به حكومته فذكر بانه بعد زيارته الشخصية الى مدينة الحديدة اقتنع باهميـة مواجهة الرغبة الشديدة للمستوطنين الهنود بها في ان تكون لهـم حمايـة قنصلية وان شكاياتهم الفعلية كانت اقل مما كان يتوقع واهمها هي ضريبـــة الاملاك التي تفرض على كل من يملك منزلا بان يدفع سنويا ٤٫٥٪ من قيمـــة المنزل ويشترك في ذلك الرعايا الاتراك ، فاذا ما تم تأجير المنزل فان الضريبة

---

(٥٥) الوثائق البريطانية : من رسالة القنصل الفرنسي بالحديدة لوسيسان رقم ٨٢ـ ب وتاريخ ٢٩ سبتمبر ١٨٨٠م F.O. 195-1314-07301.

تزاد الى ٨٪ ، وان الحكومة تطالبهم بضرائب عن ثلاث سنوات متأخرة ، وهناك بعض الشكايات الصغيرة مثل عدم امانة قادة السفن في ارشاد سفن الشحن ، والاجر الكبير الذى يدفع مقابل ذلك العمل ، والحاجة الى مخازن للسلع المعرضة للتلف في الجمارك ، وصعوبة الحصول على الديون من الرعايا الاتراك وخاصة الحكومة .

وهؤلاء التجار الهنود يسهمون بثلثى دخل حصيلة الجمارك . ثم يصل القنصل البريطاني إلى النقطة الهامة في تقريره حيث يذكر بان عدد الرعايا البريطانيين في الحديدة عام ١٨٨١ بلغ ثلاثمائة شخص وليس لهم من يقوم بحماية مصالحهم بينما يوجد اثنان من الفرنسيين لهم نائب قنصل ، وان نائب القنصل الفرنسي هذا قد قام بحماية الرعايا البريطانيين في بعض الأوقات الا انه تلقى أوامر من حكومته منعته فيها من القيام بمثل هذا العمل مرة أخرى ، ويقول القنصل البريطاني : " وليس هناك اسوأ من أن تكون المصالح البريطانية مختلطة مع المصالح الفرنسية في تلك الاجزاء من البلاد " . (٥٦) .

واذا ما توقفنا عند ما ذكره القنصل البريطاني في نهاية هذا التقرير نستطيع الوصول الى ثلاثة حقائق هامة هي :-

١ - ان وجود قنصل فرنسي في الحديدة في الوقت الذى لا يوجد فيه رعايا فرنسيون سوى اثنين فقط كما لا توجد مصالح تجارية كبيرة . ملحوظة تستدعي وجود مثل هذا القنصل ، امر يدعو الى التساؤل عن المهمة الاساسية التي يقوم بها هذا القنصل وفي هذا المكان بالذات ونحن نعتقد ان مهمته هي مراقبة الوضع السياسي والعسكري والتجاري

---

(٥٦) الوثائق البريطانية : رسالة سرية من القنصل البريطاني بجدة رقم ٨٣ ب وتاريخ ٢٤ اكتوبر ١٨٨٢ م F.O. 195-1415-07451.

في المنطقة وبعث تقارير كاملة عنه لحكومته خاصة النشاط البريطاني في البحر الاحمر وفي قاعدته بعدن .

٢ - ان منع الحكومة الفرنسية لنقصلها بالحديدة من تقديم الحماية للرعايا البريطانيين في اليمن يدل على مدى العداء المستحكم بين حكومتي فرنسا وبريطانيا .

٣ - ان وصف القنصل البريطاني لتداخل المصالح البريطانية والفرنسية في اليمن بانه امر سيء للغاية يؤكد ايضا مدى النظرة العدائية للعلاقات بين فرنسا وبريطانيا في اليمن .

وقد قامت بريطانيا بتعيين نائب قنصل بالحديدة بعد ذلك وهو الدكتور محمد . وفي عام ١٨٨٥م بعثت الحكومة العثمانية بتعليمات الى والي اليمن الجديد احمد فيظي باشا باحتلال جزيرة الشيخ سعيد بالبحر الاحمر - المقابلة لباب المندب - وقد وصلت الى الحديدة سفينة حربية تركية لنقل مائتين من القوات الى الشيخ سعيد والتي اشيع حينها بان الحكومة الفرنسية على وشك احتلالها .(٥٧) .

وكانت الدولة العثمانية في اليمن تبذل كل الجهد لتوطيد نفوذها ولكنها كانت تفشل حتى كان عام ١٨٩١ حيث حاصرت القبائل الثائرة مدينة صنعاء الا ان الوالي العثماني احمد فيض باشا تمكن من فك الحصار عنها عام ١٨٩٢م . وحاول السلطان عبد الحميد الثاني ان يستقصي اسباب تذمر اليمنيين من الحكم العثماني فارسل اليها نامق باشا عام ١٨٩٢ واضطر ان

---

(٥٧) الوثائق البريطانية : رسالة القنصل البريطاني في جدة رقم ٨٤ ب وتاريخ ١٣ ابريل عام ١٨٨٥م F.O. 195-1514-07492.

بعزل الوالي احمد فيضي باشا ويعين بدلا منه حسين حلمي باشا ، الا انه لم يلبث ان عزل هو الآخر ، وعين مكانه عبد الله باشا (٥٨) .

ومما يسترعي الانتباه ان بريطانيا كانت قد حددت لنائب القنصل الجديد في الحديدة عام ١٩٠١ السيد ج .أ . رتشردسون G.A. Richardson بعض المهام التي كان يجب عليه تحقيقها تنفيذا للسياسة البريطانية العامة في المنطقة من ذلك تقديم الحماية والمساعدة للرعايا البريطانيين ، ورعاية المصالح التجارية البريطانية ، وان يبذل جهده في سبيل الحصول على معلومات يمكن الوثوق بها ، ومنع سوء التفاهم فيما يتعلق بالمخططات البريطانية وتبريرها (٥٩) .

ويبدو أن نائب القنصل الجديد هذا قد عمل بالسياسة المرسومة له ، فوطد العلاقة بالوالي العثماني لليمن عبد الله باشا . وحينما طلب منه القنصل البريطاني في جدة امداده ببعض المعلومات الموسعة عن اليمن اجاب هذا على الطلب موضحا بان ضباط الاستخبارات البريطانيين في اليمن يواجهون صعوبات كثيرة حيث ان السلطات المحلية ترتاب في وجود الاجانب بصفة عامة في بلاد العرب ، وهي تضع حواجز لا يمكن تخطيها في طريق من يبحث عن المعلومات، مثل منع الموظفين الاتراك والعرب من زيارة الاجنبي ، الا أن نائب القنصل البريطاني في الحديدة يريد ان يوضح انه رغم كل هذه الصعوبات قد تمكن من الحصول على المعلومات الضرورية بفضل علاقته الودية مع والي الاقليم ، وبفضل معرفته باللغة العربية ومحادثاته مع الموظفين العسكريين والمدنيين وكذلك مع شيوخ القبائل الرئيسية في المنطقة المجاورة لصنعاء . وقد كتب نائب

---

(٥٨) الدكتور السيد رجب حراز : مرجع سبق ذكره ص ٨٦ ، ٨٧ .

(٥٩) الوثائق البريطانية : خطاب نائب وزير حكومة الهند بوزارة الخارجية رقم ٨٩ ب وتاريخ ٢٨ يونيو ١٩٠١ م F.O. 685-3-08230.

القنصل مذكرات عن الرحلتين التي قام بهما الى داخل اليمن فى صيف عـام ١٩٠٣ والتي تمكن خلالهما من الحصول على معلومات هامة عسكرية وجغرافية ، وذكر انه على الرغم من اغلاق الاتراك ابوابهم فى وجه الاجانب على مثـال ماجرى عليه الاسر في السنوات الخمس الماضية حيال بعثات تبشيرية ورحالـة ، فانه سينتهز الفرص المتاحة له لزيارة اجزاء مختلفة من اقليم اليمن وكتابـة تقارير عنها ، حيث انه لا توجد معلومات يمكن الاعتماد عليها لدى العالـم الخارجي كما هى الحال فى ظل الادارة العثمانية (٦٠) .

وهذا التقرير يعطينا فكرة ممتازة عن تغلغل النفوذ البريطانى فى تلك الفترة ومحاولته الوقوف على كل حركة فيه ، لتدرج ضمن اطار السياسة العامـة البريطانية فى المنطقة .

٧- بريطانيا تساعد الحركة الصهيونية للاتصال بيهود اليمن :

فى الحادى عشر من مارس عام ١٩٠٤ وصل الى الحديدة السيـد فوردر Forder عضو البعثة التبشيرية مايلدماى Midmay فـى لندن - والذى كان يقيم لعدة سنوات فى فلسطين - بهدف زيارة اليهود فـى صنعاء ، ورفضت سلطات الحديدة السماح له بالدخول رغم حمله جواز سفـر خاص من وزارة الخارجية البريطانية ، وتأشيرة دخول الى اليمن من "يافـا" فاتصل نائب القنصل البريطانى فى الحديدة بصديقه الوالى العثمانى للسماح لهذا الموفد من ارسالية مايلدماى بالدخول الى صنعاء ، الا ان الوالى اكد له بصفة خاصة ورسمية انه لا يريد وضع عقبات فى طريق الموافقة على طلبه ولكنـه يتصرف بناء على تعليمات خاصة تلقاها من قبل . ويحتمل ان تكون من الباب العالى - وانه قد بعث ببرقية الى السلطان لمنحه امر السماح لدخول السيد فوردر الى صنعاء .

(٦٠) الوثائق البريطانية : رسالة القنصل البريطانى فى الحديدة رقـم ٩٢ ب وتاريخ ٦ مايو عام ١٩٠٤
F.O. 685-3-08230.

وكانت بريطانيا قد بعثت بتعليمات الى سفيرها فى الاستانة بهـذا الصدد كما ابلغت قنصلها فى الحديدة بان يبعث مع السيد فورد رقـوة تحرسه فى رحلته ومنحه كل التسهيلات التى يطلبها لتحقيق اهداف رحلتـه وهى الاتصال بيهود صنعاء .

كما ان الكتب الدينية التى كان من المزمع توزيعها بواسطة الدكتور يونج عضو الارسالية ورفضت الجمارك التصريح بدخولها ، قام نائب القنصـل البريطانى باقناع المتصرف المحلى بالسماح بمرورها من الجمرك ، اما السيـد فورد رفقد عاد الى القدس بعد ان انتظر حتى يوم ٢٢ مارس فى الحديـدة دون ورود امر من الباب العالى بالسماح له بالدخول الى صنعاء . كمـا ان مستر سومخ Mr. Somekh الذى وصل الى الحديدة قادما من القاهـرة والموفد من قبل الاتحاد الاسرائيلى فى باريس لكتابة تقرير عن احوال اليهود فى اليمن واقتراح مايراه لاصلاح احوالهم من ناحية التعليم والدين ، قد منـع هو الاخر من الدخول الى اليمن من قبل السلطات التركية . . وكانت بريطانيـا على اطلاع بالاتصالات التى كان يجريها الاتحاد الاسرائيلى فى باريس مـع الباب العالى للحصول على فرمان يتيح لممثلهم مواصلة عمله فى اماكن متعددة من ولاية اليمن (٦١) ومما تقدم يتضح ان بريطانيا كانت مهتمة اهتماما خاصـا بيهود اليمن وقد يكون ذلك راجعا الى رغبتها فى استخدامهم لتنفيـذ مخططاتها فى المنطقة او قد يكون راجعا الى تبنيها فكرة مساندة الصهيونية العالمية والحركة الاسرائيلية .

٨ - تدهور الوضع فى اليمن :

منذ عام ١٩٠٤ اخذت السلطات العثمانية تواجه ثورة حقيقية ضـد

---

(٦١) الوثائق البريطانية : رسالة القنصل البريطانى فى الحديدة رقم ٩١ ب وتاريخ ١٨ ابريل عام ١٩٠٤ . F.O. 685-3-08230.
انظر نص الوثيقة رقم ٩١ ب فى ملحق الوثائق .

وجودها في اليمن ، واصبحت حركات التمرد في انحاء اليمن ذات طبيعة خطيرة ، وبدأت تأخذ طابع العمومية حيث اخذت الاستعدادات تجرى لتنظيم ثورة عامة في المناطق الجبلية بانحياز المواطنين الى الامام يحيى الملقب بالمتوكل على الله (٦٢) وامام هذه الاحداث بادر عدد من كبار التجار العرب وتاجر ايطالي الى تخزين رصيد من المؤن حيث انهم يتوقعون تهديدا لمدينة الحديدة ، كما قطعت الاتصالات البريدية بين الحديدة وصنعاء منذ ٢٢ نوفمبر حتى ٢٠ ديسمبر ١٩٠٤ ( اى حوالى ستة اسابيع) حتى ان البرقيات لاتصل الى الحديدة الا بصعوبة شديدة ومن خلال طرق ملتوية . وقد اصبح طريق القوافل بين مناخة وسوق الخميس غير آمن بسبب تحكم الثوار في المرتفعات الشاهقة بين البلدتين المذكورتين ، وكذلك المناطق المجاورة ، وقطع الطريق بين مناخة وسوق الخميس قد جعل من المستحيل وصول الامدادات الى الاعداد الكبيرة من القوات المتمركزة في صنعاء من ناحية الحديدة ، وارتفع عدد الوفيات بين القوات التركية بسبب الجوع اذ انه ليس لدى القوات التركية احتياطي من المؤن ، واصبح حال سكان صنعاء والقوات التي بها بائسا جدا ، وارتفعت اثمان الاطعمة بشكل كبير اذ بلغ ثمن جوال ( كيس ) الحب ثلاثون دولارا بينما ثمنه في الظروف العادية يتراوح بين عشرة وخمسة عشر دولارا . يضاف الى ذلك ان قبائل حاشد وبكيل والتي تقطن في الجزء الواقع شمالي صنعاء قد ثاروا ، واعتبر العرب المقيمون في المناطق المحيطة بصنعاء ان الفرصة التي طالما انتظارهم لها قد واتتهم للاشتراك في ثورة ضد الاتراك (٦٣) . وقد ادى اندلاع الثورة العامة باليمن الى تعطيل التجارة وشل حركتها ، ومما زاد في ركود التجارة

---

(٦٢) الدكتور حسن ابراهيم حسن ؛ اليمن البلاد السعيدة ص١٢٧ .

(٦٣) الوثائق البريطانية : رسالة القنصل البريطاني بالحديدة رقم ٩٣ ب وتاريخ ٢٠ ديسمبر ١٩٠٤ F.O. 195-2174-08300.

ايضا الاضطرابات الداخلية الخطيرة واجراءات الحجر الصحي القاسية في الموانئ اليمنية (٦٤) .

٩ ـ دور الحجاز في اليمن :

وكما اشرنا فقد تولى الامامة في اليمن عام ١٩٠٤م الامام يحيى حميد الدين عقب وفاة والده الامام المنصور، ويعتبر حكمه بدء عهد جديد في تاريخ اليمن ، اذ كانت سياسته تهدف الى استقلال بلاد اليمن عن الدولة العثمانية، واعلن الجهاد ضد الاتراك ، واخذت المدن والقرى اليمنية تتساقط تباعا في يديه (٦٥) . حتى تمكن من دخول العاصمة صنعاء في ٢١ ابريل ١٩٠٥ . الا ان الدولة العثمانية لم تسلم بهذا الوضع الجديد فعينت احمد فيضي باشا واليا جديدا لليمن ( وللمرة الثالثة ) فوصل الى الحديدة في ٧ يونيو ١٩٠٥م واتجه الى صنعاء بقوات كبيرة وسارع الامام يحيى الى مغادرتها والتحصن بالجبال وبدأ في شن حرب العصابات ضد القوات العثمانية التي فقدت نصف عددها . وامام هذا الوضع الخطير لجأت الدولة العثمانية الى شريف مكة ليتوسط بينها وبين الامام يحيى لوضع* حد لاراقة الدماء ، وتشكل وفد من كبار علماء مكة المكرمة برئاسة السيد عبد الله بن عباس وذلك في عام ١٩٠٧م . ولدى وصول هذا الوفد الى اليمن كتب رسالة الى

---

* كانت الدولة العثمانية قد بعثت قبل ذلك بوفد لعقد الصلح مع الامام الا ان الشروط التي عرضها الامام لم توافق عليها الدولة العثمانية ولذلك فقد فشل ذلك الوفد في مهمته وعادت الحرب سيرتها الاولى .

(٦٤) الوثائق البريطانية: رسالة القنصل البريطاني بالحديدة رقم ٩٤ ب وتاريخ ١ سبتمبر ١٩٠٤ الى ٣١ يناير سنة ١٩٠٥ . F.O. 195-2198

(٦٥) امين محمد سعيد : اليمن ، تاريخه السياسي منذ استقلاله في القرن الثالث الهجري طبع ١٩٥٩ ص ٦٢ .

الامام يحيى بالنصيحة الى نبذ الحرب واتباع طريق الصلح والتفاهـم. ورد الامام على رسالة الوفد بخطاب مطول اصطبغ باسلوب ديني لاستمالة وفـد علماء مكة الى جانبه وقد تضمن الاسباب التي اضطرته الى حمل السلاح ضد الدولة العثمانية واوضح في رسالته ثلاث نقاط هي ١- مهاجمة الامام يحيى للولاة والموظفين العثمانيين باعتبارهم مصدر الفساد والاضطراب، وخروجهم على أوامر الدين ٢- اعلان ولائه للسلطان العثماني واعترافه بالسيادة العثمانية على اليمن. ٣- مطالبته السلطان بالاعتراف بوضع خاص لـه وتمكينه من مراقبة تطبيق الشريعة الاسلامية في اليمن.

وقد نجح هذا الوفد نجاحا جزئيا في وضع حد للنزاع بيـن الدولة العثمانية والامام، اذ أصدر السلطان قرارا بعزل احمد فيضي باشا مـن منصبه كوال على اليمن وهو المشهور بكراهيته لأهل اليمن، وعينت بدلـه حسن تحسين باشا عام ١٩٠٨ وصلحت في عهده احوال اليمن نتيجة صلحه مع الامام والاتفاق على عدم تعدي احدهما على الآخر(٦٦).

---

(٦٦) محمد بن احمد عيسى العقيلي : من تاريخ الخلاف السليماني ١٨٥٨ ج١ ص ٥٣٧.

# الفصل الخامس

## التنافس الانجليزي الفرنسي حول عدن وجنوب البحر الأحمر خلال القرن التاسع عشر الميلادي

عناصر هذا الفصل :

١- عدن قبل الحملة الفرنسية على مصر.
٢- ظهور الانجليز والفرنسيين في المنطقة ( بعد الهولنديين )
٣- عدن بعد الحملة الفرنسية على مصر.
٤- عدن اثناء انتشار قوات محمد علي في شبه الجزيرة العربية
٥- خضوع عدن للسيطرة الانجليزية

أ - اسباب سيطرة البريطانيين على عدن.
ب - النشاط البريطاني قبل الاستيلاء على عدن.
جـ - الاستيلاء على عدن.

٦- عدن وفترة ما بعد الاحتلال :

أ - موقف محمد علي من احتلال بريطانيا لعدن.
ب - النزاع بين الشريف الحسين والبريطانيين.
جـ - تخوف الانجليز من الفرنسيين.

٧- النشاط الفرنسي المنافس للوجود البريطاني في عدن والبحر الاحمر.
٨- التنافس الانجليزي الفرنسي للسيطرة على الجزر في البحر الاحمر.
٩ - التنافس الانجليزي الفرنسي في جنوب البحر الاحمر بعد افتتاح قناة السويس.
١٠- التنافس الانجليزي الفرنسي بعد عام ١٨٨٢م.
١١- سلطنة لحج.
١٢- العثمانيون وسلطنة لحج.
١٣- النواحي التسع المحمية.

١ - عدن قبل الحملة الفرنسية على مصر :

بعد ان تم للعثمانيين اخضاع مصر لسيطرتهم وتبعتها في ذلك الحجاز جاء دور اليمن والتي مالبثت ان اعلنت هي الأخرى خضوعها للسلطان العثماني ، ويذكر ان السلطان سليم الاول وضع خطة للاستيلاء على عدن لأهمية موقعها للحملات البحرية العثمانية لمحاربة البرتغاليين وصدهم عن البحر الاحمر والمحيط الهندي ، حماية للأراضي المقدسة ، الا ان السلطان سليمان القانوني هو الذي نفذ هذا المشروع بارسال حملته الى عدن بقيادة الريس سليمان باشا الذي وصلها في ٣ أغسطس عام ١٥٣٨م واستولى عليها بعد قتله حاكمها اليمني عامر بن داود في ٨ أغسطس ١٥٣٨م وعين احد ضباطه ( الامير بهرام ) حاكما لها ، ونقل الريس سليمان الى عدن مائة قطعة من مدفعية الاسطول ومعها كمية كبيرة من الذخيرة ، كما ترك بها خمس سفن وحامية من ٥٠٠ خمسمائة رجل

وفي عام ١٥٥١ م خرجت عدن عن النفوذ العثماني وخضعت للنفوذ البرتغالي فبعث السلطان العثماني بالقائد بري باشا على راس قوة بحرية ، قامت بقصف تحصينات عدن والاستيلاء عليها ، وعادت عدن ثانية تحت السيطرة العثمانية . وفي عام ١٥٩٩ ثارت بعض القلاقل ضد العثمانيين ،الا ان هذه الثورة أخمدت بقسوة ، وهدأت الاحوال لبعض الوقت .

٢ - ظهور الانجليز والفرنسيين في المنطقة بعد الهولنديين :

في بداية القرن السابع عشر كان الهولنديون يبذلون جهودا لتأسيس وكالة تجارية لهم في عدن ولم يحرزوا أي نجاح . وفي عام ١٦٣٥ كانت عدن تخضع لحكم أئمة صنعاء بعد ان انسحب الاتراك من اليمن ، الا ان التنافس على الامامة في اليمن ادى الى ضعف سلطتها في أوائل القرن الثامن عشر الأمر الذي شجع رؤساء القبائل في انحاء اليمن على الانفصال عن السلطة المركزية ،

ففي عام ١٧٢٨ اعلن شيخ قبيلة العبادلة فضل بن علي خلع طاعة الامام حسين ابن قاسم، واعلن نفسه اميرا مستقلا ، وحالف جاره القوى سلطان يافع ، واتفقا على ان تخضع عدن لفضل بن علي وان يتقاسما خراجها ، ونتيجة لذلك استولى شيخ العبادلة على عدن عام ١٧٣٥م، ولم يدم تحالف فضل بن علي مع سلطان يافع سوى ستة اشهر اذ نقضه الفضلي واعلن نفسه سلطانا مستقلا على لحج وعدن (١) .

اما الفرنسيون فقد بدأ اتصالهم باليمن عام ١٧٠٩ حينما وصلت بعثة فرنسية برئاسة دى ميرفيل De Mrveille في ٦ فبراير عام ١٧٠٨ على ظهر السفينة كيريوز Curieuse وديلجينت Diligent التابعتين لشركة سانت مالو St. Malo الفرنسية من ميناء بريست الى عدن ، واستقبلت بحفاوة ولم تمكث هذه البعثة في عدن طويلا حيث غادرتها الى مخا ووصلتها في ٣ يناير ١٧٠٩م . وفي عام ١٧٦٢ غادر الفرنسيون والهولنديون اليمن واصبح المجال مفتوحا امام التجارة البريطانية وحدها دون منافس (٢) .

٢ - عدن بعد الحملة الفرنسية على مصر :

كان التنافس بين فرنسا وانجلترا للسيطرة على تجارة الشرق وخاصة مع مصر ، قد اخذ شوطا بعيدا ، فانجلترا كانت مهتمة بتدعيم مواصلاتها مع الهند وحمايتها من كل تهديد ، فعقدت المعاهدات مع ماليك مصر، وفعلت فرنسا نفس الشيء ، واخذت الدولتان تتجاذبان البساط حتى فوجيء البريطانيون بالفرنسيين ينزلون على ارض مصر في منافسة جديدة تختلف عن المنافسات التجارية السابقة، فهذه المنافسة الجديدة ، منافسة عسكرية استعمارية وتجارية قلبت موازين المنافسة في هذه المنطقة وادخلتها في عصر جديد هو عصر الاستعمار ، وسارعت

---

(١) الدكتور جاد طه : مرجع سبق ذكره ص٣٢ .

(٢) Marston, T.E.: op. cit., p. 29.

انجلترا للرد على هذه المنافسة وهذا التهديد القوى لمصالحها ولمستعمرتها الكبرى في الهند ، فاحتلت جزيرة بريم عام ١٧٩٩ الا أنها تركتها بعد جلاء الفرنسيين عن مصر، الا ان القوة البريطانية بقيادة الليفتنانت موراى Murray اتجهت الى عدن حيث استقبلها سلطانها استقبالا طيبا ، وبذل موراى محولاته للتحالف مع سلطانه عدن لضمان اتخاذ عدن محطة دائمة للسفن البريطانية ، غير ان هذا الموضوع تأجل الاتفاق عليه (٣) . الا انه بعد هزيمة الفرنسيين البحرية في ابو قير، ثم بعد جلاء الفرنسيين عن مصر انتهت مرحلة من مراحل المنافسة الدولية في منطقة جنوبي شبه الجزيرة العربية ، وانتهى القلق الذى انتاب البريطانيين من التهديد الفرنسي لمواصلاتهم مع الهند . وعملت بريطانيا للحصول على امتيازات وتسهيلات تجارية من حكام المنطقة ، واستمرت جهودها في هذا السبيل حيث عينت السيد هوم بوبهام Sir Home Popham مندوبا لها في شبه الجزيرة العربية عام ١٨٠٢م ومنحته صلاحيات كاملة لعقد المعاهدات التجارية مع امام صنعاء وسلطان لحج وعدن . وتمكن السير هوم من عقد معاهدة للصداقة والتجارة مع السلطان احمد عبد الكريم سلطان لحج وعدن في ٦ سبتمبر ١٨٠٢م ووقعها عن السلطان احمد عبدالكريم ، احمد باصبى أمير عدن . وبموجب هذه الاتفاقية اصبح ميناء عدن مفتوحا امام البضائع والتجارة البريطانية بنسبة ضريبية قدرها ٢٪ لمدة عشر سنوات ترفع بعدها هذه النسبة الى ٣٪ كما اعطت هذه الاتفاقية ( المعاهدة ) الرعايا البريطانيين حرية العمل في اراضي السلطان .

كما تعهد السلطان بان يبيع للدولة البريطانية قطعة من الأرض غربي عدن وان لشركة الهند الشرقية الحق في بنائها باى شكل تريد . واذا حدث نزاع بين الرعايا البريطانيين فيجب ان يرفعوا دعواهم الى المقيم في عدن ويجري

---

(٣) د . فاروق عثمان اباظة : مرجع سبق ذكره ص ٨٣ ، ٨٤ .

المذكور الاحكام في قضاياهم بموجب القوانين المتبعة في بلادهم (٤).

وبعد ستة اعوام من توقيع هذه المعاهدة التي اعتبرت أول تدخل بريطاني في جنوب شبه الجزيرة العربية اي في عام ١٨٠٨ م اعلن لورد فالنتيا Lord Valentia ان عدن هي جبل طارق الشرق وذلك بعد زيارته لمعظم الموانئ الهامة على البحر الاحمر مبتدئا بعدن ، التي اوصى بانشاء وكالة تجارية بها وتعيين مقيم بريطاني دائم ليتمكن البريطانيون من احتكار التجارة مع بربرة على الساحل الافريقي المواجه. وقد قدم فالنتيا هذا التقرير المطول الى جورج كاننج George Canning وزير الخارجية البريطاني . ويعتبر هذا التقرير على جانب كبير من الأهمية لانه يوضح الاوضاع القائمة في منطقة البحر الاحمر ووجهة النظر البريطانية ازاءها في ذلك الحين (٥) .

الا ان اقتراحات فالنتيا لم يحفل بها احد ، الى ان اهتم بها هنري سولت الذي كان قد رافقه في رحلته في البحر الاحمر والذي اصبح بعد ذلك القنصل العام البريطاني في القاهرة (٦) .

<u>٤ - عدن اثناء انتشار قوات محمد علي في شبه الجزيرة العربية :</u>

في الوقت الذي وصلت فيه قوات محمد علي باشا حاكم مصر الى شبه الجزيرة العربية لمحاربة السعوديين ، واقترابه من حدود اليمن ، كان السلطان احمد عبد الكريم العبدلي يعرض على شركة الهند الشرقية البريطانية ان يمنحها ترخيصا لاقامة وكالة تجارية لها في الميناء مقابل ان تتكفل الحكومة البريطانية بحمايته من أي اعتداء يقع عليه من قبل القبائل العربية المجاورة ، غير ان حكومة

---

(٤) د . جاد طه : مرجع سبق ذكره ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ .
(٥) Marston, T.E.: op. cit., pp. 34-35.
(٦) د . جاد طه : نفس المرجع السابق ص ٤٥ .

الهند البريطانية لم تقبل حينذاك ذلك العرض السخي نظرا لأن الاوضاع الدولية كانت في صالحها ، ولم تكن في حاجة الى عقد اتفاقيات سياسية لأنها كانـــت مهتمة في ذلك الحين بتعزيز علاقاتها التجارية في منطقة البحر الأحمـــــر دون أقحام نفسها في علاقات سياسية تحملها أية تكاليف ، حيث لم تكن المخططـات البريطانية التي جعلت من عدن مركزا للنفوذ البريطاني قد اتضحت آنذاك (٧) .

وشهدت عدن في ١٧ فبراير عام ١٨٣٣ وصول قوات المتمرد تركجه بيلمــز على حكم محمد علي في الحجاز . وكان بيلمز قد كتب قبل وصو ل قواته الى السلطا ن محسن فضل سلطان لحج وعد ن يطالبه بتسليم الميناء فوعد السلطان فضــــل بالاستجابة ، وبعد ان استقبل القوات القادمة استقبالا حسنا ، قام رجالــــه بمهاجمتها وقتل من افرادها ٢٧ سبعة وعشرون شخصا ولاذ الباقون بالفـــــرار الى المخا .

وفي عام ١٨٣٧ كان ابراهيم باشا يكن قائد القوات المصرية قد تمكن مــن السيطرة على اليمن . وفي هذه الاثناء كانت الحكومة البريطانية تطلب من قنصلها العام في الاسكندرية بان يطلب من باشا مصر تقديم تفسير لحقيقة اهدافه فـي عدن بعد ان تلقت الحكومة البريطانية معلومات بان القوات المصرية في الحجاز تستعد للاستيلاء على عدن . وكانت اجابة الوالي بان الباب العالي قد طلـــب منه مرارا الاستيلاء على عدن الا انه لا يرغب في اتخاذ اية خطوة من جانبه قــد تسيء الى علاقاته مع حكومة الهند .

وحينما تلقت الحكومة البريطانية معلومات عن المخططات المصرية لاخضاع عدن ومسقط وبغداد وسواحل مدخل البحر الاحمر وخارج مضيق باب المنــدب

---

(٧) Marston, T.E.: op. cit., pp. 39-40.

اصدر اللورد بالمرستون Palmerston وزير الخارجية البريطاني تعليماته الى الكولونيل كامبل Campbell القنصل البريطاني في مصر بان يبلغ محمد علي باشا بان انجلترا والهند لن تنظر بعين الرضا لتحركات القوات المصرية في المناطق المشار اليها ، وانهما تودان انهاء هذه المسائل بمباحثات مباشرة مع الوالي وكان رد الباشا ( محمد علي ) والذى حمله بوغوص يوسف وزيره للشئون الخارجية الى الكولونيل كامبل Campbell بان عليه أن ينقل الى اللورد بالمرستون التأكيد الكامل بان سمو الوالي يضع في حسبانه مصالح بريطانيا العظمى وانه لن يقوم باجراءات توسعية تتعارض مع تلك المصالح بأية صورة من الصور.

على ان السياسة البريطانية المرنة التى اجبرت الفرنسيين على الانسحاب من مصر عندما رأت ان وجودهم فيها يمثل خطرا على مصالحها في الهند ، تلك السياسة لم تقف مكتوفة اليدين امام التهديدات الجديدة والخطيرة والمتمثلة في قوة محمد علي والى مصر في شبه الجزيرة العربية والسودان ، خاصة بعد ان اصبحت موانىء اليمن تحت السيطرة المصرية واحس الانجليز ان البحر الاحمر خرج من ايديهم ، وتحركت بريطانيا لتنفيذ مخططاتها المرسومة في المنطقة والتى كانت تهدف الى ابعاد اى ظل للمنافسة المصرية في مداخل البحر الاحمر ، والى تأمن مواصلاتها مع الهند من أية اخطار قد تتهددها في المستقبل ، ولذلك اخذت في تهيئة الجو وتوفير الظروف الملائمة لاستيلائها على عدن ذى الموقع الاستراتيجي الهام جدا (٨) .

---

(٨) د . جاد طه : مرجع سبق ذكره ص ص ٦٣-٦٧ .

٥ ـ خضوع عدن للسيطرة الانجليزية :

(أ) الاسباب التي دفعت بالبريطانيين للسيطرة على عدن :ـ

كان للبريطانيين العديد من الدوافع المتشابكة للسيطرة على عدن . فمنها ما هو مرتبط بالمصالح الاقتصادية أو الاستراتيجية البريطانية والتوسعات الاستعمارية . ثم ظهر دافع هام بعد ان قام جيمس وات James Watt باستخدام قوة بخار الماء كقوة محركة في أواخر القرن الثامن عشر ، واخترعت الالة البخارية والتي ما لبثت ان استخدمت في تشغيل السفن ، وباتت الحاجة ملحة الى وجود محطة للفحم لتموين السفن البخارية البريطانية فكانت عدن انسب مكان لذلك فبريطانيا الذى اقلقها سيطرة محمد على على طريقي مواصلاتها الى الهند عبر الخليج العربي والبحر الاحمر ، اخذت تبحث عن موقع يمكنها من التصدى لتوسع محمد على فكانت عدن هي هذا الموقع (٩) .

وفي الوقت الذى كانت فيه انجلترا تعمل لاحكام سيطرتها على البحر الاحمر كانت فرنسا تعمل في الجانب الآخر ، في البحر المتوسط وتستولي على الجزائر عام ١٨٣٠ وتأخذ في تدعيم هذا الاستيلاء .

(ب) النشاط البريطاني قبل الاستيلاء على عدن :

بدأ الاهتمام البريطاني بعدن منذ الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨م وبعد ان اكتشف البخار زادت أهمية عدن في أمكانية جعلها مخزن للفحم لتموين السفن المارة في المحيط الهندى بين أوروبا والهند بالاضافة الى انه كان في امكان السفن التجارية السير في الخليج اثناء الليل ، كما ان خليجها المتميز بهدوئه والذى يتيح لها استقبال السفن وتأمينها اثناء القيام بعمليات

---

(٩) Marston, T.E.: op. cit., p. 42.

التفريغ والشحن خلال فصول السنة جميعها (١٠) .

وفى عام ١٨٢٩ بعثت حكومة بومباى بالسفينتين بنارس Benares وباليبنورس Palinurus الى عدن محملتين بالفحم وذلك لكي تستخدمه اول سفينة بخارية صنعت فى الهند وهى السفينة هيولندساى High Lindsay وهى ايضا كانت اول سفينة بخارية تبحر فى البحر الاحمر.

وفى عام ١٨٣٥ بعثت حكومة الهند بالكابتن هينز Haines للقيام بعملية مسح للساحل الجنوبى لشبه الجزيرة العربية ، فاختبر جميع النقاط على هذا الساحل ، كما قاس أعماق البحر فى كافة اجزائه ورسم الخرائط لكل جزء منه وكان هذا العمل كتمهيد للأحتلال البريطانى لعدن والذى سيأتى بعد ذلك بوقت قصير. حيث قدم هينز تقريرا عن عدن اوضح فيه ان عدن هى افضل وأصلح ميناء يتحكم حتى فى الطريق البرى المحازى لطريق البحر الاحمر الملاحى والذى تتحكم فيه بحكم موقعها المشرف على مدخله الجنوبى ، وانه لو أمكن بناء رصيف لرسو السفن فى ميناء عدن الممتاز فان ذلك سيساعد السفن البريطانية بجميع احجامها وفى مختلف فصول السنة ان ترسو الى جواره فى أمان تام ، حيث يتوفر لها كل ما تحتاجه من فحم ومياه ومؤن مختلفة . وفى عام ١٨٣٧ وفى شهر نوفمبر كتب القنصل البريطانى فى مصر كامبل الى وزارة الخارجية البريطانية يؤيد فكرة السيطرة على عدن ويحبذها موضحا ان سيطرة بريطانيا على عدن ستتيح لها فرصة الاستفادة من موقعها الممتاز وامكاناتها الطبيعية لجعلها محطة ومخزنا لتموين السفن البخارية البريطانية بالفحم والمياه والمؤن اللازمة لها لتحقيق فكرة اقامة خط للمواصلات البحرية بين بومباى والسويس عبر البحر الاحمر، كما ان وجود البريطانيين فى عدن

---

(١٠) د. جاد طه: مرجع سابق ص٧٢، ٧٣.

سهول دون امكانية قيام محمد علي والي مصر او غيره بمحاولة مد فتوحه فيما وراء البحر الاحمر، كما ان سيطرة البريطانيين على عدن يوفر لها امكانية تحويل تجارة البن اليمني من ميناء مخا لتتركز في عدن مما يعطي بريطانيا سيطرة كاملة على هذه التجارة الهامة ويمكنها من تحطيم المنافسة الامريكية (١١) .

وفي ١٧ فبراير عام ١٨٣٨ بعث السير روبرت جرانت حاكم بومباى Sir. Robert Grant بخطاب الى رئيس مجلس ادارة شركة الهند الشرقية بلندن ذكر فيه : " ان اهمية عدن بالنسبة لنا لا تقدر بثمن ، اذ انه يمكن استخدامها كمخزن ومحطة لتموين السفن البخارية طيلة فصول السنة، كما انها مركز التقاء ومرفأ ممتاز لرسو السفن التي تعبر البحر الاحمر فضلا عن انها قاعدة عسكرية قوية بحيث يمكن بالسيطرة عليها ان تحمي وتستفيد من كل تجارة البحر الاحمر والخليج العربي والساحل المصرى المواجه والغني بمنتجاته . واذا ما اصبحت عدن ملكا لنا فانها كجبل طارق تتميز بحصانتها ومنعتها من البر ومن البحر على السواء . انني انظر الى الموضوع بشمول وبعمق اكثر، فهناك اثنان كبيران تتآمران علينا وتسودان القضاء على قوتنا في الشرق ، اولهما روسيا وهي تتجه نحونا من خلال ايران ، والثانية فرنسا وهي آتية من خلال مصر، وحتى نتصدى لهذه التهديدات يتحتم علينا ان نقيم مراكز دفاعية متقدمة فيما وراء نطاق حدودنا " (١٢) .

جـ) الاستيلاء على عدن :

أوضحنا أبعاد النشاط الذى قامت به بريطانيا حيال عدن والبحر الاحمر حتى وضح في النهاية هدف بارز اخذ التركيز عليه يتصاعد يوما بعد اخر

---

(١١) د . فاروق عثمان اباظة : مرجع سبق ذكره ص ١٤٩ ، ١٤٩ .

(١٢) د . فاروق عثمان اباظة : نفس المرجع ص ١٥٣ .

آخر، الا وهو الاستيلاء على عدن استيلاءا كاملا، الا ان هذا الاستيــــلاء يجب ان يجد مبررا قانونيا لتنفيذه ، ولكن بريطانيا سرعان ما وجدت هـــذا المبرر في حادث تحطم السفينة دورياد ولت Doriadowlut يوم ١٠ ديسمبر عام ١٨٣٦م على مقربة من ميناء عدن* . واذا تجاوزنا تفصيلات هذا الحادث واسبابه الحقيقية فانه يمكننا ان نقرر بان هذه الحادثة غير مستغربـــة ( اى حادث غرق السفينة ) بل كثيرا ما تحدث مثيلاتها في هذه المياه عند الساحل الجنوبي للجزيرة العربية والساحل الشرقي لافريقيا ، غيران السلطـــات البريطانية في الهند وجدت في هذه الحادثة فرصتها الذهبية فأستغلتهـا استغلالا فاحشا لكي تتمكن من تحقيق مآربها وتنفيذ مخططها للسيطرة علـى عدن بعد ان تبينت اهميتها الحيوية للمصالح البريطانية ، وكانت الخطـــوة الاولى التي خطتها بريطانيا في هذا السبيل ، ان طالبت السلطان محســن العبدلي سلطان لحج وعدن باعادة البضائع المنهوبة من السفينة الجانحة ، وتقديم تعويضا لحق بها وبركابها وذلك من قبل الضابط البحري* هينـز Hains مبعوث حاكم بومباى سير روبرت جرانت Robert Grant والـذى وصل على ظهر السفينة الحربية برنيس Berenice في يناير سنـــة ١٨٣٨م. بدأ هينز مفاوضاته مع السلطان لتسليم المتبقي من شحنة السفينة الجانحة ودفع التعويض الذى ترتضيه حكومة الهند عما تعرضت له السفينـــة وركابها من نهب واساءة، وقد انكر السلطان محسن في بداية الامر معرفتــه بنهب السفينة ، غيران هينز طلب نيابة عن حكومته من السلطان محســن ان يدفع اثنا عشر الف ريال ( ماريا تيريزا ) قيمة شحنة السفينة التي كانت لا تزال

---

* انظر تفاصيل هذا الحادث في Playfair, R.L.: A History of Arabia Felix or Yemen, p. 161.

وفي د . جاد طه : سياسة بريطانيا في جنوب اليمن من ص٢٢-٢٨ .

وفي قحطان محمد الشعبي : الاستعمار البريطاني ومعركتنا العربيـــة في جنوب اليمن وعدن والامارات ص ١١ .

تباع في اسواق عدن آنذاك ، او أن تقوم باعادة شحنة السفينة كاملة ، واكد هينز للسلطان اصرار حكومته على استرجاع هذا المبلغ باى وسيلة، سلمية كانت أوقهرية . ولم يجد السلطان محسن مفرا من اجابة مطلب الحكومة البريطانية . وقام باعادة ماتم العثور عليه من شحنة السفينة وبلغت قيمته ٧٨٠٩ ريالا واعطى الكابتن هينز صكا بقيمة الباقي وقدره ٤١٩١ ريالا على أن تدفع في مدى عام واحد (١٣) وبعد ذلك جاءت الخطوة الثانية بتقديم هينز طلبا للسلطان يتضمن شراء عدن ، وبدا السلطان مترددا امام هذا الطلب لخطورته ولما فيه من عار ببيع الأرض فطلب من هينز ان تكون مباحثاتهما في هذا الصدد سرية. وفي اليوم التالي تسلم هينز من السلطان خطابا مغلقا باسم حاكم عدن ، يحمل موافقته على تحويل اية نقطة من الأرض الى مخزن للفحم (١٤) . وعلى اثر ذلك قام هينز بكتابة مسودة لمعاهدة قدمها للسلطان باللغة العربية لدراستها ، وعرض هينز دفع اى مبالغ يطلبها السلطان باسم شركة الهند الشرقية ثمنا لتلك الأراضي ، وانه في حالة امتلاك بريطانيا لعدن فانه بمقتضى تلك المعاهدة سوف يعامل السلطان باحترام ويكون له مطلق الحرية في الاقامة بعدن ، ويحتفظ بملكيته لمنزليه الكبيرين هناك . ولكن السلطان اوضح موقفه ورأيه في خطاب بعث به الى حاكم بومباي في ١٥ يناير سنة ١٨٣٨م وقال فيه : .. " يجب ان يكون لدى فخامتكم علم بان هناك مثلا عربيا يقول : دع الجسد يحترق ولكن لا تدع الوطن يطعن في داخله ، وتحقيق هذا الأمر سوف يسلبنا مواردنا ويفقدنا كرامتنا ، واذا كنتم فخامتكم تريدون تحقيق بعض الأمور في عدن ولمدة تطول أو تقصر فان عدن تعتبر مثل موانئكم تماما ، فنحن اصدقاء قدماء ويمكنك ان تعيش تحت علمك ونحن تحت علمنا . ويمكنك الدخول في اتفاق

---

(١٣) الدكتور شوقي عطا الله الجمل : مرجع سبق ذكره ص٩٨ .

(١٤) الدكتور جاد طه : مرجع سابق ص٨٣ ، ٨٤ .

لترتيب ذلك ، ونحن لن نتعرض لك بسوء ولا انتتعرض لنا بسوء وعلى كل منا ان يعتمد على موارده ويحافظ على سمعته ."

وقد فهم هينز بعد ذلك ان السلطان كان يسوف ويماطل ويحاول بشتى الطرق ان يعيق عملية نقل عدن الى ملكية بريطانيا ، فهو لا يريد تنفيذ ذلك ولكنه حريص على صداقته مع الانجليز ، تلك الصداقة التي ستفيده بتقوية مركزه امام خصومه بالاضافة الى انه سيحصل على السلاح اللازم لصد هجمات جيرانه ، وتمكن هينز من الحصول على موافقة السلطان على مبدأ نقل ملكية عدن لبريطانيا ، الا ان السلطان لم يحدد له المبلغ الذي يطلبه ثمنا لذلك في بادئ الأمر ، ثم عاد في ٢٦ يناير ١٨٣٨م وحدده بمبلغ ٨٧٠٠ ريال وفي ٢٧ يناير كان هينز سيقوم بزيارة السلطان في عدن لانهاء اجراءات نقل ملكية عدن لبريطانيا ، الا انه عاد الى سفينته بعد ان غادرها في طريقه الى عدن حينما علم ان احمد بن السلطان محسن يدبر له مؤامرة للقبض عليه . وبعد ذلك جرت مكاتبات بين هينز وابن السلطان اتضح في نهايتها ان ابن السلطان يعارض في نقل ملكية عدن الى بريطانيا وقال بكل الصراحة لهينز : "اذا اردت ان تؤكد صداقتنا تعال الى في عدن ، واذا أردت ان تأخذ عدن فان اهلها لا يريدونك وانا لا أكذب عليك فاني دائما أقول الحق ، فلن يبارح اهل عدن منازلهم حتى الموت". (١٥) . ورغم محاولات هينز مد حبل المفاوضة بالسياسة والتهديد مع السلطان احمد ابن السلطان محسن الا ان كل هذه المحاولات لم تؤد الى نتيجة ، وتوقفت المفاوضات بين هينز من جهة والسلطان محسن فضل العبدلي وابنه احمد من جهة اخرى عند هذا الحد دون ان يتفق كلا الجانبين على نقل ملكية عدن للحكومة البريطانية . وفشل " هينز في الحصول

---

(١٥) د . جاد طه : مرجع سبق ذكره ص ٨٦ - ٩١ .

على تنازل رسمي من اصحاب البلاد الشرعيين وعاد الى بومباى . وقدم تقريرا الى حكومة الهند البريطانية وبعد دراسة حكومة الهند لتقرير هينز وبناء على التعليمات التي تلقتها من لندن بضرورة الحصول على تنازل رسمي صريح عن عدن لبريطانيا من قبل السلطان محسن ، اوفدت حكومة الهند هينز الى عدن للمرة الثانية حيث وصلها في ٢٤ اكتوبر ١٨٣٨م وفي ٢٦ اكتوبر تلقى رد السلطان احمد على خطابه الذى كان قد طالب فيه السلطان محسن بتنفيذ اتفاق يناير وتحديد المبلغ المطلوب من حكومة بومباى مقابل التنازل من ملكية عدن وفي رد ٢٦ اكتوبر من السلطان احمد اوضح فيه بانه صاحب الكلمة الاولى في عدن بعد والده وهددا اياه بان أى هجوم من قبل البريطانيين على المدينة سيواجه بكل عنف وضراوة ، كما اكد رشيد بن عبد الله مبعوث السلطان محسن لهينز بأن احمد بن السلطان لم يعد مستعدا فقط لاعادة البضائع المتبقية من شحنة السفينة دوريا دولت ، بل انه يرفض ايضا دفع أية تعويضات عن البضائع المفقودة مما أثار فعلا ثائرة هينز وحنقه . ثم حدث بعد ذلك ما أدى الى تفاقم الامور عندما رفض السلطان محسن ومرافقوه في اليوم السابع والعشرين من اكتوبر امداد سفينة هينز بالمياه والاخشاب اللازمة لها . . وحاول هينز باسلوب السياسة تارة وبالتهديد بالقوة تارة أخرى لانهاء المهمة التي جاء من أجلها الا انه وجد ان السلطان احمد بن السلطان محسن يقف بصلابة ولم يغير من موقفه الاساسي وقد اتضح ذلك من خطابه لهينز في ٦ نوفمبر عام ١٨٣٨م حيث قال لهينز : " بانه لم يأت الى عدن كصديق ، كما ان الاسلوب الذى تحدث به لم يكن يدل على أن حكومته حكومة صديقة . اما تحويل عدن الى ملكية الحكومة البريطانية فهو أمر يتنافى مع طبيعة العرب ويتعارض تماما مع روح الصداقة " واختتم احمد بن محسن رسالته الى هينز موضحا انه اذا ما صرفت الحكومة البريطانية

نظرها عن هذا الموضوع فسوف يبحث وفدا من قبله لانهاء الأمر في سـلام، وحتى لا يثار مطلقا التحدث عن أراضي عدن من جديد (١٦)

واعتبارا من الثامن والعشرين من نوفمبر سنة ١٨٣٨ بدأت الحركـات التمهيدية لاحتلال عدن فقد اتصل سكرتير حكومة بومباى في ذلك التاريـخ بالكابتن هينز وابلغه بان قائد الأسطول الهندى سوف يرسل السفينـة ان كريشتون Ann Crichton الى عدن وعليها كمية من الفحم لتموين السفن التجارية في البحر الاحمر، ومدفعان هاوتزر ٥ر٨ بوصة واطقم رجـال المدفعية ليكونوا تحت تصرفه ولاستخدامهم في الدفاع عن السفينة او حسبمـا يفكر في استخدامهم واعتبارهم جزءا من الحملة التي طلب ارسالها . وفي الفترة التي كان فيها هينز ينتظر وصول القوات البريطانية الى عدن رأى ان يستخدم أسلوب الحصار الاقتصادى حول الميناء كأجراء حربي فعال للتأثير علـى معنويات السكان ومعيشتهم (١٧) .

وفي الوقت نفسه كانت حكومة بومباى تعمل على ارسال القوات الى عدن ففي ١٥ ديسمبر ١٧٣٨م بعث سكرتير حكومة الهند برسالة الى كابتن سميث H. Smith قال فيها : "أود أن أحيطكم علما انه نتيجة للمسـلك الذى اتخذه حاكم عدن على الساحل الجنوبي لبلاد العرب حيث رفض الوفاء باتفاقات معينة عقدت معه بان يتحمل التعويض عن العدوان والنهب الـذى وقع لسفينة تحمل العلم البريطاني تحطمت بالقرب من شاطئه في شهر فبرايـر ١٨٣٧ ، وان يسلم بالشروط التي وافق عليها ارض وميناء عدن للحكومـة

---

* كابتن سميث احد قادة الاسطول البريطاني آنذاك .

(١٦) الدكتور: فاروق عثمان اباظة: مرجع سابق ص ١٧٩ نقلا عن وثائق حكومة الهند البريطانية رقم ٧٣ صفحة ٥٥ .

(١٧) Marston, T.E.: op. cit., p. 44.

البريطانية ، كما انه صحب هذا الرفض تهديدات وسلوك معاد اذ رفض تزويد السفينة الحربية التابعة لشركة الهند بالموءن والماء ـ نتيجة لذلك كله فان هذه الحكومة قد قررت ارسال قوة فى اسرع وقت ملائم لتطلب له تنفيذ اتفاقاته وتملك عدن للحكومة البريطانية . وفى ظل هذه الظروف طلب الى ان انقل اليكم طلب الحاكم العام انه بمجرد ان تكون احدى او كلا السفينتين تحت قيادتكم فى وضع يمكن فيه اعفاوءها من واجباتها الهامة التى تشترك فيها الآن ، ان تتفضلوا بأمرهما بالابحار الى بومباى استعدادا للأبحار الى عدن (١٨).

وقد كتب كابتن سميث الى الاميرال قائد عام البحرية فى جزر الهند الشرقية من سفينته فولاج Her Magstys Ship Volage فى ١٥ من ديسمبر ١٨٣٨ م يحيطه بالمخابرات التى تمت بينه وبين حكومة بومباى ، كما بعث له بصورة من تلك المكاتبات والخاصة بالحملة المجهزة للأستيلاء على مدينة وميناء عدن عند مدخل البحر الاحمر اذا استمر السلطان فى معارضته الالتزام بالمعاهدة التى وقعها فى يناير الماضى مع الحكومة البريطانية وقال فى رسالته : "بانه نتيجة لعدم تلقيه اية أوامر من الأدميرال ولان حكومة الهند قررت انه من الاهمية بمكان تأمين المكان باسرع مايمكن ، فقد وافقت على ان اتولى قيادة الجزء البحرى من هذه الحملة . وقد وصلت هنا ( بومباى ) قادما من جزر الهند الشرقية يوم ٧ الجارى بعد انجاز المهمة التى حددتها لي الحكومة (١٩) .

وما لبث القائد سميث ان توجه الى عدن على السفينة فولاج وعليها ٢٨ مدفعا والسفينة كروزر Cruizer وعليها ١٦ مدفع ، وبالاضافة الى ذلك

---

(١٨) الوثائق البريطانية : رسالة حكومة بومباى الى كابتن سميث رقم ١٣٤ وتاريخ ٢ ديسمبر ١٨٣٨م F.O. Adm 127-8-07185.

(١٩) الوثائق البريطانية : رسالة الكابتن سميث الى الأميرال قائد البحرية رقم ١٣٥ وتاريخ ١٥ ديسمبر ١٨٣٨م . F.O. Adm 127-8-07185.

وجهت حكومة بومباي قوة لاحتلال عدن قوامها ٣٠٠ جندي من المشـــاة البريطانيين و ٤٠ جنديا من اطقم المدفعية البريطانية و ٣٥٠ جنديا مـــن المشاة الهنود . وقد رافق هذه الحملة عدد من المهندسين المتخصصين في مجالات متعددة مزودين بكل الاجهزة والمعدات اللازمة لعملهم . كما اعـــدت قوات احتياطية لتعزيز قوات الحملة اذا ما استدعت الظروف ذلك ضمانا لنجاح العملية .

وما ان وصلت القوات البريطانية الى عدن في ١٦ يناير ١٨٣٩م حتى قام هينز قائد الحملة والمندوب بتوجيه انذار نهائي من قبله الى السلطان محسن وجميع زعماء قبائل العبادلة اخطرهم فيه بوصول قوات بريطانية ضخمة لاحتـــلال عدن . واوضح في انذاره انه في حالة ما اذا وافق السلطان على التنازل عـــن عدن وارسل اليه ثلاثة من زعماء العبادلة كرهائن لضمان تحويل ملكية المدينـــة للحكومة البريطانية فسوف يسمح للسلطان ولزعماء القبائل التابعة لــــــه بالانسحاب باسلحتهم وامتعتهم الشخصية مع تعهده بمعاملة سكان المدينـــة بكل احترام . وكان هينز قد حدد في انذاره هذا فترة لتسلم المدينة له هـــي غروب شمس نفس اليوم .

وفي الساعة التاسعة والنصف من صباح اليوم التاسع عشر من شهر يناير عام ١٨٣٩م . بدأ الهجوم البريطاني على عدن ودارت بين القوات البريطانيـــة وجنود السلطان معركة قتل وجرح فيها حوالي ١٥٠ من رجال السلطـــان اما البريطانيون فلم تزد خسارتهم عن خمسة عشر شخصا وانسحب السلطان وعائلتـــه الى الضواحي . وتم للبريطانيين الاستيلاء على عدن . حيث كانت اول بلد عربـــي يمتلكه الانجليز في شبه الجزيرة العربية (٢٠) وكان السلطان قد اضطر الى توقيـــع

---

(٢٠) امين سعيد : مرجع سبق ذكره ص٣٦٧ .

معاهدة صلح فى ٤٢ ، ٤ فبراير عام ١٨٣٩ تعهدت فيها الحكومة البريطانية بدفع مبلغ سنوى للسلطان كما تعهدت بسداد المبالغ السنوية التى كان سلطان لحج يدفعها لقبائل " الفضلى " و " يافع " و " الحوشبي " و " العامرى " ( كلهـا اعتبرت فيما بعد من محمية عدن الغربية وهى الآن من اراضى جمهورية اليمن الجنوبية ) .

وفى ١٨ من يونيو ١٨٣٩ وقعت معاهدة بين انجلترا وسلطان لحج وابنائه تعهد فيها الأخيرون بعدم معارضة الحكومة البريطانية التى تعهدت بان تدفع للسلطان ٦٥٠٠ ريال فى العام وكانت هذه المعاهدة نموذجا للمعاهدات التى عقدتها بريطانيا مع حكام المناطق الداخلية الذين اخذت تدفع لهم مبالغ سنوية (٢١) .

٦ ـ عدن وفترة مابعد الاحتلال :

ويبدو لنا ان توقيت احتلال عدن كان مناسبا جدا بالنسبة لبريطانيا اذ كانت الاحداث فى المنطقة كلها تسير فى صالحها ، فالدولة العثمانية والتى تدعى حق السيادة على اليمن كلها ـ وعدن بطبيعة الحال جزء منها ـ كانت فى اشتباك مع والى مصر الطموح محمد على باشا والذى كاد ان يهدم اركانها . ومحمد على نفسه والذى كانت له السيادة الفعلية على اليمن هو الآخر كان يواجه تحديا دوليا عظيما على ارض الشام بل وعلى ارض مصر ذاتها حيث بدا وقتها ان الأرض اخذت تهتز تحت قدميه . وفرنسا عدوة انجلترا ومنافستها الكبرى فى كل مخططاتها الاستعمارية كانت تسير فى طريقين كبيرين

(٢١) قحطان الشعبى : الاستعمار البريطانى ومعركتنا العربية فى جنوب اليمن عدن والامارات ، القاهرة ١٩٦٢ ص ٣٤ .
* لقد اورد الشعبى نص هذه المعاهدة فى كتابه ص ٣٤ ، ٣٥ .

هما طريق الجزائر ( والتى احتلتها عام ١٨٣١ ) وطريق تأييدها لمحمد علـى حتى كادت الحرب تندلع بينهما وبين بريطانيا من اجله . وهكذا كان ميـدان البحر الاحمر خاليا تماما امام بريطانيا لتنفيذ مخططاتها فى عدن ، ولكن مـاذا سيكون عليه موقف كل من فرنسا ومحمد على والدولة العثمانية من هذا الوجـود البريطانى الجديد فى عدن ؟

أ ـ موقف محمد على من احتلال بريطانيا لعدن :

لم يكن محمد على باشا فى موقف يسمح له باتخاذ اجراءات معينة ضـد احتلال البريطانيين لعدن وان كانت بريطانيا قد تخوفت من قيامه باقـلاق وجودها فى عدن بحكم سيطرته على اليمن ولذلك فقد سارع ممثل بريطانيـا هينز بارسال مذكرة الى ابراهيم يكن قائد القوات المصرية فى اليمن يخطـره فيها بان عدن اصبحت ملكا للحكومة البريطانية منذ ١٩ يناير سنـة ١٨٣٩م . وكان هينز يقصد من وراء بعث هذه الرسالة تحذير القوات المصرية من التقدم نحو الجنوب وحتى لا تتطلع الى الهجوم على عدن . ويمكن القول بأن الاجـراء الوحيد الذى اتخذه محمد على فى هذا الصدد انه طلب الى قائد القـوات المصرية فى اليمن بمدم السداح بارسال احد من الصناع وارباب الحرف مـن الميناء اليمنى مخا الى عدن حتى لا يستفيد البريطانيون من وجودهم هنـاك . كما ان الوكيل البريطانى فى مخا بعث الى هينز مؤكدا ان مبعوثا مصريا كـان يتفاوض مع امام صنعاء للاتفاق على طرد الانجليز من عدن (٢٢) وعمدت بريطانيا الى تحويل تجارة البن من المخا الى عدن الأمر الذى اثر على الوضـع الاقتصادى لليمن وبالتالى على الواردات الجمركية التى كانت تغطى جزءا مـن نفقات القوات والادارة المصرية فى اليمن ، ولكن بريطانيا كان يهمها بالدرجة

---

(٢٢) الدكتور فاروق عثمان اباظة : مرجع سبق ذكره ص ٢١٦ ، ٢١٧ .

الاولى ان تنهى الوجود المصرى في اليمن حتى لا يتحول في المستقبل الى رأس حربة تطمنها وتقضى على وجودها في عدن ، ولذلك فقد استغلت الظـــروف الصعبة التي كان يمر بها محمد علي في صدامه مع الدولة العثمانية وطلـــب بالمرستون وزير الخارجية البريطاني من محمد على اجلاء القوات المصرية عـــن اليمن . واجاب محمد علي بانه سينظر في الطلب وانه سيعهد بوغوص بك وزير خارجيته بالرد عليه (١٣) . الا ان بريطانيا لم تنتظر رد محمد علي وانمـا رأت في تطور الامور في الازمة المصرية التركية عام ١٨٣٩ - ١٨٤١ ما يحقق مطالبهـا اذ أدعت بانها حامية للسلطان ضد محمد علي ، وانتهى الأمر بتدخل قواتهـا في سورية واضطرار محمد علي على أثر ذلك الى الانسحاب من كل الأراضي التـي استولى عليها (١٤) .

وعلى اثر تلقي محمد علي المذكرة المشتركة* من الدول الكبرى الخمس ( انجلترا وفرنسا وروسيا وبروسيا والنمسا ) ادرك بانه قادم على حرب خطيـرة مع الحلفاء ، وانه بات في اشد الحاجة لقواته المتناثرة في ارجاء الحجاز ونجد واليمن بالاضافة الى الانذارات الشديدة اللهجة التي كانت تتوالى عليه مـن الحكومة البريطانية والتي تطالبه فيها باجلاء قواته عن اليمن وبقية ارجاء شبـه الجزيرة العربية . لذا فقد اصدر محمد علي أوامره الى حاكم اليمن وقائد القوات المصرية بالجلاء عن اليمن في ١٣ مارس ١٨٤٠م . وتسليم زمام الامور فيها الـى

---

* بعثت هذه المذكرة بعد انتصار القوات المصرية على القوات العثمانية في موقعة " نزيب " في ٢٤ يونيوسنة ١٨٣٩ وانحياز الاسطول التركي لمحمد علي وباتت القوات المصرية تهدد العاصمة العثمانية الاستانة .

(١٣) صلاح البكري اليافعي : في جنوب الجزيرة العربية ص١٧ - ١٨ .

(١٤) الدكتور جمال زكريا قاسم : الخليج العربي ، دراسة لتاريخ الامارات العربية ص٧٠ .

الشريف حسين بن علي بن حيدر شريف ابو عريش (٢٥) والذى اعلن على الفور تبعيته للسيادة العثمانية .

وهكذا خدمت الظروف البريطانيين وأراحتهم من محمد علي باشا وطموحاته الا ان المقاومة الوطنية لابناء المنطقة ظلت مستمرة ضد الوجود الانجليـــزى * كما دخلت بريطانيا فى نزاع مع الشريف الحسين والذى اتخذ من مدينة الحديدة مقرا لحكمه وواجه مخاطر المتنافسين على الامامة الزيدية فى صنعاء . واشـــراف عسير الطامعين فى ملكه بتهامة .

ب ـ النزاع بين الشريف الحسين والبريطانيين :

منذ ان تولى الشريف الحسين مقاليد الحكم فى اليمن بعد تسليمها له من قبل السلطة المصرية المنسحبة منها . اظهر العداء الواضح ضد المحتليــــن البريطانيين لجزء من ارض اليمن (عدن) لمعرفته السابقة بالدور الذى لعبتـــه السياسة البريطانية فى التآمر ضد محمد علي مما جعله لا يأمن جانبهم ، وبادر الى اتخاذ عدد من الاجراءات ضد البريطانيين منها : رفع نسبة الضرائب على البضائع البريطانية الواردة لميناء مخا حتى بلغت ٧٪ من قيمتها ، وأهانـــة البريطانيين فى مخا ، ورفض تصدير المؤن اللازمة الى عدن . واختتم هـــذه الاجراءات بان بعث برسالة الى المقيم السياسى فى عدن فى شهر سبتمبر عـــام ١٨٤٠ اتهم فيها عبد الرسول وكيل البريطانيين فى مخا بانه كاذب ومنافـــق وان البريطانيين يعملون على تخفيض الضرائب بما يؤثر تأثيرا سيئا على دخول حكومته . وقام بعد ذلك بانزال العلم البريطاني المرفوع على مبنى الوكالـــة البريطانية فى مخا (٢٦) .

---

* انظر عن المقاومة العربية للاحتلال البريطاني لعدن : ١ ـ د . جاد طـــه : سياسة بريطانيا فى جنوب اليمن الفصل الرابع ٢ ـ د . فاروق عثمان اباظة : عدن والسياسة البريطانية فى البحر الاحمر ص ٢٣٤-٢٦٦ .

(٢٥) الدكتور فاروق عثمان اباظة : مرجع سبق ذكره ص ٢٢٣ .

(٢٦) Marston, T.E.: op. cit., p. 102.

وتجاه تأزم الموقف بين بريطانيا والشريف الحسين عمل امام صنعاء على الاتصال بالبريطانيين في عدن للتعاون العسكري في سبيل القضاء على الشريف الحسين وقد كرر امام صنعاء طلب التعاون الذي لم تلق بريطانيا له بالا ، الى ان بعث المقيم السياسي البريطاني في عدن هينز الى المجلس السري Secret Board لشركة الهند الشرقية البريطانية في ١٠ ابريل عام ١٨٤٢ موضحا بان امام صنعاء عاد مرة أخرى وعرض عليه تعاون بريطاني يمني لحصار مخا في مقابل تنازل الامام لبريطانيا عن تهامة بعد تخليصها من حكم الحسين (٢٧) .

وتقدمت الحكومة البريطانية بشكوى ضد الشريف الحسين الى الباب العالي ، وارسلت بالفعل بعثة للتحري عن سلوكه . وحينما اتضح للبريطانيين قوة الشريف الحسين وسيطرته على البلاد ، ورغبتهم في عقد معاهدة مع زيلع والتي لن تكون لها اية قيمة طالما بقي الشريف حسين يتقلد مقاليد الحكم في المخا اتبعوا اسلوب الملاينة السياسية حتى يتمكنوا من تحقيق اغراضهم ، وصدرت التعليمات الى الكابتن مورسبي Moresby بالتقدم الى المخا لاسترضاء الشريف الحسين واقامة علاقات ودية معه ، وبعدها العمل على عقد معاهدة مع حاكم زيلع ، وقد نجح الكابتن مورسبي في تحقيق صلح مع شريف المخا وعقد معه معاهدة تجارية ثم تقدم في سبتمبر ١٨٤٠ الى زيلع حيث تمكن من عقد معاهدة مع سيد محمد البار رئيس القبائل القاطنة في زيلع وقائد جيش شريف المخا بها والذي ابدى رغبته في عدم كشف انباء عقد هذه المعاهدة خوفا من اغضاب الشريف حسين . وقد تضمنت هذه المعاهدة شرطا بانه لا يجوز ان تعقد حكومة زيلع اية معاهدات او اتفاقات مع قوى اخرى دون موافقة السلطات البريطانية في عدن . وتنازل رئيس زيلع عن جزيرة باب للبريطانيين (٢٨)

---

(٢٧) Marston, T.E.: op. cit., pp. 103-105.

(٢٨) د . جاد طه : مرجع سبق ذكره ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

جـ ـ تخوف الانجليز من الفرنسيين :

فيما سبق لم نقف على اى نشاط للفرنسيين مضاد لاستيلاء البريطانيين على عدن ، الا اننا نجد ان المقيم السياسي في عدن اقترح على مجلس الهند انه " لمواجهة المؤامرات الفرنسية مع شريف المخا ، وللمحافظة على المصالح البريطانية يمكن وضع المخا تحت السلطة الشرعية لامام صنعاء ، الذى يجمع في يده الآن القوة الكافية لاستعادتها " (٢٩) .

وهذا الادعاء على وجود مؤامرات فرنسية مع شريف مخا لا تؤيده الوثائق الفرنسية والتي تشير الى ان الشريف حسين لم يكن يرغب ان يستقبل قائميـن بالاعمال القنصلية في بلاده . كما تحدثت الوثائق الفرنسية عن المشكلة التي كان قد مضى عليها سبع سنوات دون حل وهي مطالبة انجلترا الباب العالـي برد الاعتبار بسبب الاهانة الموجهة الى العلم البريطاني الذى كان مرفوعا على المقر القنصلي لعبد الرسول ( وان هذا القنصل يمثل فرنسا قبل ذلك ) وان الشريف الحسين ايقن خلال هذه المدة بانه ليس في استطاعته مقاومة ارادة الثالوث ـ انجلترا والباب العالي ومحمد علي ـ ونتيجة لذلك اعترف بنفسه تابعا للباب العالي بالنسبة للمدن والاراضي التي لا تتبع ابو عريش وهي امارته الموروثة ، وكذلك الاراضي التي تركها له باشا مصر عند جلاء القوات المصرية عن شبه الجزيرة العربية فقط . ونتيجة لهذا الخضوع فانه سمح للانجليز ان يرفعوا علمهم على المقر القنصلي البريطاني في مخا اذا أيد الباب العالي ذلك . الا ان الانجليز لم يكتفوا بمثل هذا الاجراء بل طالبوا بفصل الشريف وتعيين آخـر من قبل الباب العالي . ويذكر القنصل الفرنسي بجدة انه قابل في السويـس يوم ١٢ ابريل عام ١٨٤٧ اشرف بك والذى كلف من قبل الباب العالي بأن يأمـر الشريف حسين بان يسلم حكم عسير واليمن والتي يحكمها منذ جلاء القـوات

(٢٩) د . جاد طه : نفس المرجع ص ٢٢٢ .

المصرية ، وان يكتفي بأمارته الموروثة لابي عريش التي تركت له السيادة عليها بشرط ان يدفع الى شريف مكة نصف المرتب المقرر له من الباب العالي ، واذا وافق الشريف الحسين على تنفيذ اوامر الباب العالي والتي يؤيدها خطاب من محمد علي باشا فان الباب العالي سيرسل الى مخا حاكما هو محمود باشا لكي يدير حكم اليمن ويخضع لأوامر مشير جدة شريف باشا . اما في حالة رفضه فسوف يستعين اشرف بك بالقوات الانجليزية لكي يخضع الشريف حسين (٣٠) .

وسبق للانجليز أن قدموا المساعدة الفعلية للعثمانيين في الحديدة حينما تمردت العشائر اليمنية في منطقة عسير عام ١٨٥٦ حينما بعثت السفينة الحربية البريطانية كوين Queen الى الحديدة لتكون تحت تصرف حاكمها العثماني (٣١) .

٧ - <u>النشاط الفرنسي المنافس للوجود البريطاني في عدن والبحر الاحمر :</u>

كان الفرنسيون قد بدءوا في ارسال البعثات الكشفية للبحر الاحمر قبل الاحتلال الانجليزي لعدن بفترة وقد اوضحنا ذلك حينما تحدثنا عن الفرنسيين واليمن ابان عهد محمد علي وذكرنا ان فرنسا لم تغفل مخططاتها في البحر الاحمر رغم نشاطها الموجه للجزائر والتأييد لمحمد علي في سياسته التوسعية . ووصلنا في تتبعنا للنشاط الفرنسي في البحر الاحمر واليمن الى عام ١٨٤٢م حينما رست السفينة الحربية الفرنسية بريفيوانت في ميناء مخا اليمني .

وبعد الرحلات الاستكشافية التي قام بها الفرنسيان كومب Combee وتاميزيه Tamisier بين عامي ١٨٣٥ و ١٨٣٧م . ثم تبعتها بعثات

---

(٣٠) الوثائق الفرنسية : من رسالة مطولة للقنصل الفرنسي بجدة بتاريخ ٦ مايو عام ١٨٤٧م رقم ٤ Ref. A.E. 445, Vol. I.

(٣١) Marston, T.E.: op. cit., p. 218.

فريه Ferret وجالينيه Gallinier وروجيه Roger مابين عامى ١٨٣٩ و ١٨٤١
اكدت تلك البعثات الفرنسية سرعة نجاح البريطانيين فى بسط نفوذهم فى تلك البلاد انطلاقا من وجودهم فى عدن (٣٢) . هذا الوجود الذى كانت تراقبه فرنسا بدقة فقد اوضحت الوثائق الفرنسية أن الانجليز لم يستطيعوا اقامة علاقات تجارية مع اليمن ، بل انهم ايضا لم يستطيعوا جلب تموينهم من داخل البلاد وهم مضطرون بان يجلبوه من الساحل الافريقى حيث يجب علينا ان نشهد مستعمرة ( اى الفرنسيين ) (٣٣) ويمكن ان يقال عن النشاط الفرنسى فى منطقة البحر الاحمر آنذاك بانه كان عملا من اعمال المخبرات الفرنسية يهدف بالدرجة الاولى الى مراقبة النشاط البريطانى فى منطقة البحر الاحمر المنطلق من القاعدة الحيوية لبريطانيا فى عدن على وجه الخصوص (٣٤) .

وكان النشاط الفرنسى المضاد للوجود البريطانى فى عدن موجها الى الساحل الافريقى للبحر الاحمر، وقد منيت محاولات الفرنسيين فى اول امرها بالفشل التام وقد اوضح الملازم فريه Ferret ان بعثة كومب Combes التى اشترك فيها قد فشلت فى زيلع ولم تتمكن من اقامة منشأة فرنسية فى مصوع .... واوضح فريه ايضا بان العلم البريطانى كان يخفق حينذاك على زيلع وعلى تاجورة القريبتين من مضيق باب المندب ، واكد فريه لحكومته بان البريطانيين قد ذهبوا الى حنفيلة ( على الساحل الغربى للبحر الاحمر ) ومصوع لكى يشتروا هذين الميناءين او يمنعوا الفرنسيين من الاقامة فيهما (٣٥) .

---

(٣٢) Marston, T.E.: op. cit., p. 218.

(٣٣) الوثائق الفرنسية: من رسالة مطولة للقنصل الفرنسى بجدة بتاريخ ٩ مايو عام ١٨٤٠م رقم ١ ف
Ref. A.E.: 445, Vol. I.

(٣٤) Marston, T.E.: op. cit., p. 124.

(٣٥) الدكتور جلال يحيى : التنافس الدولى فى بلاد الصومال ص ١٢١ ، ١٢٤ .

واذا تجاوزنا النشاط الفرنسي الذي وجه بغرض استعمار الحبشة، للوقوف على رد الفعل البريطاني ازاء النشاط الفرنسي على الساحل الأفريقي المواجه لعدن فانا نجد ان اللجنة السرية التي تشرف على ادارة شركة الهند الشرقية بلندن ابلغت المقيم السياسي البريطاني بعدن هينز ان يرسل ضابطا بريطانيا الى زيلع ليعمل على احباط محاولات الفرنسيين لبسط نفوذهم هناك.. وحتى يحفظ لبريطانيا هناك مصالحها التجارية والسياسية خاصة وان الساحل الافريقي المواجه لعدن اذا ما تعرض لاي احتلال من قبل أية قوة اوروبية فان ذلك من شأنه ان يشكل تهديدا خطيرا للمصالح البريطانية في منطقة البحر الاحمر (٣٦).

ويبدو ان الوجود الفرنسي في البحر الاحمر اخذ يقلق البريطانيين بشكل ملحوظ فقد بعث هينز الى هودجس Hodges قنصل بريطانيا العام بالاسكندرية عن تحرك الفرنسيين في خليج عدن وسواحل البحر الاحمر موضحا له ان "السفن الفرنسية بدأت تظهر في هذه البحار ويوجد امامنا الان سفينة فرنسية بها ثمانية عشر مدفعا، وهي تنتظر وصول سفينة حربية فرنسية أخرى اما في مخا فتوجد سفينة حربية فرنسية ايضا، كما توجد سفينة نقل مسلحة في مصوع، ومن الواضح ان الفرنسيين يريدون وضع اقدامهم في الحبشة".

وواصلت السفن الفرنسية نشاطها في البحر الاحمر وفي خليج عدن وتلقى هينز رسالة من حاكم ميناء "عيد " Edd " الواقع جنوبي حنفيلة على الساحل الغربي للبحر الاحمر يحيطه فيها بان الفرنسيين حاولوا ان يشتروا هذا الميناء"، ثم انتقلت المواجهة البريطانية للنشاط الفرنسي في " شوا " بالحبشة، حيث ابلغ مجلس شئون الهند وزارة الخارجية البريطانية في

---

(٣٦) Marston, T.E.: op. cit., p. 181.

ديسمبر عام ١٨٤٠م بان ثمة ترتيبات تم الاتفاق عليها تستهدف احباط محاولات الفرنسيين لبسط نفوذهم في "شوا". وبعثت حكومة لندن بتعليماتها بارسال بعثة الى شوا وفعلا ابحرت البعثة من بومباى في ٢٦ ابريل سنة ١٨٤١ برئاسة كابتن وليم كورنواليس هاريس Captain William Cornwallis Harris ووصلت البعثة الى "انكوبار" في "شوا" في ١٨ يوليو سنة ١٨٤١م [٣٧] وقد تبين لهاريس ان النفوذ الفرنسي هناك كان قويا في نفوس اهالي المنطقة رغم عدم وجود احد من الفرنسيين هناك في ذلك الوقت. كما ذكر هاريس في رسالته لبهنز بان ملك شوا متأثر بالوعود التي قدمها له المبعوث الفرنسي روشيه * M. Rochet والذى سبق له زيارة شوا قبل وصول البعثة البريطانية. ويبدو ان بعثة هاريس لم تحقق النجاح المطلوب وان كانت الوثائق البريطانية تشير الى انه قد تمكن من عقد معاهدة للتجارة والصداقة بين بريطانيا وملك شوا "سهلا سيلاس" في ١٦ نوفمبر سنة ١٨٤١م [٣٨]. وفي عام ١٨٤٢ عاد المبعوث الفرنسي روشيه ثانية الى شوا حيث وقع الملك سهلا سيلاس على معاهدة سياسية وتجارية اعطت للفرنسيين مزايا خاصة في تلك المنطقة الافريقية [٣٩]، الا ان هذه المعاهدة لم تطبق عمليا لعدم وصول التجار

---

* كان العالم الفرنسي روشيه ديريكور Rochet d'Héricourt قد قام بالسفر الى تاجورة عام ١٨٣٩م ثم اتجه الى "شوا" وحظى هناك بصداقة الملك "سهلا سيلاس" الذى ارسل معه بعض الهدايا الى ملك فرنسا لويس فيليب ( انظر تفصيلات ذلك في كتاب

Marston Thomas, E.: Britain's Imperial Role in the Red Sea, p. 133.

صفحة ١٣٣.

(٣٧) Marston, T.E.: op. cit., p. 132.

(٣٨) الدكتور جلال يحيى : مرجع سبق ذكره ص١٥.

(٣٩) الدكتور جلال يحيى : نفس المرجع ص١٦.

الفرنسيين الى هناك بصفة مستمرة، ونعتقد ان الغرض الحقيقي من هذه المعاهدة كان سياسيا بحتا، كما ان المعاهدة البريطانية والتي سبقت الاشارة اليها لم تطبق هي الاخرى ومنذ عام ١٨٤٣م اصبحت الأوضاع في تلك المنطقة شبه مجهولة من جديد للأوروبيين (٤٠).

واذا كان الفرنسيون قد ركزوا نشاطهم على الشواطيء الافريقية للبحر الأحمر المواجهة لعدن قبل عام ١٨٤٤ الا انهم في عام ١٨٤٤م أخذوا يقتربون من عدن نفسها حيث وصلت سفينة حربية فرنسية اسمها التمساح Crocodile بقيادة الكابتن روبين Captain Robin الى ميناء عدن ويقول الممثل السياسي البريطاني في عدن في رسالة بعث بها الى السكرتير الاول في حكومة بومباي بتاريخ ٢٠ ديسمبر ١٨٤٤: "احيطكم علما ان السفينة الحربية الفرنسية كروكوديل وصلت الى عدن في الساعة السابعة بعد ظهر يوم ١٥ الجاري (١٨٤٤) قادمة من "مايوتا" و"بوربون" وزنجبار وبها ٥ أطنان من الفحم فقط، وقد طلب قائدها (روبين) اقراضه ١٨٥ طن فحم ليعود بها الى مايوتا، وقد منحها له، وآمل ان توافقوا على هذا العمل، وقد اعطاني قائد الطراد رسائله الموجهة الى القنصل الفرنسي العام والقائم بالاعمال في الاسكندرية وغادر الميناء يوم ١٩ الساعة ١١ مساء. واثناء استضافتي لكابتن "روبين" في عدن تأكد لدى انه من المحتمل ان يقوم قائد السفن الحربية الفرنسية في البوربون ومايوتا ومدغشقر بزيارة عدن على السفينة "لوبرسو" ذات الثمانية والعشرين مدفعا تصاحبها سفينة او سفينتان حربيتان فرنسيتان في شهر فبراير أو شهر مارس.

واطلب أوامر الحكومة فيما يتعلق بمسألة اعادة الفحم، وهل لي ان اقدم مثل هذه المجاملة للسفن الحربية الفرنسية في المستقبل اذا طلبت ذلك ؟

---

(٤٠) Marston, T.E.: op. cit., p. 581.

وعلمت فيما بعد ان السفينة الحربية "كروكوديل" امضت ٢٤ يوما بين زنجبار وعدن ولعلها كانت تستطلع الأماكن المختلفة على ساحل البحر. وكنت قد استفسرت عن وجهتها بعد مغادرة عدن فاجابني القائد بانه يقوم بجولة في مياه عدن والبحر الاحمر وفي رأيي ان قائد السفينة يهدف الى اختيار وشراء موقع على جزء ما من الساحل (٤١).

وكان رد فعل حكومة بومباي تجاه ما قام به هينز هو النقد الشديد لتصرفه هذا حيث بعث له حاكم بومباي آرثر Arthur يقول: "اننا لسنا مضطرين لتقديم المساعدة لتلك الرحلات الاستكشافية لحساب اي منافس حتى ولو كان دولة صديقة" (٤٢)

كما أمرت حكومة الهند البريطانية هينز بالاعتذار عن تقديم الفحم للسفن الفرنسية بطريقة مهذبة يستند فيها الى قلة الكمية المخزونة لديه، وذلك فيما عدا حالات لجوء السفن اضطراريا الى ميناء عدن. وفسرت الدوائر البريطانية ان وقوف السفينة الفرنسية لاخذ الفحم من عدن كان مقصودا به أمر آخر، ولم يكن مجردا من الاغراض الاخرى.

وقد عاد الفرنسيون عام ١٨٤٥ ليقتربوا اكثر فاكثر من عدن بل ويحاولون ان يكون لهم وجود عليها وذلك عندما وصلت سفينة فرنسية صغيرة تحمل اسم زيلع الى ميناء عدن في شهر مارس وطالب قبطانها المقيم السياسي البريطاني بالسماح للفرنسيين بأقامة محطة للفحم في عدن نفسها باعتبارها الميناء الصالح للملاحة في كل فصول السنة، وكان رد هينز انه ليست لديه

---

(٤١) الوثائق البريطانية: خطاب المقيم السياسي بعدن الى سكرتير حكومة بومباي بتاريخ ٢٠ ديسمبر ١٨٤٤ رقم ١٣٦. F.O. 54-8-7451.

(٤٢) Marston, T.E.: op. cit., p. 137.

صلاحيات التصريح باقامة محطة فرنسية للفحم في عدن لتزويد السفن الفرنسية المارة بميناء عدن دون أن يرجع في هذا الصدد الى حكومة بومباي . وحاول الفرنسيون من جهة اخرى ان يشتروا مصوع او المخا من الباب العالي لتكون لهم قاعدة منافسة للقاعدة البريطانية في عدن الا ان محاولتهم هذه لم تنجح(٤٣) غير ان فرنسا لم تبدأ في تطبيق سياستها التوسعية في هذه المنطقة الا في عصر امبراطورية نابليون الثالث سنة ١٨٥٨م ، وكان تطبيقها في زولا وفي أوبوك (٤٤) .

وكان البريطانيون يراقبون تحركات الفرنسيين المستمرة في البحر الاحمر وذلك طوال الفترة التي قضاها هينز مقيما سياسيا بريطانيا هناك ، وواصل المراقبة بعده خلفه في المنصب الكولونيل جيمس اوترام James Outram والذي بعث بتقرير لحكومة بومباي ابدى فيه تخوفه من تحركات الفرنسيين ، مؤكدا اعتقاده بان لديهم مخططا لاحتلال بعض المواقع الهامة في منطقة البحر الاحمر(٤٥) .

## ٨ ـ التنافس الانجليزي الفرنسي للسيطرة على الجزر في البحر الاحمر :

بعد ان سيطر البريطانيون على عدن اخذوا يوجهون اهتمامهم الى الجزر المتناثرة في المنطقة على اعتبار انها ركائز تدعم سياستهم التوسعية والاستعمارية والاقتصادية ، فاستولوا في عام ١٨٥٦ على جزر كوريا موريا

(٤٣) الدكتور فاروق عثمان اباظة : مرجع سبق ذكره ص٣٣٤ واستند في ذلك الى وثائق حكومة الهند في ١٩ نوفمبر ١٨٤٥م .
(٤٤) الدكتور جلال يحيى : مرجع سبق ذكره ص٢٦ .
(٤٥) Marston, T.E.: op. cit., p. 207.

منذ عام ١٨٤٧ حيث اشار القنصل الفرنسي بجدة في تقريره الى حكومته بعد مروره بعدن وبعض مدن اليمن بانه علم بان الفرنسيين قد اسسوا مركزا لهم في جزيرة عبد القوري Abdel Kouri بين سوقطرة Socatra ورأس جاردافوي Gurdafui وتؤكد المعلومات التي تلقاها بان هذه الجزيرة تقدم مرسى جيدا وماؤها ممتاز اعذب بكثير من آبار عدن وجميع الخيرات التي يتمناها الانسان في هذا الجزء من الكون . وان الفرنسيين قد احتلوها بعد موافقة السكان الاصليين . وأن البريطانيين حينما شرعوا في اقامة مستعمرة لهم في سوقطرة اضطروا الى تركها نظرا لمناخها الغير صحي . والى رداءة مياهها ، وانهم لم يحصلوا اثناء وجودهم بها على تصريح سوى تصريح اهل البلاد انفسهم (٤٨) .

وقد خطا الفرنسيون خطوة عملية هامة حينما وقعوا في باريس يوم ١١ مارس عام ١٨٦٢ على معاهدة " أوبوك " ووقعها توفينيل Thouvenel وزير الخارجية الفرنسية و" دني احمد ابو بكر" ممثلا لمشايخ الدناقلة ، والتي تسم بموجبها التنازل لفرنسا عن ميناء أوبوك . والذي يقع في منتصف المسافة بين جزيرة بريم وتاجورة الصومالي المواجهة لميناء عدن واقرب الى مضايق باب المندب . وفي ١٩ مايو ١٨٦٢ باشر الفرنسيون الاستيلاء الفعلي على ميناء اوبوك (٤٩) وقد سبب استيلاء الفرنسيين على أبوك قلقا وضيقا بالغا لبريطانيا واعتبرت ان ذلك بمثابة تهديد صريح لوجودها في عدن ، ولنمو عدن ذاتها وتوسعها لان اوبوك في استطاعتها ان تحتكر تجارة البن المصدر من هرر بوجه خاص وكان الانجليز يقدرون هذا البن الافريقي بنفس الدرجة التي يقدرون بها البن اليمني .

---

(٤٨) الوثائق الفرنسية : رسالة القنصل الفرنسي بجدة بتاريخ ٦ مايو ١٨٤٧م ، رقم ٤ب Ref. A.E.: 445, Vol. I.

(٤٩) الدكتور جلال يحيى : مرجع سبق ذكره ص ١٤ .

وكانت بريطانيا قبل ذلك قد استولت على جزر" موسى " و" ايفسات" القريبة من " أبوك" وامام الشائعات التي ترددت عن نشاط الفرنسيين على سواحل شبه الجزيرة العربية للعثور على مواطىء قدم لهم على مقربة من عدن وقيل انهم يقصدون منطقة" بئر احمد " الواقعة في شمالها الغربي ، ظهرت اقتراحات بريطانية من عدن تطالب بشراء" جبل احسان" او شبه جزيرة" عدن الصغرى" التي يقع في وسطها الجبل المذكور وذلك بهدف القضاء على المشروعات الفرنسية المنافسة في ذلك الوقت. الا ان الحكومة البريطانية رفضت هذه المقترحات وأبدت تقديم معونة لشيخ" بئر احمد " لحمايته من المؤامرات الفرنسية عام ١٨٦٢م. غير ان الحكومة البريطانية عادت وغيرت رأيها وحثت المقيم السياسي في عدن كوجلان William M. Coghlan على شراء شبه جزيرة" عدن الصغرى" قبل ان تسيطر عليها اية قوة اخرى وخاصة فرنسا ، وذلك بعد ان اتضح لها ان احدى قطع الاسطول البحري الفرنسي كانت ترابط على مقربة من عدن ، وان هناك احتمالا لقيام الفرنسيين بشراء جزيرة" ابن عمران" القريبة من عدن . وتم لبريطانيا شراء عدن الصغرى ورفع العلم البريطاني عليها يوم ١٩ سبتمبر عام ١٨٦٩م نظير مبلغ يقدر بحوالي ٤٨ ألف ريال منها ٣٠ الف ريال تسلم على الفور و ١٨ ألف ريال تسلم على أقساط.(٥٠).

وفي ٣١ اكتوبر عام ١٨٦٨ بعث الميجور جنرال راسل Major General Russell المقيم السياسي بعدن الى الكابتن كولومب Colomb في ميناء عدن برسالة ذكر له فيها : ان تاجرا فرنسيا يدعي بوالكس Poilex قد اشترى بشروط معينة المكان المسمى" شيخ سعيد "على الشاطئ العربي المواجه مباشرة لجزيرة بريم، وهذا المكان قريب من الرأس الصخرية في باب

---

(٥٠) Marston, T.E.: op. cit., p. 253.

المندب . ويقول التاجر الفرنسي انها صفقة تجارية ، ولكن حيث انه قد ذهب الى باريس فانه بلا شك سيبيعه بأفضل ثمن يمكنه . وحيث انه من غير المرغوب فيه ان تحتل أية قوة أوروبية هذا المكان ، وهو يحتل هذا الموقع بالنسبة لجزيرة بريم والمضيق ، فانني اتطلع الى الحصول على بعض المعلومات عن الميناء او الخليج للتأكد من امكانياته كمرسى وموقعه عموما ، وما اذا كان من المحتمل ان يستغل ضد المصالح البريطانية ، واعتبر هذه المعلومات ضرورية لتمكين الحكومة من ان تقرر الاجراء الذى تتخذه ، وفي ضوء هذا اطلب اليكم ان ترتبوا زيارة لجزيرة بريم لجمع المعلومات اثناء وجودك هناك عن النقاط السابق ذكرها" . وحثه على اخفاء الهدف الحقيقي عند زيارته لجزيرة بريم لأن الضابط الموجود هناك يكون دائما يطوف بسفينته على امتداد الساحل (٥١) .

وفي ٨ نوفمبر ١٨٦٨ تلقى المقيم السياسي في عدن تقرير الكابتن كولومب Captain Colomb ) عن الشيخ سعيد حيث اشار الى انه اتصل بالملازم دالماهوى Dalmahoy قائد القوات البريطانية في بريم ، والذى يعتقد ان المكان المسمى " الشيخ سعيد " أشترى من الزعيم العربي على ثابت مقابل ٦٠٠٠ ستة الاف ريال ، وان هذا المكان يقع الى الشمال الشرقي من فنار بريم على بعد ٢½ ميلين ونصف وهو ملائم لرسو السفن . وفي رأيه ان المكان لا يصلح لاقامة مستودع حكومي ، واذا احتل بالقوة فلن يكون اكثر من شيء غير ملائم لنا اسميا ( اى ان احتلاله من قبل الفرنسيين لن يؤثر عسكريا ولكنه قد يؤثر معنويا فقط ) كما ان احتلاله لا يجدى كعائق للملاحقة في البحر الاحمر ، فالمدافع الموضوعة على الأرض الرئيسية لا تتحكم في المجرى

---

(٥١) الوثائق البريطانية : خطاب المقيم السياسي بعدن بتاريخ ٣١ اكتوبر ١٨٦٨م رقم ١٣٨ب
F.O. Adm. 127-11-07185.

الملاحى فان الممر الواقع الى الغرب من بريم آمن بالنسبة للسفن [٥٠٢] .

وفى ٢٠ نوفمبر ١٨٦٨م بعث المقيم السياسي بعدن الى قائد المحطة البريطانية فى بومباى برسالة عن الموضوع وعن التقرير الذى قدمه له الكابتن كولومب من ان الميناء لا قيمة له اطلاقا لاى عدو كعقبة فى مدخل البحر الاحمر او كخطر بالنسبة لموقعه فى مواجهة جزيرة بريم [٥٣] . وفى نفس اليوم بعث المقيم السياسي برسالة شكر الى الكابتن كولومب قائد السفينة دراياد على المهمة التى قام بها والتقرير الذى قدمه عن الشيخ سعيد [٥٤] .

٩ ـ <u>التنافس الانجليزى الفرنسي في جنوب البحر الاحمر بعد افتتاح قناة السويس :</u>

تتبعنا فيما سبق كيف كان يجرى السباق والتنافس بين فرنسا وانجلترا على البحر الاحمر وسواحله الشرقية والغربية وعلى جزره ايضا . وتمكن البريطانيون من احتلال عدن وترسيخ اقدامهم فيها بل والى مد اذرعتهم فى اتجاه الجزر القريبة منها واتخذوا من عدن قاعدة بحرية وعسكرية ونقطة مراقبة هامة وقاعدة انطلاق الى ماحولها .

ولم تقف فرنسا مكتوفة اليدين بل شمرت عن ساعديها هى الاخرى وأخذت تلقى شباكها هنا وهناك يوما بالقرب من عدن وآخر بعيدا عنه على

---

(٥٢) الوثائق البريطانية : تقرير كابتن كولومب بتاريخ ٨ نوفمبر ١٨٦٨م رقم ١٣٨ مكرر ب. F.O. Adm. 127-11-07185.

(٥٣) الوثائق البريطانية : خطاب المقيم السياسي بعدن بتاريخ ١٠ نوفمبر ١٨٦٨م رقم ١٣٩ ب . F.O. Adm. 127-11-07185.

(٥٤) الوثائق البريطانية : خطاب المقيم السياسي بعدن بتاريخ ١٠ نوفمبر ١٨٦٨م رقم ١٤٠ ب . F.O. Adm. 127-11-07185.

الساحل الافريقي ومرة عند الجزر، بواخر حربية تفد و وتروح على طول البحر الاحمر تستكشف وتبحث فهي تقترب من عدن عصب الوجود الانجليزي في المنطقة ثم تبتعد حتى تم لها هي الاخرى شراء قاعدة أبوك Obock عند المدخل الجنوبي للبحر الاحمر عام ١٨٦٢ على الساحل الافريقي وسعت لبسط سيطرتها على منطقة الشيخ سعيد غربي عدن عام ١٨٦٩م الاان بريطانيا احبطت محاولتها حتى لا يتعرض الوجود البريطاني في عدن لأي خطر.

وجاء افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩م يمثل مرحلة جديدة للصراع بين الدولتين في المنطقة. ولما كانت بريطانيا حريصة على المحافظة على أمن مصالحها ووجودها في المنطقة فقد وقفت امام مشروع القناة الفرنسي موقف المعارض المعرقل حتى تدفع الخطر بعيدا عنها ، لكن المشروع تحقق . ولذا فقد عملت بريطانيا على تغيير تكتيكها السياسي والعسكري في المنطقة. فسارعت الى احتضان القناة بل والعمل على ان تكون المهيمنة عليها بشراء اسهمها المصرية واخذت تتحكم في المرور بها .

وكانت الاحوال في عدن عام ١٨٦٩م هادئة نسبيا ، وخاصة من ناحية علاقة البريطانيين بالقبائل اليمنية المحيطة بعدن . كما تم في عام ١٨٧٠م مد خط برقي جديد بين عدن والهند ، ومد خط بحري جديد في البحر الاحمر(ه) .

اما الفرنسيون فكما سبق وذكرنا فقد واصلوا نشاطهم في البحر الاحمر وتمكن فرنسيان هما ماس M.M. Mas وبوالكس Poilex من شراء بندر الشيخ سعيد من الشيخ علي ثابت شيخ قبيلة هاكور في شهر يناير عام ١٨٦٩م وذلك لاقامة وكالة فرنسية هناك ، وهذا المكان مواجه تماما لجزيرة بريم. الأمر

---

(ه) Marston, T.E.: op. cit., p. 393.

الذى اثار مخاوف وغضب البريطانيين فقدموا احتجاجا لفرنسا ، وطالبــوا سفيرهم فى الاستانة بارون Barron لابلاغ الباب العالى صاحب السلطــة الشرعية على الاقليم بان الحكومة البريطانية لن توافق على اقامة مستعمرة جنبية فى منطقة مجاورة تماما لعدن . الا ان الفرنسيين مالبثوا ان تركوا المكــان (بندر الشيخ سعيد ) فى ديسمبر ١٨٧١ * نظرا لعدم صلاحية الميناء لمتطلباتهم (٥٦) . وقد اثار قلق بريطانيا زيادة تردد السفن الاجنبية على ميناء عدن فى اعقاب فتح قناة السويس ، ولذا فقد اصدر الميجور جنرال ادوارد راسيل Major G. Edward Russell المقيم السياسى البريطانى فى عدن تعليماته الى قبطان السفينة البريطانية السند The Sind لتراقب السفن الاجنبية العابرة فى خليج عدن وعند المدخل الجنوبى للبحر الاحمر للتعرف على اهدافها وذلك فى مطلع عام ١٨٧٠م (٥٧) .

وقد واجهت بريطانيا منافسين اخرين غير الفرنسيين هما المصريــون والايطاليون وقاومت بكل جهدها حتى لا يتمكن المصريون من ترسيخ اقدامهم فى الحبشة او الصومال او اليمن . اما ايطاليا التى اقلقت بريطانيا بمحاولاتها للسيطرة على اقليم عصب ، حيث كتب لورد سولسبرى وزير الخارجية البريطانية فى شهر يناير سنة ١٨٧٩ يقول : " لو كان هذا التوسع تجاريا بحتا لنظــرت اليه بعين العطف. ولكننا نريد ان نتأكد انه توسع خلو من كل غرض سياسى لان البحر الاحمر بمثابة الوتر الحساس لنا " (٥٨) غير ان التشدد البريطانى امام

---

* وفى عام ١٨٧٢ بعثت الدولة العثمانية بقوة قوامها ٤٠٠ اربعمائة جندى بقيادة سليمان بك وسيطرت على بندر الشيخ سعيد وبعد ذلك تحول الى محجر صحى لخدمة موسم الحج .

(٥٦) د . جاد طه : مرجع سبق ذكره ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ .
(٥٧) د . فاروق عثمان اباظه : مرجع سبق ذكره ص ٤٢١ ، ٤٢٢ .
(٥٨) د . فاروق عثمان اباظه : نفس المرجع ص ٤٢١ .

ايطاليا مالبث ان تغير الى تساهل وتفاوض لان الخطر الاكثر اهمية كان قد ظهر، ذلك هو محاولة الفرنسيين وجهودهم المستمرة والمتزايدة آنذاك لتقويض النفوذ البريطاني في مصر، ومحاولتهم الوصول الى قلب افريقيا وبسط سيطرتهم على حوض النيل الأعلى . ولذلك فقد رأت السياسة البريطانية مصانعة الايطاليين في سياستهم على الساحل الغربي للبحر الاحمر ليكونوا بمثابة حراس موقتين لتلك المناطق حتى لا تقع في ايدي الفرنسيين، وبعد ان يتمكنوا من انهاء مواجهتهم للفرنسيين في مصر واعالي النيل يمكنهم انهاء عمل الحارس الايطالي وبسط نفوذهم على المنطقة [٥٩] . وخلاصة القول ان النشاط الفرنسي المنافس والمقلق للوجود البريطاني في عدن والبحر الاحمر كان قد تركز على الساحل الافريقي للبحر الاحمر، والذي كان يستهدف أولا واخيرا مضايقة البريطانيين في وجودهم على الساحل الغربي للبحر الاحمر.

**١٠- التنافس الانجليزي الفرنسي بعد عام ١٨٨٢م :**

استغلت بريطانيا ثورة عرابي باشا في مصر لتنفيذ مخططها في السيطرة على مصر، وبذلك يتم لها وضع الامور في يدها على طول الطريق الى الهند، خاصة وان بريطانيا قد اعتبرت المعاهدة التي وقعتها فرنسا مع تونس والمعروفة بمعاهدة قصر السعيد في ١٢ مايو سنة ١٨٨١م، اخلالا بميزان القوى الدولي في البحر المتوسط وتفوقا للنفوذ الفرنسي على النفوذ البريطاني . وكانت فرنسا في أواخر عام ١٨٧٥م قد نجحت في ان يكون لها مركز مساو لبريطانيا في مصر. بل ان اهتمام الفرنسيين بمصر وبمنطقة البحر الاحمر قد ازداد وضوحا حينما تسلم الجمهوريون الحكم في فرنسا سنة ١٨٧٧م واتفقت بريطانيا وفرنسا على منع اية دولة ثالثة من الاشتراك معهما في السيطرة على الحكومة المصرية حتى

---

(٥٩) الدكتور شوقي عطاالله الجمل : مرجع سبق ذكره ص١٧٧ .

لا تسمحا يتدخل منافس جديد ، الا ان احتلال الانجليز لمصر وسيطرتهم على قناة السويس عام ١٨٨٢ ادى الى تصدع الوفاق بين الدولتين بل الى انهياره واعتبرت فرنسا ان بريطانيا بهذا العمل قد وجهت ضربة قاتلة لنفوذها السياسي والحضاري والادبي مما دعاها الى الوقوف ضد بريطانيا والعمل على اجلائهما عن مصر (٦٠) وفي البحر الاحمر عاود الفرنسيون نشاطهم عام ١٨٨٢ مستغلين حادث مقتل المستعمر الفرنسي آرنو Arnoux على يد بعض الصوماليين للبدء في أقامة ادارة في أوبوك التي كانوا قد اشتروها سنة ١٨٦٢م واختاروا المستعمر الفرنسي لاجارد للذهاب الى أوبوك للتفاوض مع المسئولين المصريين هناك لعقد اتفاقية لتعيين الحدود .

وكان وصول لاجارد الى خليج عدن سببا في اثارة شكوك السلطات البريطانية التي كانت تستعد لبسط سيطرتها على الساحل الافريقي ، وكان احتلال بريطانيا لمصر قد ادى بالدول الاوربية الى التفكير في وراثة ممتلكاتها في افريقية ، كما انها كانت عازمة على التصدى لفرنسا وعدم تركها حرة تعمل لمضايقتها في المناطق القريبة من عدن .

وهكذا بدأ التنافس البريطاني الفرنسي في المنطقة واضحا جليا اعتبارا من شهر مارس عام ١٨٨٤م (٦١) .

وقد استطاع المستعمر الفرنسي لاجارد ان يعقد معاهدة مع سلطان تاجورة في ٢١ سبتمبر عام ١٨٨٤م وبمقتضى هذه المعاهدة تنازل سلطان تاجورة عن المنطقة من رأس علي الى قبة الخراب . وفي ١٨ اكتوبر سنة ١٨٨٤م

---

(٦٠) الدكتور فاروق عثمان اباظه : مرجع سبق ذكره ص٤٧٨ ، ٤٧٩ .
(٦١) الدكتور جلال يحيى : مرجع سبق ذكره ص٨٧-٩٠ .

تنازل سلطان تاجورة عن رأس علي وسجالو وقبة الخراب. وفى ١٤ ديسمبر سنة ١٨٨٤ تنازل ابضا عن اراضي أخرى لفرنسا (٦٢) . وقد دفع الاحتلال الفرنسي لتاجورة بانجلترا للحصول على معاهدات مع القبائل الساحلية وتوسيع نفوذها في بلاد الصومال ، فعقد هنتر عددا من المعاهدات مع كل من قبيلة القضابورس صومال في خوز كالنجالات ، وقبيلة حبر تلجعله ، وقبيلة العيس صومال وكانت اراضي هذه القبيلة تمتد من زيلع حتى هرر وتجاور الاراضي التى ضمها الفرنسيون اخيرا (٦٣) وفى عام ١٨٨٥ اتفقت فرنسا وانجلترا على المحافظة على الوضع القائم فى ممتلكاتهما المطلة على خليج عدن . وكان يمثل فرنسا فى زيلع هنرى نائب القنصل تابعا لقائد أوبوك . وكان يمثل انجلترا فى المحميات الفرنسية وهر ركنجسميل نائب القنصل تابعا للمقيم السياسي فى عدن(٦٤) الا انه على الرغم من اتفاق عام ١٨٨٥م فقد استمر الفرنسيون والبريطانيون يزاولون نشاطهم الاستعماري فى المنطقة ، فقد حاول الفرنسيون الاستيلاء على " امبادو " بين رأس جيبوتي وزيلع ، وعلى دمنجارينا بين زيلع وبلهار . كما حاول البريطانيون من جهتهم ضمان السيطرة على كل الاقليم اللازم لتموين قاعدتهم الحيوية فى عدن ، وعدم ترك مجال حيوى للفرنسيين بشكل يساعدهم فى يوم من الايام ، على التفوق فى منطقة البحر الاحمر وخليج عدن والتأثير على مواصلاتهم الى الهند .

وفى ٢٠ يوليو سنة ١٨٨٧ م اعلنت بريطانيا حمايتها على بلاد الصومال المواجهة لعدن . ثم دارت مفاوضات بين فرنسا وانجلترا تم خلالها التوصل الى اتفاقية فبراير عام ١٨٨٨م والتى انهت صفحة من صفحات التنافس البريطاني

---

(٦٢) الدكتور حسين فوزى النجار : مرجع سبق ذكره ص ٢٣٧ .
(٦٣) د . جلال يحيى : المرجع السابق ص ١٥٨ .
(٦٤) د . جلال يحيى : المرجع السابق ص ١٨٨ .

الفرنسي في منطقة البحر الاحمر وفي سواحل الصومال المطلة على خليج عدن .
وان كانت فرنسا قد نقلت قاعدتها من أوبوك الى جيبوتي واستعدت لتحقيق
تطلعاتها الاستعمارية جنوبي البحر الاحمر وعلى سواحل خليج عدن . في الوقت
الذي كانت فيه بريطانيا ترقب التحركات الفرنسية عن كثب من قاعدتها البريطانية
في عدن . الا ان النشاط الفرنسي اتجه صوب الغرب في داخل القارة الافريقية
تجاه اقليم هرر، واتجه مع هذا النشاط التنافس الدولي في بلاد الصومال (٦٥)
وكانت فرنسا قد اعلنت بعد ان ضمت ميناء جيبوتي اليها عام ١٨٨٨ م
بموجب اتفاق فبراير مع بريطانيا ، توحيد جميع تلك المناطق التي تشمل
أوبوك وتاجورة والساحل الصومالي في ادارة واحدة اطلقت عليها اسم الصومال
الفرنسي وذلك في شهر مايو سنة ١٨٩٦م.

١١- سلطنة لحج :

بعد أن استولى اسطول سليمان القانوني على عدن عام ١٥٣٨م، بعام
واحد اى في عام ١٥٣٩م خضعت جميع السواحل العربية الجنوبية للعثمانيين
ومن بينها سلطنة لحج التي استولى سلطانها على عدن عام ١٧٢٨ بعد نقضهم
تبعيتهم لائمة صنعاء. وفي عام ١٨٠٢ م نجح السير هوم بوبهام في عقد
معاهدة تجارية مع سلطان عدن ولحج احمد بن عبدالكريم، الا ان الانجليز
مالبثوا ان اصطدموا بسلطان لحج عسكرياً عام ١٨٣٩ من أجل بسط سيطرتهم
الكاملة على عدن .(وقد فصلنا ذلك في حديثنا عن عدن) . وحينما تم لهم ذلك
عقدوا معاهدة صداقة بينهم وبين سلطان لحج نصت على ان تدفع حكومة الهند
راتبا سنويا مقداره ٦٥٠٠ دولارا للسلطان بالاضافة الى دفع رواتب لأربعة
زعماء من شيوخ القبائل المجاورة * ، الا ان ذلك لم يمنع من تكرار الصدام بين

---

* الاربعة الزعماء هم: الفضلي، ويافع، والحوشبي، والعامري.

(٦٥) الدكتور فاروق عثمان اباظة: مرجع سبق ذكره ص ص. ٥١٠، ٥١١.

الانجليز والعبادلة في عامي ١٨٤١ ، ١٨٤٣ م حيث عقد الانجليز مع سلطان لحج معاهدة جديدة (٦٦) .

وفي ٥ مارس عام ١٨٤٩ عقدت بريطانيا معاهدة حماية مع السلطان العبدلي ( سلطان لحج ) اردفتها بمعاهدة معه بعد يومين اثنين بشأن الغاء رسوم المرور بأراضيه * .

وفي ٧ مارس ١٨٦٧م وافق سلطان لحج وخليفة احمد عبد الكريم - على التصريح لبريطانيا بمد قناة مياه من الشيخ عثمان الى عدن على ان تتكفل بريطانيا بجميع اعمال الحفر وتبقى القناة في حماية السلطان (٦٧) . وفي عام ١٨٧٠ قام سلطان لحج بزيارة لحكومة الهند البريطانية استغرقت ثلاثة شهور وقد رافقه في هذه الزيارة جود فلو Good Fellow مساعد المقيم السياسي البريطاني في عدن كمرافق رسمي . وكان سلطان لحج هذا قد تمتع بتفوق كبير الا ان هذا التفوق قد تدهور في عامي ١٨٦٤ ، ١٨٦٥م عقب المجاعة التي اجتاحت المنطقة ووباء الكوليرا الذي تفشى هناك في السنة الأخيرة ، فضلا عن الوباء الذي اصاب الماشية وقضى على معظم الثروة الحيوانية التي يمتلكها العبادلة حينذاك . وبناء على المتطلبات الاستراتيجية والسياسية البريطانية

---

* وقد جاء في هذه المعاهدة : "بان سلاطين لحج ملزمون بالا يعقدوا معاهدة من أي نوع كان مع اي دولة اخرى لبيع اورهن او اجارة أوهبة اي قسم كان من البلاد التي هي الآن او ستكون في المستقبل تحت حكومة سلطان لحج بدون رضاء الحكومة البريطانية ، وانه لا تعمر قلاع او عمارات أخرى على ساحل البحر بدون رخصة والي عدن البريطاني ، ولا يسمح بنزول او خروج سلاح ، او ذخائر ، أو رقيق ، او تجارة ، اومسكرات ، او مكيفات من أي جهة من الساحل بدون رخصة من والي عدن البريطاني .

(٦٦) سليمان موسى : غربيون في بلاد العرب ١٩٦٩ منشورات وزارة الثقافة والاعلام الاردنية ص٦٣-٦٥ .

(٦٧) محمود كامل المحامي : مرجع سبق ذكره ص٢٤-٢٤١ .

في المنطقة عقب افتتاح قناة السويس طلبت حكومة الهند من المقيم السياسي بعدن في ٢٩ يونيو سنة ١٨٧١م بان يفاوض سلطان لحج لعقد معاهدة جديدة * (٦٨)

## ١٢- العثمانيون وسلطنة لحج :

وعندما حدث نزاع بين سلطان الحواشب مع سلطان لحج حول زايدة والشقعة والتي يدعي الحواشب ملكيتها اتصل سلطان الحواشب بالدولة العثمانية وطلب مساعدتها ، وفعلا استجاب العثمانيون الى هذا الطلب واستولوا على زايدة . واحتجت الحكومة البريطانية على ذلك عام ١٨٧٣م (٦٩) .

وعندما كتب العثمانيون الى سلطان لحج يدعونه الى اعلان ولائه للسلطان العثماني ، سارع المقيم السياسي البريطاني في عدن تريمنهير Tremenheere بابلاغ سلطان لحج بالا يلتفت الى اى خطاب يصله من السلطات العثمانية . وفي عام ١٨٧٢ حينما عاود العثمانيون الاتصال بسلطان لحج فضل بن محسن العبدلي ، قام بزيارة للمقيم السياسي البريطاني في شهر اكتوبر من العام نفسه في عدن البريجادير جون ليستفسر منه عما اذا كان البريطانيون سيقفون الى جواره في مواجهة الاتراك العثمانيين حتى يستمر في رفضه الخضوع لهم . وفي ديسمبر من عام ١٨٧٢م تمكن العثمانيون من السيطرة على قمطبة وبعدها سقطت في ايديهم مدينة الحوطة عاصمة لحج . فاصدرت الحكومة البريطانية اوامرها الى المقيم السياسي بعدن بان يقدم المساعدات الكافية لسلطان لحج حتى يتمكن من التخلص من السيطرة العثمانيين على بلاده ، مع عدم الاعلان رسميا عن اشتراك البريطانيين في الهجوم على الاتراك العثمانيين حفاظا على موقف بريطانيا السياسي العام من الدولة العثمانية (٧٠) وبعد ان تمت

---

(٦٨) الدكتور فاروق عثمان اباظة : مرجع سبق ذكره ص٣٩٣-٣٩٥ .

(٦٩) Marston, T.E.: op. cit., p. 400.

(٧٠) Marston, T.E.: Ibid, p. 401.

* انظر البنود والاسس التي طلب ،عقد معاهدة جديدة على اساسها في الصفحات ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ في كتاب د. عثمان اباظه ( عدن والسياسة البريطانية في البحر الاحمر ) .

عدة اتصالات بين الحكومة البريطانية والحكومة العثمانية انسحب العثمانيون من عاصمة لحج " الحوطة " ثم اعيدت بلدة زايدة الى تبعيتها لسلطنة لحج .
وفي عام ١٨٧٤ توفي السلطان فضل بن محسن العبدلي وخلفه في حكم السلطنة ابن أخيه فضل بن علي محسن العبدلي الذي سبق ان تنازل لعمه عن الحكم سنة ١٨٦٣م . وفي عهده عقدت معاهده مع المقيم السياسي في عدن بتاريخ ٦ فبراير سنة ١٨٨٢ وافق السلطان فيها على بيع ٣٥ ميلا من الأرض الملاصقة للشيخ عثمان بين الحسوة والعماد ، وكذلك ملاحات الشيخ عثمان والقناة التي بينها وبين عدن . وقد استمر العبادلة في لحج مخلصين لسلطة عدن البريطانية بل انهم كانوا يطلبون عونها في الخلافات بينهم وبين القبائل كما استمرت سلطنة لحج في تمثيل دورها كأحد دعائم الوجود البريطاني في جنوب الجزيرة العربية (٧١) .

وجدير بالملاحظة ان سلطنة لحج لم تدخل الدائرة المباشرة للتنافس بين انجلترا وفرنسا والتي كانت آنذاك قائمة حول عدن والبحر الاحمر . الا ان الوثائق البريطانية كانت قد اشارت الى ظهور الفرنسيين امام ميناء المكلا اليمني في سنة ١٨٦٩ عندما وصلت احدى سفنهم الى هناك ، وان نقيب ميناء المكلا قد حضر الى عدن وطلب من المقيم السياسي البريطاني بسط الحماية البريطانية على الميناء ، نظرا لأن الفرنسيين قد ظهروا امام سواحل حضرموت ، وحاولوا الاتصال بجاره القعيطي الذى كان على خلاف معه في سنة ١٨٦٩ ، الا انه يرجح ان نقيب المكلا اراد استغلال وصول هذه السفينة الحربية الفرنسية التي ظهرت امام الميناء ليحصل على حماية بريطانيا ومساعدتها ليتغلب على منافسه القعيطي ، ولهذا احتفظ البريطانيون في تلبية طلبه (٧٢)

---

(٧١) الدكتور جاد طه : مرجع سابق ص١٧١ .

وان كان البريطانيون في نفس الوقت متيقظين لكل التحركات الفرنسيــة فــي البحر الاحمر وحول عدن ، وقد كانوا يعملون على وضع العراقيل امامها حتــى لا تشكل اى خطر على مصالحهم في المنطقة .

١٢- النواحي التسع المحمية :

بعد ان تمكن الانجليز من احتلال عدن كان لا بد لهم من تقوية مركزهم بها وتامينها من الاخطار فأبرموا معاهدات صداقة وولاء مع حكام وسلاطيــن وشيوخ القبائل القاطنة جنوبي اليمن وما كان يطلق عليها بالنواحي التســع المحمية وهي :-

١ - العبدلي　　　　٢ - الفضلي

٣ - العقربــي　　　　٤ - الحوشبي

٥ - العلــوي　　　　٦ - الأميري

٧ - الصبيحــي　　　　٨ - اليافعــي

٩ - العولقي

وعاد البريطانيون في سنة ١٨٧٢م لتنفيذ مخطط استعماري جديد يهدف الى فرض الحماية البريطانية على تلك النواحي ، والتي تلزم رؤساء القبائل بعدم التخاطب مع اية دولة اخرى غير بريطانيا الا بعد موافقتها ، وذلك مقابل حمايــة بريطانيا لها من كل عدوان خارجي (٧٢) .

ولما كان خط بحثنا هو الوقوف على ابعاد التنافس البريطاني الفرنســي في المنطقة ، فانه يمكننا القول بان هذه المنطقة ( النواحي التسع) لم تكن مركـزا لشيء من هذا التنافس .

---

(٧٢) Marston, T.E.: op. cit., pp. 380-381.

# الفصل السادس

## التنافس الانجليزي الفرنسي في وسط شبه الجزيرة العربية في القرن ١٩ الميلادي
## ـ في نجد وحائل ـ

**عناصر هذا الفصل:**

**القسم الأول ـ نجد :**

١ـ نجد والدولة العثمانية .
أ ) الوضع في نجد ابان الحملة الفرنسية على مصر .
٢ـ نجد بين العثمانيين والمصريين .
أ ) الوضع قبل وصول الحملة المصرية الى شبه الجزيرة العربية .
ب) الحملات المصرية والقضاء على الدولة السعودية الأولى .
٣ـ قيام الدولة السعودية الثانية .
أ ) فترة مابعد انسحاب القوات المصرية من نجد .
٤ـ قيام الدولة السعودية الثالثة .
٥ـ نظرة على السياسة التركية تجاه نجد .
٦ـ علاقات بريطانيا وفرنسا بكل من الدول السعودية الثلاث .
اولا ـ أ ) العلاقات البريطانية بالدولة السعودية الأولى .
ب) سعادة بريطانيا بانهيار الدولة السعودية الأولى .
جـ) بريطانيا والدولة السعودية الثانية .
د ) التهديدات البريطانية للسعوديين .
هـ) التسابق بين السعوديين وامام مسقط للاستيلاء على البحرين وموقف بريطانيا .
و ) بريطانيا تقاوم النفوذ الفرنسي لدى السعوديين .
ز ) موقف بريطانيا من النزاع بين افراد الاسرة السعودية .
ح ) بريطانيا والدولة السعودية الثالثة .
ثانيا ـ العلاقات الفرنسية السعودية .
أ ) مشروع فرنسي لاحداث انقلاب واقامة دولة قوية في شبه الجزيرة العربية .

**القسم الثاني ـ حائل :**

١ـ آل الرشيد وآل سعود .
٢ـ امارة حائل وعلاقاتها بكل من انجلترا وفرنسا .
٣ـ مشروع بريطاني لمد خط سكة حديد من بور سعيد الى الكويت .

١ - نجد والدولة العثمانية:

وعلى الرغم من اهتمام الدولة العثمانية بالاحساء والحجاز واليمن ، فانها لم تحاول بسط سيطرتها على نجد بعد الفشل الذى منيت به الحملة العثمانية عام ١٥٥٠م ، على اعتبار ان نجد اقل أهمية من الاحساء وأصعب حكما وادارة بالاضافة الى صعوبة الوصول اليها بسبب الصحارى المحيطة بها [١] وفى نهاية القرن السابع عشر الميلادى كانت نجد وشبه الجزيرة العربية باستثناء سلطنة عمان واليمن والحجاز، مقسمة الى عدد كبير من المقاطعات او المدن المستقلة التى تحكم نفسها برآسة شيخ القبيلة تحميه عصبيته [٢]

وقبل ظهور الدعوة السلفية كانت الدولة العثمانية تمر بأزمة ضعف سلاطينها وانشغالهم بالفتن الداخلية والحروب الخارجية، كما كانت نجد تعيش تحت وطأة الشرك والجهل والخرافات ، وفى هذه الظروف انطلقت من الدرعية دعوة تصحيح للعقيدة ، دعوة وحدة وقوة ، ولم يشعر امراء نجد وشيوخ قبائلها بالخوف على سلطانهم من الضياع قبل عام ١٧٤٥ حين بدأت الدرعية تبرز كقوة دينية وسياسية على الساحة العامة فى نجد ، بعد تحالف الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأمير الدرعية آنذاك محمد بن سعود على اقامة صرح دولة الاسلام الحقيقية فى نجد ، وكان لب الدعوة الرجوع الى وحدانية الله ، والى مصدر التشريع ، القرآن الكريم ، والى حكم السنة النبوية المطهرة. [٣]

وبدأ آل سعود منذ ذلك التاريخ فى الانطلاق من الدرعية داعين للرجوع الى الله والدين الاسلامى الحنيف ، ومنذ عام ١٧٦٥ أخذوا يهاجمون

(١) الدكتور عبد الكريم غرايبة : قيام الدولة السعودية العربية ص٨٨.

(٢) الدكتور محمد انيس : الدولة العثمانية والشرق العربى ص٢٢٦-٢٢٧.

(٣) الدكتور السيد رجب حراز : الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب ص١٣.

الاحساء وشرقي شبه الجزيرة العربية ، واشتدت حملاتهم في الفترة مابين ١٧٩٢ - ١٧٩٥ حتى تم لآل سعود السيطرة الكاملة على الاحساء والقضاء على مقاومة بني خالد لهم (٤) وهنا نجد ان الدولة العثمانية تتحرك لنزع الاحساء من آل سعود ، وتبعث بحملة من العراق بقيادة علي الكيخيا ( الكرجي ) عام ١٧٩٩م وحاصرت القوات العثمانية الاحساء الا ان النجدات السريعة التي بعثت بها القيادة السعودية الى الاحساء اضطرت العثمانيين الى رفع الحصار والعودة من حيث أتوا (٥) ويبدو أن الظروف وقتها قد خدمت الدولة السعودية ، اذ كانت الدولة العثمانية تواجه خطر غزو بونابرت لمصر عام ١٧٩٨م ، كما انها كانت قد عقدت هدنة مع شريف مكة لي تفرغ لاتخاذ الاستعدادات اللازمة لتقوية دفاعات الحجاز لمواجهة اي غزو فرنسي محتمل للحجاز .

أ ) <u>الوضع في نجد أبان الحملة الفرنسية على مصر :</u>

في السنة التالية لوصول الحملة الفرنسية الى مصر اخذت الدولة العثمانية تستعد للمرة الثانية للسيطرة على الاحساء وانتزاعها من يد آل سعود حيث قام سليمان باشا والي العراق بارسال حملة عسكرية الى الأحساء بقيادة علي كيخيا بلغ تعدادها ثمانية عشر الف مقاتل ، الا ان هذه الحملة اندحرت وانسحبت من الاحساء بعد عقد هدنة مع الزعيم السعودي .

وفي عام ١٨٠٠ قام سعود باداء فريضة الحج على راس جموع غفيرة من نجد ، وكان الشريف غالب قد عقد هدنة وصلحا مع السعوديين ، وعاشت شبه الجزيرة العربية خلال عامين في هدوء تام ، وانتهى هذا الهدوء عام

(٤) احمد علي : آل سعود ص١٣١ .
(٥) Benoist-Méchin, J.: Arabia Desting, p. 52.

١٨٠٢ بظهور الأمير سعود فجأة امام كربلاء التي اقتحمها عنوة ودمر ضريح الحسين وصادر الجوهرات التي كانت تغطي ذلك الضريح ، وقد هز هذا العمل العالم الاسلامي كله فضلا عن الشيعة(٦) .

## ٢ ـ نجد بين العثمانيين والمصريين :

### أ ) الوضع قبل وصول الحملة المصرية الى شبه الجزيرة العربية :

كانت العلاقات بين الاشراف والسعوديين قد ساءت منذ عام ١٨٠٢م على أثر التجاء عثمان بن عبد الرحمن المضايفي رئيس وزراء الشريف غالب الى الدرعية عارضا خدماته وولاءه على آل سعود ، بعد ان طرده الشريف غالب من الخدمة لسبب غير معروف ، وفي عام ١٨٠٣م وصلت القوات السعودية الى حدود الحجاز ، وما ان سمع الشريف باقتراب تلك القوات من مكة حتى سارع الى تركها والتجأ الى جده ذات الاسوار المنيعة ، ودخلت القوات السعودية مكة المكرمة ، وعين الامير سعود الكبير الشريف عبد المعين بن مساعد (شقيق الشريف الهارب غالب) اميرا على مكة ، وبعد عامين سيطرت القوات السعودية على المدينة المنورة ، وبعد ان تمت سيطرة السعوديين الكاملة على الحجاز ، اتجهت انظارهم الى الشمال ، فوصلوا الى حوران والكرك واخذوا يطرقون ابواب الشام وفلسطين ، وتمكنوا من هزيمة القوة العثمانية التي خرج بها والي الشام عبد الله العظم للحج عام ١٨٠٥م(٧) .

---

(٦) سنت جون فيلبي : تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية ( تعريب عمر الديراوي ) ص٩٧ـ ٩٩ .

(٧) Philbiy, H. St. J.: Saudi Arabia, p. 150.

وكان احتلال الحجاز خطأ كبير ارتكبه آل سعود ، واعتبر ذلك بداية النهاية للدولة السعودية الأولى . ولكن السعوديين قد اجبروا عليه ، اذ تحداهم اشراف مكة ومنعوا رعايا آل سعود من زيارة الحرمين واداء فريضة الحج . وقد عمل الاشراف على اثارة السلطان العثماني على آل سعود وعلى الحركة الوهابية التي يحملون لواءها بكل الطرق ، وشوهت حقائق وجوهر هذه الدعوة الاصلاحية (٨) .

وكانت الدولة السعودية تشكل آنذاك ثلاثة تهديدات خطيرة للسلطة العثمانية هي :-

١ - انها اخضعت الحجاز التي تضم الحرمين الشريفين الذين يعتز السلطان العثماني بان يكون خادمهما .
٢ - حولت طريق بعض القوافل الهامة بما في ذلك قافلة الحج العراقية الى طريق يمر بنجد .
٣ - رفض الامير السعودي الاعتراف بان السلطان العثماني خليفة للمسلمين بعد ان اصبحت لهذه الصفة اهمية كبيرة ، هي اكثر ما يحرص السلطان العثماني عليه في عهد ضعف دولته .

ومن ناحية الدعوة نفسها فانها من الناحية النظرية لم يكن فيها ما يخيف الدولة العثمانية حيث انها دعوة للتوحيد والعودة الى اصول الدين الاسلامي الصحيحة والدعوة للجهاد . (٩)

وفي الوقت الذي اخذ فيه العثمانيون يعدون العدة لمحاربة السعوديين ، كان الامير سعود يقوم بقمع الثورات المتلاحقة في عمان وتهامة

---

(٨) جاكلين بيرين : اكتشاف جزيرة العرب ص٢٠٣ .
(٩) د . عبدالكريم غرايبة : مرجع سبق ذكره ص٨٨ ، ٩٠ .

وعسير والاحساء والبحرين في الاعوام من ١٨٠٨-١٨١٢ ، كما نجده يوجه حملة عسكرية في عام ١٨١٠ كادت تبلغ ابواب دمشق ، الأمر الذي عجل بنفاذ صبر السلطان العثماني الذي اعتبر ان هذا العمل انما هو تحرش به في احدى الولايات التابعة لسلطته ، فأخذ بالتحرك والاستعداد للقيام بهجوم معاكس، فبعث بالامدادات العسكرية الى مصر، كما بعث معها اسرا الى محمد علي باشا والي مصر بارسال الجيوش لتخليص الحرمين الشريفين من قبضة السعوديين والقضاء على حركتهم السلفية ودولتهم الأولى (١٠) .

## (ب) الحملات المصرية والقضاء على الدولة السعودية الأولى :

بدأ وصول قوات محمد علي الى شبه الجزيرة العربية في شهر اكتوبر من عام ١٨١١م، واصيب الجيش الأول بقيادة طوسون بهزيمة في بدر ووادي الصفراء بين المدينة المنورة وينبع الا انه بعد وصول تعزيزات جديدة اليه حقق النصر بالاستيلاء على المدينة عام ١٨١٢م . وبعد الاستيلاء على مكة عام ١٨١٣ وخروج السعوديين منها وصل محمد علي نفسه الى الحجاز على رأس حملة جديدة حيث قرر قيادة العمليات الحربية بنفسه في الحجاز. الا ان محمد علي اضطر الى العودة الى مصر، وفي عام ١٨١٦ ارسل محمد علي حملة ثالثة بقيادة ابنه ابراهيم باشا ، وتعتبر هذه الحملة من اخطر الحملات ، حيث وصلت الى الدرعية وحاصرتها ستة اشهر، وانتهى هذا الحصار في ٩ سبتمبر ١٨١٨م حينما توجه عبد الله بن سعود نفسه الى ابراهيم باشا طالبا انهاء القتال حماية لاتباعه ، فارسله ابراهيم باشا الى مصر ومنها بعث الى الاستانة حيث امر السلطان العثماني باعدامه (١١) . وقام ابراهيم باشا بتدمير

---

(١٠) جاكلين بيرين : مرجع سبق ذكره ص ٢٢٣-٢٣١ .

(١١) عبد الرحمن الرافعي : تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر الجزء الثالث ،عصر محمد علي ص١٤٢- ١٥٥ .

الدرعية تدميرا كاملا منهيا بذلك وجود الدولة السعودية الأولى ، واصبحت نجد منذ ذلك التاريخ تابعة لباشوية القاهرة ، واستمرت كذلك مدة ثلاثة وعشرين عاما (١٢) .

٣ ـ قيام الدولة السعودية الثانية :

واذا كانت الدولة السعودية الأولى قد انتهت على يد ابراهيم باشا وتحت انقاض الدرعية المدمرة ، فان الدولة السعودية الثانية قد ولدها ايضا تدمير الدرعية ، وأعلن ميلادها يوم ان طرق ابواب الرياض تركي بن عبد الله آل سعود عام ١٨٢٤ ( وكان قد فر الى الخرج يوم استسلام الدرعية ) وتمكن من السيطرة على الرياض ، وبايعه معظم اهل نجد كزعيم لهم (١٣) ثم اعاد الاحساء الى السيادة السعودية وما ان حل عام ١٨٣٤ حتى كان الامير تركي قد ثبت سلطته في نجد والاحساء وحتى عمان الا انه ظل يدين بالولاء لباشوية مصر ويدفع لها الجزية ، واغتيل في نفس العام وخلفه ابنه فيصل الذي بدأ يقطع الجزية الذي كان يدفعها ابوه لباشويه القاهرة ، الأمر الذي دفع محمد على الى ارسال حملته الى نجد لاخضاع فيصل وعزله (١٤) . وتمكنت الحملة بعد هزيمتها لفيصل ، من اسره وبعثه الى القاهرة في ٢٠ ديسمبر ١٨٣٨ م (١٥) وتم تعيين خالد بن سعود بدله ، وبعد عامين (اي في ١٨٤٠) سحبت القوات المصرية من نجد ومن شبه الجزيرة العربية كلها .

---

(١٢) الدكتور السيد رجب حراز : مرجع سبق ذكره ص١٣٤ .
(١٣) احمد علي : مرجع سبق ذكره ص ٨٦ .
(١٤) عبد العزيز محمد المنصور: التطور السياسي لقطر مابين ١٨٦٨-١٩١٦م ص ١٩٢ .
(١٥) Philby, H. St. J.: op. cit., pp. 176-181.

(أ) فترة مابعد انسحاب القوات المصرية من نجد :

في عام ١٨٤٣ تمكن فيصل بن تركي من الهرب من سجنه بالقاهرة والعودة الى نجد ، حيث تمكن من دخول الرياض وتصفية خصومه والسيطرة الكاملة على السلطة ، وقد اعطت عودة فيصل الى الحكم دفعة من القوة للدولة السعودية الثانية ، واعتبره بعض المؤرخين مدخلا لتاريخ شبه الجزيرة العربية الحديث ، واستطاعت الدولة السعودية الثانية ان تؤمن سيطرتها على الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية في السنوات التي اعقبت سحب القوات المصرية (١٦)

٤ - قيام الدولة السعودية الثالثة :

اندلع النزاع على السلطة بين الأخوين عبد الله وسعود وابناء فيصل ابن تركي عقب وفاة والدهم عام ١٨٦٥م واستمر هذا النزاع قائما مما جعل الاتراك يتدخلون عام ١٨٧١م لانهاء هذا النزاع فعينوا عبد الله بن فيصل قائمقاما في نجد ، لكنهم عادوا قبل نهاية عام ١٨٧١م واصدروا امرهم بعزل آل سعود من حكم البلاد واسناد حكمها الى حاكم تركي هو نافذ باشا ، وسارت الامور في نجد من سيء الى اسوأ وفي هذه الظروف قوى نفوذ وسيطرة آل الرشيد في حائل والذين انهوا الدولة السعودية الثانية في موقعة مليدة عام ١٨٩١م . وفر افراد البيت السعودي من الرياض (١٧) واستقر الامير عبد الرحمن بن فيصل واسرته في الكويت وعاش معه ابنه عبد العزيز منذ عام ١٨٩٥ ، وكانت الكويت المكان الذي تكون فيه الشاب الامير عبد العزيز آل عبد الرحمن ، واطل منه على الحياة الدولية ، حيث كانت معظم الدول

(١٦) عبد العزيز محمد المنصور : مرجع سابق ص١٩٣ .
(١٧) خير الدين الزركلي : الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، ص١-١٥ .

ترسل اليها قناصل ووكلاء سريين يتظاهرون بانهم تجار او مبشرون أو أثريون وما ان اطل شهر مارس ١٩٠٢ حتى كان الأمير عبد العزيز يرفع اعلام آل سعود من جديد على اسوار مدينة الرياض معلنا قيام الدولة السعودية الثالثـــة. وانطلق عبد العزيز شمالا وجنوبا وشرقا وغربا يمد بساط الحياة الجديدة قوة وأمنا وتوحيدا الى أن أعلن قيام المملكة العربية السعودية بعد فترة طويلة من التفكك والتمزق .

وسنحاول في الصفحات التالية ان نلقي الضوء على سير العلاقات بين كل من الدول السعودية الثلاث من جهة وكل من بريطانيا وفرنسا من جهـة أخرى .

## ٥ ـ نظرة على السياسة التركية تجاه نجد :

من الاستقراء التاريخي لسير الاحداث في نجد خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي . نستطيـع القول بأن سياسة الدولة العثمانيـة لم تتخذ خطا معينا او نهجا سياسيا ملتزما فهي اقرب الى الخطـ المتعرج ، والنهج المتخبط، ففي فترة بناء الدولة السعودية الأولى ، وترعرع الدعـــوة السلفية وتغلغلها في النفوس وتمكنها منها ودفعها لرفع راية الجهاد ضد ما علق بالدين الحنيف من بدع وخرافات هوت بالعقل وكرامة الانسان الى مراتب الحيوان ، وقفت الدولة العثمانية من هذه الدعوة موقفا معاديا ، ثم تحول هذا الموقف الى عملية هجومية مسلحة وقوية قام بها محمد على باشـا حاكم مصر نيابة عن الباب العالي ، وما ان حل عام ١٨٤٠ حتى اضطر محمد علي باشا ولأسباب داخلية في مصر واسباب دولية عالمية، ان يترك شبه الجزيـرة العربية ونجد خاصة لتعود الى سابق عهدها في الاستقلال بأمورها وتدرهـا يعود لها حكامها من آل سعود من جديد . فيقيمون دعائم دولة جديدة هي

الدولة السعودية الثانية فبلغت قوة اعظم من سابقتها الدولة السعودية الاولى ، حتى ان تلك القوة التي بلغتها وتأثيرها في سير الاحداث بالمنطقة ، جعلت بعض الدول الاوروبية الكبرى تتسابق الى مد جسور العلاقات معها .. وكانت الدولة العثمانية ترقب ذلك التطور بقلق ولكن بيد مغلولة لا تستطيع ان تغير من الامر شيئا حتى واتتها الفرصة بالضعف الذى دب في بناء الدولة السعودية الثانية على اثر صراع الاخوة على السلطة فاتجهت نحو تنفيذ مآربها في تشديد قبضتها على قلب شبه الجزيرة العربية ( نجد ) وبعثت بقواتها لمساعدة أحد الاخوة ( عبد الله بن فيصل ضد اخيه سعود ) ولكنها لم تستطع مع ذلك ان تثبت الارض تحت قدمي حليفها .. الامر الذى اضطرها الى ان تغير من سياستها وتعلن عن سحب تأييدها لعبد الله آل سعود .. بل واتخذت قرارها بعزل آل سعود جميعهم من حكم هذه البلاد واناطة حكمها الى حاكم تركي ( نافذ باشا عين متصرفا على نجد ) ولكن تركيا لم تستطع ان تنفذ هذا المخطط الجديد وادركت ان حكم نجد حكما مباشرا سوف يكلفها الكثير من الجهد والاعباء ، ولذلك لجأت الى مهادنة سعود الذى سبق لها ان حاربته بأخيه وفتحت باب التفاوض معه .. الا ان الدولة العثمانية كعادتها مالبثت ان غيرت مخططها حينما ظهر على المسرح في نجد صراع السلطة بين العائلة السعودية من جديد ، فايدت آل الرشيد حكام حائل علهم يتمكنون من القضاء على آل سعود ، واعتقدت انها بتأييدها لآل الرشيد ستتمكن من اعادة نجد الى سيادتها ، ولكن هذا المخطط ثبت فشله هو الاخر ، وبدا ان ابن الرشيد لا يقل خطرا عليها من آل سعود ، ثم تبين لحكام الاستانة انهم اخطأوا عندما سمحوا بتدمير الدولة السعودية الثانية وتشريد آل سعود الذين كان في امكانهم كبح جماح ابن الرشيد الذى اصبح هو سيد شبه الجزيرة العربية القوى . وما ان انتهى القرن التاسع عشر حتى كان آل سعود

قد استقر بهم المقام في الكويت، ليبدؤا من هناك في نسج الخيوط لمنسبا، صرح دولتهم الجديدة الثالثة والتي شهدت مصرع الدولة العثمانية ونهايتها ونهاية سياساتها المتخبلة الظالمة .

٦ - علاقات بريطانيا وفرنسا بكل من الدولة السعودية الأولى والثانية والثالثة :

(أ) العلاقات البريطانية بالدولة السعودية الاولى :

في عام ١٧٤٥م ولدت الدولة السعودية الأولى في مدينة الدرعية بنجد على يد الامير محمد بن عبد العزيز آل سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب وعلمت أوروبا بل والعالم كله بمولد الدولة الجديدة او الحركة الدينية في قلب شبه الجزيرة العربية بعد عام ١٧٦٥م عن طريق الرحالة الدانمركي كارستن نيبور Niebuhr الذي اعطى لأوروبا حينها معلومات صحيحة عن الحركة الاصلاحية بنجد ( الحركة الوهابية ) ، وذكر بان روايات وشائعات سمعها في الكويت عن حركة غريبة كانت قد بدأت في عارض نجد قبل ذلك بأقل من عقد من وانها اثارت مخاوف الامراء في المنطقة وتناقلت الروايات بعد ذلك انها تعرض قوافل الحج الشامي وقوافل التجار عبر البادية لمزيد من المضايقات والاخطار بشكل منتظم ، واشارت الصحف البريطانية ورسائل التجار الانجليز في حلب الى احداث نجد التي زادت من صعوبة الاتصال بين حلب والبصرة ، ولكن هذه الاخطار التي ضخمت اخبارها احيانا لم تتخذ شكلا يثير الرعب في النفوس ويقلق الحاكمين الا في أواخر القرن الثامن عشر(١٨) .

---

* وكان ملك الدانمارك قد ارسل بعثة علمية مكونة من خمسة اشخاص ومن بين اعضائها كارستن نيبور Niebuhr وقد وصلت هذه البعثة الى ميناء القنفذة الصغير في التاسع والعشرين من شهر اكتوبر من سنة ١٧٦٢م ولم يبق على قيد الحياة من اعضاء البعثة سوى نيبور انظر لبعض التفاصيل عن هذه الرحلة واغراضها في مؤلف جاكلين بيرين : اكتشاف جزيرة العرب ص ١٤٦ الى ١٧٧ .

(١٨) د . عبد الكريم الغرايبة : مرجع سبق ذكره ص ٣٨ .

وكانت شركة الهند الشرقية البريطانية في الفترة من عام ١٧٢٣-١٨٠١
اى قبل مولد الدولة السعودية الأولى في الدرعية يقتصر نشاطها على الناحية التجارية البحتة ، ولذا فقد كانت علاقاتها بالمنطقة الوسطى ( للجزيرة العربية ) والشرقية محدودة ، وفي عام ١٧٩٣م انشأت الشركة المذكورة فرعا تجاريا لها في الكويت ، الا ان تقارير الشركة الى لندن وبومباى عن الحركة السلفية والدولة السعودية الناشئة قد بدأت منذ عام ١٧٨٧ * (١٩) ولعل ذلك التأخير في ذكر آل سعود في سجلات حكومة الهند يرجع الى ان هذه الحكومة لم يكن يهمها كثيرا تتبع التطورات التي تحدث في داخل الجزيرة العربية بعيدا عن الساحل خصوصا وان آل سعود قبل عام ١٧٨٧م لم يكن لهم اى نفوذ على ساحل الخليج ولم تكن قواتهم قد وصلت اليه بعد .
ووقفت بريطانيا من الصراع الدائر بين السعود بين وبني خالد في الاحساء موقفا حياديا ، وكانت حكومة بومباى قد اصدرت تعليماتها الى شركة الهند الشرقية الانجليزية بالحرص على ان تبقى بعيدة عن كل تدخل ، كما صدرت الأوامر الى سفنها بان لا تتدخل في شئون اية سفينة تعمل في القرصنة في الخليج مادام العلم البريطاني محترما ، وفي عام ١٧٧٨م تعرضت سفينة بريطانية لهجوم القواسم حلفاء آل سعود والاستيلاء عليها ولم يقم المقيم الانجليزي بالبصرة بعمل اى شيء حتى تلقيه تعليمات حكومة بومباى ، وكانت تعليمات حكومة بومباى تقضي بان تستمر الوكالة محافظة على علاقات ودية مع

---

* . يشير احمد مصطفى حاكمة في مؤلفه تاريخ شرقي الجزيرة العربية بان المعلومات الوحيدة التي عثر عليها عن تاريخ الوهابيين هي التي وردت فيما كتب هارفورد جنز برد جز Harford J. Brydges بتاريخ اول ديسمبر ١٧٩٨م ( وذلك في سجلات وزارة الهند البريطانية ) .

(١٩) احمد مصطفى حاكمة : تاريخ شرقي الجزيرة العربية ( ترجمة محمد أمين عبد الله ) ص٢٣ .

القوى المتعددة في الخليج (٢٠) الا ان العلاقات السعودية الانجليزية اخذت تدخل مرحلة جديدة وذلك عندما اضطرت شركة الهند الشرقية الى نقل مركزها التجاري من البصرة الى الكويت على اثر خلاف مع السلطات العثمانية، وكانت الكويت آنذاك قد بدأت تتعرض للغارات السعودية مما حدا بحكومة الهند الى تزويد مركزها الجديد بالرجال لحراسته من الهجمات السعودية على الكويت ، ويذكر بريدجز* Brydges ان رجال الشركة في ذلك الوقت كانوا يتوددون الى السعوديين وانهم ارسلوا الى شيوخ السعوديين بالهدايا (٢١) .

وعلى الرغم من حرص الشركة على التزام جانب الحياد في الصراع الذي كان قائما بين الكويت وآل سعود حتى لا يتعطل بريدها الصحراوي ، الا ان بعض المصادر تذكر ان حرس الوكالة الانجليزية ساهم في رد الهجوم السعودي على الكويت ، مما أثار غضب آل سعود وجعلهم يقومون بغارات على بريد الشركة ، فسارعت الوكالة الانجليزية بالكويت الى ارسال المستر جون لويس رينو John Lewis Reinaud الى الدرعية عام ١٧٩٩م ، لاعادة الامور الى مجاريها بينها وبين السعوديين ( الوهابيين ) والذين

---

* هو السيد هارفورد جونز بريدجز مؤلف كتاب الوهابي Wahaby : وكان قد انضم الى وكالة البصرة التجارية الانجليزية سنة ١٧٨٤ ، وانتقل في عام ١٧٩٤ م الى الكويت مع انتقال الوكالة التجارية الانجليزية لها وفي عام ١٧٩٨ عينته الحكومة البريطانية ممثلا لها لدى باشا بغداد .

(٢٠) د . احمد مصطفى ابوحاكمة ، محاضرات عن تاريخ شرقي الجزيرة العربية في العصر الحديث ص ١١٦-١١٧ .

(٢١) Brydges: A Brief History of Wahaby, Vol. 2, pp. 12-16.

كان بمقدورهم دوما ان يعترضوا بريد الوكالة القادم من حلب الى الكويت ، او المسافرين منها الى حلب فلندن . وقد بدا أن رينو قد نجح في مهمته بالدرعية وبذلك يكون أول أوروبي يزور الدرعية . ويذكر ان الامام عبد العزيز آل سعود الذى استقبل مبعوث الوكالة الانجليزية بالكويت قد اشترط لمنع القبائل الخاضعة له من التعرض لبريد الشركة ، ان تتوسط انجلترا لاقامة صلح بينه وبين والى بغداد . الا ان هذا القول ظهر من ينفيه* ويؤكد عدم صحته بل قيل ان مهمة رينو في الدرعية كانت فاشلة ولم تسفر عن شيء ذى أهمية لتدعيم العلاقات السعودية الانجليزية (٢٢) .

وقد كان دخول القوات السعودية الى الاراضى العمانية بداية فترة جديدة في علاقات السعوديين بالبريطانيين في المنطقة وبعد ان اعلن شيخ القواسم سلطان بن صقر خضوعه لآل سعود عام ١٧٩٩م . اذ اخذ نشاط القواسم البحرى يتسع حيث قام القواسم في عامى ١٨٠٤م ، ١٨٠٥م بالاستيلاء على سفينتين تابعتين لشركة الهند الشرقية بالبصرة هما Mornington Trimmer Shamon كما شنوا هجوما على السفينة الحربية Queen بالقرب من مسقط في ٣٠ ابريل ١٨٠٥م . وعلى الرغم من ان بريطانيا او حكومة الهند كانت لا تريد توريط نفسها رسميا في عمليات حربية ضد القواسم تجر عليها غضب السعوديين ، وتؤدى الى تهديد طريق بريدها البرى بين حلب والبصرة ، الا انها وجدت الا مناص من القيام بعمل حربى ضد القواسم ، فارسلت حملة سنة ١٨٠٥م واعطت تعليماتها الى قائد الحملة كابتن اسكينر Skinner بان يكون رقيقا في معاملته للقواسم خشية أن تؤدى القسوة في العمل الحربى ضدهم الى غضب السعوديين . رغم ان حكومة الهند

---

(٢٢) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : الدولة السعودية الأولى ، ص ٢٦٥-٢٦٦ .

* الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ينفى هذا الادعاء ويورد عدة حقائق لاثبات عدم صحة هذا القول في كتابه الدولة السعودية الاولى ص ٢٦٦ .

اظهرت تجاهلها تبعية القواسم لآل سعود ، وفي الوقت نفسه كانت تعتقـــد بأن السعوديين وراء اعتداءات القواسم على السفن الانجليزية فـي الخليج ، واستطاعت الحملة الانجليزية بالتعاون مع سلطان مسقط ان توجه ضربه قويـــة للقواسم انتهت بتوقيع اتفاقية في ٦ فبراير ١٨٠٦م . الا ان القواسم مالبثوا أن عادوا سيرتهم الأولى في مهاجمة السفن البريطانية منذ عام ١٨٠٨م ولذا بعثـت حكومة بومباى حملة بقيادة سميث Smith عام ١٨٠٩م وزودتـه بتعليمات تقضي بتدمير مراكز القرصنة مع تجنب الاصطدام بالسعوديين ، وتجنب العمليات البرية ، إطلاع السعوديين على رغبة حكومة بومباى في الابقاء على علاقات المودة معهم ومع المناطق التي خضعت لهم ، وان رغبتها هـــي حفظ سلامة التجارة في البحار وبوجه خاص في الخليج وتمكنت هذه الحملـــة من تدمير راس الخيمة وانزلت الهزيمة بالقواسم وبعد يوم واحد اقلعت القـــوة من رأس الخيمة (٢٣) وفي عام ١٨١٠م طلب سلطان مسقط من بريطانيـــا مساعدته للقضاء على القوة السعودية في ميناء شناص على خليج عمان ، وفعلا قامت القوات الانجليزية بمهاجمة القلعة الوهابية (السعودية) في رأس الخيمة واشعلت النيران في اكواخها المقامة من سعف النخيل وذلك بتسليط سفـــن البحرية الانجليزية اشعة الشمس بواسطة عدساتها الشمسية ، وبعدها انزلت القوات البحرية الانجليزية واتمت تدمير القرية . وسارع الامير سعود بارسال النجدات اليها واستطاعت القوات السعودية السيطرة على واحة البريمـــي(٢٤) الا ان هذه الحملة دفعت بالقواسم الى زيادة نشاطهم ضد السفن البريطانية في المحيط الهندى وكان ذلك بمثابة التحدى لحكومة بومباى التي اعـــدت

---

(٢٣) د . عبدالرحيم عبدالرحمن : نفس المرجع السابق ص٢٦٢ .

(٢٤) سنت جون فيلبي : مرجع سبق ذكره ص١٢٥ .

عدتها لضرب القواسم ضربة قاضية خاصة وان حلفاءهم السعوديين كانوا حينها يواجهون قوات محمد على باشا التى اخذت تدق ابواب الدرعية وتضع نهاية للدولة السعودية الأولى ، بل ان انهيار الدولة السعودية الأولى على يد ابراهيم باشا مهد السبيل امام السياسة البريطانية لتوطد من نفوذ هـــا طوال القرن التاسع عشر (٢٥) . وقد ذكر موريزى * Mourizi أن القائـــد السعودى فى عمان مطلق المطيرى وقع مع قائد الحملة البريطانيـة ١٨٠٩ م الكابتن سميث معاهدة بعد معركة مناء شناص فى ١٨١٠م ، نصت على عـدم تعرض السعوديين ( الوهابيين ) واتباعهم للسفن الانجليزية مقابل وقـــف الحكومة البريطانية مساعداتها للسيد سعيد بن سلطان فى حروبه ضـــد السعوديين بسبب عدم دفعه الضرائب المقررة عليه ولكن بعض الكتاب ابـدى شكه فى رواية موريزى السابقة ، وعلى كل حال فان الحكومة البريطانية رأت من الحكمة الا تدخل فى اى اتفاق او معاهدة رسمية أو شبه رسمية مع آل سعود ، واكتفت باظهار محافظتها على العلاقات الودية معهم انتظارا لما ستتمخض عنه الاحداث التى ترتبت على وصول الحملة المصرية الى الحجاز ، رغم الحـــاح الامام سعود فى عقد اتفاق معها ، الا ان رد حكومة بومباى عليه كان قاطعـــا فى رفض اى أتفاق (٢٦) وتشير وثائق حكومة بومباى Bombay Government الى أنها كانت ترى من الحكمة والصواب ان تحافظ على علاقات ودية مع الامام ( السعودى ) وتحترم شعوره ، ولكنها لا ترى من المناسب فـى

---

* وكتاب موريزى Mourizi هو History of Saiyd Said, Sultan of Muscat.

(٢٥) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : مرجع سبق ذكره ص ٢٦٣-٢٦٤

(٢٦) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : نفس المرجع ص ٢٦٩ .

هذا الوقت الدخول في اى تعاقد ولوكان تجاريا* . وظلت علاقات بريطانيا بآل سعود يحيطها شيء من الغموض حتى انهارت الدولة السعودية الأولى عام ١٨١٨ .

(ب) سعادة بريطانيا بانهيار الدولة السعودية الأولى :

ما ان تلقت السلطات البريطانية في الهند وخارجها انباء سقوط الدولة السعودية الأولى حتى ابدت سرورها وارتياحها لذلك ، وافصحت عن كراهيتها المكبوته ضدآل سعود ، الا انها في نفس الوقت خشيت ان تحل توصحمد على مكانها ، وتشكل بقوتها تهديدا خطيرا على مصالحها وعلى حليفها امام مسقط ولذلك تركزت سياستها ازاء القوة الجديدة على اساسين هما :-

١ - محاولة توريط ابراهيم باشا في مطاردة السعوديين وحلفائهم القواسم بغية التخلص النهائي منهم ، وانهاك القوة المصرية في عمليات حربية برية وبحرية .

٢- محاولة التعرف على الاهداف التي يرمي اليها ابراهيم باشا من حروبه وغزواته القادمة صوب الخليج والتحالف معه .

ولذا فقد أوفدت حكومة الهند الكابتن جورج فورستر سادلير* Sadlier لهذه المهمة ، كما كلف في نفس الوقت بتهنئة ابراهيم باشا على نجاحه في القضاء على الدولة السعودية الأولى ، ولكن سادلير لم

---

* كان سادلير Sadlier اول اوروبي قطع شبه الجزيرة العربية من الشرق الى الغرب، وكان قد وصل الى القطيف في اواخر يونيو ١٨١٩م والتقى بابراهيم باشا في ٨ سبتمبر ١٨١٩ ، وقد نشرت رحلته في بومباى عام ١٨٦٦م في كتاب بعنوان : Dairy of a Journey Cross Arabia during the year 1819.

يستطع ان يحقق اهدافه، نظرا لأن ابراهيم باشا كان والده قد حذره من الاتصال بالانجليز (٢٧) وكانت بريطانيا حينها تراقب تحركات القوات المصرية ونشاطها في نجد وسواحل الخليج بقلق حيث أنها كانت تحرص على جعل الخليج العربي بحيرة بريطانية لا ينافسها فيها منافس . (٢٨)

(ج) بريطانيا والدولة السعودية الثانية :

حينما تقلد الامير فيصل بن تركي زعامة الدولة السعودية الثانية كانت منطقة عمان في مقدمة ماوجه اليه اهتمامه ، وهنا يتدخل المعتمد البريطاني في الخليج لانقاذ سلطنة مسقط، وبعث في ٢٥ يونيو سنة ١٨٤٥ الى الامام فيصل بن تركي آل سعود يحترض على التدابير التي اتخذها ضد عمان ، ويرجو منه ان كان يقدر صداقة الحكومة البريطانية ، التوقف عن غزو ممتلكات سلطان مسقط . كما كتب الى سعيد بن مطلق قائد الحملة السعودية يطالبها منه التوقف عن كل حركة بانتظار تعليمات حكومته التي قد تصله قريبا . وقد رد الأمير فيصل على المعتمد البريطاني معبرا عن تقديره للصداقة البريطانية الا انه ذكر في رده على المعتمد البريطاني بحقيقة ممارسته السلطة على مقاطعة عمان . ومن ثم توسط المعتمد ، فدارت مفاوضات سعودية عمانية انتهت بالاتفاق على ان تدفع مسقط اتاوة سنوية للرياض مقدارها ستة الاف ريال (٢٩) .

(د) التهديدات البريطانية للسعوديين :

كانت السلطات البريطانية في الخليج تراقب التحرك السعودي ونشاط

---

(٢٧) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : مرجع سبق ذكره ص ٢٧٠-٢٧١
(٢٨) د . فاروق عثمان اباظة : مرجع سبق ذكره ص١٠١
(٢٩) امين سعيد : الخليج العربي ( في تاريخه السياسي ونهضته الحديثة ص١٥-٥٢ .

قواته في منطقة عمان بحذر شديد ، بل انها قامت باتخاذ عدد من الاجراءات والتدابير لتأمين حدود حليفهم سلطان مسقط، كما ان حكومة الهند البريطانية ابدت تأييدها الكامل لما اتخذه ميجورهينل Major Hennell المقيم السياسي في الخليج من اجراءات ، وبعدم مطالبة رؤساء المدن التي تضررت من التوسع والهجمات السعودية بالهدايا السنوية. وعززت حكومة الهند هذا التأييد بابلاغ كابتن جرفز W.H. Jervis ان يتوجه مع قواته الى المنطقة قريبا من البحرين .

واوضحت حكومة الهند بانها ستتخذ من الاجراءات ما يكفل ايقاف السعوديين عند حدودهم وردعهم بالقوة اذا ما عادوا للاخلال بالهدوء والسكينة في منطقة الخليج (٣٠) .

وقد شغل أمر حماية اراضي سلطان مسقط السلطات البريطانية واخذت هذه النقطة تتحكم في سير خط العلاقات بين بريطانيا والدولة السعودية الثانية ، واختلفت الاراء في دوائر الحكومة البريطانية في لندن والهند حيال الطريقة التي يجب اتباعها مع السعوديين فقد كان من رأي وزير الخارجية البريطانية لورد ابردين Aberdeen انه ينبغي على حكومة الهند ان تتخذ الخطوات العسكرية اللازمة لتأييد حليف بريطانيا امام مسقط في مقاومة اى عدوان قد يقوم به زعيم الوهابيين ( السعوديين ) على اراضي مسقط بينما كان رأي حكومة الهند معارضا لهذا الاتجاه الرامي لاستخدام القوة المسلحة ضد السعوديين . واوضحت هذه الحكومة في ردها على وزير الخارجية البريطاني ، بانها وان كانت قد ارسلت سفينتين حربيتين الى

---

(٣٠) الوثائق البريطانية : من حكومة بومباى الى اللجنة السرية ببومباى رقم ٩٥ وتاريخ ٣ يونيه ١٨٤٥م . F.O. 54-8-07451 (No. 41).

مسقط لزيادة القوة البحرية الموجودة في الخليج الا انها لا تتوقع ان تلـك القوة يمكنها ان تقدم عونا ماديا كافيا لامام مسقط لان الهجوم السعـودى سيكون هجوما بريا . واذا نوقشت الفكرة المطروحة لارسال قوات برية معاونة من بومباى الى المنطقة . فان هذه الخطوة ستورط بريطانيا وتدخلها فـي صراع لا نهاية له مع السعوديين ، خاصة بعد الاحتلال البريطاني لعـدن والذى سيعطى انطباعا بان بريطانيا قد اتجهت للتوسع الكبير والاستيلاء على الاراضي في شبه الجزيرة العربية .

ويبدو أن حكومة الهند حينما كونت هذا الرأى حيال السعوديين كانت تضع في حساباتها ان الحركة الوهابية ليست مجرد حركـة سياسية وانها في الاصل حركة دينية ، وقد ينشأ من تورط بريطانيا المستمر في تأييد طائفة اسلامية ضد أخرى تهديد للمصالح البريطانية في المنطقة وعلى هذا الاساس فقد كان من رأى الحاكم العام للهند انه لن يشير على الحكومـة بانتهاج خط سياسي قد يورطها في ارسال قوات الى الخليج الفارسـي (العربى) . الامر الذى قد يشكل تهديدا لزعيم الوهابيين أو مساعـده سعيد بن مطلق [٣٦] . (انظر الوثيقة رقم ٩٦ في ملحق الوثائق)

ويتضح ان حكومة الهند البريطانية لم تكن راغبة في ان تنزل بريطانيا بقواتها البرية في معركة او معارك مع السعوديين ومن ثم يجرون الى الصحراء التي يحسن السعوديون القتال فيها ، وقد يحققون نصرا على البريطانيين الامر الذى سيترتب عليه نتائج خطيرة ومتغيرات في البناء الاقليمي للمنطقـة كلها قد تغرى دولا اخرى الى الدخول في حلبة الصراع كالعثمانيين

---

(٣٦) الوثائق البريطانية : من مكتب الهند للحكومة البريطانية بلندن رقم ٩٦ وتاريخ ٢٢ أغسطس ١٨٤٥م .
F.O. 54-9-07929.

والفرنسيين . ولذلك فقد تبنت بريطانيا سياسة التهديد والوعيد وتقريب الاساطيل الى الشواطئ السعودية واسماع السعوديين اصوات مدافعها بين حين وآخر.

وعندما احتلت القوات السعودية موكرت الواقعة على ساحل الباطنة عام ١٨٤٥م بعث الميجور هينل المقيم السياسي في الخليج برسالة الى الامير فيصل بن تركي يحتج فيها على الاعتداءات التي قام بها القائد السعودي سعيد بن مطلق على اراضي امام مسقط، ويطالبه بان يمنع مساعده من هذه الاعمال العدوانية ، لان ذلك قد يؤدي الى تدهور العلاقات الودية القائمة بينه وبين الحكومة البريطانية .وقد وافقت حكومة الهند على مضمون هذه الرسالة واعتبرته اجراء هادفا الى وقف المد الوهابي ( السعودي ـ حسب زعمهم ) وان كان من الملاحظ ان المكتب السياسي في بومباي قد ابلغ حكومة الهند ان بريطانيا لا توافق على الاطلاق على ان يمتد نفوذ وقوة الوهابيين ( السعوديين ) فيما وراء حدودهم الاصلية . كما انه يعارض بصورة اكثر شدة وحزما اعتداء الحاكم الوهابي على اراضي واستقلال حليف بريطانيا المخلص القديم امام مسقط وقريبه رئيس" صحار" (٣٢) .

ولما كانت بريطانيا تركز اهتمامها على اخضاع ساحل الخليج كله لسيطرتها الكاملة، فقد اقلقها كثيرا استيلاء السعوديين على منطقة ساحلية هي " موكرت" ولذلك نراها تبلغ المقيم السياسي البريطاني في الخليج ان احتفاظ الوهابيين بجزء من ساحل الباطنة بيد وأنه أمر غير مرغوب فيه، كما أن اي اعتداء سعودي على العرب المقيمين على الساحل سوف يؤدي الى نتائج وخيمة.

---

(٣٢) الوثائق البريطانية: من المكتب السياسي في بومباي الى حكومة الهند رقم ٩٧ وتاريخ ٢٦ اغسطس ١٨٤٥م . F.O. 54-9-07429.

لكن بريطانيا امام هذا القلق وهذا التهديد للسعوديين تعترف بصعوبة مقاومة العدوان الوهابي ( حسب قولهم ) اذا ظل الأمير فيصل بن تركي يحس ويؤيد ميول ساعده في المنطقة ويزيد من هذه الصعوبة ضعف حكومة مسقط. ثم تعود السياسة البريطانية الى انتهاج الطريق السلمي ولو مؤقتا مع السعوديين فتوعز الى امام مسقط بأن يدفع الى زعيم الوهابيين مبلغ ٥٠٠٠ خمسة الاف جنيه تزاد في حالة الضرورة الى ٦٠٠٠ ستة الاف جنيه. وذلك لايقاف زحفهم ولكسب ودهم (٣٣). وفسرت بريطانيا قبول سعيد ابن مطلق للأتفاق على هذا الاساس بانه كان نتيجة لظهور الاسطول البريطاني بالقرب من الشاطئ العربي(٣٤).

وكانت التقارير قد اشارت الى ان القائد السعودي سعيد بن مطلق قد وصل الى عمان وسيطر على " البوريمي " بدون معارضة، كما اتضح ان زعماء الخليج يخضعون للسلطة السعودية. الا ان هذه التقارير البريطانية عن احتلال السعوديين للبوريمي قد اوضحت بان السعوديين بهذا الاحتلال لم يفعلوا شيئا جديدا، وانهم اعادوا سيادة الحركة الوهابية كما كانت في عهد الامير تركي بن سعود قبل ان تضعفها الحملات المصرية، كما أكد المقيم البريطاني في الخليج لحكومته بأن مصالح بريطانيا لن تتأثر بسيادة السعوديين على البوريمي، وان تدخل بريطانيا في هذا الوقت غير مطلوب وان بريطانيا ستتدخل بصورة فعالة حينما يظهر لها ان هدف فيصل بن تركي بسط السيادة الوهابية ( السعودية ) فيما وراء الحدود السابقة

---

(٣٣) الوثائق البريطانية من المكتب السياسي في بومباي الى حكومة الهند رقم ٩٧ وتاريخ ٢٦ أغسطس ١٨٤٥م F.O. 54-9-07429.

(٣٤) الوثائق البريطانية : خلاصة لخطاب حكومة بومباي رقم ١٠٠ وتاريخ ٣٠ سبتمبر ١٨٤٥م F.O. 54-9-07429.

والاضرار بعلاقة بريطانيا بزعماء الساحل ، وبجهودها للقضاء على القرصنة . ومع ذلك فقد ابلغت بريطانيا فيصل بن تركى ان احتمالها (اى بريطانيا ) الذى شجعه لن يستمر اكثر من ذلك ، وان بريطانيا لا تستطيع ان تؤيد او تسمح باى عدوان على اراضى حليفها القديم امام مسقط . وفى نفس الوقت اوعزت الى المسئولين البريطانيين فى المنطقة بأن يقوموا باستعراض للقوة فى الخليج قد يؤدى الى اشعار السعوديين بان بريطانيا جادة فى استخدام القوة ضدهم . الا ان الحاكم العام للهند كان ضد هذا الخط السياسى فهو لا يؤيد ان تتورط بريطانيا بارسال قوات الى الخليج او ان ترسل تهديدا الى زعيم الوهابيين فى وقت لا تستطيع فيه بريطانيا تنفيذ هذا التهديد (٣٥) .

وكان الامير فيصل بن تركى قد بعث برده على رسالة المقيم السياسى البريطانى والتى سبق ان اشرنا اليها . وقد فسرت حكومة بومباى رد الامير السعودى الايجابى ( على الرغم من صياغته الغامضة ) بأنه جاء نتيجة عجز الامير عن رفض المطالب البريطانية ، وخوفا من انتقامها (٣٦) .

(هـ) <u>التسابق بين السعوديين وامام مسقط للأستيلاء على البحرين والموقف البريطانى :</u>

حينما علم امام مسقط أن السعوديين يفكرون فى الاستيلاء على جزيرة البحرين على اثر الخلاف الذى حدث بينهم وبين زعيم البحرين ، سارع فى

---

(٣٥) الوثائق البريطانية : من تعليمات حكومة بومباى رقم ٩٩ وتاريخ ٨ سبتمبر عام ١٨٤٥م F.O. 54-9-07429.

(٣٦) الوثائق البريطانية : من خطاب حكومة بومباى الى الحكومة البريطانية بلندن رقم ١٠٠ وتاريخ ٣٠ سبتمبر عام ١٨٤٥م F.O. 54-9-07429.

اعداد العدة لسبقهم اليها . ولكن لانه على مايبدو لم يكن مطلق اليد وحر الحركة بادر بالكتابة الى يرل جرانفيل Earl Granvill وزير الخارجية البريطانية في ٤ مايو عام ١٨٥٢م مبديا رغبته بان تسمح له بريطانيا بارسال حملة للاستيلاء على جزيرة البحرين خشية سقوطها في يد الزعيم الوهابي الأمير فيصل وهو مايعتبره الامام امرا خطيرا يهدد وحدة ممتلكاته العربية(٣٧) لكن بريطانيا بلغته بعدم موافقتها على ضم جزيرة البحرين لاملاكه . وكان واضحا ان بريطانيا عملت على ان تظل البحرين بمنأى عن سيطرة امام مسقط او السعود بين على السواء (٣٨) . فقد وقفت بريطانيا ضد رغبة الامام فيصل لبسط سيطرته على البحرين ، وارسلت قوة بحرية الى البحرين عام ١٨٥١ ، على اثر تهديد فيصل لشيخ البحرين لحمايته من اية هجمات سعودية محتملة الا ان الامير فيصل اضطر الى ان يعقد صلحا مع شيخ البحرين .

وعندما اندلع النزاع الداخلي بين افراد الاسرة الحاكمة في البحرين أراد الامير فيصل اغتنام هذه الفرصة لغزو الجزيرة ، وقام باستعدادات عسكرية في القطيف والدمام تمهيدا لهذا الغزو، عادت البحرية البريطانية للوقوف في وجهه ، ووجهت انذارا شديدا الى قائد الجيش السعودي ، بل أنها قامت فعلا بضرب ميناء الدمام عام ١٨٥٩م(٣٩) .

---

(٣٧) الوثائق البريطانية : رسالة امام مسقط الى وزير الخارجية البريطانية رقم ٢٣٥ وتاريخ ٤ مايو ١٨٥٢م F.O. 54-14-07476.

(٣٨) الوثائق البريطانية : من رسالة حكومة بريطانيا لممثلها بمسقط برقم ١٠٢ وتاريخ ٢٨ اغسطس ١٨٥١م . F.O. 54-14-07476.

(٣٩) الدكتور جمال زكريا قاسم : الخليج العربي (دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٨٤٠ - ١٩١٤) ص ٧٧ .

## (و) بريطانيا تقاوم النفوذ الفرنسي لدى السعوديين :

على الرغم من معارضة بريطانيا لتوسع الدولة السعودية الثانيـــة ، الا انها استطاعت في عهد زعيمها الامام فيصل ان تنجح في تحقيق ذلــك التوسع الى درجة كبيرة ، استلفتت نظر الدول الأوربية اليها ، ففي عام ١٨٦٢/ ١٨٦٣ ظهر في الرياض وليم بلجريف Palgrave الذي ذكر ان نابليون الثالث امبراطور فرنسا قد ارسله في مهمة الى شبه الجزيرة العربية* وخشيت بريطانيا ان تؤدي هذه الزيارة لبلجريف الى نتائج ضارة بمصالحهـــا ، فسارعت الى تكليف الكولونيل بلي Pelly المقيم البريطاني في الخليـــج لزيارة الامير فيصل ، حيث كانت بريطانيا تخشى من ان يترتب على استمرار معاداتها للسعوديين ، ان ينتشر نفوذهم على سواحل الخليج ويغـــزوا بتجارتها ، بعد ان لمست انضمام الكثيرين من الرؤساء المهادنين الـــى الأمير فيصل بن تركي بحيث بات من المشكوك فيه ان يظلوا على تعهداتهم الخاصة مع الحكومة البريطانية . ولذلك كان الهدف من رحلة الكولونيل بلي** مقابلة الامير فيصل في عاصمته هو الحصول منه على وعد بعدم الاضـــرار بالتجارة البريطانية ، وان يتباحث معه في الامور الناتجة عن المصالـــح الخاصة بكل من الانجليز والسعوديين في منطقة الخليج ، وقد اوضح بلـــي في التقرير الذي رفعه لحكومته بان تحسين العلاقات مع حاكم مثل فيصل بـن تركي سيعود بالفائدة على بريطانيا التي يمكنها الاستفادة من نفوذه علـــى رؤساء الساحل دون أن تخشى من ان هذا النفوذ سيبذل في اتجـــاه

---

* سوف نتكلم عن بعثة بلجريف عندما نتحدث عن العلاقات الفرنسيـــة السعودية لاحقا .

** بعث بلي بتقرير مطول لحكومته عن مباحثاته مع الامير فيصل ووصفـــا لأحوال نجد في ٥ ديسمبر عام ١٨٦٦م والتقرير يتضمن معلومـــات هامة عن نجد والبلاط السعودي ، وكان تاريخ تلك الزيارة ( هـــو مارس عام ١٨٦٥ ) .

يتنانى والاتجاه التقدمى" وقد رفض بلى عقد اتفاقية رسمية اقترحها عليه احد مستشارى الامام فيصل تنص على ان تدفع الحكومة البريطانية مبلغا من المال لعرب عمان وصور والخليج فى نظير ان يمتنع هؤلاء العرب عن الحاق اية خسارة بالمحطات البرقية البريطانية (٤٠) لكن فيلبى يشير الى ان زيارة بلى للرياض ادت الى التوقيع على اتفاقية عربية انجليزية لم يعثر على نصوصها فى سجلات الرياض(٤١) . ومهما يكن فان بعثة بلى قد حققت نجاحا طيبا ادى الى تحسين علاقة الانجليز بالسعوديين اذ أظهر الامير فيصل استعداده لان يعاقب رعاياه المشتغلين بالقرصنة ، وطلب من بريطانيا ان تحمى سفنه وبعث بتعليمات الى الحكام التابعين له على ساحل الخليج بملاحظة ذلك . وعقب وفاة الامير فيصل بعث زعيم الدولة السعودية الثانية الجديد الاميرعبد الله بن فيصل الى الكولونيل بلى بتعهد من قبل السعوديين بعدم الاعتداء على الامارات التى ترتبط مع الحكومة البريطانية بمعاهدات خاصة ولا سيما سلطنة مسقط، بخلاف تلقى الزكاة المتفق عليها (٤٢) وفى بداية عهد الاميرعبد الله نشأت بينه وبين بريطانيا ازمة بسبب نزاع فى فى مدينة صور خسر فيه التجار الهنود من رعايا بريطانيا فكتب المعتمد البريطانى فى الخليج الى الأمير عبد الله بن فيصل انذارا يطلب منه ان يعتذر خطيا عما حدث ويمهله مدة شهر واحد للقبول أو الرفض ولما تأخر رد الأمير السعودى بسبب صعوبة المواصلات آنذاك هاجم الانجليز مدينة صور وضربوها بالقنابل ، كما هاجموا مراكز السعوديين فى الدمام والقطيف ويقول لوريمر J.G. Lorimer المؤرخ البريطانى الرسمى للخليج ، انهم

---

(٤٠) الدكتور جمال زكريا قاسم: مرجع سبق ذكره ص ٧٩-٨٠ .

(٤١) سنت جون فيلبى : مرجع سبق ذكره ص ٢٤٨ .

(٤٢) الدكتور جمال زكريا قاسم: مرجع سبق ذكره ص ٨٠ .

ردوا ردا مشينا ( اى البريطانيين ) وتلقى المعتمد البريطاني بعد ايام من هذه الهجمات ، رد الامير السعودى الذى ارسله قبل انتهاء مدة الانذار وفيه يكلفه ان يكون وسيطه لدى الحكومة البريطانية ، ويقول انه ارسل رسولا اليه ليبحث معه حادث صور بعد ان أكد أنه من صنع قبيلة الجنبه ، وليس للسعوديين اى صلة به ، ووصل رسول الامير عبد الله بن فيصل الى ابو شهر وسلم المعتمد البريطانى تصريحا ونصه : " انا محمد بن عبد الله بن مانع واثق من النقط التالية : ١ ) انني مخول من الامام عبد الله بن فيصل ومن الحكومة البريطانية ٢ ) انى أؤكد للمقيم فى الخليج الفارسي نيابة عن الامام عبد الله بن فيصل بان الامام لن يعارض او يؤذى الرعايا البريطانيين المقيمين فى الاراضى الواقعة تحت سلطته ، ٣ ) أؤكد للمقيم البريطاني نيابة عن الامام عبد الله ، بان الامام لن يتلف او يهاجم اراضى القبائل العربية المتحالفة مع الحكومة البريطانية ولا سيما سلطنة مسقط بخلاف تلقي الزكاة التى هى عادة منذ القدم " . ( الا ان حكومة المملكة العربية السعودية نفت وجود اثر لهذا التصريح بين مستنداتها الرسمية وذلك ابان محادثات مشكلة البوريمى ) [٤٣] ويذكر ان هذا التصريح كتب فى ٢١ ابريل ١٨٦٨ م .

(ز) <u>موقف بريطانيا من النزاع بين افراد الاسرة السعودية :</u>

على اثر وفاة الامير فيصل بن تركى اندلع النزاع بين عبد الله بن فيصل واخيه سعود الثالث على زعامة الدولة السعودية الثانية ، فطلب عبد الله بن فيصل مساعدة الدولة العثمانية ضد اخيه واعلن ولاءه للدولة العثمانية ، الأمر الذى سبب القلق للبريطانيين فطلبوا من الكولونيل هربرت القنصل البريطاني فى بغداد بالتحرى عن الأمر ، كما اجرت الحكومة البريطانية اتصالا بالباب

---

(٤٣) امين سعيد : مرجع سبق ذكره ص ٤٥ .

العالي جملته يصدر تبريحا نفى فيه وجود اى نوايا توسعية لديـــه ، وان الحملة المزمع ارسالها الى نجد الهدف منها اعادة الهدوء الى المنطقـــة وفى نفس الوقت كانت الحكومة البريطانية قد تلقت طلبا من الامير ســعـــود الثالث منافس الامير عبد الله يتضمن مطالبته الحكومة البريطانية بمنع شيـخ الكويت من تقديم العون للعثمانيين . . وعلى اثر ذلك وفى ٥ يونيو عام ١٨٧١ أصدرت الحكومة البريطانية تعليماتها الى الكولونيل بلى المقيم البريطانـي فى الخليج بمنع شيوخ عمان من القيام باية عمليات بحرية لصالح اى طرف من اطراف النزاع ، كما طلب المقيم البريطاني من شيخ البحرين ان يكـــون بعيدا عن الاحداث . ولم تبعث الحكومة البريطانية بردها على الامـيــــر سعود (٤٤) .

ويبدو أن موقف بريطانيا من الأمير سعود الثالث قد خيب آمالـــه ، كما ان الفشل الذى لقيه فى ضمان الحماية اللازمة له من حكومة الهنـــــد البريطانية قد دفعه الى قبول عرض الحكومة العثمانية لفتح باب المفاوضات للتوصل الى تسوية سياسية وارسل عام ١٨٧٢ اخاه الاصغر عبد الرحمن إلـى بغداد حيث استبقى هناك كرهينة لدى واليها رؤوف باشا الذى خلـــف مدحت باشا فى اوائل عام ١٨٧٢م (٤٥) .

وظلت الاوضاع فى نجد تتسم بالحروب والقلاقل بين افراد البيـت السعودى الحاكم ، وعندما توفى سعود الثالث قام ابناؤه الثلاثة محمد وسعد وعبد الله بمحاولة الاستيلاء على الرياض ، واعتقلوا عمهم الامير عبد الله بـن فيصل وسجنوه ، فقدم ابن الرشيد من حائل لانقاذ الامير السجين وتمكـن

---

(٤٤) عبد العزيز محمد المنصور: مرجع سبق ذكره ص ١٣٨-١٣٩ .

(٤٥) الدكتور السيد رجب حراز: الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب ص ١٤٧

من اخراجه من سجنه الا انه اخذ الحكم لنفسه وعين سالم السبهان اميرا على الرياض ، وهكذا اخضعت الرياض لحكم آل الرشيد الذين استثمروا نزاع البيت السعودي لصالحهم ، وانهوا بذلك الدولة السعودية الثانية .

وتشير التقارير البريطانية بان الناس في الحجاز لم يكونوا حينها يهتمون باعمال ابن الرشيد وآل سعود ، فهم بعيدون جدا ، والتعامل بين الحجاز ونجد محدود بقليل من القوافل التجارية السنوية بين عنيزة ومكة المكرمة ( مسيرة ١٨ يوم ) (٤٦) .

ثم اخذت التقارير تتوالى على الحكومة البريطانية حاملة صورة للصراع الذي كان يدور بين آل سعود وآل الرشيد على السلطة في نجد ، واظهرت بعض هذه التقارير بان الامير عبد الرحمن بن فيصل ( والد الملك عبد العزيز ) كان يتمتع بتأييد العشائر المقيمة المولعة بالحرب في الصحراء المحيطة بنجد ، وان قتاله لآل الرشيد ليس مجرد فورة شخصية ، او دفاعا عن النفس كما يقول البعض ، ليبعد عن نفسه وعن الآخرين مصير أقاربه الذين قتلوا ، بل انه اراد ان يبرهن انه ليس من السهل ضم اقليم جبل شمر القاص الى اقليم وسط نجد الذي لا يعد جزءا مكملا له . والذي يشتهر بشجاعة النجديين وتعصب الوهابيين .

واخذت الحكومة البريطانية تتابع باهتمام مجريات الاحداث في نجد ، وعلمت ان حكومة بغداد العثمانية كانت على علم بكل الاحداث في نجد ، وعندما التقى الممثل البريطاني في الخليج بوالي بغداد ـ الذي لا تتهمه

---

(٤٦) الوثائق البريطانية : من رسالة القنصل البريطاني في جدة رقم ١٠٣ وتاريخ ٥ يوليو ١٨٨٤ م . F.O. 195-1482-07492 (No. 8).

نجد ، لان وسط شبه الجزيرة العربية كان يعتبر حينها مرتبطا بولاية البصرة، ابدى الوالي ملاحظته بان الامير محمد امير جبل شمر كتب اليه في عدة مناسبات وارسل اليه اخيرا هدية تتكون من حصانين ، وهو يعتبر نفسه موظفا تابعا للحكومة العثمانية كما يزعم (٤٧) .

وفي عام ١٨٩١م وفي معركة" المليدة" هزم الامير عبد الرحمن الفيصل وتبعها هزيمة ثانية في موقعة" الحريملة" وشعر آل سعود بعدها انهم مطاردون من قبل آل الرشيد والدولة العثمانية وامراء الساحل العماني، وفتحت قطر ابوابها لاستقبال الامير عبد الرحمن وابنه الصغير عبد العزيز ( ملك المملكة العربية السعودية فيما بعد ) ، وفي عام ١٨٩٢ قرر الامير عبد الرحمن الاقامة في الكويت (٤٨) .

(ح ) بريطانيا والدولة السعودية الثالثة :

كان الامير عبد العزيز يعيش مع ابيه الامير عبد الرحمن الفيصل في الرياض بعيدا عن وطنه ، وفي عام ١٩٠٠ بدأ الاستعداد والتطلع الى العودة الى وطنه وانتزاعه من يد مغتصبيه من آل الرشيد ، وفي ١٤ يناير عام ١٩٠٢ كان الامير الشاب قد تمكن مع عدد من رفاقه من الدخول ليلا الى الرياض ،وما ان اشرقت شمس ١٥ يناير حتى كان عبد العزيز ال سعود يعلن انهاء سيطرة آل الرشيد على عاصمة اجداده" الرياض" ومعلنا بذلك أيضا قيام الدولة السعودية الثالثة ( المملكة العربية السعودية فيما بعد ) .

---

(٤٧) الوثائق البريطانية: خطاب الممثل السياسي في بلاد العرب الى سكرتير حكومة الهند رقم ١١٤ وتاريخ ١٥ سبتمبر ١٨٩٠
F.O. 602-1-08012 (No. 543).

(٤٨) عبد العزيز محمد المنصور: مرجع سبق ذكره ص١٩٧-١٩٨ .

وكان اول اتصال بين عبد الرحمن بن فيصل وابنه عبد العزيز من ناحية والانجليز من ناحية اخرى قد تم حينما كتب الامام عبد الرحمن بن سعود قبل مغادرته الكويت في طريقه الى الرياض في مايو من عام ١٩٠٢ رسالة الى المقيم البريطاني في الخليج طالبا فيها صداقة الانجليز للسعود بين بعد ان نجحوا في استعادة امارتهم ، وكان مما ذكره في تلك الرسالة رفض السعود بيين للعروض الروسية ، ومن المعروف ان القنصل الروسي العام في بوشهر قد التقى بالأمير عبد العزيز بن سعود في الكويت في اوائل مارس من عام ١٩٠٣ وعرض عليه تقديم المال والسلاح . كما عاود الامير عبد العزيز الاتصال بالانجليز لأول مرة من جانبه في شهر مايو من عام ١٩٠٤ حيث كتب الى " كوكس " القائم بالاعمال المقيم البريطاني في الخليج ، محتجا على تدخل الاتراك في شئون نجد ، ومستغيثا بالحماية البريطانية ، غير ان الحكومة البريطانية آثرت في تلك الفترة الا تتدخل في شئون شبه الجزيرة العربية ، وحددت منطقة مصالحها في الحد الساحلي لشرق شبه الجزيرة العربية .

وكانت الدولة السعودية الثالثة التي اسسها الأمير عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ( ملك المملكة السعودية فيما بعد ) تهدف حينذاك الى الوصول بنفوذها تجاه عمان ، فعرض ابن سعود على الحكومة البريطانية كما تقول المصادر البريطانية " انه استشعر في نفسه قوة تكفي لطرد الاتراك من الاحساء ، وانه راغب في ان يعقد معاهدة مع الحكومة البريطانية ، مع السماح لها بتعيين ضابط سياسي في الاحساء والقطيف ، بشرط ان يكفل له الانجليز الحماية من الهجوم التركي " (٤٩) ولكن هذا العرض قوبل بالرفض من قبل حكومة الهند البريطانية ، نظرا لأن بريطانيا

---

(٤٩) عبد العزيز محمد المنصور : مرجع سبق ذكره ص ٢٠١

كانت توجه عنايتها واهتمامها آنذاك الى الساحل فقط، حيث تستطيع تنفيذ مخططاتها وفرض رغبتها وارادتها بقوة الاسطول البحري .

وفي اغسطس من عام ١٩٠٦ حاول الشيخ مبارك شيخ الكويت اقناع الوكيل السياسي البريطاني الكابتن كوكس بمزايا وضع ابن سعود تحت الحماية البريطانية، خاصة لتجارة بريطانيا (٥٠) الا ان القنصل البريطاني في جدة يذكر في احد تقاريره بان هناك فكرة بين الغوغاء في الحجاز ان بريطانيا تؤيد قضية ابن سعود اكثر مما تؤيد عبد العزيز الرشيد (٥١) ولكننا نود الاشارة الى ان رفض بريطانيا شمول ابن سعود بحمايتها كان نابعا من رغبتها وتمشيا مع سياستها المرسومة في المنطقة والهادفة الى عدم التورط في نزاعات داخلية في شبه الجزيرة العربية، خاصة وان ابن سعود حينها كان في صراع مع ابن الرشيد والدولة العثمانية . وان كنا في نفس الوقت لا نستبعد ان تقوم بريطانيا بتأييده ومده بالمساعدة بصورة سرية .

ونعتقد بأن ما اوردناه عن العلاقات الانجليزية السعودية في ادوار دولها الثلاثة قد القى الضوء على ابعاد هذه العلاقات ، والتي اتسمت في اكثر اوقاتها بالعداء لآل سعود والتخوف من طموحاتهم وصلابتهم . وبقي ان نلقي الضوء على موقف فرنسا منافسة انجلترا وعدوتها ، وعلاقاتها بالدولة السعودية .

---

(٥٠) عبد العزيز محمد المنصور : مرجع سبق ذكره ص ٢٠٢

(٥١) الوثائق البريطانية : من رسالة القنصل البريطاني في جدة رقم ١٢٤ وتاريخ ٥ نوفمبر ١٩٠٤م F.O. 195-2174-08303.
(وانظر الوثيقة رقم ١٢٤ في ملحق الوثائق)

ثانيا : العلاقات الفرنسية السعودية :

كانت المنطقة الوسطى لشبه الجزيرة العربية ( نجد ) قد اخـذت تثير اهتمام أوروبا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر على أثر المعلومات التي وصلتها عن الحركة الوهابية ( السلفية ) . ومنذ حملة بونابرت على مصر التي برهنت للغرب على الاهمية السياسية التي يمكن ان تكون لبلدان الشرق الادنى ، لم تعد شبه الجزيرة العربية جزءاً عديم الاهمية على رقعة الشطرنج في عالم السياسة والاستراتيجية ، وحوالي عام ١٨٠٠ كانت منطقـة نجد بكاملها قد دانت للحركة الوهابية ( السلفية ) وخضعت للحكم السعـودي بزعامـة الأمير عبد العزيز الذي كان ابنه سعود يقود الحملات العسكريـة وكانت هذه الفتوحات قد بقيت حتى ذلك التاريخ احداثا محلية ، لا يهتـم بها الناس ابدا ، خارج اواسط شبه الجزيرة العربية ، الا انه ما أن وصـل السعوديون الى سواحل الخليج العربي واشتبكوا مع سفينة حربيـة انجليزية على مقربة من الكويت حتى لفتوا أنظار أوروبا لهم وأشعروهـم بوجودهم وثقلهم ، ووجدها المقيم البريطاني في البصرة فرصة سانحـة ليوجه مبعوثا الى الامير السعودي طلبا للمصالحة ، وكان ذلك المبعـوث هو رينو والذي وصل الدرعية عام ١٧٩٩م ومكث فيها اسبوعا ، وفي عام ١٨٠٥م نشر التقرير الوحيد عن رحلته وانطباعاته (٥٢) .

واذا كان التفكير في أوروبا قد اخذ يدور حول ادخال شبه الجزيرة العربية في الصراع الدولي الناشب في ذلك الوقت بين فرنسا وانجلتـرا ،

---

(٥٢) جاكلين بيرين : اكتشاف جزيرة العرب ص١٨١-١٨٣ .

فان سياسة نابليون* كانت تقوم على محاربة انجلترا بتأليب كافة القوى المحلية في الشرق العربي وجنوب شرق آسيا على انجلترا . وبعد مغادرة نابليون مصر الى باريس ، اصبح مؤمنا ايمانا كاملا بأن أفضل الوسائل لتصفية النفوذ البريطاني هو القضاء على تجارتها في الهند . وكل ماقام به من استعدادات وتدابير لتدعيم مركزه في الشرق كان منبعثا عن هذا الايمان ، وقد توسع في هذه التدابير فارسل بعثة الى مسقط في سنة ١٨٠٢ وأخرى الى زعيم الوهابيين ( السعوديين ) في نجد للاتفاق معه على تأمين تجارة فرنسا في خليج البصرة وأتبعها في سنة ١٨٠٣ ببعثة ثالثة الي بلاد فارس، وفي ايلول عام ١٨٠٣ طلب من المعتمدين السياسيين الفرنسيين رسو Roussau في بغداد وكورانسيس Coransiese في حلب، ان يستجمعا له المعلومات عن الحركة الوهابية ومدى نجاحها ونواحي الافادة منها لتأييد سياسة فرنسا ومصالحها في الشرق وخاصة في البحر الاحمر وخليج البصرة . (٥٣)

وحينما رغبت فرنسا في الاتصال بآل سعود عام ١٨٠٨م كان النفوذ الانجليزي قد ازداد بصورة واضحة في الخليج العربي ، وكلفت بعثة جاردان التي كانت مكلفة بالقيام بنشاط واسع في فارس ومنطقة الخليج ودراسة الطرق التي يمكن استخدامها عبر المنطقة الى الهند ،الاتصال بآل سعود والوقوف على مدى استعدادهم لقطع بريد الهند البريطاني ، الا ان هذه البعثة لم تتمكن من تحقيق اهدافها ، بل ان الضابطين الفرنسيين

---

* لم يحدث اى تفكير لدى الفرنسيين للاتصال بآل سعود قبل الحملة الفرنسية على مصر، وانه عندما وصل نابليون الى مصر عام ١٧٩٨م وعمل على الاتصال بحكام وامراء الشرق للحصول على تأييدهم له ضد الانجليز، واراد طبقا لسياسته ان يتصل بزعيم السعوديين الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود ، ولكنه لم يستطع آنذاك ان يتعرف على اسمه بالكامل ولذلك فلم يتمكن من الاتصال الفعلي به .

(٥٣) أميل خوري وعادل اسماعيل : السياسة الدولية في الشرق العربي ص ٢٠٨-٢٠٩ .

تريزيل ود ويريسه اللذين زارا جزيرتي قشم وهرمز في فبراير عام ١٨٠٨ اكدا ان النفوذ البريطاني في منطقة الخليج قد وصل الى حد لا تجدي معه المنافسة، ويبدو ان بعثة جاردان اقتنعت بفشل مهمتها، ولذا فانها لم تحاول الاتصال بآل سعود كما كانت مكلفة. وفي عام ١٨١٠ تمكن الانجليز من ابعاد النفوذ الفرنسي عن منطقة الخليج والمحيط الهندي باستيلائهم على جزيرتي موريشيس وبوربون الفرنسيتين [٥٤].

وقد يكون لحج الحاج علي[*] بك (" دومينغو باديا ليبليخ " الذي اشيع عنه عام ١٨٠٧ بانه جاسوس اسباني يعمل لحساب نابليون) علاقة برغبة فرنسا في الاتصال بآل سعود في نجد، وقد ذكر بانه من المحتمل ان يكون الامبراطور قد رغب في ان يعلم شيئا عن موقف مسلمي الشرق من الحركة الوهابية وان يكون قد فكر في استخدام هذه الحركة الجديدة لتحقيق مخططاته في الشرق [٥٥].

وكانت فرنسا قد اتفقت مع روسيا في تلست عام ١٨٠٧ على تقسيم الامبراطورية العثمانية، الامر الذي دفع نابليون الى ايفاد بعثة برئاسة دي لاسكارس De Lascaris الى الامير السعودي بالدرعية والذي وصلها في اواخر عام ١٨١١ وتمت بينه وبين الوهابيين (السعوديين)

---

* كان علي بك او الجاسوس الفرنسي قد توفي عام ١٨١٨م على بعد مائة وعشرين ميلا عن دمشق، وقيل في حينها ان احد العملاء الانجليز قام بتسميمه ظنا منه انه جاسوس فرنسي وللتخلص منه كمنافس للانجليز (وهذا ما بقي سرا من الاسرار حتى الآن)، كما ان علي بك كان عالما ويجيد عددا من اللغات منها الفرنسية والايطالية والاسبانية. ويلاحظ أن المذكور وصل مكة في وقت كانت تخضع فيه للسلطة السعودية.

(٥٤) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : مرجع سبق ذكره ص ٢٧٢-٢٧٤.

(٥٥) جاكلين بيرين : مرجع سبق ذكره ص ١٨٤-١٨٥.

اجتماعات سرية متعددة . واقترح لاسكارس على الامير سعود الكبير (١٧٦٥هـ ـ ١٨١٤م) ان يعاون فرنسا لتقسيم الامبراطورية العثمانية من ناحية ، وعلى معاونة الوحدات الفرنسية التي قد تتمكن فرنسا من ارسالها الى الهند .ولقد كانت عروض لاسكارس مغرية بالنسبة للأمير سعود ، فهو يستطيع الاعتماد على فرنسا اذا غزا سورية او العراق ـ وعلم ممثلو بريطانيا في جدة والسويس وعمان بهذه المفاوضات، وابلغوا انباءها الى حكومتهم التي اسرعت بأيفاب مبعوثين الى الدرعية للأتفاق مع الامام سعود وتحذيره من الانضمام الى جانب نابليون ـ بل لقد ذهب لورد كاسلراى وزير الخارجية الى حد اغراء سعود بالاعتراف باستقلاله دوليا اذا امتنع عن غزو ممتلكات الدولة العثمانية والتحالف مع فرنسا ـ ولكن سعود فضل المشروع الفرنسي ـ وتحت تأثير هذا التفاهم الفرنسي السعودى ـ غزا سعود غزوته الشهيرة لسورية والعراق في اواخر عام ١٨١٢ والتي وصل فيها الى حدود حلب من ناحية وكربلاء من ناحية اخرى ، وكان من الممكن ان ينتهى هذا الغزو الى شيء لولا ان فرنسا كانت قد نكبت في غزوها لروسيا عام ١٨١٢ فلم يكن في امكانها تقديم مساعدة للسعوديين (٥٦) . وقد ذكر المؤلف الفرنسي ميشان Mechin بان الغرض من بعثة بول لاسكاريس الى الامير السعودى هو التعاون مع الأمير السعودى ( سعود الكبير) فى ازاحة الوجود العثمانى البريطانى عن شبه الجزيرة العربية ، ولكن الحظ لم يسعف الطرفين الفرنسي والسعودى فالأول هزم فى روسيا والثانى هرب امام جيوش ابراهيم باشا المصرية التى كانت تتوغل فى بلاد نجد والحجاز. الا ان هناك من يرجح عدم ارسال

---

(٥٦) الدكتور محمد انيس: مرجع سبق ذكره ص. ٢٣ وايضا Mechin, (Arabian Destinh), op. cit., pp. 51-52.
وقد سبق لمجلة آخر ساعة ان كتبت عن كتاب المؤلف الفرنسي ميشان في عددها الصادر في ١٧ مارس ١٩٧٦ (١٦ ربيع الاول ١٣٩٦هـ) صفحة ١٥ .

هذه المحاولة الدرعية ، وانها ربما كانت مشروعا لم يتم تنفيذه واشاروا الى ما قاله جان جاك بيري في معرض حديثه عن هذه البعثة : انه مهما تكن نسبة الصحة في هذه الوثائق فان الاعجاب الذي يكنه ابن سعود للامبراطور الكبير كان السبب في خلق شعور بالصداقة نحو فرنسا" (٥٧) .

ثم جاءت جيوش محمد علي الى الدرعية وجاء معها عدد من الفرنسيين لا ليعقدوا اتفاقيات للصداقة بينهم وبين آل سعود ولكنهم هذه المرة جاءوا ليشاركوا في نهاية الدولة السعودية الأولى وكان من ابرز هؤلاء الفرنسيين المسيو Vassiere الذي كان بمثابة اركان حرب لابراهيم باشا وسبق له ان خدم في جيش بونابرت . وترتب على انهيار الدولة السعودية الأولى ازدياد النفوذ الانجليزي على سواحل الخليج ووطدت بريطانيا نفوذها على السواحل العربية ، وعارضت بشدة الوجود المصري في المنطقة لانها كانت ترى فيه امتدادا للنفوذ الفرنسي ، حتى تم لها تحقيق انسحاب القوات المصرية من شبه الجزيرة العربية عام ١٨٤٠ م (٥٨) .

وبعد ان اشاد آل سعود دولتهم الثانية واصبحت عاصمتها الرياض عام ١٨٢٤ م وخلال دورها الاول ( ١٨٢٤ ــ ١٨٣٨ م ) لم تقم فرنسا بأي اتصالات ملموسة مع هذه الدولة .

وفي الفترة التي تولى فيها الامير خالد بن سعود زعامة السعود بين بالرياض بتأييد من محمد علي باشا وشريف مكة محمد بن عون كان القنصل الفرنسي بجدة يبلغ حكومته : بانه اذا تقلد خالد بن سعود قيادة قبائل نجد

---

(٥٧) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : مرجع سبق ذكره ص ٢٧٥

(٥٨) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : نفس المرجع ص ص ٣١٨ ، ٣٢٤ .

( كما تسمح الاخبار الواردة من داخل البلاد بالأمل في ذلك ) فان من المؤكد ان هذا الامير الذي يعرفه بصفة شخصية والذي توثقت الصداقة بينه وبين السيد فلوري القنصل الفرنسي السابق لن يتأخر في استقبال اى شخص ترسله اليه حكومة الملك ( الفرنسي ) بل وسيستقبله بكل ترحيب سواء للتجارة او لأى هدف آخر، وربما سيلزم الأمر حينئذ اقامة موظف فرنسي في القطيف على الخليج الفارسي ( العربي ) حيث ان الملاقات عن طريق المدينة او اليمن سوف تتم بصعوبة كبيرة ، ومن الأفضل الدوران حول الجزيرة العربية ( عن طريق البحر) (٥٩) .

وفي الدور الثاني للدولة السعودية الثانية ، وابتداءاً من عام ١٨٥٦م اخذت فرنسا تشهد ظهور مؤلفات تاريخيةوروائية تدور كلها عن رحلات قام بها عدد من المبعوثين الفرنسيين الى افريقيا وآسيا وشبه الجزيرة العربية ، ومن ابرز ما ظهر كان للأكسندر دوماس وهما كتاب: " زيارة الحاج على بمك لمكة والمدينة المنورة والعربية السعيدة سنة ١٨٥٦ ، ١٨٥٧م " وكتاب ذكريات رحلات الى افريقيا وآسية سنة ١٨٦١ ، ١٨٦٤م. وقد مال دوماس في نظرته الى العرب واثنى عليهم ، وقد تعطينا اقواله وافكاره وآراؤه صورة عن الآمال والطموح الفرنسي بالنسبة للدولة السعودية الثانية فهو يقول : " لنفترض لحظة ان الملك لويس فيليب قام بعكس ما قام به ، وانه استنادا الى محالفة الامة الحبشية قام ببسط نفوذنا على البحر الاحمر ، ألم يكن من الممكن حينئذ ، بل من السهل ، اعطاء مسألة الشرق وجها لم يره اى انسان بعد ؟

---

(٥٩) الوثائق الفرنسية : من رسالة القنصل الفرنسي بجدة بتاريخ ١٦ مايو ١٨٤٧م رقم ٤
Ref. A.E.: 445, Vol. 3.

اننا لو فعلنا لتركنا جثمان الباب العالى العجوز يفسد ويتفسخ على ضفاف البوسفور، ولخلقنا عوضا عن هذه الامبراطورية، قومية عربية تكون قوتها المحركة امة الوهابيين التى تمتلك حيوية الاجيال الفتية، وايمان المرسلين .... ان المستقبل للوهابيين وحدهم ، ولمذهبهم الذى يختفى امامه الوف الاولياء والشيوخ والمتصوفين، الذين يقدسهم المسلمون من غير الوهابيين ، وامام مبادئهم الخلقية التى تكاد تكون مبادىء انجيلية يمحى ذلك الانحلال الشرقى المنتشر فى اكثر العواصم" (٦٠) .

## (أ) مشروع فرنسى لاحداث انقلاب واقامة دولة قوية فى شبه الجزيرة العربية:

وكما ذكرنا فقد اخذت فرنسا منذ عام ١٨٥٦ تشهد ظهور مؤلفات تاريخية وروائية موسعة عن شبه الجزيرة العربية واخذت الاحلام والاماني الفرنسية تبرز وتناقش ، حتى جاء الاكسندر دوماس ووضع مخططا فرنسيا طرحه للمناقشة وربما ليأخذ دوره فى نطاق التنفيذ العملى ، وكان هذا المخطط او المشروع ملفتا للنظر وهاما ، ويقول هذا المشروع ان ابن سعود الذى كان سجينا فى القاهرة، يقيم اليوم ( آنذاك ) فى جدة، فى فقر مدقع، وفى وسعه ان يثير سكان المنطقة الوسطى جميعهم ، فاذا ما تحالفت فرنسا والحبشة، والوهابيون ( السعوديون ) ، مكنت سعودا من تحقيق انقلاب على ابن عمه فيصل المغتصب ، ومن الاستيلاء على الاماكن المقدسة، شريطة ان تكون لديه حجة للقيام بثورة، وان يكون الى جانبه رجل عبقرى يدعمه ، والحجة يمكن ايجادها فى اى عجز مالى يبدو من الباب العالى عن تأدية

---

(٦٠) جاكلين بيرين : مرجع سبق ذكره ص٣٤٧-٣٤٨ .

المخصصات المالية لزعماء تهامة الصغار، اما الرجل فهو عبد القادر الجزائري المقيم في دمشق . . . وحتى يتم ذلك يجب ان تكون لفرنسا محطة في البحر الاحمر (٦١) .

ونعتقد ان هذا المشروع رغم اهميته لم يوضع موضع التنفيذ لعدة أسباب من بينها :-

١- ان فرنسا لم تكن لها اى قاعدة في البحر الاحمر تستطيع ان تبدأ منها وضع هذا المخطط موضع التنفيذ وذلك لتقديم المساعدة اللازمة للأمير السعودى ليبدأ انطلاقته الى قلب شبه الجزيرة العربية .

٢- كان على رأس الدولة السعودية آنذاك الامير فيصل بن تركي وهو شخصية قوية جدا يصعب معها تنفيذ مثل هذا المخطط، او نجاحه .

٣- كانت فرنسا في تلك الفترة تواجه ازمة في بلاد الشام، وتواجه حوادث دمشق ولبنان والمذابح الواسعة التي كانت تجرى هناك . اى ان فرنسا كان لديها ما هو اهم ليشغلها عن المضي في تنفيذ مشروع شبه الجزيرة العربية .

وعقب مذابح دمشق عام ١٨٦٠م مباشرة ارسل نابليون الثالث في طلب القس الجزويتي " وليم جفورد بلجراف William Giffard Palgrane من سوريا الى باريس لمقابلته وقد كان قبل تقلده مركزه الديني ضابطا بجيش الهند ، فلما مثل بين يدى الامبراطور الفرنسي ، اعرب له حسن صلاحيته لأن يكون رسولا الى المجتمعات العربية لما له من حسن الدراية باللغات السامية ( اذ كان جده يهوديا ) فأوفده الامبراطور في مهمة سرية

---

(٦١) جاكلين بيرين : مرجع سبق ذكره ص٣٤٧-٣٤٨ .

الى الجزيرة العربية(٦٢) ووصل بلجريف* الى الرياض عام ١٨٦٢/١٨٦٣م في الوقت الذي كانت فيه بريطانيا تعارض التوسع السعودي وتقف امـــام مخططات زعيم الدولة السعودية الثانية فيصل بن تركي آل سعود(٦٣) قد يدل على رغبة فرنسا كسب ود الزعيم السعودي القوي والدخول معـه فـي علاقات لصالحها ، والتقى بلجريف مبعوث الامبراطور الفرنسي بالامير فيصل وذكر بلجريف بان الغرض من رحلته هو نشر الحضارة الأوربية في بـــلاد الشرق ، والواقع ان الغرض السياسي كان يكمن وراء رحلة بلجريف ، فهناك احتمال في ان فرنسا كانت تريد ان تستعيد مركزها في الشرق ، أو علـــى الأقل بعض ماكان لها من نفوذ وخاصة بعد نجاحها في الحصول علـى امتياز حفـر قناة السويس(٦٤) . وقد خشيت بريطانيا ان تؤدي زيارة بلجريف الى الرياض الى نتائج ضارة بمصالحها ولذلك سارعت بايفاد الكولونيـــل لويس بلي Colonel Lewis Pelly والذي وصل الى الرياض بعد مغادرة بلجريف لها بعامين ، وقد ابلغ الامير فيصل المقيم البريطاني بلي ان فرنسا حاولت التودد اليه وعرضت عليه الحماية وطلبت منه ان يبلغ موافقتـه الـى القنصل الفرنسي في دمشق ولكنه رفض ذلك . (٦٥) ويقول فيلبي بان زيـارة بلي للرياض قد ادت الى التوقيع على اتفاق عربي انجليزي لم يعثر على نصوصه في سجلات الرياض . اما زيارة بلجريف السابقة للرياض وما يحتمل ان يكـون

---

* سنورد تفاصيل اخرى عن رحلة بلجريف حين الحديث عن آل الرشيد بحائل . في فقرة لاحقة .

(٦٢) جورج كيرك : موجز تاريخ الشرق الاوسط ص١٢٩ .

(٦٣) د . جمال زكريا قاسم : مرجع سبق ذكره ص٧٧ .

(٦٤) عبد العزيز محمد المنصور : مرجع سبق ذكره ص١٩٤ .

(٦٥) د . جمال زكريا قاسم : مرجع سبق ذكره ص٧٨ .

قد تم خلالها من مباحثات سياسية مع الأمير فيصل فقد ذهبت سدى بسبب هزيمة فرنسا امام المانيا عام ١٨٧١م وكان ذلك سببا حال بينها وبين تنفيذ اغراضها (٦٦) اما المؤرخ الرسمي للخليج لوريمر فانه لم يذكر شيئا عن هذا الاتفاق او المعاهدة التي ذكر فيلي بانها تمت بين الامير فيصل وبلي بل انه اكد ان الرحلة لم تحقق نتائج سياسية ذات قيمة (٦٧). وتقول جاكلين بيرين بان بعثة بلي الى الرياض قد اسفرت عن نتيجة سلبية اذ أمر الامير فيصل في محادثاته مع بلي على ان تعترف انجلترا بحكمه ، وان تحترم تجارة العبيد ، فرأى بلي الا فائدة من متابعة المحادثات. الا ان بلي هذا طلب من حكومته بعد وفاة فيصل ان تساعد سعود بن فيصل ضد أخيه عبد الله (٦٨)

وبيدو ان الهزيمة التي منيت بها فرنسا امام المانيا عام ١٨٧١ لم توقف نشاطها في جمع المعلومات عن نجد وايفاد مندوبيها بين وقت وآخر للمنطقة فقد ذكر القنصل البريطاني في جدة لحكومته بان دكتورهيوبر Dr. Huber العالم الفرنسي قد وصل الى جدة قادما من دمشق ونجد بعد ان مر بكل من حائل وبريدة وعنيزة وان المعلومات التي جمعها عن الأمور في نجد تهم الحكومة البريطانية. وهذا العالم الفرنسي يقوم برحلته تحت رعاية وزير التعليم الفرنسي والجمعية الجغرافية في باريس. وقد وصل اول مرة الى دمشق عام ١٨٨١م . . . وبعد عودته الى باريس بفترة قصيرة نشرت الجمعية الجغرافية الفرنسية خريطة للمدن الرئيسية والطرق التي زارها في المنطقة الواقعة بين دمشق في الشمال وعنيزه في الجنوب وبين طريق الحج من الغرب

---

(٦٦) الدكتور السيد رجب حراز : مرجع سبق ذكره ص ١٤ .
(٦٧) عبد العزيز محمد المنصور : مرجع سبق ذكره ص ١٩ .
(٦٨) جاكلين بيرين : مرجع سبق ذكره ص ٢٠ .

والفرات في الشرق . وعندما غادر دكتور هيوبر حائل في ٢٥ من مايو١٨٨٤ في طريقه الى جدة كان رسول من ابن سعود قد وصل الى حائل ولكن لم يعرف غرضه (٦٩) .

وفي نهاية اغسطس ١٨٨٤م قتل الدكتور هيوبر بالقرب من مدينة رابغ على ساحل البحر الاحمر وعلى بعد ثمانين ميلا شمال جده وهو في طريقه الى حائل ونجد مرة ثانية ، وقد ابلغت الحكومة الفرنسية برقيا بنبأ مقتله نظرا لعدم وجود قنصل فرنسي آنذاك في جدة (٧٠) .

وحتى نهاية القرن التاسع عشر لم تعد تذكر المصادر اي شيء عن النشاط الفرنسي في نجد حيث كان الصراع بينهما يدور بين فرنسا وبريطانيا في مصر وداخل افريقيا .

القسم الثاني ـ حائل :

١ ـ آل الرشيد وآل سعود :

كانت امارة آل الرشيد مستقلة ولا سلطة لأسرة آل سعود عليها ، بل كانت تحترمها وتقدم لها الهدايا السنوية من داخل اقليم نجد ـ وتعتقد ان تقديم الهدايا بين الامارات العربية في شبه الجزيرة العربية لم يكن يعني

---

(٦٩) الوثائق البريطانية : من رسالة القنصل البريطاني في جدة الى ايرل جرانفيل رقم ٨ وتاريخ ٢ يوليو ١٨٨٤م رقم ٣٠١ب
F.O. 195-1482-07492.

(٧٠) الوثائق البريطانية : من رسالة القنصل البريطاني في جدة الى ايرل جرانفيل رقم ١١ وتاريخ ٣ سبتمبر ١٨٨٤م رقم ٩٨ب
F.O. 195-1482-07492.

الخضوع بل هو لا يخرج عن كونه عادة ونوعا من انواع المجاملة وكانت المنطقة شمال القيصم تخضع لسيطرة آل الرشيد حكام حائل ، والمنطقة جنوب القيصم تخضع لسيطرة آل سعود (٧١) .

وفي عام ١٨٣٤م اشترك آل الرشيد في الحملة التي قادها آل سعود على بن خالد في الاحسا ' بل ان زعيمهم عبد الله الرشيد كان يشترك مع الامير السعودي فيصل بن تركي في صد هجمات شيخ البحرين على اقليم الاحساء خلال عام ١٨٣٤م (٧٢) .

ويرجع عدد من الباحثين قيام امارة آل الرشيد بزعامة عبد اللهالرشيد في حائل الى عام ١٨٣٥م بعد ان قام عبد الله الرشيد في العام السابق اي عام ١٨٣٤م بالقضاء على تمرد مشاري بن عبد الرحمن بالرياض على اثر اغتيال الامام تركي بن عبد الله ، ووطد الامر للامام فيصل بن تركي الذي كان اثناء ذلك غائبا عن الرياض ، فكافأه الامام فيصل بتعيينه حاكما على جبل شمر بدلا من صالح بن عبد المحسن حاكم الجبل آنذاك والذي كان يمثل مشيخة آل علي الحاكمة في حائل (٧٣) وفي عام ١٨٤٦ وبتشجيع من شريف مكة محمد بن عون انفصل عن الرياض واصبح واضحا منذ ذلك الوقت انه سيد جبل شمر المطلق ، الا انه بعد وفاته عام ١٨٤٧ سارع ابنه طلال بتقديم فروض الولاء للزعيم السعودي فيصل ، وفي نفس الوقت بدأ علاقته بالدولة العثمانية (٧٤)

---

(٧١) الوثائق البريطانية : تقرير القنصلية البريطانية في جدة رقم ١٠٤ ، وتاريخ ١٩٠٩م F.O. 195-2320-07394.

(٧٢) عبد العزيز محمد المنصور : مرجع سبق ذكره ص ٢٠٦

(٧٣) فؤاد حمزة : مرجع سبق ذكره ص ٣٤٢ .

(٧٤) الدكتور السيد رجب حراز : مرجع سبق ذكره ص ١٣٨ .

وفى عام ١٨٧٢م تولى الحكم فى امارة حائل محمد بن عبدالله بن الرشيد (الملقب بالكبير) وتدهورت اسرة آل سعود بسبب النزاع على السلطة وتمكن ابن الرشيد من السيطرة على كل نجد والذى ظل زعيما لها بلا منازع من عام ١٨٨٣-١٨٩٧م (٧٥).

وكان محمد بن الرشيد قد تمكن فى معركة "المليدة" من هزيمة حلفاء الامير عبد الرحمن بن فيصل ( والد جلالة الملك عبد العزيز) والتى على اثرها طويت صفحات الدولة السعودية الثانية بخروج الامير عبد الرحمن من الرياض واستيلاء ابن الرشيد عليها . واصبح منذ ذلك اليوم مسيطرا على نجد واصبحت مدينة حائل العاصمة الوحيدة لوسط شبه الجزيرة العربية . وكانت علاقة محمد بن الرشيد بالاتراك قوية ، حيث عمل الاتراك للاستفادة من قوة ابن الرشيد المتزايدة وتوسعه المطرد فى وسط شبه الجزيرة العربية والذى كان يعلن ان فتوحاته هى باسم السلطان العثمانى (٧٦).

وقد اتفق محمد بن الرشيد مع شيخ قطر الشيخ جاسم على التعاون ضد شيخ الكويت الجديد الشيخ مبارك الصباح الذى تولى السلطة بعد قتله اخويه محمد وجراح ، تأييدا ليوسف الابراهيم الذى كان يطالب بالثأر لمقتل محمد وجراح ، ولأن شيخ الكويت قد اعتدى على تجار حائل فقطع بذلك الامدادات الاقتصادية من الخليج لامارة حائل . الا ان ابن الرشيد توفى قبل ان يقوم او يشترك فى اى حملة ضد الكويت ولم يحقق

---

(٧٥) الوثائق البريطانية : عن تقرير القنصلية فى جدة رقم ١٠٤ وتاريخ ١٩٠٩م. F.O. 195-2320-07394.

(٧٦) عبد العزيز محمد المنصور: مرجع سبق ذكره ص ٢٠٧

احلامه بالاستيلاء على مدينة الكويت ليجعلها ميناء لجبل شمر وليكون بذلك خارجا عن نطاق تحكم الحكومة العثمانية في امداداته. وتولى امارة حائل الامير عبد العزيز الرشيد الذى حكم من ١٨٩٧ وحتى ١٩٠٦م والذى دخل في صراع مع امارة الكويت محاولا ان يكمل خطة عمه محمد عبدالله الرشيد . واراد ان يستغل هزيمة شيخ الكويت في معركة الصريف وقام في صيف عام ١٩٠١ بمحاصرة مدينة الكويت ولكنه فشل في ان يحقق اى شيء وبدا انه امام مواجهة قوة الانجليز (٧٧) وما لبث الوضع ان تغير بشكل حاد جدا وذلك حينما وجد ابن الرشيد نفسه يواجه ضربات شديدة من الامير عبد العزيز آل سعود الذى تمكن في ديسمبر من عام ١٩٠١ من رفع الراية السعودية على مدينة الرياض بادئا انهاء العهد الرشيدى على نجد . وفي عام ١٩٠٢ توفي عبد العزيز الرشيد بسبب الكوليرا وذلك اثناء وجوده خارج عاصمته حائل ، وكانت علاقاته مع الوالي التركي في الحجاز وشريف مكة المكرمة ودية في الفترة الاخيرة ، وكانت هناك انباء عن نجاحه بعض الشيء في صراعه مع الامير عبد العزيز ال سعود في الرياض، ومن المؤكد ان الامير عبد العزيز الرشيد لم يكن شخصية قوية مثل سلفه محمد كما ان خليفته سيكون اقل وزنا منه (٧٨) . وفي هذه الفترة اى منذ عام ١٩٠٢ اخذت التقارير من القنصلية البريطانية بجدة تبدى اهتماما متزايدا باحداث نجد والاشتباكات المسلحة التى كانت تحدث بين الامير الشاب عبد العزيز ال سعود وبين آل الرشيد . الا انه يلاحظ من اسلوب كتابة التقارير وكأنها تؤيد ابن الرشيد ضد آل سعود . وفي عام ١٩٠٤ كتب القنصل البريطاني للسفير البريطاني

---

(٧٧) المرجع السابق ص ٢٠٨-٢٠٩ .

(٧٨) الوثائق البريطانية : من رسالة القنصل البريطاني في جدة الى السفير البريطاني في القسطنطينية بتاريخ ٢ سبتمبر ١٩٠٢ ورقم ٧١ ورقم ١٠٥ب F.O. 195-2126-07313.

لدى الباب العالي يذكر له بان ابن سعود ( عبد العزيز ال سعود ) قد بعث برسالة الى شريف مكة معلنا انتصاراته وملقبا نفسه "أمير نجد" وبعث بهذه الرسالة مع رسول خاص ، وقد أوقف هذا الرسول في المدينة المنورة وارسل مقبوضا عليه الى مكة المكرمة ، ولا تعرف المعاملة التي لقيها هناك . ولكن يشاع ان الحكومة التركية تتخذ خطوات نحو ارسال قوات الى نجد لمساعدة ابن الرشيد واعادة نفوذه ، ولكن وصلته ( اى القنصل البريطاني ) انباء موثوق بها بان احمد راتب باشا والي الحجاز لا يحب ابن الرشيد ، وسوف يرفض من جانبه ان يتصرف بعنف(٧٩) .

واخذت القوات التركية تتدفق الى نجد لمساعدة ابن الرشيد في صراعه مع الامير عبد العزيز آل سعود ، وبلغ ما اعطته الحكومة التركية لابن الرشيد حتى ديسمبر من عام ١٩٠٤ اكثر من عشرة آلاف ليرة تركية للنفقات كما امرت بارسال مزيد من القوات يبلغ عددها ٢٦ ست وعشرون الفا مع مزيد من المدفعية ، وخصصت مكافأة لمن يرسل ابن سعود حيا او ميتا الى القسطنطينية (٨٠) وكان السلطان العثماني يعلم ان عبد العزيز ال سعود كان يريد اقامة مملكة وخلافة ، وان ابن الرشيد كان يريد الامارة تحت ظل الهلال العثماني ، ولكن المتآمرين في قصر السلطان منعوه من مساعدة ابن الرشيد نتيجة لنفوذ جماعة "ابو الهدى" (٨١) . وفي عام ١٩٠٦ اغتصب متعب

---

(٧٩) الوثائق البريطانية : من رسالة القنصل البريطاني في جدة الى السفير البريطاني في القسطنطينية رقم ٢٢٣٩ ابريل ١٩٠٤ رقم ٢٣ ب
F.O. 195-2174-08300.

(٨٠) الوثائق البريطانية : من مذكرة للقنصل البريطاني بجدة بتاريخ ٣ ديسمبر ١٩٠٤ رقم ١٢٦ ب
F.O. 195-2174-08300.

(٨١) الوثائق البريطانية : من تقرير مطول عن نجد وآل الرشيد كتبه القنصل البريطاني بجدة لحكومته في عام ١٩٠٩ رقم ٤٠ ب
F.O. 195-2320-07394.

ابن عبد العزيز الرشيد الحكم في حائل وعمره ١٨ سنة بمساعدة قبيلة شمر وأخواله لأمه (ابناء حمود العبيد ، الا انه مالبث ان قتل نتيجة تآمر سلطان وسعود وفيصل عليه وعلى اخوته وابناء عمومته . وفي عام ١٩٠٧ كان الحكم في يد سلطان ( من أسرة عبيد ال الرشيد ) ونما الحقد والكراهية بين الاخوة الثلاثة ، فخاف آل سبهان على الأمير الصغير ( ابن عبد العزيز الرشيد وعمره ١٠ سنوات ) فصحبه رئيسهم الى المدينة المنورة حيث أقاموا فيها وشكر السلطان العثماني ووزراؤه حمود آل سبهان ومنحوه هو والامير الرشيدي الصغير مخصصا ماليا كافيا . وفي ابريل من عام ١٩٠٨ قتل سلطان الرشيد من قبل اخيه سعود .

ويبدو كما سبق ان اشرنا التحيز الواضح في اسلوب التقارير التي كان يبعث بها القنصل البريطاني في جدة الى حكومته انه يميل الى تأييد آل الرشيد ضد الامير عبد العزيز آل سعود وتأييدا لرأينا هذا نورد نصا لفقرة من تقرير مطول كتبه في عام ١٩٠٩ ، وهذه الفقرة خاصة بولاية سعود ابن عبد العزيز الرشيد والتي بدأت في أغسطس من عام ١٩٠٨ . فهو يقول : " ان معظم سكان نجد ، يميلون الى ابن الرشيد لشعورهم السيء نحو ابن سعود ، ويبدو الانهيار الكامل لابن سعود قريبا لولا معاونة مبارك الصباح ( شيخ الكويت ) له مما ق. يؤجل هذا الانهيار سنة او سنتين ، ويبدو الآن ان مبارك قد تخلى عن مساعدة ابن سعود ( عبد العزيز آل سعود ) ولم يعد يعتنيه ابيهما يبقى ، اذ انه يعلن ولائه للدولة العثمانية ظاهريا ويستند سرا الى الحكومة الانجليزية . " (٨٢) .

---

(٨٢) الوثائق البريطانية : من تقرير مطول لقنصل بريطانيا في جدة رقم ٤٠١ عام ١٩٠٩م F.O. 195-2320-07394.

ولو ناقشنا هذا الرأى للقنصل البريطانى فى جده وحاولنا معرفـــة أسباب هذا العداء الظاهر لابن سعود فانه يمكننا القول ان القنصـــل البريطانى فى الحجاز كان متأثرا فى تكوين رأيه عن آل سعود بما يردده عنهم اشراف مكة الذين يؤيدون ابن الرشيد تأييدا كاملا ، بالاضافة الـــى إن السياسة المعلنة لبريطانيا فى الاستانة التى يتبعها هذا القنصل هـــى المحافظة على سيادة الدولة العثمانية على كل جزء من ممتلكاتها ( وبالطبع عدا ما تراه بريطانيا ضروريا للمحافظة على مصالحها وتخضعه لسيطرتها من مناطق )

وعندما ترددت بعض الانباء عن احتمال قرب اتفاق الحكومة العثمانية مع عبد العزيز آل سعود وأنها ربما امدته ببعض المال لاستمالتـــه ، سارعت السلطات البريطانية فى الحجاز الى لفت نظر الحكومة العثمانية بأنهـــا اذا ظنت ان تقديمها المال لابن سعود سيمكنه من ادارة شئون نجد فهى مخطئة اذ ان ابن سعود فى الحقيقة لا حول له ، وسوف تتبين الحكومة العثمانيـــة ان الطريق الصحيح هو صداقة ابن الرشيد الذى يخلص للسلطان . وذهبت السلطات البريطانية الى اظهار محاسن ابن الرشيد فذكرت ان ابن الرشيد لديه موارد كبيرة تكفى اغراضه الحربية وحكومته معتدلة ، وهو يستقبـــل كـــل لاجئ يلوذ به ويعفو عن جريمته اذا كانت تتصل بشخص الأمير ، مما جعـــل الناس عموما يلتفون حوله ، ولكن ابن سعود على نقيض ذلك ، وتساعد حكومات الولايات المجاورة ابن الرشيد ، وينال احترام البرلمان العثمانى وجماعـــة الاتحاد والترقى ، والعدو الوحيد له هو السيد طالب النقيب ( فى البصرة ) وهو من اتباع ابو الهدى ، صديق شيخ الكويت وابن سعود (٨٣) .

---

(٨٣) الوثائق البريطانية : من تقرير مطول لقنصل بريطانيا فى جدة رقم ١٠٤ عام ١٩٠٩
F.O. 195-2320-07394.

ولكن على الرغم من كل هذا التأييد البريطاني لابن الرشيد والعون العسكري القوى من الدولة العثمانية له لم يستطع الصمود الى النهاية امام ضربات عبد العزيز آل سعود الذى تمكن من ضم حائل الى دولته عام ١٩٢١م، ولم يكن امام بريطانيا ماتفعله الا الاعتراف بالأمر الواقع واعلنت اعترافها بعبد العزيز آل سعود سلطانا على نجد وملحقاتها ، وهكذا طويت من التاريخ صفحات اسرة آل الرشيد وامارتهم في حائل .

٢ ـ امارة حائل وعلاقاتها بكل من انجلترا وفرنسا :

ظلت حائل وجبل شمر من المناطق غير المعروفة لدى الاوروبيين حتى حملات محمد على على شبه الجزيرة العربية . وكان آل الرشيد قد التزموا جانب الحياد عندما قام المصريون بمهاجمة السعوديين ، واعتبرهم محمد على حياديين ميالين اليه ، فلم يعاملهم المعاملة القاسية التي استهدف لها سكان نجد الجنوبي بل اكتفى بان يترك في حائل حامية ثابتة (٤٨) .

ومنذ عام ١٨٤٢ أخذت امارة حائل تسترعي انتباه واهتمام الامبراطور الفرنسي نابليون الثالث . ففي عام ١٨٤٥ كان المسيو فرينتل قنصل فرنسا بجدة قد نصح " بدى والان " الفلندى بدخول شبه الجزيرة العربية من الشمال تجنبا لاثارة الشبهات حول نفسه في حال مجيئه مباشرة من مصر ، وفعلا وصل والان هذا الى حائل عن طريق صحراء سيناء فمعان ، وكتب قصة رحلته بعد ذلك بعشر سنوات ، واصفا فيها مدينة حائل عاصمة شمر ، ويصف عبد الله الرشيد وكرمه وعلاقاته الحسنة مع العراق ومصر والحجاز

---

(٤٨) الدكتور ابراهيم شريف : مرجع سبق ذكره ص٥٤ .

وعاد والان الى حائل مرة أخرى في عام ١٨٤٨م عن طريق ساحل البحر الاحمر مرورا بتبوك وتيماء ، وما اشارت اليه المصادر عن رحلة والان الى حائل بانها كانت علمية وخاصة بجامعة هلسنكي ،قديكون صحيحا بعض الشيء، ولكن اتصال والان بالقنصل الفرنسي بجدة قد يعطي انطباعا بان فرنسا كانت وراء هذه الرحلة ، كما كانت وراء الرحلة التي قام بها كارلو غورماني بتكليف من وزير الزراعة الفرنسية عام ١٨٦٣م ،وقد تمكن كارلو غورماني من مقابلة امير شمر الامير طلال بن الرشيد عام ١٨٦٤م وكان الغرض الظاهر من مهمة كارلو غورماني هو شراء خيل للأصطبل الامبراطوري الفرنسي(م) .

وكان في عام١٨٦٢ ان توجه الى حائل وسلك نفس الطريق الذي سلكه والان رحالة اسمه وليم جيفورد بلجريف Palgrave ووصل الى حائل ونزل ضيفا على اميرها طلال آل الرشيد ، وذكر بلجريف بان الامبراطور الفرنسي هو الذي قدم له بسخاء الاموال التي احتاجها لرحلته . والوقائع التي رواها تدل على أنه كان مكلفا بمهمة واسعة النطاق . ويقول :انه ادخل ورفيقه من باب سري الى غرفة منعزلة يقوم بحراستها عبيد سود ، ويقف بعيدا عنهم حرس مسلحون لا تصلهم اصوات المتكلمين فيها ، ووجد الامير طلال مستعدا للأستماع اليه ، فقام بشرح اسباب رحلته باختصار والأمل الذي حدا بهم للمجيء الى بلاد العرب وما تنتظره فرنسا من حسن التفاته وبعد ذلك دار حديث بينهما استغرق ساعة كاملة ، واختتم الامير طلال الحديث مصرا على التكتم المطلق قائلا :" اذا ما عرف الأمر الذي تباحثنا فيه الآن اصبحت حياتكم وحياتي في خطر" . وحينما التقيا مرة ثانية وفي يوم آخر قال الامير طلال لبلجريف :" لن تسألني في هذه الظروف الحالية ، ولن اكون من

---

(م) جاكلين بيرين : مرجع سبق ذكره ص٢٧٥ - ٢٨٩ .

قلة التبصر لدرجة اعطى فيها جوابا ايجابيا رسميا على مخابرات كمخابراتك ، على أنني أؤكد لك ، انا طلال ، مؤازرتي وارادتي التي لا تتزعزع . تابع رحلتك الآن ، وعندما تعود ، وأمل الا تبطئ في العودة ، سيصبح كلامك قانونا يستحق كل ما تريده . هل انت راض ؟ فقال بلجريف للأمير ان جوابه قد حقق لرغباته ثم تصافحا علامة التحالف المتبادل . ولم يعرف بالطبع ماحقيقة هذه الاقتراحات الغامضة (٨٦) وواصل بلجريف رحلته الى الرياض والتي اقلقت بريطانيا فتحركت بسرعة وبعثت بالكولونيل بلي المقيم السياسي البريطاني في الخليج والذى اجرى محادثات سياسية مع الزعيم السعودي الامير فيصل ابن تركي (٨٧) . والتي تكلمنا عنها سابقا ، ونعتقد بان رحلة بلجريف هذه كان الغرض السياسي يكمن وراءها اذ كانت فرنسا تود استعادة نفوذها في الشرق خاصة بعد حصولها على امتياز مشروع قناة السويس وقال د .ج هوغارت في معرض تحليله لرحلة بلجريف بانها كانت كرغبة الامبراطور الفرنسي في معرفة مقدار القوة الحقيقية التي يتمتع بها الامير الرشيدي ، ودرجة امكان انتصار الوهابية . كما اعتبر هوغارت بلجريف افضل مخبر لفرنسا فيما يختص بنصف هذا الجزء الجنوبي من نجد الذي لا تعرف عنه فرنسا اي شيء (٨٨) .

وكانت عيون الرصد البريطانية في اطراف شبه الجزيرة العربية تتابع اى نشاط فرنسي قد يظهر في اى اقليم من اقاليم شبه الجزيرة العربية . وما ان وصل الى حائل الدكتور هوبر العالم الفرنسي المبعوث من قبل وزير التعليم الفرنسي والجمعية الجغرافية في باريس عام ١٨٨١ والذى استضافه محمد بن

---

(٨٦) جاكلين بيرين : مرجع سبق ذكره ص٢٩٩-٣٠٢ .
(٨٧) الدكتور جمال زكريا قاسم : مرجع سبق ذكره ص٨٧
(٨٨) جاكلين بيرين : مرجع سبق ذكره ص٣٠٣-٣٠٩ .

الرشيد امير جبل شمر ومنافس آل سعود في الرياض، حتى بادر القنصل البريطاني في جدة باخبار حكومته بذلك (٨٩) . وهو ماسبق ان اشرنا اليه في حديثنا عن العلاقات الفرنسية السعودية .

٣ ـ مشروع بريطاني لمد خط سكة حديد من بور سعيد الى الكويت :

في عام ١٩٠٤ وصل الى جدة شخص مسلم اسمه محي الدين ، وبعث برسالة الى ابن الرشيد اميرحائل بصفته وكيلا مفوضا من قبل روسيا وفرنسا ، وعرض عليه في هذه الرسالة اعانة مالية قدرها مائة الف دولار شهريا اذا وافق على توقيع معاهدة مع احدى الدولتين روسيا او فرنسا يقبل بها حماية احد الدولتين او حمايتهما المشتركة نظرا لان بلاده تتعرض لخطر من قبل بريطانيا التي تحاول بناء خط سكة حديد من بور سعيد الى الكويت مارا باقليم نجد الأمر الذي سيشكل خطرا على نفوذه وبلاده ، ولذا فان حصوله على حماية روسيا أو فرنسا او كلتيهما مما سوف يريحه الى الأبد من مثل هذا الخطر، وطلب في هذه الرسالة من ابن الرشيد ان يأذن له بالقدوم الى حائل لدراسة الاقتراح معه ، ولكن ابن الرشيد رفض السماح له بدخول بلاده، وذكر له ان الحكومة العثمانية هي التي ستقرر امكانية مد خط سكة حديد بور سعيد الكويت ـ اذا كان قد وضع له مشروع ـ او عدم مده . وفي نفس الوقت ارسل ابن الرشيد رسولا خاصا بالرسائل التي تبودلت بينه وبين محيي الدين مع وثائق اخرى سرية الى الباب العالي ، وغادر رسول ابن الرشيد جده على باخرة يوم ٧ نوفمبر عام ١٩٠٤م. كما قام ابن الرشيد بابلاغ سمو شريف مكة ووالي الحجاز العثماني بالاتصالات التي جرت بينه وبين محي الدين الذي ادعى انه وكيل عن الروس والفرنسيين (٩٠) (انظر الوثيقة رقم ٢٥ في ملحق الوثائق )

---

(٨٩) الوثائق البريطانية : رسالة القنصل بجدة الى وزير الخارجية ايرل جرانفيل رقم ٨ في ٢ يوليو ١٨٨٤م رقم ١٠٣ F.O. 195-1482-07492.

(٩٠) الوثائق البريطانية : من رسالة القنصل البريطاني في جدة رقم ٢٥ وتاريخ ١٦ نوفمبر ١٩٠٤م F.O. 195-2174-0830C.

وقد يعزز صحة وجود مشروع خط سكة حديد بورسعيد الى الكويت ما سبق ان كتبه القنصل البريطاني في البصرة راتسلاو الى السفير البريطاني في الآستانة بتاريخ الثالث من سبتمبر عام ١٩٠١ ، اوضح فيه ان ابن الرشيد قد تقدم بطلب الحماية البريطانية شريطة ان تزوده بريطانيا بالسلاح وتترك له الفرصة لكي يعزل الشيخ مبارك الصباح حاكم الكويت وينصب بدله احد أبناء اخيه ، كما وعد ابن الرشيد ان يضع بلاده تحت تصرف الشركة البريطانية التي تنوى مد الخط الحديدي من بور سعيد الى الكويت(٩١) .

لكن بريطانيا رفضت طلب ابن الرشيد لان الموافقة على هذا الطلب معناه التورط في النزاع الدائر بين السعوديين وابن الرشيد ، وان كان كيرزون الحاكم العام للهند يرى ان توافق بريطانيا على حماية ابن الرشيد وان تستعد لمد نفوذها الى قلب شبه الجزيرة العربية لمنع التدخل العثماني او سواه هناك ، الا ان حكومة لندن لم تؤيد هذا الرأى والتزمت برفض التدخل المباشر في شئوون وسط شبه الجزيرة لصالح اى طرف من الاطراف(٩٢) .

ويبدو لنا مما تقدم ان ما اوضحه محي الدين بالنسبة للخط الحديدي كان مشروعا حقيقيا وان أمير حائل كان على علم به منذ سنوات كما ان المسئولين البريطانيين لم يكذبوه باى طريقة من الطرق . وقد تكون المتغيرات التي حدثت بعد ذلك في شبه الجزيرة العربية وخارجها قد حالت دون تنفيذ هذا المشروع مثل زوال امارة حائل وظهور مشروع خط حديد بغداد ـ الكويت .

---

(٩١) الوثائق البريطانية : من رسالة القنصل البريطاني في البصرة بتاريخ ١٩٠١/٩/٣م F.O. 78-5173.

(٩٢) الدكتور صلاح العقاد : مرجع سبق ذكره ص١٩٧ .

# الفصـــل السابـــع

## التنافس الانجليزي الفرنسي في الخليج العربي في القرن التاسع عشر الميلادي

## ـ في الكويت ، وقطـر ، والبحرين ـ

عناصر هذا الفصل :

اولا ـ الكويـــت :

١ـ الكويت نشأة وتاريخا .

٢ـ علاقات الكويت بالدولة العثمانية .

٣ـ الانجليز والكويت .

٤ـ الكويت تدخل تحت الحماية البريطانية .

٥ـ الفرنسيون والكويت .

ثانيا ـ قطـــر :

١ ـ قطر قبل تسلم آل ثاني السلطة بها .

٢ـ قطر ووصول آل ثاني للسلطة .

٣ـ علاقة قطر بجيرانها . (الكويت ـ البحرين ـ ابو ظبي ـ نجد )

٤ـ علاقة قطر ببريطانيا .

ثالثا ـ البحرين :

١ـ البحرين قبل حكم آل خليفة

٢ـ احتلال آل خليفة للبحرين

٣ـ الانجليز والبحرين

اولا ـ الكويـــت :

الكويت نشأة وتاريخا :

الكويت احد موانئ الخليج الهامة والحديثة ،اذ لا يتجاوز تاريخها المائتي عام ، اسستها قبائل العتوب النازحة من شبه الجزيرة العربيـــة فى اوائل القرن الثامن عشر، ويطلق على الكويت اسم" القرن" نسبه الى شكـــل الفجوة التي تقوم عليها (١) .

وقد واجهت الكويت بعض المصاعب مع سليمان باشا والي بغداد ،بعد لجوء مصطفى اغا واخيه معروف اغا وتويني وغيرهم ممن اشتركوا فى التمرد مـن اجل السيطرة على البصرة عام ١٧٨٧م، الى حاكم الكويت الشيخ عبد اللـــه الصباح ، ولما طالب الباشا تسليمهم رفض الشيخ طلبه ،فما كان من الباشـا الا ان طلب من المركز التجارى البريطانى فى البصرة التدخل فى الأمر، غير ان المركز رفض الاشتراك في الحملة التي اعدها الباشا ضد الكويت، وحينما ابلغ المقيم البريطانى بالخليج مانستي Manesty شيخ الكويت بان والى بغداد يعتزم غزو الكويت اذا لم يتم تسليم اللاجئين اليه، كانت اجابته بانـه يفضل ان يخوض حربا مع الباشا من ان يسلم ضيوفه اليه، واكد للمقيـــم البريطانى وسليمان باشا ،بانه لن يسمح لاى لاجئ عنده بتدبير عدوان علـى البصرة طالما بقي مثل هذا الشخص فى حمايته (٢) .

وفى ابريل من عام ١٧٩٢ بدا ان الكويت اخذت تدخل عصرا جديدا تمثل فى نقل شركة الهند البريطانية لمقرها من البصرة الى الكويت والذى

---

(١) عبد الفتاح ابراهيم : رسائل الأهالى ـ الرسالة الاولى على طريـــق الهند ـ ص١٧ .

(٢) د . مصطفى ابوحاكمه : تاريخ شرقى الجزيرة العربية ،ص١٥٦ .

استمر بها حتى شهر اغسطس عام ١٧٩٥م، وقد دل اختيار الكويت كبديل للبصرة على ان الكويت دولة مستقلة ولم تكن بلدا تابعا للعثمانيين[٣]، وفي نفس الوقت فقد اثر اقامة المركز البريطاني في الكويت على اقتصادها فعززه وقواه، كما استفادت كثيرا من مرور السلع التي كانت ترد عن طريقها وسنن بريد الشركة الذي كان يتم ارساله بانتظام.

وتوفي الشيخ عبد الله الصباح عام ١٨١٤ وخلفه في الحكم الشيخ جابر عبد الله الصباح ١٨١٤ - ١٨٥٩ وفي عهده زار الكويت السائح Stocqueler وهو أول أوروبي يزور الكويت منذ وقت طويل وكان ذلك عام ١٨٣١ [٤]، وفي عام ١٨٥٩ تقلد حكم الكويت الشيخ صباح الثاني بن جابر ١٨٥٩-١٨٦٦م وفي عهده زار الكويت الكولونيل بلي Pelly المقيم السياسي في الخليج وقد امتدح الكويت تجاريا وسياسيا[٥]. وبعد وفاة عبد الله الثاني الصباح عام ١٨٩٢ تولى الحكم اخيه الشيخ محمد بن صباح الثاني ١٨٩٢ - ١٨٩٦م واشرك معه أخاه جراح في ادارة شئون الكويت مشاركة غير رسمية كترضية له. الا ان عهده قد انتهى على يد اخيه مبارك عام ١٨٩٥م نهاية محزنة اليمة، ضجت لها الكويت حين استيقظت على اصوات طلقات الرصاص وهي تلقى بالأخوين الحاكم الرسمي والحاكم المساعد غير الرسمي (محمد وجراح) على الارض صريعين بيد اخيهم مبارك والذي اصبح سيد البلاد، وما ان تقلد

---

(٣) د. مصطفى ابو حاكمه: نفس المرجع ص٨٤ نقلا عن لوريمر مجلد ١ ص٤ والذي نقله بدوره عن بكنجهام في كتابه رحلات في بلاد الاشوريين ص ٤٦٢ - ٤٦٣ - المنشور عام ١٨١٦.

(٤) حافظ وهبه: جزيرة العرب ص٨٤.

(٥) عبد العزيز الرشيد: تاريخ الكويت، ص١٦.

مبارك منصبه الجديد كحاكم للكويت حتى واجهته مشكلة فرار ابناء جراح ومحمد الى البصرة حيث ابلغوا شكواهم الى الفريق حمدى باشا ،وكان يومها رجب باشا واليا على بغداد ، فسبق مبارك ابناء اخويه الى ذاك المقام الاعلى ، وتمكن بواسطة بعض رجاله من استمالته اليه ، فكتب رجب الى الاستانة يقول ان الحادث هو من الحوادث العادية المألوفة بين البدو ، وخير للدولة العثمانية ان لا تتدخل في الامر لان ذلك سيؤدى الى تدخل الانجليز ... ولكن الانجليز لم ينتظروا احدا ليتقدمهم في عمل هم متأهبون دائما له.، فكان ابناء جراح ومحمد قد لجأوا أيضا الى قنصل بريطانيا في البصرة فنصرهم على مبارك ، وسعى في سبيلهم وسبيل السياسة الانجليزية في الخليج سعيا ملحا اثمر عن صدور امر من الدولة العثمانية وتضمن خيارين امام مبارك الصباح وهما : ان يحضر الى الاستانة فيعين عضوا في مجلس شورى الدولة ، واما ان يسافر الى البلد الذى يريده فتخصص له الحكومة معاشا دائما .واذا لم يقبل بأحد الامرين فستستخدم القوة ضده. وكان قبلها قد بدأ مبارك في مفاوضة الوكيل السياسي لبريطانيا في الخليج ( في بوشهر) فسمع هذا شكواه متجاهلا ما كان زميله في البصرة ان اتخذه. وهنا تبدو رواية محزنة مضحكة معا . لجأ اولاد القتيلين الى حمدى باشا والى البصرة ،فلجأ القاتل الى رجب باشا والى بغداد ، ثم لجأ طالبو الثأر الى قنصل بريطانيا في البصرة ، فلجأ مبارك الى وكيلها السياسي على شاطئ الخليج ، وكانت بريطانيا تمثل بواسطة ممثليها دورين معا ، دور المدعى العمومي ودور محامي الدفاع

ضغطت الدولة العثمانية على مبارك فطلب الحماية البريطانية دفاعا عن نفسه، فلبت بريطانيا طلبه حبا وكرامة ،لا تدع يسراك تعلم بما تفعله يمناك عندما وصل المركب الحربي العثماني الى الكويت يقل نقيب البصرة وبعض موظفي الدولة حاملين للشيخ مبارك امر الدولة العالي لتنفيذه. جاء مركب حربي آخر

(بريطاني) ينقذ الشيخ مبارك ويطرد المركب العثماني من مياه الكويت[٦].

وهكذا تمكن مبارك من التغلب على كل الصعاب تقريبا وامسك بزمام الأمور في الكويت، الا ان الشيخ يوسف الابراهيم الذي قام بمناصرة ابناء القتيلين والذي هو من كبار تجار الكويت نسافر الى الحجاز ليستعين بشريف مكة، ثم سعى لدى امير جبل شمر الامير عبد العزيز الرشيد فأغراه بعدوه في الكويت، وقام ابن الرشيد بشن غارة على عشائر كويتية فبادر الشيخ مبارك الى الدفاع بما لديه من قوة وجهز جيشا لعبد العزيز آل سعود، ثم جيشا آخر بقيادة اخيه حمود الصباح، وجيشا ثالثا قاده مبارك بنفسه ومعه الامام عبد الرحمن الفيصل (والد الملك عبد العزيز) والتقى الفريقان وتقاتلا قتالا شديدا عام ١٩٠٠م، في مكان يسمى الصريف* الا ان النصر كان الى جانب ابن الرشيد. وبعد هذه الموقعة اندفع الامير الشاب عبد العزيز آل سعود الى عاصمة اجداده ليخلصها من حكم آل الرشيد وقلب هزيمة الكويتيين في موقعة الصريف الى نصر باستيلائه على الرياض عام ١٩٠٢م ثم اخذ يحارب زاحفا لاسترجاع ملك آل سعود الضائع. وتدخل القدر لصالح الكويت وتوفي امير جبل شمر عبد العزيز الرشيد، وكان قد توفي قبله عدو آخر لمبارك الصباح هو يوسف الابراهيم فاستراح مبارك من عدويه[٧].

وشهد عهد الشيخ مبارك الكثير من الاحداث، والتي جعلت من عهده نقطة تحول هامة في تاريخ الكويت بل انها ابرزته الى حيز الوجود

---

* عن موقعة الصريف بالقرب من بريدة (انظرتفا صيلها في كتاب تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية لفلبي)

(٦) امين الريحاني : ملوك العرب الجزء الثاني ص١٧٤-١٧٥.

(٧) امين الريحاني : نفس المرجع ج٢ ص١٧٧.

وادخلته في ميدان السياسة العالمية والصراعات الدولية (٨) .

٢ ـ علاقات الكويت بالدولة العثمانية :

بقيت العلاقات حسنة بوجه عام بين آل صباح وبين العثمانيين حتى استولى الشيخ مبارك على السلطة سنة ١٨٩٦م، فقلب أوضاع الكويت رأساً على عقب . وبعد تردد الدولة العثمانية طويلا في اصدار فرمان التنصيب لمبارك، عادت واصدرت الفرمان بتنصيبه قائمقاما سنة١٨٩٧ ، وتحسنت العلاقات بين الشيخ مبارك وبين العثمانيين قليلا ، لكن دون ان تتحقق الثقة بين الطرفين ، ولم تساعد الظروف الخارجية على استمرار هذا التحسن فقد ظل والي البصرة يظهر خصومته للشيخ مبارك ،ومن جهة اخرى كانت المناوشات بين ال صباح وآل الرشيد تتكرر من حين لآخر وانه في حالة وقوع نزاع على نطاق واسع فمن الارجح ان يساند العثمانيون خلفاءهم من آل الرشيد (٩) .

٣ ـ الانجليز والكويت :

بدأت العلاقات بين بريطانيا والكويت عام ١٧٧٥م وذلك عندما بدأ نقل البريد البريطاني من الخليج الى حلب عن طريق الكويت بدلا من الزبير، بسبب محاصرة الفرس للبصرة آنذاك ؛

وهكذا اصبحت الكويت ذات أهمية بالغة بالنسبة لنقل البريد الصحراوي ، كما كانت عاملا مساعدا في ايصال السلع الهندية الى اسواق الشرق الاوسط وأوربا ، وفي عام١٧٩٣ نقل البريطانيون مركزهم التجاري من

---

(٨) الدكتورحسن سليمان محمود : مرجع سبق ذكره ص١٧٠ .
(٩) عبدالعزيزالرشيد . مرجع سبق ذكره ١٢٨ .

البصرة الى الكويت واستمر قائما حتى عام ١٧٩٥م[١٠] . وظلت العلاقات الودية بين شيخ الكويت وشركة الهند الشرقية الانجليزية ، وكان عاهل الكويت من الزعماء الذين يتلقون هدايا من الشركة ، وان كانت هذه العلاقات الطيبة مع الشركة قد تعرضت لهزات كادت تؤدى في النهاية الى فاجعة ، لولا حكمة رجال الشركة في البصرة .

وفي خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر انتشر النفوذ البريطاني في الخليج العربي عن طريق محاربة القرصنة وتجارة الرقيق ومن ثم فانه عندما بدأت الدولة العثمانية تحاول بسط نفوذها في الخليج في اواخر الستينات من القرن التاسع عشر ، وجدت ان النفوذ البريطاني قد سبقها الى شواطىء الخليج ، وصار يقاوم محاولاتها للسيطرة على هذه الشواطىء ، مستعينا بمعاهدات تحريم القرصنة وتجارة الرقيق التي عقدها مع مشايخ الخليج تارة وبقوته البحرية في الخليج تارة اخرى . وهكذا ظلت الكويت حتى اواخر الستينات من القرن التاسع عشر تخضع للسيادة العثمانية الاسمية[١١] وفي عام ١٨٦٢م زار الكويت الرحالة البريطاني وليم بالجريف ووصفها بانها " اكثر موانى الخليج نشاطا وحركة " . وفي حكم الشيخ جابر الاول وصل الى الكويت جماعة من الانجليز وحاولوا اقناع الشيخ برفع العلم البريطاني ولكنه رفض بحجة ان بلاده ترتبط مصالحها مع الدولة العثمانية . وفي اثناء حكم الشيخ صباح الثاني قام الكولونيل بلي Pelly عام ١٨٦٩ برحلته الشهيرة من الكويت الى نجد وهو اول من لاحظ اهمية مركز الكويت التجاري[١٢] .

---

(١٠) احمد مصطفى حاكمة : مرجع سبق ذكره ص١٣٢-١٣٣ .
(١١) الدكتور السيد رجب حراز : الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب ص١٦٢-١٦٤ .
(١٢) الدكتور حسن سليمان محمود : مرجع سبق ذكره ص١٨٢ .

٤ - الكويت تدخل تحت الحماية البريطانية :

وفى عهد الشيخ مبارك الصباح طرأت ظروف على الموقف السياسي جعلت مبارك يتنكر للحكومة العثمانية ويبدأ مناوأتها ، وفى نفس الوقت يمكن القول بان السلطات البريطانية كانت تهمل الكويت وحتى عام ١٨٩٨ اقترح الشيخ مبارك فكرة الحماية* البريطانية فقوبل هذا الطلب بالرفض من جانب حكومة الهند وهى الجهة التى كانت ترسم السياسة البريطانية فى الخليج العربى آنذاك (١٣) .

ويرجع بعض المؤرخين هذا الرفض الى ان حكومة الهند كانت تسلم بأن القسم الشمالى من الخليج المتاخم للأحساء حتى شط العرب داخل فى اطار الدولة العثمانية وتجعل من قطر والبحرين حدا فاصلا لتدخلها فى القسم الجنوبى** ، الا ان الموقف البريطانى مالبث ان تغير من الرفض الى

* ويذكر بان بريطانيا كانت قد عرضت عام ١٨٥٦ على الشيخ جابر حمايتها للكويت ولكنه رفض وقد شكره رشيد باشا والى البصرة على ذلك (راجع تاريخ الكويت السياسى - لحسين خلف الشيخ خزعل الجزء الاول ص١١٩ (-١٢٠) وكذلك عبد العزيز الرشيد فى تاريخ الكويت ٨٢-٨٥) .

** وهناك رأى آخر يقول : " ان الحكومة البريطانية لم تستجب لهذا العرض لانها كانت تعترف بتبعية الكويت للدولة العثمانية ، ولان مبارك نفسه قبل من الترك منصب قائمقام مما يجعل اعتراف بريطانيا باستقلاله امرا صعبا ، كما ان بريطانيا لم تكن ترغب فى اثارة الاضطرابات والقلاقل فى الخليج . او لعلها حتى ذلك الوقت لم تكن قد تبينت أن ثمة خطرا يتهدد مصالحها فى هذه المنطقة (الدكتور محمود صالح منسى : حركة اليقظة العربية فى الشرق الآسيوى ص ١٧٤ ) .

(١٣) عبد العزيز الرشيد : مرجع سبق ذكره ص١٤٠ .

الايجاب في نفس العام ١٨٩٨ بعد ان تولى لورد كيرزن Curzon منصب الحاكم العام للهند ، ونظرا لاهتمامه الشخصي بمنطقة الخليج العربي الذي عرفه منذ ان كان سفيرا لبلاده في طهران (١٤) . وكان حريصا على ان يظل الخليج منطقة بريطانية مغلقة لا يسمح لاي دولة بالحصول على مركز تجاري او بحري على سواحله ، ولذلك فقد طالب حكومته في تقريره بتاريخ ٨ نوفمبر ١٨٩٨ بالموافقة على بسط الحماية البريطانية على الكويت ، وبنفس الطريقة التي بسطت بها حمايتها على البحرين عام ١٨٩٢م (١٥) وكان الكولونيل Meade المقيم العام البريطاني في الخليج قد سبق ان بعث بتوصياته التي تدعو الى منح الكويت الحماية البريطانية لاهمية مركزها والى احتمال جعلها نهاية لخط حديدي من الاسكندرونة او بورسعيد ، وللقضاء على تجارة الرقيق والقرصنة (١٦) .

وجاء رد الخارجية البريطانية على طلب اللورد كيرزن Curzon ببسط الحماية البريطانية على الكويت في برقية سرية تقول : بانه اذا رأت حكومة الهند ان من السهولة تطبيق الحماية على الكويت بدون ترتيبات عسكرية وبوليسية جديدة في مياه الخليج العربي ، فان اللورد سالسبري Salisbury سيوافق على مثل هذه الخطوة ، وسيكون مستعدا لمساندتها دبلوماسيا في حالة احتجاج الدولة العثمانية على هذا الاعلان (اي اعلان الحماية) (١٧) .

---

(١٤) الدكتور محمود علي الداود : الخليج والعلاقات الدولية (١٨٩٠ - ١٩١٤) ص ١١٦-١١٨ .

(١٥) الدكتور محمود صالح منسي : حركة اليقظة العربية في الشرق الآسيوي ص ١٧٦ .

(١٦) الوثائق البريطانية : من رسالة الكولونيل ميد الى حكومة الهند بتاريخ ٢٥ ابريل عام ١٨٩٧ . F.O. 78-(N. 5113).

(١٧) الدكتور محمود علي الداود : مرجع سابق ص ١١٨ .

وما ان تلقى اللورد كيرزن هذا الرد حتى عهد الى الكولونيل مالكولم جون ميد Colonel Malcolom J.Meade المقيم السياسي في الخليج بالتوجه الى الكويت ومفاوضة شيخها من اجل وضع امارته تحت الحماية البريطانية وفي ٢٣ ابريل عام ١٨٩٩ ابرم ميد مع الشيخ مبارك اتفاقية تعهد فيها الامير بالا يستقبل وكيلا او ممثلا لأية دولة او حكومة في الكويت بدون اذن سابق من الحكومة البريطانية ، كما تعهد بالا يتنازل او يبيع او يؤجر او يرهن او يمنح بغرض الاحتلال أو لأي غرض آخر اي جزء من اراضيه الى حكومة او رعايا اية دولة أخرى بدون موافقة مسبقة من الحكومة البريطانية (١٨) . وتعهدت بريطانيا مقابل ذلك بمنح شيخ الكويت مساعدة مالية والدفاع عن امارته وحماية مصالح الكويت في الخارج .

ومن الجدير بالذكر ان هذه الاتفاقية كانت صورة طبق الاصل تقريبا من اتفاقية عام ١٨٩١م المعقودة بين بريطانيا وسلطان مسقط فيصل بن تركي ، او بالأحرى كانت الاتفاقيتان تستندان الى اسس واحدة تقريبا ، ورغم ان اتفاقية عام ١٨٩٩م لم تنص صراحة على فرض الحماية البريطانية على الكويت ، الا انها كانت من الناحية العملية تفرض الحماية على هذه الامارة ، ومما يستلفت النظر ان اتفاقية عام ١٨٩٩ بين بريطانيا والكويت قد ابرمت في سرية تامة حرصا على عدم اثارة الدولة العثمانية والدول الأوروبية المهتمة بالخليج ، غير ان بعض المؤرخين يؤكدون ان الاتراك كانوا على علم بهذه الاتفاقية وبتطور النفوذ البريطاني في الخليج ، أو على الأقل احسوا ان هناك ارتباطا معينا بين بريطانيا والشيخ مبارك .

---

(١٨) Hurewitz: Diplomacy in the Near and Middle East, Vol. I, Doc. No. 100, pp. 218-219.

واذا حاولنا تلمس الأسباب التي دفعت بريطانيا للموافقة على الحماية فانه يمكننا تحديد هذه الاسباب في النقاط التالية :-

١) التوصيات التي قدمها الكولونيل ميد Meade المقيم البريطاني في الخليج ، والتي حضت على وضع الكويت تحت الحماية البريطانية ، نظرا لأهميتها للمصالح البريطانية .

٢) رغبة الحاكم العام للهند اللورد كيرزون Curzon ان تكون منطقة الخليج بريطانية بكل المعنى بحيث لا يتاح لاى دولة اخرى منافسة من الحصول على مركز فيه ، وتأييده لآراء المقيم البريطاني في الخليج ؛

٣) ظهور التنافس الدولي على المشروعات العمرانية ومشروعات السكك الحديدية ، وكانت الامتيازات تعتبر مظهرا من مظاهر النفوذ السياسي في ذلك الوقت .

وكانت بريطانيا في بداية الأمر تنظر الى مشاريع السكك الحديدية الالمانية العثمانية ، نظرتها لاى مشروع تجارى لا يؤثر على مصالحها في منطقة الخليج ، ولكن ما ان صدر قرار السلطان العثماني بمنح البنك الالماني امتياز مد خط حديدى من قونية الى بغداد والخليج في نوفمبر من عام ١٨٩٩ وتبين لبريطانيا ان نهاية هذا الخط سيكون الكويت ، حتى استبد بها القلق خوفا على مصالحها وسيطرتها في الخليج وبالتالي في الهند . فسارعت الى اتخاذ الخطوات اللازمة لوضع الكويت تحت حمايتها وقوفا امام هذا المشروع والحيلولة دون تحقيق نهايته المؤثره على مصالحها ووجودها في المنطقة ، وكانت الاتفاقية التي سبق لنا توضيحها ، ونعتقد ان هذا هو السبب الحقيقي والاساسي الذى جعل بريطانيا تقبل شمول الكويت بحمايتها (١٩) .

---

(١٩) الدكتور محمود صالح منسي : مرجع سبق ذكره ص١٧٥ .

اما المبررات التي دفعت بحاكم الكويت الشيخ مبارك الى قبول هـــذه الحماية او طلبها فهي :ـ

١ ـ توتر علاقاته مع الدولة العثمانية : فقد كانت الدولة العثمانية تحـاول بسط سيطرتها على الكويت ، كما ان السلطان عبد الحميد الثاني كان ينظر الى الشيخ مبارك على انه مغتصب لحكم الامارة من اخيه ممثـل السلطان في الكويت ، ( وكان السلطان عبد الحميد قد اصدر فرمانـا في يناير عام ١٨٩٧ بتعيين الشيخ مبارك قائمقاما على الكويت) .

٢ ـ الخوف من اطماع ابن الرشيد ( أمير حائل ) التوسعية والذى كانت تحرضه الدولة العثمانية على امتلاك الكويت حتى يكون له منفذ علـى الخليج [٢٠]

ونحن نعتقد أن بريطانيا حينما قبلت بسط حمايتها على الكويت كـان يهمها قبل كل شيء المحافظة على مصالحها ونفوذها في المنطقة ولم يكـن يهمها بحال من الاحوال ماكان سيتعرض له الكويت او شيخه على يد تركيا أو آل الرشيد .

وكان السلطان عبد الحميد الثاني يبدى اهتماما كبيرا بالكويت ، ففي الرابع من سبتمبر عام ١٨٩٩ ( اى بعد سبعة شهور تقريبا من الاتفاقيـــة البريطانية الكويتية ) بعث برسالة الى سيرنيقولاس اوكونور Sir Nicholas O'Conor سفير بريطانيا في الاستانة ، قال فيها : انه يعلم باهميـــة الخليج بالنسبة للمصالح البريطانية ، وهو يقدر رغبة الحكومة البريطانيـــة بعدم السماح لأية دولة اوربية أخرى بالتدخل في شؤون الخليج وعرقلـــة الطرق التجارية المؤدية الى الهند ، واكد السلطان في نهاية رسالته للسفير

---

(٢٠) الدكتور محمود صالح منسي : مرجع سبق ذكره ص١٧٧ .

البريطاني بان تركيا لن تسمح لأية دولة اوروبية ( ماعدا بريطانيا ) بالحصول على امتيازات تجارية في مياه الخليج العربي ، ولكنها ليست مستعدة للتنازل عن البصرة او الكويت او البحرين او القطيف[٢١] ومن الواضح ان السلطان لم يعلم آنذاك باتفاق عام ١٨٩٩ .

ويبدو ان شيخ الكويت عمل على تنفيذ اتفاقية عام ١٨٩٩م مع بريطانيا بكل اخلاص فعندما وصلت البعثة الألمانية برئاسة الهرستمريخ Stzmrich القنصل الالماني العام في الاستانة الى الكويت في اوائل عام ١٩٠٠ للبحث عن مكان مناسب ليكون نهاية لخط سكة حديد بغداد ، قابلهم شيخ الكويت بجفاء ظاهر ورفض الهدايا التي قدمها اليه ، كما رفض ان يتنازل عن اى اراضي حول راس كاظمة تنفيذا لاتفاقية يناير عام ١٨٩٩ مع بريطانيا .

وفي مايو عام ١٩٠٠ وقع الشيخ مبارك اتفاقا يحظر استيراد الاسلحة الى الكويت وتصديرها منها ، وسمح للسفن البريطانية بتفتيش السفن التي يشتبه في حملها سلاحا ومصادرة ماتحمله من اسلحة[٢٢] .

وتعرضت الكويت لضغط متتابع من قبل الدولة العثمانية في عام ١٩٠١ حتى ان الدولة العثمانية بعثت بسفينة حربية ( زحاف ) الى ميناء الكويت ، الا ان هذه السفينة اضطرت الى الانسحاب بعد تحرك قطع من البحرية البريطانية قرب ساحل الكويت . وفي عام ١٩٠٢ كان الضغط العثماني عن طريق الشيخ يوسف بن عبد الله الابراهيم حاكم منطقة الدورة على الجانب الفارسي من الخليج ، وسارعت بريطانيا ببعث السفينة لابونج Lapwing

---

(٢١) الدكتور محمود علي الداود : مرجع سبق ذكره ص١٢٤ .
(٢٢) الدكتور السيد رجب حراز : مرجع سبق ذكره ص١٩٦-١٩٧ .

الى الكويت حيث طاردت الحملة المعدة للهجوم على الكويت واستولت على سفينتين وعليهما ١٥٠ رجلا مسلحا واستولت ايضا على ما فيهما من اسلحة وذخيرة . كما اتخذت القوات البحرية البريطانية في الخليج ترتيبات عاجلة للدفاع عن الكويت حينما علمت بريطانيا بخطة الهجوم البري المشترك من القوات التركية وقبائل شمر حيث تزحف الاولى من البصرة وتزحف الثانية من حائل . واحبطت تدابير هذا الهجوم قبل بدئه (١٣) وذلك بفضل تنبه الاسطول البريطاني في الخليج واحتجاج السفير البريطاني في الاستانة (١٤) وفي عام ١٩٠٣ قام اللورد كيرزون الحاكم العام لحكومة الهند بجولة في امارات ومشيخات الخليج العربي زار خلالها الكويت في نوفمبر من هذا العام ، ومنح الشيخ مبارك لقب سير وقلده وشاح نجمة الهند . وفي فبراير عام ١٩٠٤ وافق مبارك على عدم السماح لاية دولة بخلاف بريطانيا باقامة مكاتب للبريد في الكويت ، وفي يونيو من هذا العام عين أول وكيل سياسي لبريطانيا في الكويت ( الكولونيل تاكسي ) ، حيث وصلها في اغسطس وقدمت الدولة العثمانية بهذا الصدد احتجاجات كانت عديمة الجدوى (١٥) .

وفي سنة ١٩٠٨ صدر تأكيد للتعهدات الواردة في اتفاق سنة ١٨٩٩ والقاضية بعدم التنازل عن شيء من اراضي الكويت دون مشورة الحكومة البريطانية . وفي نفس الوقت تنازل الشيخ مبارك عن قطعة ارض على امتداد ميلين لبريطانيا مقابل ٦٠،٠٠٠ روبية ، وأعفيت تلك المنطقة الساحلية من الضرائب . وبهذه المناسبة ضمنت بريطانيا توارث أسرة الصباح لحكم الكويت .

---

(١٣) H.R.P. Dickson: Kuwait and her Neighbours, pp. 139-140.

(١٤) الدكتور محمود صالح منسي : مرجع سبق ذكره ص ١٧٨

(١٥) الدكتور صلاح العقاد : مرجع سبق ذكره ص ١٩٩ .
H.R.P. Dickson: op. cit., p. 140.

وفي اغسطس سنة ١٩١١ تعهد الشيخ مبارك بعدم منح الشركات الاجنبية امتيازات لاستغلال الاسفنج أو اللؤلؤ الا باذن من الحكومة البريطانية ، الا ان كل ذلك لم يمنع شيخ الكويت من اتصاله بالدولة العثمانية وبالعالم الاسلامي . وفي ٢٧ اكتوبر من عام ١٩١٣ تعهد الشيخ مبارك بالا يمنح حق التنقيب عن النفط واستغلاله في الكويت لاى شخص دون الرجوع الى الحكومة البريطانية (٢٦) .

٤ ـ الفرنسيون والكويت :

لم تشهد الكويت صراعا فرنسيا بريطانيا على ارضها دام لمدة طويلة كما شهدته مسقط مثلا ، الا ان الكويت لا يمكن اخراجها من دائرة الصراع التقليدى بين الدولتين الكبيرتين بريطانيا وفرنسا ، وباستعراضنا لتطلعات الفرنسيين او علاقاتهم بالكويت ستتمكن من وضع صورة ولو مختصره عن ذلك النشاط.

لم تذكر المصادر المختلفة للخليج العربى والكويت بصورة خاصة أى شيء عن نشاط فرنسي ملموس في الكويت حتى عام ١٧٧٨ حينما وردت انباء للسلطات البريطانية ولشركة الهند البريطانية في البصرة عن وصول احد المسئولين الفرنسيين ونزوله ضيفا على حاكمها الشيخ عبد الله الصباح .فأثار هذا النبأ قلق البريطانيين سارعوا الى بعث مندوب عنهم للكويت لمعرفة حقيقة الوضع. وكان هذا المسئول الفرنسي هو" مسيو دى بوريل دى بورج" موفدا من حكومة فرنسا بخطابات سرية الى الفرنسيين في بوندى شيرى وموريشيس وكان خط سيره من حلب الى الخليج العربى وفي الطريق اعترضه

---

(٢٦) Hurewitz: op. cit., Vol. I, Doc. No. 109, p. 272.

جماعة من البدو وهو على بعد مسيرة ١٥ يوم من البصرة واصيب بجرح فى رأسه اثناء الهجوم عليه، وتمكن من النجاة بواسطة زعيم القبيلة المهاجمة الذى قدم له الحماية مقابل مائة جنيه استرليني ومقابل ايصاله الى الكويت سالما ايضا . وحينما وصل الى الكويت كتب الى القنصل الفرنسى فى البصرة المسيو روسو Rousseau يطلب عمل الترتيبات اللازمة لسفره الى بوندى شيرى ، الا أن خطاب المندوب الفرنسي وقع فى أيدى احد العرب الذى سلمه بدوره الى مركز الشركة البريطانية فى البصرة ، ومنه علم البريطانيون بوجود الكابتن دى بورج فى الكويت(٢٧) .

وقد أدى ذلك الى ظهور مشكلة معقدة ، فقد وصلت معلومات الى مقر شركة الهند الشرقية البريطانية فى البصرة تفيد باندلاع الحرب بين فرنسا وبريطانيا (حرب الاستقلال الامريكية) الأمر الذى اضطر المسئولين البريطانيين الى اعتقال كافة المبعوثين الفرنسيين الذين كانوا فى الخارج (يعتقد ان دى بورج قد لمح الى هذه الحرب بعد وصوله الى الكويت)(٢٨)

وقد كانت رغبة الانجليز فى القاء القبض على المبعوث الفرنسي تقف امامه عقبة هامة وهى ان الكابتن الفرنسي كان فى ضيافة وحماية شيخ الكويت، وان الشيخ سيرفض السماح للبريطانيين باعتقاله على الرغم من صداقة شيخ الكويت للانجليز ، ولكن تبدل الموقف فجأة وسمح للأنجليز باعتقاله بعد ان

---

(٢٧) احمد مصطفى حاكمة : تاريخ شرقى الجزيرة العربية ص ١٣
وايضا : Harford Brydges: op. cit., pp. 171-174.

(٢٨) احمد مصطفى حاكمة : نفس المصدر ص ١٣ نقلا عن خطاب ابراهام احد اعضاء شركة الهند الشرقية الى مجلس ادارة الشركة فى ٧ / ١١ / ١٧٧٨م وايضا :

اتهمه الانجليز بانه كان يزاول الاحتيال ( ولم يكشف خطاب ابراهـام J. Abraham المسئول عن مركز البصرة البريطاني واحد اعضاء شركة الهند الشرقية الى مجلس الادارة بلندن في ٧/ ١١/ ١٧٧٨ الطريقة التي استطاع بها ان يحول معارضة الشيخ الى موافقة .

وبعد القبض على دى بورج ارسل الى بومباى كأسير حرب كما بعثت الوثائق التي كان يحملها الى السفينة " ايجل " ولكن تعذر حل شفرة تلك الوثائق نظرا لان الكابتن دى بورج كان قد اتلف الشفرة قبل القبض عليه . وقد شرح المستر وليم ديجيس لا توش Latauche المندوب البريطاني بالبصرة في رسالة بعث بها الى مجلس الادارة في لندن جاء فيه :

" لقد كنا نقدر سلفا خطورة العمل الذى كلفنا به وهو الاستيلاء على البريد الفرنسي غير اننا كنا نصنع واجبنا نحو بلدنا في هذه المرحلة الحرجة كما لم يساورنا اى شك في ان هذا الحادث يمكن ان يتمخض عن نتائج بالغة الخطورة بالنسبة لمصالحكم في الهند ، وبالتالي فاننا لم نكتف بأرسال المعلومات الخاصة بالحرب الى السادة رؤسائنا فحسب بل كشفنا ايضا عن نوايا الحكومة الفرنسية تجاه الهند . "

وقد تم اطلاق سراح الكابتن دى بورج وسمح له بالعودة الى فرنسا عن الطريق الصحراوى حيث وصل البصرة قادما من بومباى على ظهر السفينة " سكستس " في ٢٣/ ٢/ ١٧٧٩م (٢٩) .

---

(٢٩) احمد مصطفى حاكمة : مرجع سبق ذكره ص ١٣٦-١٣٧ نقلا عن خطاب لا توش وابراهام من مركز البصرة الى مجلس الادارة في ٢٣/ ٢/ ١٧٧٩م

وكانت الحرب بين فرنسا وانجلترا قد اضفت اهمية خاصة على الكويت والزبارة ، فقامت الحكومة الفرنسية بارسال اسطول قوى الى مياه الخليج لاعتراض بريد شركة الهند ومهاجمة سفنها ، كما ان هذا الاسطول قد هاجم سفن دول اخرى لنفس الغرض . ولهذا اخذت شركة الهند الشرقية الانجليزية تنقل بريدها على السفن العربية لما توفره لها تلك السفن من أمن .

وكان قد وصل الى الكويت فى نهاية شهر سبتمبر ١٧٧٨ قادما من حلب الماركيز الفرنسى دى كالبرن ، وكان يعتزم السفر الى الزبارة ثم الى مسقط ، وقد ابدت السلطات البريطانية تخوفها من ان يكون المذكور احد الضباط الفرنسيين الذين يعملون فى بوندى شيرى (٣٠) .

وفى عام ١٧٨١ اخذت السفن الفرنسية فى اعتراض طريق سفن البريد البريطانى فى الخليج ، وهاجمت هذه السفن الفرنسية سفنا تابعة لمسقط واستولوا على احداها ، واعتبر هذا الهجوم كدليل واضح على ان الفرنسيين كانوا يعلمون بان البريد الانجليزى ينقل على سفن غير انجليزية (٣١) .

وفى عام ١٧٩٠ م سمح شيخ الكويت لممثلى المركز البريطانى فى البصرة بتفتيش المبعوثين الفرنسيين والبريد الفرنسى الذى كان ينقل بالسفن الكويتية . وقد شهدت التسعينات من القرن الثامن عشر نشاطا فرنسيا واسع النطاق ، فى ارجاء الخليج ، ففى عام ١٧٩٣ نشبت الحرب بين انجلترا

---

(٣٠) احمد مصطفى حاكمة : مرجع سبق ذكره ص١٢٧ نقلا عن خطاب مستر لاتوش وابراهام الى مجلس الادارة بتاريخ ٣١ / ١٠ / ١٧٧٨ م .

(٣١) احمد مصطفى حاكمة : مرجع سبق ذكره ص١٢٩ نقلا عن خطاب لاتوش الى مجلس الادارة بتاريخ ٢٠ / ٧ / ١٧٨١ م .

وفرنسا ، كما ضاعفت فرنسا من نشاطها في الهند والمحيط الهندى ومن جهة اخرى توسع الفرنسيون في استخدام الطريق البرى عبر صحراء الشام والخليج العربى كطريق الى الهند . على ان المبعوثين الفرنسيين والبريد الفرنسي قد اصبحا معرضين للتفتيش من جانب المركز البريطاني في الخليج . وقد ترك الصراع بين فرنسا وانجلترا بصماته على الكويت التي استفادت منه في تجارتها بل ودفع الانجليز الى تمكين نفوذهم في الكويت . ومن جهة اخرى كان صراع الفرنسيين ضد الانجليز في الهند يرمى الى اغلاق طريق الخليج في وجه البريطانيين ، وفتحه امام الملاحة الفرنسية والبريد الفرنسي الى الهند ، ولهذا توافد المبعوثون الفرنسيون على الاقطار المتاخمة للخليج محاولين بذلك كسب صداقتها ورافق هذه الخطوات وصول وحدات من الاسطول الفرنسي الى المحيط الهندى والخليج العربى للقيام بدورات في مياهها ومن خلال هذا الجانب لانشاط الفرنسي في الخليج وقع الاحتكاك بين العتوب والفرنسيين ، وقد استغلت الصداقة التي كانت تربط بين المستر مانستي Manesty وشيخ الكويت عبد الله الصباح لاحباط محاولات الفرنسيين للتعاقد على استئجار سفن العتوب لنقل المبعوثين والطرود البريدية الفرنسية . ويذكر ان شيخ الكويت تدخل لصالح الانجليز حينما رفض الشيخ ابراهيم الغانم ان يسمح باعتقال اثنين من الفرنسيين كانا على ظهر سفينة مبحرة من مسقط الى البصرة رغم المبالغ الكبيرة التي عرضها البريطانيون عليه ، الا انه وافق في النهاية على تسليمهم للبريطانيين حينما يتسلم خطابا بتوقيع شيخ الكويت يطلب فيه تسليم الفرنسيين للانجليز (٣٢) . وفي يناير من عام ١٧٩٣ وصل الى الكويت " السنيور غاليمو فيسانزونيستي " نجل قنصل فرنسا في حلب

(٣٢) تفصيلات هذا الحادث وردت في خطاب مانستي الى رينيوس القرين ( الكويت) بتاريخ ١٠/٧/١٧٩٥م .

وتم القبض عليه من قبل السلطات البريطانية ،الا انه سمح له بمواصلة رحلته الى الهند بعد تفتيشه ولم يعثر معه على اى مراسلات فرنسية، ويبدو أن الشيخ عبد الله الصباح قد استاء من هذا الحادث (٣٣) كما أن العتوب كانوا يقفون موقفا لا يتفق مع رغبة الانجليز من عمليات تفتيش السفن او اعتراض طريقها ، على الرغم من الخدمات العظيمة التي كان يقدمها المركز البريطاني للكويت، وعلى الأخص بعد نقل مركز شركة الهند الشرقية البريطانيـة من البصرة الى الكويت عام ١٧٩٣م.

وكما سبق وذكرنا فانه في عام ١٧٩٠ منح شيخ الكويت للانجليز حق تفتيش السفن الكويتية ومصادرة البريد الفرنسي اذا وجد على ظهرها . وقد وسع الانجليز سلطتهم هذه في ١٣ نوفمبر عام ١٧٩٥ بعد ان اصدر الشيخ عبد الله الصباح امرا بتخويل المقيم البريطاني في البصرة سلطة تفتيش جميع سفن العتوب التي تنقل بريد المبعوثين الاجانب الى البصرة . وقد سهل ذلك للانجليز مهمة عملية مصادرة البريد الفرنسي قبل وصول المبعوثين الفرنسيين الى البصرة والاتصال بالقنصل الفرنسي هناك الا ان الفرنسيين مالبثوا ان تنبهوا الى خطة الانجليز في مصادرة المراسلات ولهذا توقفوا من نقل بريدهم او مبعوثيهم على سفن العتوب خلال السنوات الاربع التي اعقبت ذلك . كما اخذت السياسة الفرنسية تبتعد جزئيا عن منطقة الكويت نتيجة لوجود المركز البريطاني بها فيما بين عامي ١٧٩٣ و ١٧٩٥م . كما ان السياسة الموالية للانجليز التي كان يسير عليها شيخ الكويت حالت دون حصول الفرنسيين على تأييد شيخ الكويت لهم في صراعهم مع الانجليز

---

(٣٣) رسالة من مانستي الى رينوصادرقمن القرين (الكويت) في ١٧/١/١٧٩٥

كما ان احتلال الفرنسيين لمصر ونجاحهم الدبلوماسي في مسقط وبلاط فارس عام ١٧٩٨ لم يبق لهم حاجة ملحة لشيخ الكويت آنذاك (٢٤) . وكانت بريطانيا قد انتزعت جزيرة موريشيس Mauritius عام ١٨١٠م من يد الفرنسيين وهي الجزيرة التي كانت بمثابة القاعدة التي توجه فرنسا منها نشاطها في المنطقة ، وكان ذلك بمثابة الضربة القاضية للنفوذ الفرنسي أو ما بقي منه في منطقة الخليج العربي . وبعد ذلك شغلت فرنسا في السنوات التالية بمشاكلها الداخلية الناتجة عن هزيمتها امام روسيا عام ١٨١٢ ولم يعد لها اى مجال لمتابعة جهودها ومنافستها للوجود البريطاني في المنطقة وتبع ذلك سقوط نابليون ، وظلت بريطانيا وحدها صاحبة السيادة والنفوذ في منطقة الخليج (٢٥) بينما كان النشاط الفرنسي قد تركز في مساندة محمد علي في حروبه في شبه الجزيرة العربية والشام ، ثم انتقل النشاط الفرنسي الى الشام ودار حول قناة السويس وفي البحر الاحمر ثم في نهاية القرن التاسع عشر في مسقط . وقد ظل النشاط الفرنسي بعيداً عن الكويت قرابة القرن اى طيلة القرن التاسع عشر .

وعلى الرغم من ان انجلترا قد وضعت الكويت تحت حمايتها الكاملة منذ عام ١٨٩٩ الا انها كانت لا تكاد تشعر باى حركة او وجود فرنسي باى صورة من الصور الا وينتابها الفزع والقلق الشديد ، ويدل على ذلك الرسالة التي بعث بها قائد السفينة الانجليزية ردبرست Redbreast من البصرة في ١٣ اكتوبر والتي جاء فيها : "ان سفينة الذخيرة الفرنسية " دروم " Drom غادرت ميناء البصرة يوم ١٢ أكتوبر ١٩٠٠ وعلى ظهرها

---

(٢٤) احمد مصطفى ابو حاكمه : مرجع سبق ذكره ص١٩٠-١٩٣ .

(٢٥) جورج كيرك : موجز تاريخ الشرق الاوسط ( ترجمة عمر الاسكندري ) ص ١١٥ .

نائب القنصل الفرنسى الذى ينوى العودة على سفينة اخرى صغيرة، علـــى حين تواصل السفينة " د روم" رحلتها الى بوشهر والبحرين ولنجا وبندر عباس ومسقط ثم عدن حيث تنتظر اوامرها من فرنسا (٣٦).

وحينما علمت السلطات البريطانيةفي المنطقة ان السفينة الحربيـــة الفرنسية د روم تتجه الى الكويت سارعت فى اتخاذ الاجراءات اللازمة لكشـــف الهدف من تلك الرحلة واحيط جميع القادة البحريين البريطانيين فى المنطقة لمتابعة ومراقبة سير السفينة المذكورة، وقد ابلغ الكابتن ماركوس Marcus قائد السفينة الحربية البريطانية رد برست Redbreast السلطـــات البريطانية فى الخليج بانه لو علم مسبقا بان السفينة د روم ستتجه الى الكويت لسار فى اتجاه مصب النهر ( شط العرب) ليصل الى الكويت قبلها ، ولكـن لانه لم يكن فى وسعه ان يصل قبلها ، فانه لم يحاول ان يصل بعدها حتـى لا يفسر ذلك بانه عمل تجسس ضد السفينة الفرنسية.

ولدى وجود السفينة الحربية الفرنسية فى البصرة قام القنصل البريطانى مستر شيبلى Shipley بتقديم بعض المساعدة لقائد السفينة الكابتـــن ميرتل Martel وذلك بتيسير وجود مترجم لترتيب زيارات الكابتـــن الفرنســـى الرسميـــة للسلطات العثمانية بالمدينة ، وكان ذلك قبل وصول القنصل الفرنسى من بغداد ، وبالطبع لم تقدم تلك المساعدات للكابتن الفرنسى بدون مقابل ، فقد عملت السلطات البريطانية على استغلال تقديـــم تلك المساعدة للحصول على اكبر قدر ممكن من المعلومات عن الخطط الفرنسيـة فى المنطقة.

---

(٣٦) الوثائق البريطانية: رسالة الكابتن ماركوس قائد السفينة رد برســـت رقم ١٥٢ وتاريخ ١٣ اكتوبر عام ١٩٠٠م، F.O. Adm. 127-23-07258

ويبدو ان فرنسا ببعثها للسفينة الحربية دروم كانت تهدف الى جمـع معلومات كاملة عن الخليج واعداد تقارير مفصلة عن كل اقليم من الاقاليم. ورأت ان تتخذ من مسألة السفن الصغيرة العاملة في المنطقة والتي ترفـع العلم الفرنسي والتفتيش عليها كغطاء لجمع تلك المعلومات. ويؤكد ذلك ان السلطات البريطانية قد اكتشفت ان قائد السفينة دروم ليس شخصا عاديا بل هو ضابط تدريب بلوماسي بارع ، كما توصلت السلطات البريطانية الى حقيقـة هامة وهي ان زيارة السفينة الحربية الفرنسية دروم هو بداية لزيارات كثيـرة ستقوم بها السفن الحربية الفرنسية للخليج بحجة الاشراف على السفـن الصغيرة التي ترفع العلم الفرنسي (٣٧).

وخلال عامي ١٩٠٢، ١٩٠٣ اخذت السفن الحربية الفرنسية تصل الى منطقة الخليج العربي باعداد اكبر من ذي قبل ،وتعرج على مينـاء الكويت بين وقت وآخر للزيارة. . وكانت بريطانيا ترقب حركة السفن الفرنسية في المنطقة وخاصة حينما تقترب من شواطيء الكويت. ومع ان هذه الزيارات لم تؤثر على الوضع الداخلي في الكويت الا انها اقلقت بريطانيا وجعلتها تنزل بكل ثقلها لتأكيد نفوذها في الخليج العربي ، فقام الحاكم العام للهنـد اللورد كيرزون Curzon بجولة في الخليج زار خلالها الكويت وقلد شيخها وشاح نجمة الهند بعد منحه لقب سير وذلك عام ١٩٠٣م ،وقد تمكنت بريطانيا عام ١٩٠٤ من الحصول على موافقة شيخ الكويت باقامة مكتب بريد لها ومنعـه عن سواها ، وتبع ذلك وصول اول وكيل سياسي لبريطانيا في الكويت (٣٨).

---

(٣٧) الوثائق البريطانية: تقرير قائد السفينة الحربية البريطانية رد برست رقم ١٥٣ وتاريخ ٣/١٠ اكتوبر عام ١٩٠٠

F.O. Adm. 127-23-07258

(٣٨) Dickson, H.R.P.: op. cit., p. 140.

وكانت بريطانيا وفرنسا قد توصلتا عام ١٩٠٤ الى ابرام " الاتفاق الودى " Entente Cordiale نتيجة لازدياد خوفهما من سياسة التوسع الالمانية، ووضعتا بهذا الاتفاق حدا لتنافسهما وصراعهما في منطقة الشرق الاوسط كلها (٣٩) الا ان بريطانيا ظلت تدعم مركزها في الكويت يوما بعد آخر لتسد كل المنافذ في وجه منافستها فرنسا او سواها من الدول الاخرى الى ان نالت الكويت استقلالها عن بريطانيا عام ١٩٦١م.

ونحن اذ نطوى هذه الصفحات من التنافس والصراع البريطاني الفرنسي في منطقة الخليج العربي فانه يهمنا ان نوضح ان التحركات الفرنسية في المنطقة لم تكن للنزهة ولكنها كانت محاولة لايجاد نقطة ارتكاز لها تتمكن منها من منافسة بريطانيا وزعزعة وجودها في المنطقة لكن المحاولات الفرنسية المتكررة لم تحقق اى نتائج ايجابية نظرا لوضع فرنسا المالي واتجاهها نحو استعمار شمال افريقيا .

## ثانيا- قطـــر :

### ١ - قطر قبل تسلم آل ثاني السلطة بها :

ليس من خطة هذا البحث ان نسعى الى تتبع تاريخ اقاليم شبه الجزيرة العربية منذ القدم فنحن نرجع بتاريخ اى اقليم كبداية للانطلاق صعودا الى القرن التاسع عشر من الفترة التي نعتقد انها تقترب من القرن التاسع عشر وبداية لفترة مميزة في تاريخ ذلك الاقليم، فبالنسبة لقطر فسنتجاوز الخوض في البحث عن تاريخه القديم ونكتفي بأن نلقي نظرة سريعة على الفترة المباشرة لتسلم آل ثاني السلطه بها .

---

(٣٩) جورج كيرك : مرجع سبق ذكره ص٢١٤ .

ويرجع كثير من المؤرخين المحليين ارتباط آل خليفة بقطر الى الهجرة الكبيرة التي قام بها العتوب من أواسط شبه الجزيرة العربية، والتي مروا خلالها بقطر حينما كانت تخضع لسلطة ال مسلم ( وهم من بني خالد ) الذين فقدوا نفوذهم بعد وصول آل خليفة الى قطر عام ١٧٦٦م وبعد نمو الزبارة بسنوات قضوا زمنا هناك ثم واصلوا مسيرتهم حتى الكويت(٤٠) وبعد ان قضى آل خليفة فترة من الزمن في الكويت يشاركون في حكمها مع آل صباح والجلاهمة جاءت القلاقل من شبه الجزيرة العربية وفارس والعراق العثمانيين، ودفعت بمجموعات كبيرة من العتوب( آل خليفه) الى الجلاء عن الكويت وانشاء مستقر لهم في قرية الزبارة بقطر وذلك في عام ١٧٦٦ م ونمت مدينة الزبارة بشكل سريع و وقت قصير جدا قدر بعشر سنوات وضع آل خليفة فيها كل تجارتهم لانعاش هذا الميناء الذى اصبح منافسا لموانئ العقير والقطيف على ساحل الاحساء(٤١) وفي عام ١٧٨٢ ادى الاشتباك بين آل خليفة والجلاهمة من جهة وجيوش ثلاث دول هي ابوشهر وبندرق والدورق من جهة اخرى الى احتلال العتوب للبحرين. الا ان الشيخ خليفة لم ينقل مقر الحكم من الزبارة الى البحرين بعد استيلائه على الجزيرة مباشرة وانما عاد الى الزبارة بعد أن خلف احد اقاربه على البحرين(٤٢) وبعد وفاة الشيخ خليفة عام ١٧٩٦م، خلفه في الحكم ابنه الذى حكم البحرين وقطر حتى عام ١٨٢٥م. وكانت الزبارة مقرا آل خليفة في قطر قد اخذت منذ عام ١٧٩٥ تتعرض للهجمات

---

(٤٠) عبد العزيز محمد المنصور: التطور السياسي لقطر في الفترة ما بين ١٨٦٨ - ١٩١٦ ص ٣٤.

(٤١) احمد مصطفى ابو حاكمه : تاريخ شرقي الجزيرة العربية ص ٩٥-٩٨

(٤٢) محمد خليفة النبهاني : التحفة النبهانية في امارات الجزيرة العربية الجزء الاول ( خاص بآل خليفة بالبحرين) ص ١٢٧.

السعودية عليها بسبب ايوائها للفارين من احتلال السعوديين للأحساء .
وقد أمر الشيخ سليمان آل خليفة حاكم الزبارة رجال الحامية فيها باخلائها وتدميرها ، وهاجر اهل الزبارة من العتوب الى البحرين (٤٣) الا انهم مالبثوا ان عادوا اليها عام ١٨٠٠ حينما هاجم سلطان مسقط البحرين عام ١٧٩١، ١٨٠٠ وتمكن في الحملة الثانية من احتلالها ، وحينما عاد الفارون الى موطنهم الاصلي في الزبارة استنجدوا بالوهابيين (السعوديين) وفي عام ١٨٠١ استعاد آل خليفة من العتوب بمساعدة السعوديين البحرين (٤٤) .

## ٢ - قطر ووصول آل ثاني للسلطة بها :

اشتغل آل ثاني منذ استقرارهم في مدينة الزبارة بتجارة اللؤلؤ فقد كان " ثاني " جد الاسرة التي تنتسب اليه من تجار اللؤلؤ المشهورين ، وتلك الثروة جعلتهم يسيطرون على القبائل ، ومنحتهم مركزا مميزا بالنسبة للقبائل الاخرى . واصبح محمد بن ثاني حاكما للدوحة من قبل آل خليفة .
وكان في نفس الوقت قد اصبح وكيلا لامام السعوديين في قطر ومسئولا عن جمع الضريبة من القبائل القطرية وبعثها للرياض في الفترة مابين ١٨٥١ - ١٨٦٦م (٤٥) . وكانت الدولة السعودية الثانية بزعامة فيصل بن تركي آل سعود قد تمكنت من احتلال قطر عام ١٨٥١ وطالب القائد السعودي (السديري) حكومة البحرين بمتأخرات الجزية التي كانت تدفعها عن نفسها وعن قبائل شبه جزيرة قطر ايضا . وفي الستينات من القرن التاسع عشر تعددت ثورات قبائل قطر ضد حكومة البحرين ، وكان سببها المكوس المقرره على القبائل رغم فقر

---

(٤٣) احمد مصطفى ابوحاكمه : مرجع سبق ذكره ص٩٩ - ١٠٠ ، نقلا عن لمع الشهاب ص ١٠٣ ويعتبر هذا الكتاب الوحيد الذي اوردانباء زحف الوهابيين ( السعوديين ) على الزبارة وبقية قطر .
(٤٤) احمد مصطفى ابوحاكمه : نفس المرجع ص١٠٠ ، نقلا عن ابن بشر مجلد ١ ص١٢١
(٤٥) عبد العزيز محمد المنصور : مرجع سبق ذكره ص٢٤ .

البلاد . وفي سنة ١٨٦٦ تجمعت معظم قبائل قطر تحت قيادة محمد آل ثاني الذي كان يعمل جامعا للضرائب لحساب آل خليفة ، ولكن نظرا لعدم وفائه بجميع الالتزامات بعث محمد آل خليفة احد اقاربه للقيام بهذه المهمة ، ولذا عم السخط شبه جزيرة قطر واضطرت حكومة البحرين الى الاستعانة بأبو ظبي احيانا وبحكومة الرياض احيانا أخرى ، واتسع نطاق القتال مما اعطى لبريطانيا الفرصة للتدخل في النزاع ، واعتبرت تدخل البحرين منافيا لمعاهدة سنة ١٨٦١م . وتوسطت لتنظيم العلاقة بين البلدين على اساس ان يدفع آل ثاني مبلغا معينا للبحرين نيابة عن قبائل النعيم ، ويجوز ان يدفع مكوسا اخرى لحكومة الرياض نيابة عن القبائل التي تسلم بالولاء له .

ولا يعني ذلك تبعية قطر لاى من الحكومتين (٤٦) وهكذا تم لقطر الانفصال عن البحرين بتوقيع معاهدة عام ١٨٦٨م مع دفع ضريبة سنوية لشيوخ البحرين ولكن هذا الاستقلال الذي حصلت عليه قطر كان يعكره وجود الاتراك في الدوحة سنة ١٨٧٢ والذي كان يمثل احتلالا مباشرا للامارة الا ان الاتراك اطلقوا يد آل ثاني لمزاولة السلطة وادارة شئون الامارة ومن مدينة الدوحة بدأت سلطة آل ثاني تمتد الى المدن القطرية الأخرى كالوكره وغيرها (٤٧) .

٣ - علاقة قطر بجيرانها :

تتلخص علاقة قطر بجيرانها في :-

١ - علاقاتها بالكويت: كانت عدائية اتسمت بالمناوشات وخاصة في عهد شيخها مبارك الصباح .

---

(٤٦) الدكتور صلاح العقاد : التيارات السياسية في الخليج العربي ص ١٦٥-١٦٦ .

(٤٧) عبد العزيز محمد المنصور : مرجع سبق ذكره ص ٤٢ .

٢- علاقاتها بالبحرين : كانت سيئة نظرا لمطالبة البحرين بمدينة الزبارة وبكل التراب القطرى ومساعدة حكام البحرين لكل خارج عن الحكم فى قطر او مناوئ له من الخارج .

٣- علاقاتها مع ابو ظبى : متوتره بسبب الخلاف حول حدود خور العديد الأمر الذى جعل البلدين يشتبكان فى حروب استمرت اكثر من عشر سنوات .

٤- علاقاتها بنجد : كانت علاقة تعاون مع ابن رشيد حاكم حائل فى مشروع فتح عمان ، ولم يتحقق بسبب موقف بريطانيا .

اما علاقاتها مع الدولة السعودية فهى ودية ، ثم تخوف من ابتلاع السعودية لها بعد سقوط الاحساء عام ١٩١٣ فى يد الملك عبد العزيز آل سعود (٤٨) .

٤ - علاقة قطر ببريطانيا :

بدأت علاقة قطر ببريطانيا كما ذكرنا سابقا ، حينما اتسع نطاق القتال بينها وبين البحرين الأمر الذى اعطى لبريطانيا فرصة التدخل فى النزاع، وتوسطت لتنظيم العلاقة بين البلدين ووقعت معاهدة عام ١٨٦٨ والتى كانت بمثابة وثيقة استقلال لقطر. وقد ارادت بريطانيا بعد معاهدة ١٨٦٨ والتى ساعدت على ابرامها وقيام هذه الامارة، استغلال هذه الفرصة لربط قطر بعجلة نظام الهدنة*. الا ان الخطط البريطانية لم توفق فى الاحتفاظ بالنفوذ على قطر مثل المشيخات الأخرى ، ففى العام التالى لقيام امارة قطر

---

* هو عبارة عن نظام وضعته بريطانيا لضمان الهدوء فى البحر تلتزم به جميع المشيخات المطلة على الخليج العربى . وقد بنى هذا النظام على اساس معاهدة سنة ١٨٥٣ المعقود بين بريطانيا وشيوخ الساحل المتصالحين التى تنص على حفظ السلام بين الدول البحرية فى نزاعاتهم .

(٤٨) عبد العزيز محمد المنصور: مرجع سبق ذكره ص٢٢ .

انتزع قاسم ال ثاني السلطة من أبيه، ورأى ان يتخلص من اعباء الضرائب التي تثقل قبائل شبه الجزيرة القطرية، ووجد في العثمانيين حلفاء طبيعيين يحمونه من اطماع آل خليفة الذين ارتبطوا ارتباطا اوثق بمعجلة بريطانيا (٤٩) ود فعت بريطانيا - التي ازعجها ان ترى القوة التركية تزحف الى مناطق تعتبرها من مناطق نفوذ ها - بحاكم البحرين لا ن يد خل في علاقة جديدة * مع قطر، وان كانت بريطانيا في نفس الوقت اعتبرت مطالبة شيخ البحرين بمدينة الزبارة في قطر ورقة رابحة لها تستغلها في الوقت المناسب، على اساس انها حامية للبحرين . وتد هورت العلاقات بين بريطانيا وقطر بسبب مشكلة الرعايا البريطانيين في قطر، وذلك حينما فرض الشيخ محمد بن ثاني عام ١٨٧٥م ضرائب جديدة واعتبران تلك موجهة لمضايقة الرعايا البريطانيين . الا أن المسئولين البريطانيين في المنطقة على مايبدو كانوا على صلة بالشيخ محمد بن ثاني ويتضح ذلك من التقرير الذي قدمه المقيم البريطاني في الخليج ( روس ) والذي اوضح انه بان الشيخ ثاني كان جادا في صداقته مع بريطانيا وبالتالي فان من حقه ان لا يدعو لاعفاء التجار البريطانيين من نفس المكوس المحلية المفروضة على سكان البدع ( او البدعه ، وهي مدينة قريبه من الشاطئ في قطر) الا ان تطور هذه المشكلة وقيام الشيخ محمد بن ثاني بطرد التجار البريطانيين بعد اغلاق محلاتهم في مايو عام ١٨٨٢ استدعى قيام الكولونيل " روس" المقيم البريطاني في الخليج بزيارة الدوحة وعرض على الشيخ شروطه التالية : " ١- ان يقدم اعتذارا للحكومة البريطانية ٢- وان يدفع تعويضا للتجار الهنود البريطانيين، ٣- وان يسمح لهم بالعودة للاستقرار في الدوحة. وقد وافقه شيخ قطر على تنفيذ كل هذه الشروط المعروضة عليه في ديسمبر من عام ١٨٨١م (٥٠) .

---

* على اساس انها امارة مستقلة، ويلتزم ال ثاني بدفع مبلغ معين للبحرين عن قبائل النعيم.

(٤٩) الدكتور صلاح العقاد : مرجع سبق ذكره ص١٦٦ .

(٥٠) عبد العزيز محمد المنصور: مرجع سبق ذكره ص٩٥-٩٦ .

ثم حدث نزاع حول تبعية المنطقة غير المطروقة والمعروفة بخـــور العديد التي كانت بريطانيا قد اعتبرتها في اتفاقية ١٨٦٨ منطقة تابعـــة لقطر، الا ان المصالح الانجليزية املت عليهم بعد ذلك تغير موقفهم بعد مجيء العثمانيين واتصالهم بشيخ القبيسات* ورأى بيلي Pelly المقيم العام البريطاني ان الحيطة تقضي ان يكون خور العديد جزءًا من ابوظبي، وقد عرف الشيخ زايد ابن خليفة حاكم ابو ظبي هذه المخاوف الانجليزيـــة واستغلها فادعى بان الترك راسلوه مطالبين بخور العديد وانهم ارسلـــوا علما عثمانيا الى بطي بن خادم شيخ القبيسات الجديد (٥١) .

وكان شيخ قطر قاسم بن محمد بن ثاني قد بعث برسالة الى الشيـــخ زايد ابن خليفة حاكم أبو ظبي يقول له فيها :" بانه قد تلقى أوامر من الباب العالي بالقسطنطينية وكذلك من والي بغداد ووالي البصرة ومتصرف الحســا بناء العديد وانستعلم انني لا اتصرف الا بأوامر الله وبعد ذلك بأوامـــر الحكومة التركية" . وارفق برسالته هذه رسالة من محمد بك قائد السفينـــة زحاف Zohaff للرد عليها (٥٢) .

وقد ورد في رسالة قائد السفينة التركية" زحاف" مايلي :-" تلقـــت سلطات قطر في هذه المناسبة أوامر من البصرة ومن متصرف الحسا لا صـــلاح

---

* كانت قبيلة القبيسات تسكن خور العديد ـ وقد تطلع شيخها خادم بن نهيمان الى تكوين امارة مستقلة اسوة بجيرانها ، ويذكر ان هـــذه القبيلة قد هاجرت الى خور العديد من ابو ظبي .

(٥١) الدكتور صلاح العقاد : مرجع سبق ذكره ص١٨٨ ، نقلا عن عـــرض السعودية ج١ ص١٤٢-٥٥٢ وهو الخاص بمشكلة الحدود ومطالبـــة السعودية بخور العديد .

(٥٢) رسالة الشيخ قاسم بن محمد بن ثاني بتاريخ ٢٦ يونيو ١٨٨٦م F.O. 602-2-08230.

وبناء العديد ، كما بعث والى البصرة سعادة علي رضا باشا امرا رسميا الى القائمقام الشيخ قاسم بن ثاني في قطر بشأن هذا الموضوع وبما يتفق والأوامر الموضحة اعلاه ، وبعد بضعة ايام سيتم ارسال بعض الاشخاص لبناء العديد ، ولا ينبغي ان يقع اى تدخل من جانبكم باية حال او بتوجيه منكم ، واذا صدر منكم اى تصرف معارض فسوف تكون مسئولا امام الحكومة التركية ، وانا انقل هذه التفصيلات اليكم في رسالتي "(٥٣) . وقام الشيخ زايد بن خليفة حاكم ابو ظبي باحاطة المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي بمضمون رسالة قاسم بن ثاني وقائد السفينة التركية زحاف ، وقال له :

" ولعلكم لا توافقون على اعتداءاتهم على اراضينا كما حددتها الحكومة البريطانية . واذا نفذوا ما في نيتهم ، فان أحداثا خطيرة لا شك ستقع في البر والبحر ، حيث ان قاسم بن ثاني رجل عدواني ، ولن يكف عن اعماله المؤذية الا اذا لقي الردع والمنع من جانبكم ، لان الاتراك ليس لديهم نظام أو ترتيب في شئونهم ، وربما يرتكبون فعلا مشئوما . وارجو بناء على ذلك ان تفيدوني بوجهة نظركم . ولن اسمح لاحد ببناء اى شيء في نطاق سلطاتي ، او أن يقوم باى حركة ، ولم ارسل اليهم اى رد في انتظار رأيكم"(٥٤) وعلى أثر تلق المقيم البريطاني لهذه الرسالة . بعث الكولونيل س.ب مايلز Miles المقيم السياسي بالبصرة الى المقيم السياسي في البلاد العربية التابعة لتركيا برسالة قال فيها : بالاضافة الى ما سبق أن بعثته ، ترجمة رسالة موجهة الي من شيخ ابو ظبي - زايد بن خليفة يقول فيها انه تلقى رسالة من قائد السفينة التركية " زحاف " Zohaff الراسية الآن في البيضاء .

---

(٥٣) الوثائق البريطانية : رسالة قائد السفينة التركية " زحاف " بتاريخ ٢٦ يونيو ١٨٨٦م F.O. 602-2-08230.

(٥٤) الوثائق البريطانية : رسالة الشيخ زايد بن خليفة الى المقيم السياسي البريطاني بتاريخ ١١ يوليو ١٨٨٦م F.O. 602-2-08230.

واني أرى انه مما يساعد على تجنب المضاعفات ان توجه تعليمات الى القائد التركي كي يمتنع عن مثل هذا التدخل وعن الاتصال بالشيخ زايد بن خليفة مستقبلا" (٥٥) ويبدو ان المقيم السياسي في بلاد العرب لم يكن يعرف تماما ما اذا كان من حق الحكومة العثمانية توجيه الأوامر والتعليمات لحاكم ابو ظبي ام لا ؟ ولذلك فاننا نجد ان المقيم السياسي في بلاد العرب يكتب رسالة الى القنصل البريطاني في البصرة يطلب اليه تقديم تقرير بالنقاط الاتية :-

١) الموقف السياسي لشيخ ابو ظبي تجاه الحكومتين البريطانية والعثمانية .
٢) الاحداث الجارية التي نشأت عنها علاقة الملازم كول ميلز Coll Miles الحالية .
٣) مدى ما في الحال من خداع .

وذكر في هذه الرسالة بان هذه المعلومات مطلوبة للاستفادة منها في توجيه تقرير استخباري حول الموضوع كله الى السفارة البريطانية في الاستانة حيث انه لا يستطيع ان يعتمد على مضمون رسالة الضابط كول ميلز، وطلب ايضا بأن النقطة التي ينبغي ان يؤكد عليها بوضوح هي ما اذا كان من حق الحكومة العثمانية ان توجه الأوامر الى الشيخ بن خليفة او تتصل به او لا وهذا أمر مطلوب رأيك فيه الان (٥٦) ( أي رأي القنصل بالبصرة ) وقد رد القنصل البريطاني في البصرة Mer على تلك الرسالة وجاء في الرد : "أن ابو ظبي هي الولاية الواقعة في اقصى الغرب بين الولايات الست العربية المستقلة

---

(٥٥) رسالة اللفتنانت كولونيل س. ب مايلز الى المقيم السياسي في البلاد العربية رقم ٢٢٧ في ٧ اغسطس ١٨٨٦م F.O. 602-2-08230.
(٥٦) رسالة المقيم السياسي في بلاد العرب الى القنصل البريطاني في البصرة رقم ٤٠١ في ١٤ اغسطس ١٨٨٦م F.O. 602-2-08230.

على الساحل الجنوبي للخليج الفارسي ، والتي ترتبط جميعها بمعاهدة مع الحكومة البريطانية للحفاظ على الأمن البحري للخليج وللتعاون في قمع تجارة الرقيق ، وذلك في مقابل تمتعها جميعا بالحماية الفعلية والاشراف من جانب المقيم السياسي في الخليج الفارسي . ولم يكن للاتراك اي علاقات مع "ابو ظبي" كما انه ليس لهم اي مطلب في ملكيتها سوى مايدعونه من ان لهم السيادة على كل شبه الجزيرة العربية .

البدعه Al Bida وهي المدينة الرئيسية في "قطر" الواقعة فى اقصى الجنوب على ساحل الخليج الفارسي حيث توجد للاتراك سلطة اسمية ووضع قاسم بن ثاني شيرالشك ، فعلى حين عينه الاتراك في وظيفة "قائمقام" او "نائب الحاكم" ، كان المقيم السياسي في الخليج الفارسي لا يزال يتعامل معه بوصفه حاكما مستقلا .

وكانت مطالب حكام ابو ظبي" والبدعة" في خور العديد Al-Adaid موضوع مكاتبات بينهم وبين المقيم السياسي البريطاني ، وقد اقرت الحكومة البريطانية وحكومة الهند ان" العديد " ملك لامارة ابو ظبي ، وقد نقل هذا القرار اكثر من مرة الى حاكم" البدعة" Al-Bida وعندما كنت مساعدا" للمقيم فى الخليج الفارسي منذ سنة، تلقيت تعليمات بأن أزور البدعة على السفينة البريطانية" ريندير" ـ Raindeer ـ وأبلغ الشيخ قاسم بن ثان ان اية محاولة من جانبه لاحتلال العديد ستجعله موضع عدم رضاء الحكومة البريطانية ، وقد ابلغته ذلك بعبارات واضحة ، وقد أقر الشيخ قاسم باذعانه لهذا المنع . وفيما يتعلق بالرسالة التي كتبها قائد السفينة التركية زحاف Zohaff الى حاكم ابو ظبي ويشير فيها الى ان والي البصرة قد أمر باعادة بناء العديد ، فقد عرضت نسخة من النص العربي لها ـ هذا

هذا الصباح على سعادة الاميرال على رضا باشا القائم باعمال الوالـــــى ، وابلغنى سعادته انه فيما يتعلق بأمره باعادة بناء المديد فانه لم يسمـــــع بهذا المكان ابدا ، وقال انه سيستدعى قائد السفينة التركية المذكـــــورة ليسأله عن الكذب الذى تضمنته رسالته ، واخلاله بواجبات وظيفته باتخاذه مثل هذا الاجراء بكتابة الرسالة دون تفويض خاص وبعد ذلك قال سعادته انه سيرسل أوامر الى متصرف الحسا والشيخ قاسم بن ثانى ليمنعهم مــــن اتخاذ اى خطوات نحو احتلال المديد ." (٥٧) .

وهكذا اصبحت قطر حقلا خصبا للصراع الانجليزى العثمانـــى .. وتعرضت موانىء قطر وتى اكثر من مرة لمدافع الاسطول البريطانى ، وســـاءت العلاقات بين قاسم بن ثانى وبين الانجليز حتى سحبت الجالية الهندية من قطر سنة ١٨٨٧ واخيرا دمر الاسطول البريطانى ميناء الزبارة سنة ١٨٩٥م فاندثر منذ ذلك الوقت. ولم تفعل الدولة العثمانية اكثر من الاحتجـــاج بالطرق الدبلوماسية الامر الذى جعل قاسما يتحول بالتدريج عـن ولا ئـــه للعثمانيين .(٥٨) عندما حاول العثمانيون ايجاد منافس لشيخ قطر مثلا فـــى محمد بن عبد الوهاب خلال سنتى ١٨٨٦ ، ١٨٨٧ ، ثم تطور الأمر بعـــد أن فشلوا فى مشروع ابدال شيخ قطر ( الذى اصبح يتجه الى بريطانيا ) الى طرح مشروع سنة ١٨٨٨ اقترحه والى البصرة وحاول تطبيقه متصرف الاحســاء عام ١٨٨٩ الى سنة ١٨٩١م وهو اقامة ادارة تركية مباشرة فى قطر وانشـاء دار للعوائد الجمركية . ولقد قوبل هذا المشروع بتمرد قطرى افسد خطـــة

---

(٥٧) الوثائق البريطانية : رسالة القنصل البريطانى بالبصرة الى القنصل العام البريطانى فى بغداد رقم ٢٥٥ فى ٢ سبتمبر ١٨٨٦م
F.O. 602-2-08230.

(٥٨) الدكتور صلاح العقاد : مرجع سبق ذكره ص ١٨٩ .

الاتراك ، وامام الضغط التركي المستمر التجأ حكام قطر الى بريطانيا وطلب الحماية منها . وان كان اتجاه شيخ قطر الى بريطانيا قد بدأ فعلا منذ عام ١٨٨١م . وطلب شيخ قطر من بريطانيا عام ١٨٩٣ (عقد معاهدة مشابهة لما تم عقده مع شيوخ عمان المتصالحين ، ولكن بريطانيا لم توافق على ذلك الطلب (لأنها كانت ترى انه مجرد مناورة من شيخ قطر ضد الاتراك) وحينما زار الملازم روبنس Robense مدينة الدوحة عام ١٨٩٨ بأمر من حكومة الهند طلب اليه شيخ قطر نقل رغبته في الارتباط بالحكومة البريطانية ، وكرر ذلك الطلب في نوفمبر عام ١٨٩٩ في لقائه بالوكرة مع الكولونيل ميد المقيم السياسي في الخليج العربي ، ولكنه لم يستجب لطلبه ، وفي عام ١٩٠٠ بدأ في مراسلة ممثل بريطانيا في البحرين . وفي عام ١٩٠٢ بعث شيخ قطر احمد بن ثاني برسالة الى "جاسكين" مساعد الوكيل السياسي في البحرين وحدد في رسالته ما يستطيع تقديمه لو دخل الحماية البريطانية . ورفعت حكومة الهند الأمر الى الحكومة البريطانية ، وكانت وجهة نظر حكومة الهند ان المصالح البريطانية انما هي في جانب ابرام معاهدة مع الشيخ احمد بن ثاني . ولكن اغتيال الشيخ احمد بن ثاني في ديسمبر سنة ١٩٠٥م غير الموقف ، حيث نال الامارة الشيخ عبد الله بن قاسم آل ثاني والذي لم يطلب الحماية من بريطانيا لعدة سنوات(٥٩) . بقي الموقف متأرجحا حتى قيام الحرب العالمية الأولى . وفي ٢٩ يوليو عام ١٩١٣ ابرمت بريطانيا والدولة العثمانية اتفاقية بشأن الخليج ، وكان القسم لثاني منها خاصا بقطر وشمل المادتين الحادية عشرة والثانية عشرة ، وجاء في المادة ١١ "تتنازل الدولة العثمانية عن السيادة في قطر ويحكمها بالوراثة أسرة آل ثاني ، وتتعهد بريطانيا بمنع

---

(٥٩) عبد العزيز محمد المنصور : مرجع سبق ذكره ص. ١٠٠-١٠٧

حكام البحرين من محاولة ضم شبه الجزيرة .(٦٠) وقد أجبر الانجليز العثمانيين على سحب حاميتهم المرابطة في الدوحة عام ١٩١٤ .

وفي ٣ نوفمبر من عام ١٩١٦ ، عقد الشيخ عبد الله بن قاسم ال ثانـــي معاهدة مع بريطانيا ادخلت قطر الى دائرة الحماية البريطانية ، وبذلك تمكن لبريطانيا من ان تجعل منطقة الخليج العربي حسب تعبير اللورد كيـــرزون بحيرة بريطانية (٦١)

واما بالنسبة للمنافسة الفرنسية لبريطانيا فلم تشر مصادر المنطقـــة او مصادر قطر المحلية الى اي علاقة بين قطر وفرنسا .

**ثالثاً البحريـــــن :**

**١ - البحرين قبل حكم آل خليفة :**

البحرين* عبارة عن ارخبيل من الجزر في خليج البحرين الى الشـــرق منها قطر والى الغرب الاحساء . وأهم جزر هذا الارخبيل هي جزيـــرة البحرين . وكان البرتغاليون قد احتلوا البحرين عام ١٥٠٧ ، ولكن العـــرب اخرجوهم منها عام ١٦٠٢ بحملة قدمت من ايران ، وتسرب النفوذ الايرانـــي الى البحرين في اوقات متقطعة بين عامي ١٧٣٥ وحتى ١٧٨٢م(٦٢) .

---

* البحرين : اطلق هذا الاسم في التاريخ الاسلامي على مقاطعة الاحساء .

(٦٠) Hurewitz, J.C.: op. cit., Doc. No. 108, p. 271.

(٦١) عبد العزيز محمد المنصور: مرجع سبق ذكره ص٢٠٧ .

(٦٢) يوسف الفلكي : قضية البحرين بين الماضي والحاضر ص١

ويذكر بان حكم الصفويين كان قد امتد الى البحرين سنة ١٦٠٢ الا انه لم يستقر فيها ، ثم استولى عليها زعيم من الاحساء يسمى الجبرى ، وظلت بحوزة العرب حتى جاء نادر شاه الى الحكم فى فارس ، فشملت اطماعه التوسعية جزر البحرين ، ونادر شاه هو الذى عين اول حاكم للبحرين من آل مذكور . واصبح توارث هذه الاسرة لحكم البحرين بمثابة تعبير عن عصيانهم لحكام فارس ، كما ان السواحل نفسها كانت ترفض الولاء للحكومات الفارسية المركزية .

٢ - احتلال آل خليفة للبحرين :

كان آل خليفة قد هاجروا من الكويت الى الزبارة بقطر فى نهاية القرن الثامن عشر ، وسبق ان اوضحنا هذه الهجرة للزبارة فى بحثنا عن قطر ، وعمل آل خليفة بصناعة الغوص على اللؤلؤ بحكم مواجهة ميناء الزبارة للبحرين وبفضل هذه الصناعة تحول آل خليفة من مجتمع بدوى الى مجتمع رأسمالى دفعة واحدة حتى انهم اصبحوا يقرضون اصحاب السفن التى تشتغل بالغوص نظير احتجاز نسبة من اللؤلؤ ، وتفوقوا فى هذا الميدان على ممثلى حكام الفرس فى البحرين من آل مذكور فكان ذلك سببا لحدوث النزاع الذى ادى بآل خليفة للسيطرة على جزر البحرين (٦٣) .

ولعل تاريخ البحرين الحديث يبدأ بعام ١٧٨٣ حينما قام العتوب باسطول كبير من شبه جزيرة قطر بمحاصرة البحرين حوالى شهرين وفى ٢٩ يوليو من عام ١٧٨٣ تمكنت القوة المحاصرة من الاستيلاء على البحرين

---

(٦٣) محمد بن خليفة النبهانى : التحفة النبهانية فى امارات الجزيرة العربية ، الجزء الاول ( خاص بآل خليفة وتاريخ البحرين ص ٧٠ ) .

واصبحت عربية الحكم منذ ذلك التاريخ (٦٤) ولم ينقل الشيخ خليفة مقر الحكم من الزبارة الى البحرين بعد استيلائه على الجزيرة مباشرة وانما عاد الى الزبارة بعد ان خلف احد اقاربه على البحرين الذى اتخذ من قلعة الديوان بالمنامة مقرا له ولحكم الجزيرة. ثم اصبح من عادة الشيخ احمد ان يقضي شهور الصيف فى البحرين وبقية ايام السنة فى الزبارة الى ان توفى فى عام ١٧٩٦م ودفن بالمنامة وخلفه على حكم الجزيرة نجله سلمان الذى اختار الرفاع مقرا لاقامته ، كما تم فى عهده نقل مقر الحكم نهائيا من قطر الى البحرين ومنذ ذلك الوقت تعرض آل خليفة فى البحرين لاطماع جميع القوى السياسية التى ظهرت حول شواطئ الخليج (٦٥) . وقد هاجم امام مسقط البحرين مرتين فى ١٧٩٩ وفى ١٨٠١م الا انه لم يتمكن من السيطرة عليها واضطر للجلاء عنها (٦٦) بعد ان استنجد آل خليفة بالسعوديين لانقاذهم من قبضة سلطان بن احمد حاكم مسقط، فارسل الامام عبد العزيز آل سعود بقوة تمكنت من طرد قوات سلطان مسقط من البحرين واعادتها الى حكامها آل خليفة ، الا ان الامام سعود بعث بحملة عسكرية أخرى الى البحرين ولكن هذه القوة اتت هذه المرة لا لاجلاء مغتصب لها ولكن اتت لتعديل الاوضاع الداخلية بها ، وذلك بعد ان علم الامام السعودى بالمخالفات التى ارتكبها آل خليفة ، وأسرت القوة السعودية الشيخ سلمان بن احمد بن خليفة واخاه عبد الله وارسلا الى الدرعية. وبعد مدة اطلق سراحهما ، وترك السعوديون البحرين وشأنه اذ داهمهم خطر اعظم هو وصول قوات محمد علي باشا الى

---

(٦٤) عبد العزيز محمد المنصور، التطور السياسى لقطر ص٣٥ .
(٦٥) محمد بن خليفة النبهانى : مرجع سبق ذكره ص١٢٧ .
(٦٦) يوسف الفلكي : مرجع سبق ذكره ص١١ .

الحجاز ، فانشغلوا بمقاومتها عما سواها (٦٧) .

٣ ـ الانجليز والبحرين :

وحينما شعر حكام البحرين ان هناك مؤامرات تحاك ضد وجودهم في البحرين كحكام مستقلين ، بادروا الى استئذان بريطانيا بالسماح لسفنهم ان ترفع العلم البريطاني الذى فرض على مشيخات ساحل عمان ، مما يعني اعترافا ضمنيا بوضعهم كحكام مستقلين عن العثمانيين والفرس وكان هذا الاستئذان ضروريا حتى لا تتعرض تلك السفن للمصادرة من قبل البحرية البريطانية ـ الا ان بريطانيا لم تستطع تلبية طلبهم ، لانها سبق ان وقعت مع فارس معاهدة شيراز سنة ١٨٢٢ * ، وهي تنص على سحب ذلك العلم (٦٨) .

لكن بريطانيا مالبثت ان وجهت اهتمامها الى البحرين حينما وصل المصريون الى الاحساء بل وارسل خورشيد باشا مندوبا عنه الى البحرين وعقد معهم اتفاقا عام ١٨٣٩ م وكان بالمرستون Palmerston وزير الخارجية البريطانية المعروف بعدائه لمحمد على قد لفت نظر حكومة الهند الى مسألة اقتراب المصريين من البحرين خاصة ومن الخليج عموما وذلك في نوفمبر عام ١٨٣٨ . فوجهت حكومة الهند على اثر ذلك القائد العام للاسطول

---

* هذا الاتفاق عقد مع حاكم شيراز في اغسطس سنة ١٨٢٢ وهو يتضمن اعتراف بريطانيا بسيادة فارس على البحرين ، الا ان هذا الاتفاق لم يوقع من قبل حكومة بومباى ، بل انها قامت بعزل المقيم العام البريطاني بروس من منصبه بسببها ، كما ان الشاه لم يوقع هذا الاتفاق حيث قيل ان حاكم شيراز تفاوض بدون استشارته .

(٦٧) امين سعيد : الخليج العربي تاريخه السياسي ونهضته الحديثة ص ٦٦ ـ ٦٧ .

(٦٨) الدكتور صلاح العقاد : مرجع سبق ذكره ص ٤٤ .

البريطاني في الشرق ، السير متلند الى منطقة الخليج ، وقبلت بريطانيا ان تبسط حمايتها على البحرين اذا طلب شيخها ذلك ، وبعد ان كانت ترفض ذلك في السابق . وما ان وصل القائد البريطاني الى الخليج في يوليـــو ١٨٣٩ بادر الشيخ عبد الله آل خليفة شيخ البحرين الى ابلاغ خورشيد باشا شفاهة بتراجعه عن اتفاق مايو عام ١٨٣٩م (٦٩) .

وفي الوقت الذي كانت فيه فارس تدعي السيادة على البحرين كانت بريطانيا تتعامل مباشرة مع رؤساء البحرين على انهم حكام مستقلون . وبناء عليه عقدت مع محمد بن خليفة اتفاقا بشأن حظر تجارة الرقيق عام ١٨٤٧ (٧٠)

وعندما حدث النزاع على السلطة بين عبد الله بن خليفة ومحمد بن خليفة ، والتجأ محمد بن عبد الله المطالب بالسلطة في البحرين الى الامام فيصل بن تركي زعيم السعود بين واعلن نفسه تابعا له واستعد لغزو البحرين وقفت بريطانيا الى جانب عبد الله بن خليفة الأمر الذي جرها الى موانيء الاحساء الجنوبية اكثر من مرة وخاصة ميناء الدمام الذي اتخذ منه محمد بن عبد الله آل خليفة مقرا له . وقد دمر الاسطول البريطاني هذا الميناء الصغير سنة ١٨٥٩م وذلك حينما قام محمد بن خليفة بمحاولة جديدة لغزو الجزر (٧١) . وعلى اثر تذبذب وضع حاكم البحرين محمد بن خليفة وحيرته في امره بين الفرس والترك حتى اخذ يرفع العلم التركي حينا والفارسي حينا آخر . قررت بريطانيا في ٢٨ فبراير عام ١٨٦١ انه لا بد من اعــلان

---

(٦٩) الدكتور صلاح العقاد : مرجع سبق ذكره ص ٥٤ نقلا عن Gazeeter of the Persian Gulf, p. 864.

(٧٠) Admiyat, "Bahrein Islands", p. 131.

(٧١) الدكتور صلاح العقاد : نفس المرجع ص ١٥٨ .

البحرين امارة منفصلة عن الدولة المجاورة، وبذلك اتخذت بريطانيا الخطوة الحاسمة التي كانت تتردد في اتخاذها منذ عام ١٨٤٠م ، ووقعت معاهدة مع حاكم البحرين في ٣٠ مايو عام ١٨٦١ وهي بمثابة تطبيق لاتفاقيات الهدنة التي سبق عقدها مع مشيخات الساحل بالنسبة لجزر البحرين ، يضاف الى ذلك الامتيازات القنصلية والقضائية التي ادخلت من قبل في مسقط ولكن البحرين لم تصل بعد الى نظام الحماية الرسمي(٧٢) وفي عام ١٨٦٧ ثار أهل قطر على حكومة البحرين وكانوا يتبعونها فارسل الشيخ محمد أخاه الى ابو شهر يطلب النجدة من المقيم البريطاني عملا بالاتفاق مع بريطانيا عام ١٨٦١ وحينما وصل المعتمد البريطاني الى البحرين لم يجد الشيخ محمد الذي ذهب الى قطر لمقاومة المتردين الأمر الذي اغضب المقيم البريطاني واعتبر عمله هذا مخالفة لاتفاقية ١٨٦١ وان خروجه من البحرين قد اسقط حقوقه في حكمها ونصب اخاه عليها مكانه ، الا ان محمد عاد من قطر واشتبك مع أخيه علي وقتل عليا ، وعاد محمد الى تسلم حكم البحرين الا ان بعض ابناء خليفة القوا القبض عليه وسجنوه مما ادى الى نشوب فتنة حادة جاء على اثرها المعتمد البريطاني وقبض على مقاليد السلطة في البحرين بعد ان اطلق بضع طلقات من مدافع سفينته على المنامة ، ثم جمع مجلسا من الاهالي واستشارهم فيمن يتولى الحكم ، فاختاروا الشيخ عيسى بن الشيخ علي فنودي به شيخا على البحرين (٧٣) . وقد وقع هذا الشيخ الجديد مع بريطانيا يوم ٢ ديسمبر عام ١٨٨١ م معاهدة تعهد فيها بعدم عقد اي اتفاق مع اي دولة اخرى ، وبعدم منح اي دولة امتيازا ، اوحق فتح قنصليات ،أو اقامة محطات للفحم ، الا بعد الحصول على موافقة الحكومة البريطانية (٧٤) ويذكر

---

(٧٢) الدكتور ابراهيم شريف: الشرق الاوسط ص ٥٠٣ .

(٧٣) امين الريحاني : ملوك العرب ،الجزء الثاني ص٢٧٢-٢٧٥ .

(٧٤) Hurewitz, J.C.: op. cit., Vol. I, Doc. No. 88, p. 194.

ان الاسباب التي دفعت بريطانيا للتوقيع على هذه المعاهدة، هو تجدد محاولات الاتراك للسيطرة على جزر البحرين . وقد اطلق على هذه الاتفاقية "الاتفاقية الانفرادية* First Exclusive Agreement تمييزا لها عن الاتفاقية الانفرادية الاخيرة Final Exclusive Agreement التي ابرمت مع البحرين في ١٣ مارس عام ١٨٩٢م والتي تعهد فيها الشيخ عيسى بعدم التنازل أو بيع او رهن أي جزء من اراضيه الا للحكومة البريطانية (٧٥) .

وفي عام ١٨٩٣م اسست بريطانيا وكالة سياسية لها في البحرين ، واتخذ الوكيل السياسي البريطاني من المنامة مقرا له ورفع العلم البريطاني عليها رسميا ، واصبح المتصرف الوحيد في شئون الامارة (٧٦) وفي عام ١٨٩٨م وقع الشيخ عيسى اعلانا يحرم فيه استيراد او تصدير الاسلحة من البحرين واليها كما سمح للسفن الانجليزية بتفتيش السفن المشتغلة بتلك التجارة في مياه البحرين الاقليمية ، وكانت بريطانيا قد ابلغت الدولة العثمانية بان البحرين هي تحت مطلق الحماية البريطانية وان حكومة الهند تعتبرها من سنة ١٨٢٠ تحت الحماية ، وفي عام ١٩٠١ زودت بريطانيا وكيلها السياسي في البحرين بصلاحيات واسعة وعينته مستشارا بريطانيا الى جانب شيخ البحرين (٧٧) .

---

* اوردت بعض المصادر التاريخية اسماء متعددة لهذه الاتفاقية منها : الاتفاقية الشاملة الاولى ، والاتفاقية الاستثنائية الأولى ، والاتفاقية المانعة الأولى .

(٧٥) Hurewitz, J.C.: Ibid, Vol. I, Doc. No. 97, p. 209.

(٧٦) الدكتور محمود صالح منسي : مرجع سبق ذكره ص١٨٢ .

(٧٧) أمين سعيد : مرجع سبق ذكره ص ٦٩ - ٧٠ .

واصبح من حق بريطانيا وحدها استغلال مصايد اللؤلؤ والاسفنج - بموجب الاتفاقية التي عقدتها مع شيخ البحرين عام ١٩١١، وفي عام ١٩١٤ حصلت بريطانيا على تعهد شيخ البحرين بعدم السماح لأي شخص باستغلال النفط ولا حتى هو بنفسه - الا بعد الحصول على موافقة الوكيل السياسي البريطاني في البحرين (٧٨).

وفي ٢٩ يوليو من عام ١٩١٣ تنازلت تركيا بموجب معاهدة لندن المعقودة بينها وبين انجلترا عن حقوق السيادة التي كانت تدعيها على البحرين، وذلك وفقا لنص المادة ١٣ من القسم الثالث من تلك المعاهدة كما اضافت الى تنازلها اعترافا باستقلال البحرين (٧٩). اما بريطانيا فقد اعلنت انه ليس في نيتها الحاق البحرين بممتلكاتها، الا إنها لم تنفذ هذا التعهد، بل انها عملت على تحويل البحرين الى مستعمرة بريطانية عام ١٩١٤م.

اما بالنسبة لفرنسا فاننا لم تقف في اي مصدر من المصادر التي تحدثت عن البحرين عن وجود علاقة او نشاط بأي نوع وعلى اي مستوى مع البحرين، ولذلك فقد كانت بعيدة عن حلبة الصراع بين بريطانيا وفرنسا. وقد يرجع ذلك الى ان فرنسا ربما كانت تعتبر البحرين جزءا من فارس الامر الذي جعلها لا تتطلع اليها كما تطلعت الى المناطق الاخرى، او قد يكون مرجع ذلك الى ان البحرين كانت منذ وقت طويل منطقة نفوذ بريطانية ولم يكن في

---

(٧٨) الدكتور محمود صالح منسي: نفس المرجع ص ١٨٢-١٨٣.

(٧٩) Hurewitz, J.C.: op. cit., Doc. No. 108, p. 269.

استطاعة فرنسا ان تنافس بريطانيا فيها ، ولكن كل هذه الافتراضات لا تمنع من قيام السفن الفرنسية بزيارة ميناء البحرين كزيارتها لغيره من موانئ منطقة الخليج العربي ، ونعتقد ان فرنسا لو كان في امكانها انذاك ان تمد يدها الى البحرين بالتجارة او غيرها لما ترددت لان هدفها الدائم كان هـــو منافسة النفوذ البريطاني في كل مكان على الكرة الأرضية.

# الفصـــل الثامـــــن

## التنافس الانجليزي الفرنسي في الخليج العربي في القرن التاسع عشر

## - في مسقط وعمـــــــــان -

عناصـــر هذا الفصل :

١ - مسقط وعمان .
٢ - مسقط عبر التاريخ ، وقبل دخولها حلبة الصراع الانجليزي الفرنسي
٣ - التنافس الانجليزي الفرنسي في مسقط قبل الحملة الفرنسية على مصر
٤ - التنافس الانجليزي الفرنسي بعد وصول الحملة الفرنسية الى مصر .
٥ - مسقط والصراع الانجليزي الفرنسي بعد عام ١٨٢٠م
٦ - فرنسا تعقد معاهدة عام ١٨٤٤ مع أمام مسقط ورد الفعل البريطاني .
٧ - مسقط في فترة مابعد سعيد بن سلطان .

١ - مسقط وعمـــان :

تقسم عمان سياسيا الى ثلاثة اقسام ، كل قسم منها يؤلف منطقة لهـا وضعها السياسي الخاص المنفصل عن بقية الاقسام . واقسام عمان هي :-

اولا - مسقط وتوابعها :

تشمل منطقة مسقط ست مناطق تابعة وهي :-

أ - مسقط ومطروح : وهي منطقة هامة من الناحية الاستراتيجية .

ب - سهول الباطنة الساحلية التي تنحصر بين الحجر الغربي والبحر

جـ - شبه جزيرة رؤوس الجبال . وهي التي تنتهي برأس مسندم علـــى مضيق هرمز .

د - منطقة رأس الحد .

هـ - منطقة ظفار .

و - جزيرة مصيرة .

ثانيا - الساحل المهادن :

ويقع على هذا الساحل سبع مشيخات هي :-

١ - رأس الخيمة والكلبة - اوجلنار ٢ - عجمان ٣ - ابو ظبـــي .

٤ - الشارقة ٥ - دبي ٦ - أم القيوين ( أو أم الغوانـــي )

٧ - الفجيرة

ثالثا - أمامة عمان :

تؤلف امامة عمان كل المنطقة الداخلية من عمان وتمتد في بعـــض الجهات الى البحر او الى الصحراء . اما امتدادها الى بعض جهـات الساحل ، وبسط سيطرتها عليه ، انما يتم في الظروف التي تكون الامامة

فيها قوية . وتصل في مثل هذه الظروفحتى صحار في الشمال ، او جعلان في الجنوب او الى بقية سواحل البحر العربي في الجنوب ، اما في الظروف التي تشتد فيها الاضطرابات ، وتضعف فيها قوات الامامة فيتقلص نفوذها ويقتصر على المنطقة الداخلية فحسب. (١)

ويهمنا في هذه الدراسة منطقة مسقط لان الصراع الانجليزي الفرنسي كان قد تركز عليها وفيها ولذا فاننا سنتجاوز الحديث عن الساحل المهادن وشيخاته . وكذلك سنتجاوز عن منطقة امامة عمان لانها منطقة داخلية ولم تكن منطقة داخلة في دائرة الصراع بين الدولتين الكبيرتين فرنسا وانجلترا .

٢ ـ <u>مسقط عبر التاريخ : ( وقبل دخولها في حلبة الصراع الانجليزي الفرنسي )</u>

كانت مسقط جزء من عمان ، وانفصلت عن الدولة العباسية في القرن العاشر وكونت من نفسها امارة مستقلة كان يحكمها اول الأمر امام ينتخبه الشعب ، ثم انحصرت الامارة في عائلة السيد ناصر بن الرشيد (١٦١٨ ـ ١٦٤٤) ولم تكن مسقط على شيء من الاهمية حتى اتخذها البرتغاليون مقرا تجاريا لهم بعد خروجهم من هرمز سنة ١٦٢٢ ونجح اهل البلاد في طردهم منها عام ١٦٥٠ م بعد نزاع دام زهاء عشر سنين ، وحينما قويت شوكتهم خافهم شاه فارس وهاجم مسقط واستولى عليها عام ١٧٣٧ وظلت خاضعة لفارس حتى قام احمد بن سعيد باخراج الفرس منها ، فانتخبه الشعب اماما تقديرا له وهو راس العائلة السعدية . وفي سنة ١٧٩٣ م ثار سلطان بن احمد على عمه

---

(١) محمد علي الزرقا : عمان قديما وحديثا . ص ١٧ ـ ١٩ .

الامام فاستولى على مسقط واقام سلطنة مسقط المستقلة ، وفي عهده تم اول اتصال بين مسقط والانجليز . ولما قتل السيد سلطان في المعركة التي نشبت بينه وبين الجواسم في قطر سنة ١٨٠٤ خلفه ابنه السيد سعيد وقد دام حكمه حوالي خمسين عاما حدث خلالها بينه وبين الوهابيين (السعوديين) معارك كثيرة كانت الطريق الذى ساعد الانجليز في مد نفوذها لمسقط(٢) .

وكان احمد بن سعيد حاكم عمان ومسقط قد وثق علاقاته مع الدولة العثمانية بصفة خاصة ، وقد خصصت الدولة العثمانية مكافأة سنوية لحكام عمان نظير قيامهم بحماية الشواطئ الجنوبية والغربية لولاية بغداد في وقت كان الاسطول العثماني يكاد يكون منعدما من مياه الخليج . وبعد وفاة مؤسس اسرة بو سعيد تعرضت الاسرة الى خطر الحروب الاهلية ، وذلك نتيجة المنازعات بين افراد الاسرة الحاكمة ، وبويع سعيد بن احمد بن سعيد احد ابناء الامام السابق بالامامة واتخذ عاصمته في الرستاق بداخل عمان . وحكم الساحل ( احمد ) احد ابنا سعيد في شبه استقلال ، وهذا الاستقلال هو أصل ازدواج السلطة في عمان وبعد وفاة حمد عام ١٧٩٢ عمل ابوه الامام سعيد بن احمد لاسترجاع سلطته على الساحل غير انه اصطدم بمقاومة عنيدة وتمكن احد اخوة الامام سعيد هو (سلطان بن حمد بن سعيد ) من الاستيلاء على السلطة في مسقط واقتصر نفوذه على ساحل الباطنة . ( والحقيقة الهامة هي انه منذ قيام حكم بو سعيد انفصل القسم الشمالي من ساحل عمان عن التبعية لمسقط . واذا كانت املاك البوسعيديين قد انحسرت داخل شبه الجزيرة فانهم عوضوا عن ذلك بالتوسع فيما وراء البحار ، وتمكن حمد بن سعيد من الاستيلاء على جزيرة زنجبار سنة ١٧٨٤م )

---

(٢) عبد الفتاح ابراهيم : رسائل الاهالي ( الرسالة الاولى - على طريق الهند ) ص٥-٨ .

وقد جعل سلطان بن احمد ( ١٧٩٢-١٨٠٤ ) من سياسة التوسع الخارجي سياسة ثابتة له ، وبدأ بالجزر المواجهة لساحل عمان : قشم وهرمز ثم بسط سلطته على الموانئ الهامة في ساحل مكران . واصبحت دولة عمان في عهد سلطان بن احمد تتكون من شريط ساحلي ضيق في شبه الجزيرة العربية يضاف اليه عدة جزر ومواني حتى حدود باكستان [٣] . وكان لقيام السلطان احمد بن سعيد بعقد اتفاق ١٢ أكتوبر عام ١٧٩٨م مع بريطانيا ( وسنتحدث عنها في هذا الفصل فقرة ( ٤ ) ) اثره السيء على وضعه الداخلي وانقسمت البلاد نتيجة لذلك الى ثلاث مناطق . فاختص السلطان بمسقط ومطرح وبعض مناطق الساحل المجاورة ، واختصت الامامة بالداخل كله وحتى حدود الربع الخالي ، وانفصل الساحل المهادن وابتعد عن الفريقين [٤] .

ونحن لا يهمنا الدخول في تفصيلات التاريخ العماني بكل مناحيه ، لان هدف هذا البحث هو الوقوف على التنافس الانجليزي الفرنسي ولذلك فانا سنتجاوز الدخول في تفصيلات تاريخ عمان وسنتجه مباشرة الى ميدان التنافس .

## ٣ - التنافس الانجليزي الفرنسي في مسقط قبل الحملة الفرنسية على مصر :

كانت بلاد فارس هي اول ما اتجهت اليه الاطماع الاوروبية في عالم الخليج العربي . أذ فتح البرتغاليون باب الخليج ومياهه امام الاوروبيين منذ عام ١٥٠٧م ، وانطوت دولة البرتغال تحت الجناح الاسباني سنة

(٣) الدكتور صلاح العقاد : التيارات السياسية في الخليج العربي ص٢-٥٥ .

(٤) امين سعيد : الخليج العربي في تاريخه السياسي ونهضته الحديثة ص٤٦

١٥٨٠م وجرها فيليب الثاني ملك اسبانيا الى حروب طاحنة مع فرنسا وانجلترا وهولندا ، حتى حطمت قوته البحرية في موقعة الارمادا سنة ١٥٨٨م وبذلك تمكن الانجليز من منافسة البرتغاليين والتغلب عليهم وكان اول انتصار للانجليز في مياه جاسك على الجانب الفارسي لخليج عمان ، وعند مضيق هرمز من هذا الخليج والذى اتخذ الانجليز من ثغره محطة امامية لدخول الخليج العربي ، ومركز تعقب للبرتغاليين ، الا ان الانجليز برغم الامتيازات التي حصلوا عليها من شاه فارس ، وهزيمتهم للبرتغاليين ، فوجئوا بوصول اعظم قوة بحرية عرفها القرن السابع عشر ، وهي القوة الهولندية ، والتي تمكنت من انتزاع التجارة من ايدى الانجليز بعد موت الشاه عباس في سنة ١٦٣٦م واخذوا يتعقبونهم في الخليج حتى تمكنوا من طردهم من البصرة بمعونة الوالي التركي فيها عام ١٦٥٧م ، الا أن الانجليز مالبثوا ان عادوا للخليج بعد ان تزعزع موقف الهولنديين فيه على اثر تدميرا سطولهم مع الاسطول الاسباني في حروب لويس الرابع عشر ، وتمكن الانجليز عام ١٧٦٣ من الحصول على موافقة كريم خان شاه فارس لفتح وكالة لهم في بوشهر وفي الثغور الفارسية الأخرى (٥) . اما فرنسا فقد اثر وضعها المتدهور في الهند على نشاطها في الخليج ، فبعد معاهدة باريس سنة ١٧٦٣م لم يكن لفرنسا سوى جزيرتا بوربشس ( أيل دى فرانس) وبوربون* ، ومن هاتين الجزيرتين كانت فرنسا تواجه النشاط التجارى البريطاني المتزايد في الخليج ولذلك فقد اتسم النشاط الفرنسي في هذه المنطقة بالقرصنة (٦) .

ويبدو ان فرنسا منذ حرب السبع سنوات (١٧٥٦-١٧٦٣م) لم تتخذ لها هدفا مرسوما في علاقاتها مع الوحدات السياسية في الخليج حيث

---

* وتقع هاتان الجزيرتان في مواجهة الساحل الافريقي لموزمبيق .
(٥) الدكتور ابراهيم شريف: الشرق الاوسط ص ٣٠-٣٢ .
(٦) الدكتور محمد انيس: الدولة العثمانية والشرق العربي ص ١٩١ .

كانت سياستها ازاء هذه الجدات تتسم بالتردد وعدم الثبات ، الا انها في نفس الوقت كانت تدرك العلاقات التجارية القائمة مع مستعمرتيها في موريشس وبوربون في المحيط الهندي ، ولذا نجدها تعمل منذ حرب الاستقلال الامريكية (١٧٧٨-١٧٨٣م) على توطيد علاقاتها بمسقط . ولقيت هذه السياسة ترحيبا من بعض حكام البوسعيد (٧) وكان حاكم مستعمرة موريشس والقنصل الفرنسي في بغداد قد الحا على حكومتهما بضرورة الاستفادة من موقع مسقط حتى قبل وقوع الحرب مع انجلترا . وذلك لاتخاذها نقطة للتجسس على الانجليز في الهند خاصة وانه يقيم بها وكيل لحيدر على حاكم حيدر اباد المشهور بعدائه للانجليز . كما نصحا حكومتهم باقامة قنصليتين احداهما في البصرة والثانية في مسقط . لكن حكومة باريس لم تكن متحمسة لهذه الفكرة بادىء الامر ، الا انها قررت في مارس عام ١٧٨٨ انشاء القنصليتين واختيار موظفين ثانويين لهما وقد جاء في خطاب وزير الخارجية الفرنسي الى روسو القنصل الفرنسي في بغداد عن ذلك " ان تلهف أمير مسقط على اعتماد وكيل لديه وملاحظاتكم عن الفوائد التي ستعود على رعايا صاحب الجلالة في الملاحة والتجارة وعن تسهيل الاتصال بالهند ، كل ذلك جعلنا نقرر اقامة وكالة في مسقط " (٨) . وكان الخليج قد شهد نشاطا فرنسيا على الصعيد البشري حين حاول كثير من الفرنسيين السفر الى المستعمرات الفرنسية في الهند خلال الربع الاخير من القرن الثامن عشر عن طريق الخليج العربي وذلك بقصد التجسس على بريطانيا ، ويذكر بانه على الرغم من تفوق بريطانيا على فرنسا في مياه المحيط الهندي والبحر العربي ، الا انها ظلت كابوسا يقلق بال بريطانيا

---

(٧) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : الدولة السعودية الأولى ص ٢٥

(٨) الدكتور صلاح العقاد : مرجع سبق ذكره ص٦٤ ونقلا عن خطاب وزير الخارجية الفرنسي بتاريخ ١٩ / ٣ / ١٧٨٨م .

في منطقة الخليج العربي في مطلع القرن التاسع عشر[٩] ، غير ان الملاحظ على سير الصراع بين انجلترا وفرنسا في هذه المنطقة ان اهتمام فرنسا بالخليج بدا اكثر وضوحا منذ قيام الثورة الفرنسية ودخولها في حرب مع انجلترا عام ١٧٩٣م وصار من خطط فرنسا مهاجمة المستعمرات البريطانية في الهند ، ولذلك قررت انشاء قنصلية فرنسية في مسقط كما ارسلت بوشمب قنصلا لها في مسقط، اوائل عام ١٧٩٦م لمعرفته السابقة بالبلاد العربية وجاء في التعليمات التي صدرت اليه : " ان قنصلية مسقط انما أنشئت للتجسس على حركة الانجليز في الهند بدراسة الاحوال الداخلية في هذه البلاد ، وكذلك دراسة الطرق التي يمكن ان يستخدمها غزو فرنسي للشرق ". وقد قام بوشمب بجولة في ارجاء الدولة العثمانية قبل وصوله الى مسقط حتى فوجيء وهو في حلب بالغزو الفرنسي لمصر فاصدرت الدولة العثمانية أمرا بالقبض على الرعايا الفرنسيين في انحاء الدولة العثمانية ، فهرب هذا المبعوث الفرنسي الى مصر[١٠]

٤ ـ التنافس البريطاني الفرنسي في مسقط بعد وصول حملة نابليون الى مصر

بدا قبل وصول الحملة الفرنسية الى مصر ان علاقات فرنسا بمسقط كانت قوية . كما ان بعثات فرنسا الى الشرق كان الهدف منها توطيد نفوذها ومراقبة الطرق المؤدية الى الهند مثل بعثة اوليفير Oliviore وبروجيير Brugiere والتي كان الهدف الاساسي منها هو ايجاد نوع من التحالف مع فارس للتضييق على الانجليز في الهند ، الا ان فرنسا لم تستطع ان تنجح في مساعيها حول ايجاد مراكز اتصال لها في الشرق قبل وصول الحملة الفرنسية الى مصر، بل ترتب على ازدياد النشاط الفرنسي في منطقة الخليج

---

(٩) د . احمد ابوحاكمة : محاضرات عن تاريخ شرقي الجزيرة العربية في العصر الحديث. ص١٧٠ .

(١٠) الدكتور محمد انيس: مرجع سبق ذكره ص١٩٢ .

قلق حكومة الهند البريطانية وحرصها الشديد على عرقلة هذا النشاط [١١]، وكانت تتابع باهتمام نشاط البعثات الفرنسية، بل انها طلبت الى سلطان مسقط تسليم المبعوثين الفرنسيين، وعرضت على سلطان بن احمد ٨٠٠٠ جنيه مقابل ذلك [١٢] غير ان السياسة البريطانية في الخليج لم تتبلور تماما وتتخذ طابعا ايجابيا تجاه الخليج العربي الا في عهد الحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨-١٨٠١م) حين صار الخطر الفرنسي واضحا على طريق الهند، وعلى الهند ذاتها [١٣] فسعت بريطانيا جادة الى الدخول في اتفاقات مع كل من سلطان مسقط وحكومة فارس. وارسلت احد موظفي شركة الهند الشرقية السيد مهدي علي خان لمسقط في ٢ أكتوبر ١٧٩٨م للتفاوض مع السلطان في عقد اتفاق معه. وقد جاء في التعليمات الخاصة بمهمته. ان حكومة بومباي ترغب في اقامة وكالة تجارية في مسقط وطرد الرعايا الفرنسيين من هذه البلاد واحلال احد الاطباء الانجليز بدل الفرنسيين الذين يعملون في خدمة السلطان. وبعد مفاوضة استمرت عشرة ايام وقع في اليوم الثاني عشر من اكتوبر سنة ١٧٩٨م معاهدة سياسية مع سلطان مسقط، مكونة من سبعة مواد * تضمنت وجوب تخلي مسقط عن اي اتصال بالفرنسيين، وعدم السماح لهم او لسفنهم بالنزول فيها في حالة نشوب حرب بين فرنسا وبريطانيا. ونصت المادة السابعة من الاتفاق على السماح للانجليز بانشاء وكالة تجارية في بندر عباس متى رغبوا في ذلك، والسماح لهم باقامة حامية انجليزية مزودة بالمدفعية وتحصينهم لهذا الميناء، ويعتبر هذا الاتفاق البريطاني مع مسقط هو الاول من نوعه بين

---

* انظر نص المعاهدة في كتاب التيارات السياسية في الخليج للدكتور صلاح العقاد ص٧٠-٧١ والنص الانجليزي في Aitchisen, Vol.7, p.87

(١١) د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: مرجع سبق ذكره ص٢٥٢.

(١٢) الدكتور صلاح العقاد: مرجع سبق ذكره ص٦٧.

(١٣) د. احمد ابو حاكمة: مرجع سبق ذكره ص١٧٩.

دولة عربية مستقلة وبين بريطانيا في العصر الحديث. الا ان هذا الاتفاق لم يمنع سلطان مسقط من معاودة الاتصال بالفرنسيين ومعنى أدق لم يقدر لـه النجاح للأسباب التالية :- ١- الارتباط التقليدي بين الفرنسيين وسلطنة عمان ٢- خشية سلطنة عمان من غارات القراصنة الفرنسيين على اسطولها العربي ٣- ان سلطان عمان كان يشعر بالعطف على حركة تيبو صاحب سلطان ميسور ، الذي كان يكافح ضد الانجليز في الهند (١٤) .

وربما كان ذلك الاتصال بالفرنسيين هو الذي شجع نابليون الى ارسال رسالته المؤرخة في ٢٥ يناير ١٧٩٩م الى سلطان مسقط* ويرفق بها رسالة الى تيبو صاحب سلطان ميسور، الا ان رسائل نابليون تلك لم يقدر لها ان تصل اليه لاعتراض الوكيل البريطاني في مخا سبيلها والاستيلاء عليهما ، وان قيل ان شريف مكة هو الذي سلمها للوكيل البريطاني في جدة على اثر وقوعها في يده ، بسبب خوف امراء شبه الجزيرة العربية بعد احتلال الفرنسيين لمصر(١٥) ونحن لا نؤيد هذا الرأي لاننا سبق لنا في الفصل السادس ان اوردنا رسالة من شريف مكة الى نابليون بونابرت اشار فيها الشريف الى انه قام ببعث رسائل نابليون لسلطان مسقط وتيبو صاحبه. ولذلك فانه من الافضل الأخذ بالرأي القائل ان الوكيل البريطاني في مخا هو الذي اعترض طريقها . ويؤكد رأينا هو انه في وقت وصول الحملة الفرنسية الى مصر لم يكن لبريطانيا اي ممثل في جدة .

---

* انظر نص الرسالتين في كتاب الدكتور احمد ابو حاكمه : محاضرات في تاريخ شرقي الجزيرة العربية في العصر الحديث ص ١٨ . وكذلك في التيارات السياسية في الخليج العربي للدكتور صلاح العقاد ص ٧٥ .

(١٤) الدكتور محمد انيس والدكتور السيد رجب حراز : الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر ص ١٠٣ .

(١٥) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : مرجع سبق ذكره ص٢٠٣ .

وعلى اثر ذلك اخذت حكومة الهند البريطانية تشك في اخلاص سلطان ابن احمد حاكم مسقط ولهذا بعثت لجون مالكولم John Malcolm مبعوثها لفارس بتعليمات للاتصال بحاكم مسقط لتأكيد الاتفاق السابق معه ١٧٩٨م . وفعلا تمكن مالكولم من الاجتماع به واوضح له حقيقة الموقف الدولي ، ونجح مالكولم في النهاية من توقيع اتفاق جديد معه في ١٢ يناير سنة ١٨٠٠م أكد فيه شروط اتفاق ١٧٩٨م واضاف له شرطا جديدا هو سماح حاكم مسقط للانجليز بارسال وكيل لهم في مسقط ، مع اعفاء الانجليز من القوانين المعمول بها في مسقط ، واصبح الطبيب بوجل Bogle اول وكيل سياسي بريطاني في مسقط .

الا ان حاكم مسقط تجاهل المعاهدات التي عقدها مع الانجليز* واستقبل قوات فرنسية ارسلها له حاكم موريشيس لمساعدته في الاستيلاء على البحرين ١٨٠١ . بل انه ارسل الى ماجالون ١٨٠٣م يطلب وضع مسقط تحت الحماية الفرنسية ، وارسل لنابليون هدايا قيمة ، وابدى استعداده لقبول وكيل من قبل الحكومة الفرنسية وانه سيعتبر اعداء الجمهورية الفرنسية اعداءه (١٦) ووصل الى مسقط الممثل الذي عينته فرنسا كافيناك M. de Cavaignac في اكتوبر عام ١٨٠٣م وذلك في اعقاب صلح اميان ١٨٠٢م الا ان هذا المبعوث لم يستقبله السلطان متعللا بان للسلطان سفنا كثيرة في سواحل الهند وانه لو سمح له بالاقامة في مسقط فان الانجليز سوف يستولون على تلك السفن

---

* يذكر ان سبب تجاهل السلطان لمعاهداته مع الانجليز هو رفض بريطانيا مده بقوات للاستعانة بهم ضد السعوديين طبقا لسياستها آنذاك والقائمة على عدم التدخل في شئون شبه الجزيرة العربية الداخلية .

(١٦) امين سعيد : مرجع سبق ذكره ص ٥٧ .

فاتجه كافنهاك عائدا الى جزيرة موريشيس . وفي هذه الفترة نشطت السلطات البريطانية في مقاومتها لازدياد النفوذ الفرنسي في مسقط.

وفي عام ١٨٠٦م - تسلم السيد سعيد حكم مسقط بعد مقتل بدر بن سيف وبدا على سياسته الخارجية التخبط خاصة وان السعوديين يواصلون تقدمهم في اراضي عمان ، فاتجه الا الى الفرنسيين وعقد معهم معاهدة* في ١٨٠٧م بقصد اعادة العلاقات الدبية معهم ، الا ان هذه المعاهدة لم تخرج الى حيز التنفيذ ، طبقا للسياسة التي اتخذها نابليون في تلك الفترة، وهي قصر اهتمامه على تطبيق سياسة الحصار القاري ، مما ادى بالسيد سعيد الى الاتجاه كلية الى الانجليز في الهند للاستعانة بهم ضد السعوديين ، خاصة بعد ان نجح الانجليز في اقصاء النفوذ الفرنسي من المحيط الهندي بالاستيلاء على جزيرة بربون Bourbon في ٩ يوليو سنة ١٨١٠ وموريشيس Mauritius في ٣ ديسمبر ١٨١٠م [١٧] ثم ادى سقوط نابليون في ١٨١٤ الى وضع حد للنشاط الفرنسي في المنطقة لفترة من الوقت. والجدير بالملاحظة هو ان الحملة الفرنسية على مصر والمخططات التي كان نابليون ينوى تنفيذها لغزو الهند وطرد البريطانيين منها دفعت الانجليز الى اتباع سياسة جديدة في منطقة الخليج تهدف الى اكتساب مزيد من النفوذ السياسي والعسكري ، واستمرت هذه السياسة حتى بعد خروج الفرنسيين من مصر.

وفي سنة ١٨١٩ كانت ظروف السلطات البريطانية في الهند مهيأة اكثر من اي وقت مضى لتدخل عسكري واسع النطاق في الخليج العربي ، بعد ان

---

* انظر تفصيلات هذه المعاهدة وظروفها في كتاب التيارات السياسية في الخليج العربي للدكتور صلاح العقاد ص٨٢-٨٦ .

(١٧) د . عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : مرجع سبق ذكره ٢٥٥-٢٥٦ .

انتهت الحرب العامة فى اوروبا وخرجت بريطانيا بممتلكات اكثر اتساعا فى الشرق وبعد ان تغيير الوضع فى داخل شبه الجزيرة العربية نفسها حيث قضى محمد على باشا على الدولة السعودية الاولى ولم يبق امام الانجليز سوى تلك القبائل البحرية التى لم تمس قوتها الاساسية نتيجة التدخل المصرى . ولذا قامت بريطانيا بحملة بحرية كبرى فى الخليج عام ١٨١٩م كان من نتائجها الدخول مع رؤساء القبائل الساحلية فى معاهدات مختلفة جعلت من بريطانيا حكما فى شئون جنوب شرق بلاد العرب(١٨) .

٥ ـ مسقط والصراع الانجليزى الفرنسى بعد عام ١٨٢٠م :

فى الفترة التى سبقت عام ١٨٢٠ على عقد المعاهدات مع مشايخ الساحل العمانى لم يكن للفرنسيين فى مسقط اى نشاط ملموس ، وأما عام ١٨٢٦ فقد تميز باصطدام السيد سعيد حاكم مسقط بحلفائه من ابو ظبى واستنجد الحلفاء ببريطانيا التى استخدمت نفوذها لانسحاب مثل الشارقة من واحات البريمى ، وفى عام ١٨٢٦ كان حاكم مسقط يبذل محاولات لغزو البحرين الذى وقفت منه بريطانيا موقفا معارضا ، وبعد وأن فشل السيد سعيد واستياءه من كثرة الاضطرابات فى عمان جعله يوجه اهتمامه الى شرق افريقيا حيث شرع فى تحويل جزيرة زنجبار الى عاصمة ثانية ابتداءا من سنة ١٨٣٢م .

واخذ الجزء الافريقى من سلطنة مسقط يجتذب اهتمام الدول الكبرى خاصة فرنسا والولايات المتحدة الامريكية ، فسعت الى عقد معاهدات الصداقة والتجارة مع السيد سلطان ، وقد سبقت الولايات المتحدة الامريكية بريطانيا

---

(١٨) الدكتور صلاح العقاد : مرجع سبق ذكره ص ١٠٩ ونقلا من :
Aichison, Vol. 7, p. 54.

التي لها صلات وثيقة بالسيد سعيد الى عقد معاهدة مع سلطنة مسقط عام ١٨٣٣ [١٩].

وقد علمت حكومة الهند بامر هذه الاتفاقية من التقرير الذي رفعه الكابتن " هارت " Hart ( الذى بُعث من قبل نائب الاميرال البحرى في الهند بمهمة الى مسقط) في ٩ أغسطس ١٨٣٤م والذى وصف هذه المعاهدة بانه امر عظيم الاهمية . وكانت اللجنة السرية في حكومة الهند قد انتقدت بشدة بعث الكابتن هارت الى مسقط لانه لا معرفة له بالعلاقات بين حكومة الهند والامام، ولا بوضع الامام بالنسبة لجيرانه ورأت أن مباحثات الكابتين هارت في مسقط ستضر بالمصالح البريطانية وقد تؤثر على وضع بريطانيا في مسقط ، وكان رأى اللجنة السرية في حكومة الهند بالنسبة للمعاهدة بين مسقط والولايات المتحدة الامريكية هو بانه لا يوجد دليل على ان الشخص الذي عقد المعاهدة مع السلطان له سلطة تخوله حق ما فعل . وهو ليس الا تاجرا امريكيا جاء يطالب ببعض الديون المتأخرة منذ سنوات لدى رعايا الامام . ويبدو انه اقحم موضوع المعاهدة اثناء حديثه مع السلطان ، نظرا لانه ليس من سياسة الامريكيين عقد مثل هذه المعاهدة في الشرق ، الا ان حكومة الهند على مايبدو لم تقلقها انباء عقد هذه المعاهدة ورأت ان الحكومة البريطانية ليست ملزمة لابداء ملاحظاتها حيالها ، اذ ان الامريكيين ليسوا منافسين سياسيين لبريطانيا في الهند ، كما ان التجارة الامريكية مع مسقط لا يمكنها منافسة التجارة البريطانية وان باستطاعة بريطانيا هو ان تعامل في مسقط معاملة الدولة التي لها امتياز [٢٠].

---

(١٩) الدكتور صلاح العقاد : مرجع سبق ذكره ص١٢٦-١٣٤ .

(٢٠) الوثائق البريطانية : رسالة اللجنة السرية بالهند الى مستر ماكينزى بمكتب حكومة الهند رقم ١٥٤ وتاريخ ٢٧ اغسطس ١٨٣٤م

F.O. 54-1-87283.

وفي الوقت الذى ابدت فيه اللجنة السرية للهند رأيها حيال المعاهدة التي ذكرانها عقدت بين امام مسقط والولايات المتحدة الامريكية اخذت تناقش امرين عرضا عليها الاول - الهدية التي قدمها امام مسقط لملك انجلترا وهي عبارة عن سفينة ذات ٧٤ مدفع.

الثاني : شرعية الاتصال الذى قام به الكابتن هارت في مسقط.

فبالنسبة لموضوع هدية امام مسقط فقد اوضحت اللجنة بانها تشك فيما اذا كان مايليق بملك انجلترا ان يتلقى هدية من امام مسقط دون ان يقدم له ما يساويها ، وان اى عوض يقدمه الملك الى الامام لن يزيل من فكره انه قد حمل جلالة ملك انجلترا التزاما ينبغي على جلالته ان يتذكره كلما واجه الامام موقف يتطلب من بريطانيا التأييد (٢١).

اما مكتب الهند فقد ابدى عدم استحسانه تقبل الهدية المقدمة من الامام، لان قبول هذه الهدية ( السفينة ) قد يفسر على انه ضمان باسم ملك انجلترا لتأييد الامام.(٢٢)

وبالنسبة للموضوع الثاني : وهو شرعية اتصال الكابتن هارت، فقد اتفق رأى اللجنة السرية ومكتب الهند على اصدار توصية قوية الى قائد عام البحرية في الهند والى ضباطه بان يمتنعوا في حذر عن اجراء اى اتصال مع دول الشرق الا بالاتفاق مع حكومة الهند . (٢٣)

---

(٢١) الوثائق البريطانية : من رسالة المجلس التشريعي لشرق الهند رقم ١٥٤ وتاريخ ٢٧ أغسطس ١٨٣٤م F.O. 54-1-87283.

(٢٢) الوثائق البريطانية : رسالة مكتب الهند بلندن رقم ١٥٥ وتاريخ ٥ سبتمبر عام ١٨٣٤م. F.O. 54-1-87283.

(٢٣) الوثائق البريطانية : من رسالة المجلس التشريعي لشرق الهند رقم ١٥٤ وتاريخ ٢٧ أغسطس ١٨٣٤م F.O. 54-1-87283.

ويبدو ان بريطانيا وحتى عام ١٨٣٤ لم تقرر هدفا لعلاقاتها بمسقط، ويتضح ذلك من رسالة مكتب الهند بلندن ردا على اقتراح من مفوض شئون الهند لتعيين قنصل بريطاني لشئون شرق افريقيا وجنوب شبه الجزيرة العربية في المحيط الهندي، وجاء في الرسالة: "بان الهدف من علاقات بريطانيا مع مسقط والقبائل العربية المحيطة بها هو موضع بحث المكتب" (٢٤).

وذكرت بعض المصادر بان حاكم مسقط سعيد بن سلطان كان يأمل في انشاء علاقات مباشرة مع الخارجية البريطانية اعتقادا منه بان ذلك يدل على علو مكانته الدولية، وطلب ان يكون القنصل من ابناء الانجليز حتى يتجنب تعيين احد الهنود مندوبا عن شركة الهند الشرقية وان بريطانيا قد استجابت لطلبه واختارت احد موظفي الشركة السابقين وهو اتكنز همرتون Atkins Hamerton لتمثيلها في مسقط وذلك في عام ١٨٤٠م (٢٥).

Hamerton

وهنا يبدو ان في الامر بعض الغموض حيال تاريخ تعيين هذا القنصل ويتبين من نص الخطاب الذي كتبه السيد سعيد بن سلطان حاكم مسقط للسيد روبرت كوجان Cogan بلندن عام ١٨٣٥ اوضح له فيه ان وكيل بريطانيا الكابتن همرتون يسبب له المتاعب، وان اموره عجيبة وانه لا يسعه ان يشكو منه لحكومته لان كلامه (اى حاكم مسقط) غير مصدق، وانه لذلك يسلم أمره لله، ثم يضيف حاكم مسقط مختتما رسالته: "بان الكابتن همرتون يدخل نفسه في كل شيء حتى اصبح ليس له حكم بشي (اى حاكم مسقط) ولا أمر ينفذ بخلاف اهل الدنيا قاطبة، وان عليه (اى كوجان) ان يخبر وزير

---

(٢٤) الوثائق البريطانية: رسالة مكتب الهند بلندن رقم ١٥٦ وتاريخ ٢٧ سبتمبر ١٨٣٤م F.O. 54-1-87283.

(٢٥) الدكتور صلاح العقاد: مرجع سبق ذكره ص١٣٧.

الخارجية البريطانية لورد ابردين Aberdeen بذلك (٢٦). وهذا الخطاب من حاكم مسقط يوضح ان همرتون كان يمثل بريطانيا في مسقط منذ عام ١٨٣٥م وليس بداية من عام ١٨٤٠م كما اشار الى ذلك الدكتور صلاح العقاد والذي ربما يكون قد عين قنصلا في هذه الفترة، بمعنى انه قد تغير وضعه من ممثل او وكيل لبريطانيا واصبح قنصلا .

وفي عام ١٨٣٨م بدأت في بريطانيا دراسات حول اهمية علاقة بريطانيا بمسقط واوضحت تلك الدراسة المزايا التي تحصل عليها الحكومة البريطانية باستمرارها على افضل علاقة مع امام مسقط ، حتى حينما يكون في زنجبار فانه على معرفة تامة بكل مايجري في بلاط فارس ، خاصة وان فرنسا وامريكا تطلب صداقته ، وكذلك روسيا بطريق غير مباشر، وان امام مسقط سيكون مفيدا لبريطانيا في حالة قطع علاقاتها مع روسيا . وان خيبة الامل والخسائر في الارواح والنفقات التي تحملتها بريطانيا في محاولة اقامة مستودع للفحم في " سقطرة " وكذلك الاهانة التي لحقت بالعلم البريطاني من قبل شيخ عدن ، كان يمكن تجنبها بمساعدة امام مسقط . ومن ناحية التبادل التجاري مع امام مسقط فانه سوف يسهم في مساعدة الملاحة البخارية البريطانية حيث ان سفنه العائدة من انجلترا ستحمل الفحم الى اخا ومسقط، كما ستحمل البضائع الانجليزية محل البضائع الامريكية التي يشتريها . ومن الفوائد السياسية التي ستعود على بريطانيا من صداقتها لامام مسقط ، هو استغلالها لصداقة الامام وعلاقاته الحسنة مع باشا مصر، ولوان السياسة البريطانية لا تعترف بممثل سياسي للباشا وانما يمكن ان يستبدل بممثل تجاري يكون موضع ثقة الحكومة المصرية ويكسو ان

---

(٢٦) من خطاب حاكم مسقط الى وكيله في لندن بتاريخ ٢٢ سبتمبر عام ١٨٣٥م ( انظر الصورة الاصلية للخطاب في ملحق الوثائق ) . رقم

يجد منفذا للمنتجات الانجليزية التي يطلبها جيش الباشا وبحريته التي تستورد احتياجاتها من فرنسا . وهذا سيحقق لبريطانيا هدفا قويا (١٧) وجاء في هذه الدراسة التي ركزت على علاقات بريطانيا بمسقط، انه بغض النظر عن اهمية مسقط السياسية من حيث الموقع الجغرافي لأراضيه الشاسعة وحجم بحريته التي تمتاز بالكفاءة والضخامة فانه حليف تجاري لا يمكن اغفال اهميته، وان حديث الرئيس الامريكي كما نشرته جريدة التايمز Times في عدد أول يناير ١٨٣٨م يبين الأهمية التي تعلقها امريكا على التحالف مع امام مسقط .

وانتهت هذه الدراسات الى التوصية: اولا - بعقد معاهدة دفاعية مع امام مسقط . على ان يبين فيها بوضوح التزام بريطانيا بالمحافظة على ممتلكات الامام الحالية بالوسائل البحرية ، وكذلك الوقوف في وجه الثوار او ضد اى غزو من القبائل العربية اوالفارسية او باشا مصر لاراضيه . ثانيا - بعقد معاهدة تبادل تجاري مع امام مسقط على شرط منحه نفس المزايا التجارية غرب راس الرجاء وذلك فيما يتعلق باستيراد السكر او السلع الأخرى التي قد تتدخل ماديا في سياسة بريطانيا التجارية . ثالثا - ان يرسل لامام مسقط رسالة من جلالة الملكة البريطانية ردا على رسالته الى الملك السابق تعبر له فيها عن الاتجاه الى اقامة علاقات تجارية وعن النوايا الطيبة ،كما تبعث له رسالة أخرى من هيئة المديرين تعبر عن المشاعر الطيبة نحو سموه ، وان حكومة الهند البريطانية ستساعده وتستشيره في كل الامور التي تهم مصالحهما المشتركة . وهذه الاجراءات سيكون لها تأثير كبير جدا ومفيد ، وتضمن للأمة البريطانية اخلاص امير قوى وحكيم بالاضافة الى التأثير على حاشيته التي بدا التأثر الامريكي عليها .

---

(١٧) من خطاب النادى الشرقي للحكومة البريطانية رقم ١٦١ وتاريخ ٥ يناير ١٨٣٨م. F.O. 54-2-07283.

وقد ارفق بهذه الدراسات والتوصيات مذكرة تتضمن اراء سمو امام مسقط حيال عدد من الموضوعات التي تهم بريطانيا منها مثلا :-

١ - رأيه بصدد اعطاء جزيرة سقطرة لبريطانيا لاقامة مخزن للفحم عليها .

٢- رأيه حيال تقديم مخزن حربي لبريطانيا لمعاونتها في الحرب بينهما وبين روسيا .

٣- بشأن خسارته في منع السفن من نقل الرقيق .

٤- تساؤل عما اذا كانت بريطانيا تلغى الضرائب على الواردات من مسقط هل يلغى هو ايضا الضرائب ؟

٥ - رأيه في وجود بريطانيين في بلاده بهدف صناعة السكر .

٦- رأيه في حالة تملك بريطانيا لاى مكان في الخليج بهدف وقف القرصنة وطلب منه بوضع جزء من قوته البحرية تحت قيادة الضابط المسئول عن هذه المحطة البحرية .

٧- رأيه في افضل الوسائل لوقف القرصنة في الخليج(٢٨)

وبناء على هذه الدراسات والتوصيات عينت الحكومة البريطانية السيد كوجان Cogan مندوبا عنها لمفاوضة السيد سعيد بن سلطان بشأن عقد معاهدة تجارية فقط ، وتم التوصل الى عقد الاتفاقية في ٣١ مايو عام ١٨٣٩م وكان مكتب الهند بلندن قد أصدر مذكرة عام ١٨٣٨ قال فيها : " اتفقت اللجنة السرية في رأيها مع مكتب الهند على انه من المرغوب فيه ان يلقب امام مسقط بلقب " سلطان " ويخاطب بهذا اللقب" . (٢٩) .

---

(٢٨) الوثائق البريطانية : مذكرة عن العلاقات السياسية بين امام مسقط وبريطانيا رقم ١٦٢ وتاريخ ٥ يناير ١٨٣٨م F.O. 54-2-07283.

(٢٩) الوثائق البريطانية : مذكرة من مكتب الهند بلندن رقم ١٦٥ وتاريخ ١٧ سبتمبر ١٨٣٨م . F.O. 54-2-07283.

الا ان معاهدة التجارة والصداقة هذه لم تمنع وقوع خلافات بين السيد سعيد وبين الحكومة البريطانية . وكان اهتمام بريطانيا موجها نحو القسم الافريقي من السلطنة . ولذلك عندما عين هيرتون قنصلا بريطانيا كان من المتوقع ان يتخذ مقره في مسقط، وفي آخر لحظة أمر بان يتوجه الى زنجبار بحجة ان يكون قريبا من الامام الذي اصبح يمضي معظم وقته في تلك الجزيرة اما الوثائق السرية البريطانية فتكشف عن الهدف الحقيقي ، وهو ان يكون هناك قريبا من شرق افريقيا حيث راجت الاشاعات عن وجود اطماع فرنسية . وكان الفرنسيون قد تمكنوا عام ١٨١٧ من استعادة جزيرة بوربون المجاورة لموريشس . واخذوا يعملون على تجديد علاقتهم بالتجار والبحارة العرب ومنحوهم عدة تسهيلات لكي يجتذبوهم الى المجيء لتلك المستعمرة حاملين اليها المؤن والخيول ، ولكن منذ سنة ١٨٤٠ اخذوا يتطلعون الى التوسع على حساب ممتلكات السيد سعيد في شرق افريقيا وكان القومندان جيهان هو المتحمس لتلك السياسة التوسعية ، لذلك حينما ذهب الى حاكم مسقط لكي يعتمد لديه تعيين قنصل فرنسي في زنجبار، اصطدم بمعارضة قوية بررها الامام بانه يخشى من اساطيل بريطانيا التي تسيطر على المحيط الهندي(٣٠)

وكان الفرنسيون يبدون نشاطا ملحوظا في البحث عن اماكن صالحة لهم لاتخاذها مستعمرات ورجالا من ابناء البلاد يتعاونون معهم ،وقد تمكنت السلطات البريطانية في مسقط من وضع يدها على رسالة بعث بها احد المواطنين وهو السيد النويلي بن النويلي الى الشيخ خميس بن عثمان في زنجبار يحيطه فيها بان الفرنسيين احتاجوا الى رجال لهم معرفة في امور هذه البلدان . وانت بذلك لخبير (يقصد الشيخ خميس . . . وان سلطان)

(٣٠) الدكتور صلاح العقاد : مرجع سابق ص١٣٦-١٣٩ ( .

الفرنسيين سيرسله الى غير موضع لان اميركم ( يعني امام مسقط) مطيع للانجليز وما هو عربي الا بالاسم ان ذلك شيء لا ريب فيه" (٣١) .

وقد بعث السيد سعيد بن سلطان الى وزير الخارجية البريطانية بالمرستون برسالة في ٩ ربيع الاول عام ١٢٥٧هـ-١٨٤١م. اوضح فيها انه سبق ان بعث له برسالة من مكة المكرمة بشأن الفرنسيين الذين نزلوا في جزيرة نوس بي ، وانه حين عودته الى زنجبار بعث بمندوب عنه الى تلك الجزيرة لمعرفة احوال الفرنسيين فيها ، وقد وجد ذلك المندوب ان الفرنسيين وصلوا الى الجزيرة قادمين من بوربون وعددهم ستمائة جندي ومن بين هؤلاء الستمائة مائتا رجل من الصناعيين الفنيين وهذا يوحي بانهم يخططون للاقامة المستمرة فيها ... ويختتم رسالته بقوله: " والظاهر ان الفرنسيين لهم نظر طويل وانتم بجميع الامور عارفون" (٣٢) ( انظر النص الكامل لهذه الرسالة باللغة العربية في الملحق )(٣٣) .

واهتمت بريطانيا بما اشار اليه سلطان مسقط عن النشاط الفرنسي وبعثت بالكابتن فريمانتل Freemantle لزيارة جزيرة نوس بي Nos Beh ( وهي تقع شمال غربي جزيرة مدغشقر) وبعض الجزر القريبة منها . وبعد قيام الكابتن المذكور بتلك الزيارة عام ١٨٤٢ قدم تقريرا مفصلا ومطولا عن جزيرة

---

(٣١) الوثائق البريطانية : رسالة شخصية في ١ مارس ١٨٤١م ( انظر نص الرسالة في ملحق الوثائق رقم ١٦٧ ) F.O. 54-4-07313.

(٣٢) الوثائق البريطانية : رسالة امام مسقط لوزير الخارجية البريطانية عام ١٨٤١م رقم ١٧٠ . F.O. 54-4-07313.

نوسي بي ، وجزيرة مايوتا ـ وجزيرة موهيلا ، واخيرا جزيرة زنجبار .

وجاء في تقريره عن جزيرة نوسي بي ، ان الفرنسيين يدعون ملكية كل الجزيرة ، ونوسي كومبا ايضا وقد اقاموا مستعمرة على الساحل الجنوبي لجزيرة نوسي بي وفي خليج على الطرف الشرقي للجزيرة وقد وجد سفينة تموين حربية فرنسية وعلى ظهرها ٢٤ مدفعا واسمها دوردوني Dordogne وعلم من قائد السفينة الفرنسية ان جزيرتي نوسي بي ونوسي كومبا قد تخلى عنهما الامام طبقا للمعاهدة وذلك منذ اكثر من اثنى عشر شهرا ، وان الدافع للفرنسيين لحصولهم على الجزيرة هو رغبتهم في الاستفادة من خليجها كملجأ للسفن التي تحتاج الى اصلاح او ترميم بصورة شاملة وذلك لهدوء المياه تماما وعدم شدة المد والجزر لان مرسى السفن في البوربون مكشوف. ويقول الكابتن فربانتل في تقريره بانه من المعلومات التي تمكن من جمعها عرف بان الفرنسيين عندما جاءوا لاول مرة طلبوا امتلاك جزيرة نوسي كومبا ، ولكنهم بعد ذلك ثبتوا مستوطنتهم ورفعوا العلم الفرنسي على نوسي بي نفسها كما حملوا ٤٠ أو ٥٠ من المواطنين الى بوربون . ولما لم يف الفرنسيون بوعدهم لملكية جزيرة نوسي كومبا بان يستولوا على جزء من مدغشقر ويقدموه لها مقابل الجزيرتين ، طلبت منهم الجلاء ، ورفض الفرنسيون وحدث صدام بين الفرنسيين والمواطنين ومنذ هذه المقاومة اخذ الفرنسيون يسخرون اهل البلاد في قطع الاشجار وزراعة الارض دون أجر ويعاملونهم باحتقار . ويقوم الفرنسيون بالتدخل في التجارة بين زنجبار وجزر كومور وموزامبيق ومن جزيرة نوسي بي ، كما انهم يوقفونها ويفتشون السفن بحثا عن الاسلحة والبارود .

وان وصول السفينة الانجليزية واندرر Wanderer قد احدث انفعالا شديدا واعتبرها رجال الملكة والتجار جميعا وسيلة لتحريرهم من التسلط

الفرنسي ، وقوى املهم في هذا ان السفينة الفرنسية ـ د ورد وني ـ توقفت عن اطلاق مدفعها في الصباح والمساء وهو ماكانت تفعله قبل وصول السفينة الانجليزية . وان الفرنسيين لم ينجحوا الا قليلا في اتجاههم الاستعماري وهم يقيمون فوق تل قرب وسط الخليج . ويبدو من سلوكهم المتراخي انهم ليسوا مصممين على البقاء في الجزيرة . وقد ابلغ رجال البعثة التبشيرية في الجزيرة الكابتن البريطاني ان الملكة تود ان تضع الجزيرة تحت حماية ملكة انجلترا ، ورجوه مساعدتها على طرد الفرنسيين . وقد انهى الكابتن البريطاني زيارته لجزيرة نوسي بي في اول ابريل متوجها الى جزيرة جوهانا والتي سلم فيها السلطان رسالة من لورد بالمرستون . ثم توجه هذا الكابتن الى جزيرة مايوتا وموهيلا . ويقول الكابتن الانجليزي ، بانه لدى وصوله الى جزيرة مايوتا وجد سفينة فرنسية على الجانب الآخر من المدينة اسمها " لاليون " La Lioine وقائدها ليوبولد بروتل Leopold Protel وقد اخبر ملك الجزيرة اندريان نسول بان الفرنسيين قد قدموا له خدمة وكانوا أول من جاء واقام على الجزيرة فانه يعتبرهم اصدقاءه الرئيسيين ، وحينما طلب الكابتن الانجليزي من ملك الجزيرة السماح له بمسح الميناء افاده الملك بان هذا الامتياز سبق ان منح للفرنسيين في مقابل الحماية التي اعطتها فرنسا له . ثم اكد بان الجزيرة ملكه والميناء يخص الفرنسيين .

اما جزيرة موهيلا فيقول الكابتن فريمانتل : بان ملكتها لا تزال طفلة وتقوم امها باعمالها ، وان والدة الملكة تحمل للانجليز نوايا طيبة واعربت عن رغبتها في ان تكون تحت الحماية البريطانية ، وانها تخشى الفرنسيين مثل الآخرين لغير ما سبب .

وحينما عرج الكابتن الانجليزي الى جزيرة زنجبار . تقابل مع السلطان الذي كان شغوفا بمعرفة كل شيء عن جزيرة نوسي بي . ثم تقابل مع كابتن

كوجان الضابط السابق بالبحرية الهندية والذى اخبره بان النفوذ البريطاني من الناحيتين السياسية والشخصية مستمر، وان الامام مصمم على منح انجلترا الاولوية على الدول الاخرى (٣٣) .

واخذت بريطانيا تكثف من نشاطها لجمع المعلومات الموسعة عن حركة الفرنسيين في المنطقة وبعد ستة شهور على التقرير المطول الذى اورد نساء فقرات كثيرة منه ، قدم قائد السفينة البريطانية ايزيس Isis تقريرا الى قائد البحرية البريطانية في راس الرجاء الصالح وذلك بعد وصوله الى جزيرة بوربون الفرنسية وتمكن من الحصول على بعض المعلومات عن جزيرة نوسي بي ، فقال : يبدو أن نفوذ الفرنسيين مستمر وكذلك سلطانهم على المواطنين ، ولكنهم على وفاق معهم نتيجة الخوف. وهي تتزاور كثيرا مع القائد الفرنسي مسيو موريسل قائد المدفعية . ويقوم الفرنسيون بحماية جزر نوسي بي باستخدام لنش مزود باثنين وعشرين من الرجال يطوف حول السواحل الشرقية لنوسي بي وخليج باسودانا . والفرنسيون يملون رأيهم في كل ناحية على الملكة ، وهي تخضع لهم لدرجة انها والمعاونين لها لا ينتقلون من جزء من الجزيرة الى جزء آخر الا باذن من السلطات الفرنسية . والجالية العربية في نوسي بي والبالغ عددها خمسمائة شخص يرتبطون بالانجليز والامريكيين الذين يستطيعون الاتجار معهم ، ولكنهم يكرهون الفرنسيين الذين يقهرونهم وعلى ذلك يعيشون في خوف منهم . وتتكون القوة الفرنسية من حوالى مائة جندى من الكتيبة البحرية الثالثة ، وجزر نوسي بي صحية وغنية بالاشجار وارضها خصبة وبها معظم فواكه المناطق المدارية والفواكه الاوروبية وبها نهر يمتلىء بالماء دائما وتجارة

---

(٣٣) الوثائق البريطانية : تقرير الكابتن فريمانتل عن رحلته الى جزيرة نوسي بي وغيرها بتاريخ ٢٠ مايو ١٨٤٢ رقم ١٧١ب
F.O. 54-5-07380.

الرقيق بها مستمرة وسوف تستمر مالم يتخذ الفرنسيون اجراءات مضادة لمنعها (٢٤)

## ٦ - فرنسا تعقد معاهدة عام ١٨٤٤م مع امام مسقط ، ورد الفعل البريطاني

سبق ان اوضحنا بان فرنسا منذ عام ١٨٤٠ اخذت تتطلع الى التوسع على حساب ممتلكات السيد سعيد في شرق افريقيا ثم اوردنا ما تمكنا من الحصول عليه من معلومات وثائقية رسمية عن اتجاهات هذا التوسع والذى تمثل في جزيرة نوسى بى وبعض الجزر الأخرى . الا ان فرنسا كانت في نفس الوقت تسعى للحصول على معاهدة افضل من المعاهدة البريطانية ١٨٣٩م .وقد اوضح القنصل البريطاني في مسقط هامرتون في رسالة بعث بها الى أبردين وزير الخارجية البريطاني عام ١٨٤٣م . "بان سمو الامام يدرك ان معاهدة تجارية مثل تلك التي بينه وبين بريطانيا وبينه وبين الولايات المتحدة لا ترضى فرنسا وقد بنى القنصل البريطاني هذا الرأى بعد ان رأى مسودة مشروع معاهدة فرنسية في منزل الممثل القنصلي الفرنسي في مسقط في اغسطس من عام ١٨٤٠م (ربما كان ذلك اثناء زيارته له في منزله) وفي هذه المعاهدة التي ترغب فرنسا في عقدها مع الامام ، تصر فرنسا على الا يستثنى الرعايا الفرنسيون من العمل بالتجارة في اى مكان او في اى سلعة كانت في اى جزء من املاك الامام وعلى ان يسمح لهم ايضا بشراء وتملك المنازل والأراضي في اى جزء من املاك الامام . بينما المادة العاشرة من المعاهدة المعقودة بين جلالة الملكة البريطانية وسمو الامام . فان الرعايا البريطانيين ممنوعون من العمل بالتجارة في ذلك الجزء من املاك الامام الواقع بين خطى ٥ره ، ٥ر٧ جنوبا على الساحل الشرقي لافريقيا - وذلك في سلع الراتنج والعاج . اما الامريكيون فانه ينص

---

(٢٤) الوثائق البريطانية : تقرير قائد السفينة ايزيس الى قائد البحرية في رأس الرجاء الصالح بتاريخ ١٠ من ديسمبر ١٨٤٢م رقم ١٧٢ب
F.O. 54-5-07380.

المعاهدة ليس لهم حق شراء أراضي او منازل في املاك الامام ولكنهم يستطيعون العمل بالتجارة في ذلك الجزء من الساحل الافريقي المحرم على غيرهم من التجار".

وحينما اخذت فرنسا تضغط على امام مسقط من اجل قبول المعاهدة اتصل بالقنصل البريطاني همرتون والذي بعث لحكومته يقول: " طلب الي سمو امام مسقط ان احيطكم علما انه اصدر تعليمات بصفة خاصة الى مبعوثه علي بن ناصر عندما ارسله الى انجلترا في العام الماضي ( ١٨٤٢ ) لكي يوضح لبريطانيا كيف ان السلطان يتمتع باحترام الفرنسيين. وبما ان المبعوث علي بن ناصر عاد الى زنجبار في ٣٠ من يناير ١٨٤٣م من غير الحصول على رأي من الحكومة البريطانية، فان سمو الامام يخشى الا يكون المبعوث قد اوضح رغباته في هذا الموضوع الهام بصورة كافية، وعلى ذلك فقد طلب سموه ان ابلغكم قلقه بشأن تأكيد رغباته لدى الحكومة البريطانية من حيث الخط السياسي الذي ينتهجه في حالة اصرار الحكومة الفرنسية على دخول سموه في معاهدة مع فرنسا، وهو أمر لا يرغب فيه. وقد طلب سموه بوضوح ان ابلغكم ان ما يرغب في معرفته هو: هل يطلب حماية الحكومة البريطانية اذا هددته فرنسا باعمال عدوانية مالم يدخل في معاهدتهما، أو ان الحكومة البريطانية ستتركه بمفرده ليقيم افضل علاقة مع فرنسا ويخضع لما تطلبه الحكومة الفرنسية؟. وان سموه حزين جدا بسبب هذا الموضوع، ومن المؤكد انه عاجز كلية عن أن يقاوم بقوة السلاح اى أمتيازات قد تطلبها أي دولة أوروبية وتكرهه عليها" (٢٥).

---

(٢٥) الوثائق البريطانية: رسالة همرتون من زنجبار الى وزير الخارجية البريطانية في ١٤ فبراير ١٨٤٣م رقم ١٧٤. F.O. 54-5-07380.

وقد كتب السلطان سعيد بن سلطان الى وزير الخارجية البريطانية ابرل أف ابردين رسالة ذكر له فيها ان سبب كتابته لهذه الرسالة هو انه ذكر لصديقه على بن ناصر ان يوضح له الموقف فيما يتعلق بالشئون الفرنسية ولكنه لم يأت بأى رد ، ويقول السلطان ان الفرنسيين لم يتخلوا بعد عن تصميمهم ، ولم يرفعوا ايديهم عن الموضوع ، وانه قد اوضح كل شئ لصديقه القنصل كابتن هامرتون ، وسوف يشرح له كل شئ بشأن الفرنسيين ، وانه فى انتظار رد سريع من الحكومة البريطانية لكى يعرف كيف يتصرف (٣٦) .

وفى عام ١٨٤٣ بعث حاكم بوربون الفرنسية بقائد السفينة الحربية لوساجير Lemessager الى سلطان مسقط لاطلاعه على بعض الاراء لاضافة مواد لمشروع المعاهدة والتى اشار فيها حاكم بوربون بانه قد ارسل الى الملك الفرنسى بمعاهدة العشرين من ابريل قبل وصول مندوب الامام احمد بن نعمان ولذلك فهو لا يستطيع تغيير هذه المعاهدة ولكنه قد يستطيع ان يرضى رغبات الامام بالمواد الاضافية والتى تحقق تعديلا كليا للمادة الخامسة من المعاهدة . واوضح حاكم بوربون Bourbon بان فرنسا تطلب ان تعامل من جانب الامام معاملة الدولة صاحبة الامتياز أو على الاقل ان تكون معاملتها فى مثل معاملة أى دولة لها الحق فى ان تكون الأولى بالرعاية (٣٧) .

وعادت السفينة الحربية الفرنسية لوساجير Lemessager الى زنجبار للمرة الثالثة يوم ١٥ فبراير عام ١٨٤٤ وغادرته فى ٣ مارس ، وفى هذه المرة اخبر

---

(٣٦) الوثائق البريطانية : رسالة أمام مسقط الى وزير خارجية بريطانيا بتاريخ ٤ محرم عام ١٢٥٩ هـ - ١٨٤٣ م رقم ١٧٧ ب F.O. 54-5-07380.
(انظر هذا الخطاب فى ملحق الوثائق)

(٣٧) الوثائق البريطانية : رسالة القنصل البريطانى بزنجبار رقم ١٧٦ وتاريخ ١٨٤٣ م F.O. 54-5-07380.

الامام قائد السفينة الفرنسية رفضه عقد اى اتفاقات أخرى مع حاكم بوربون Bourbon وذكر انه مستعد للتعاقد فقط مع شخص موفد بكل الصلاحيات من قبل جلالة ملك الفرنسيين [٣٨] .

ويبدو ان سلطان مسقط قد اقتنع بالشخص* الذى بعثته له الحكومة الفرنسية وتم توقيع المعاهدة بين فرنسا وامام مسقط يوم ١٧ نوفمبر عام ١٨٤٤م وتتكون هذه المعاهدة من تسع عشرة مادة .

وبعد التوقيع على هذه المعاهدة بعث سلطان مسقط سعيد بن سلطان الى أبردين وزير الخارجية البريطانى برسالة أوضح له فيها : "أنه فى اليوم السابع والعشرين من شهر شوال وصله مندوب من طرف سلطان الفرنسيين بقصد عقد معاهدة معه ، وقد كان طيلة المدة السابقة وفى كل مرة يحتج عليهم بشئ حتى يعرف رأى الحكومة البريطانية ، وانمعينما اطلع على ماكتبه وزير الخارجية الى القنصل البريطانى همرتون بان الحكومة البريطانية راضية على ان يبرم سلطان مسقط مع الفرنسيين معاهدة قام بابرامها وقد ارفق صورة منها [٣٩] (انظر نص رسالة السلطان فى ملحق الوثائق) .

ويتضح من خطاب سلطان مسقط الى وزير الخارجية البريطانية ، ان بريطانيا قد وافقت على ان يقوم سلطان مسقط بعقد معاهدة تجارية مع فرنسا ، واكد ذلك

---

* يذكر ان مندوب فرنسا لتوقيع المعاهدة هو الكابتن دى فاسول Vafslam والذى وصل على الطراد الفرنسى ديرسو Desfabes

(٣٨) الوثائق البريطانية : رسالة القنصل البريطانى فى زنجبار بتاريخ ٢٠ مارس ١٨٤٤ م رقم (١٨) . F.O. 54-6-07380.

(٣٩) الوثائق البريطانية : رسالة سلطان مسقط الى وزير خارجية بريطانيا بتاريخ ١٢ القعدة ١٢٦٠هـ رقم ١٧٨ . F.O. 54-6-07380.

ماورد فى خطاب وزير الخارجية البريطانية الموجه لمكتب الهند India Bourd بتاريخ ١٠ ابريل عام ١٨٤٥ . وقد بررت الخارجية البريطانية موافقتها تلك على أنها تنفيذ للمبادئ الليبرالية فى السياسة والتجارة التى تسير عليها الحكومة البريطانية ، الا انها قيدت هذه الموافقة بشرط الا تمنح فرنسا امتيازات استثنائية (٤٠) .

ويبدو ان بريطانيا حينما اعطت لامام مسقط موافقتها هذه كانت تعتقد ان هذه المعاهدة لا تخرج عن كونها اتفاق تجارى عادى لن يؤثر على التجارة البريطانية ، ولا على وضع بريطانيا فى المنطقة ، لان سلطان مسقط حليف مخلص ويكفى دليلا على هذا الاخلاص انه لم يقدم على عقد الاتفاقية دون علمهم ، ولكن ما ان وصلت نصوص المعاهدة الفرنسية مع امام مسقط الى لندن حتى بسادرت الحكومة البريطانية بدراستها واصدرت وزارة الخارجية البريطانية مذكرة مطولة فى ١٠ ابريل عام ١٨٤٥م . استعرضت فيها العلاقات البريطانية مع امام مسقط منذ توقيع معاهدة يوليو ١٨٤٠ م وخاصة مايتعلق بالنشاط الفرنسى والمحاولات التى بذلتها فرنسا لارغام الامام على الاذعان لمطالبتها بتوقيع معاهدة معهــــا ، وأيضا فيما يتعلق بشكاوى الامام من الاعتداءات الفرنسية على املاكه الواقعة على الساحل الشرقى لافريقيا . وأوضحت مذكرة الخارجية البريطانية بان الحكومة البريطانية لا يهمها من المعاهدة الا المادة "١٧" التى تسمح للفرنسيين ان ينشئوا محالا تجارية من اى نوع فى زنجبار أو فى اى جزء من الأراضى التابعة للامام وان كابتن Cogan المبعوث البريطانى الذى فاوض الامام على المعاهدة يرى ان المادة "١٧" ستكون ضارة جدا بالامام وغير متلائمة مع المصالح البريطانية ، كما يرى انها قد تؤدى الى عدم الثقة وسوء التفاهم بين الفرنسيين

---

(٤٠) الوثائق البريطانية : من خطاب وزير الخارجية رقم ١٩٨ وتاريخ ١٠ ابريل عام ١٨٤٥ . F.O. 54-8-07451.

والحكومة البريطانية ، وبما ان تبادل التصديق على المعاهدة لم يتم فانــه يقترح ان يقوم الامام بناء على اقناعنا ونفوذنا باضافة مادة تفسيرية لما يسمح به وطريقة حماية المحال التجارية المزمع انشاؤها .

وتقول المذكرة البريطانية ايضا : ان رجال الحكومة البريطانية مقتنعون ان المادة ١٧ ( من المعاهدة الفرنسية مع الامام ) تشير الى التجارة فقــط وليس الى اقامة مخازن حربية او بحرية في اراضي الامام أو أي مراكز حصينــة ، ولقد ظلت العلاقات بين الحكومة البريطانية والامام وثيقة لسنوات كثيرة ، وقامت الحكومة البريطانية بحمايته (٤١) . ولما كانت الحكومة البريطانية في حاجة الى معرفة رأي الحكومة الفرنسية بصدد هذه المعاهدة فان الحكومة البريطانية قامت بطلب تفسيرات ودية من الحكومة الفرنسية بشأن الاتفاق الذي تم بينهما وبين الامام . وقد تلقى ايرل أف ابردين Earl of Aberden ترجمة انجليزية واخرى فرنسية لهذه المعاهدة ، ونظرا لاختلاف الترجمة الفرنسية للمادة ١٧ من المعاهدة عن الترجمة الانجليزية لنفس المادة فقد طلب لورد كولي Cowley الحصول على نسخة للمادة ١٧ من الحكومة مع ايضاح للمعنى الدقيق لها والنطاق الذي تطبق فيه هذه المادة . وصدرت تعليمات للكابتن همرتون ان يطلب من الامام التوقيع على مادة تفسيرية للمادة (١٧) يوضــح فيها طبيعته ونطاق الترخيص الممنـــوح لفرنسا في المادة المذكورة وأسلـــوب حماية المحال المذكورة ، وذلك عند تبادل وثائق التصديق على المعاهدة . وقد ابلغ الامام في رسالة من الحكومة البريطانية ان القنصل البريطاني سيقوم بابلاغ

---

(٤١) الوثائق البريطانية : من خطاب وزير الخارجية رقم ١٩٨ وتاريخ ١٠ ابريل عام ١٨٤٥ . F.O. 54-8-07451.

سموه بملاحظات الحكومة على هذه المعاهدة. وبعث لورد كولي برسالة يقول فيها انه بحث موضوع المعاهدة التجارية مع الجانب الفرنسي الذى افاد بان المعاهدة لم تصله بعد ، ووعد بارسال صورة منها الى لورد كولي بمجرد وصولها ، واكد له بان وجهة نظر الحكومة الفرنسية الحالية حيال المعاهدة هي انها تجارية بحتة، وانه لم يدر بخلدهم بناء حصون او اقامة مخازن حربية في اراضي الامام .

وكانت ترجمة المادة ١٧ من هذه المعاهدة والتى بعثت بها حكومة بومباى الى شركة الهند الشرقية ، نصت على ان : "للفرنسيين حرية استئجار أو بناء المنازل او المخازن في زنجبار أو في اى مكان آخر". (٤٢)

وكان سلطان مسقط قد بعث برسالة الى كابتن كوجان اوضح له فيها انه لا يمكن ان يعطى للفرنسيين اكثر مما اعطاه للبريطانيين اصحابه والذين هم اقرب اليه من اهل الدنيا كافة ، "وان اهل لندن يجب ان لا يقلقوا وان يكونوا مطمئنين من ناحيته" (٤٣) ( انظر نص رسالة السلطان في ملحق الوثائق رقم ١٨٧)

وقد وقعت بريطانيا وسلطان مسقط معاهدة في ٢ اكتوبر عام ١٨٤٥ بشأن انهاء تصدير الرقيق من الممتلكات الافريقية لسمو سلطان مسقط سعيد بن سعيد ابن سلطان. وقد وقع الاتفاقية كابتن هرتسون عن بريطانيا ،كما وقعها السلطان سعيد نفسه وقد تضمنت أربعة مواد (٤٤) .

---

(٤٢) الوثائق البريطانية : خطاب وزارة الخارجية البريطانية فى ٥ ابريل عام ١٨٤٥م رقم ١٩٨ . F.O. 54-8-07451.

(٤٣) الوثائق البريطانية : خطاب سلطان مسقط لكابتن كوجان رقم ١٨٧ بتاريخ ٧ شعبان ١٢٦١م . F.O. 54-7-07410.

(٤٤) الوثائق البريطانية : اتفاقية بريطانية مع مسقط حول الغاء تجارة الرقيق فى ٢ اكتوبر ١٨٤٥م رقم ٢١١ . F.O. 54-15-07476.

وفي عام ١٨٤٧ بعث سلطان مسقط برسالة الى الكونت بالمرستون وزير الخارجية البريطانية يحيطه فيها انه رأى ان يعين شخصا ممثلا له في لنـدن ليتولى شئون رعايا دولة مسقط والامور المتعلقة بالسلطنة لدى الحكومة البريطانية وهو لذلك يطلب الموافقة على تعيين روبرت بنو* هنت اسكوين ( وهو احد اعضاء شركة الهند الشرقية الانجليزية ) قنصلا له لدى بلاط جلالة ملكة بريطانيا (٤٥) . ( وانظر نص الخطاب في ملحق الوثائق رقم ٢١٤ ) .

وبعد اربعة أشهر من طلب تعيين قنصل له في لندن بعث برسالـة جديدة الى وزير الخارجية البريطانية يشكو فيها من النشاط الفرنسي في جـزر انجزيجه ومالى التابعة له ، وذكر في ملحق لرسالته" ان الفرنسيين نرى منهم احوال مخالفة وقصدهم يحتالوا على كل ما قدروا عليه من البلدان في هـذا الوقت ضحكوا على رجل كبير في السن اسمه شيخ محضار يسكن في في انزوان اصله من اهل موالى وحصلوا منه على اقرار ببيعهم موالى ، وهو لا يملك من موالى شيء مثلما احتالوا على مونة وانجزيه هم من رعاياه من نحو عشرين سنة ومنذ استيلائه على مباسة" وطلبه رأى الحكومة البريطانية في ذلك (٤٦) . ( انظر نص رسالـة السلطان والملحق في ملحق الوثائق رقم ٢١٥ ، ٢١٦ ) .

ورغم التجاء سلطان مسقط بالشكوى الى الحكومة البريطانية الا ان المعاهدة التجارية التى عقدها معها عام ١٨٣٩ لم تعط للبريطانيين حق الاتجار فـي

---

* وتوفي هذا القنصل الممثل لسلطان مسقط في لندن وعين بدله مستر بنو هنت انكو في ١٥ ذى الحجة عام ١٢٦٥هـ - ١٨٤٩م .

(٤٥) الوثائق البريطانية : رسالة من سلطان مسقط الى الخارجية البريطانيـة في ٢ ربيع الثاني ١٢٦٣هـ - ١٨٤٧م رقم ٢١٤ F.O. 54-11-07451.

(٤٦) الوثائق البريطانية : رسالة من سلطان مسقط الى الخارجية البريطانيـة رقم ٢١٥ في ٧ رمضان ١٢٦٣هـ - ١٨٤٧م F.O. 54-11-07451.

كل السلع وفي كل اجزاء اراضيه، وقد اثار ذلك غضب المسئولين البريطانيين وطالبوه وفقا للمادة العاشرة من المعاهدة المذكورة ان يمنح هذا الحق لرعايا جلالة الملكة طالما انه منح ذلك الى الولايات المتحدة الامريكية وفرنسا ، ولكن السلطان كان يرفض ذلك دائما بدعوى انه يحتكر التجارة في العاج والراتنج لنفسه (٤٧) .

وفي عام ١٨٤٩ بعث القنصل البريطاني في زنجبار لحكومته مشيرا الى أن سفينة حربية فرنسية قامت بزيارة موانى - باراوا ولامو ومقديشيو وارسلت جماعة من فوق هذه السفينة الى داخل البلاد لمسافة طويلة في محاولة للحصول على موافقة زعماء البلاد على بيع ميناء " باراوا " ولكن الزعماء لم يوافقوا قائلين ان المكان يخص سمو الامام ولكن احد الزعماء ( وهم سبعة ) في باراوا سافر على ظهر السفينة الفرنسية ، وربما يكون قد ذهب مع الفرنسيين ليتعاقد معهم على انشاء مستوطنة فرنسية لا يعلم بها الزعماء الآخرون ، وقد اتهمت مستوطنات كثيرة (٤٨) وهنا نود الاشارة الى ان الفرنسيين قد وجهوا اهتمامهم الى ممتلكات السلطان في افريقية نظرا لغنى هذه المناطق ، ولضعف الصلة التي تربطهم بسلطان مسقط ، كما انها بعيدة بعض الشيء عن منطقة النفوذ الانجليزي ، الأمر الذي يتيح لفرنسا فرصة اكبر في النجاح للاستيلاء عليها واستعمارها .

وفي عام ١٨٥١ قدم القنصل الفرنسي في زنجبار احتجاجا للسلطان على الاعمال التي قام بها حاكم مسقط ضد سفينة تجارية فرنسية، وحينما علمت الحكومة البريطانية بذلك ، بعثت الى قنصلها في مسقط هامرتون Hamerton

(٤٧) الوثائق البريطانية : رسالة القنصل البريطاني في زنجبار بتاريخ ٥ ديسمبر ١٨٤٨ م رقم ٢٢٥ . F.O. 54-12-07476.

(٤٨) الوثائق البريطانية : رسالة القنصل البريطاني في زنجبار بتاريخ ٤ اغسطس ١٨٤٩ م رقم ٢٢١ . F.O. 54-12-07476.

مذكرة طلبت منه ان ينصح الامام بان يقدم اعتذارا رقيقا وفوريا لفرنسا عن هذه الاعمال (٤٩) .

وبعد عامين من هذا الحادث بعث القنصل البريطاني الى حكومته بتقرير مطول عن النشاط الفرنسي في منطقة زنجبار واوضح في هذا التقرير ان امام مسقط يشعر بالقلق نتيجة لقيام القنصل الفرنسي بالاتصال بابن الامام الامير خالد - الذى كان حاكما في زنجبار حين وجود والده في مسقط - وذلك فيما يتعلق بحق الامام في اماكن معينة على الساحل الافريقي ، ومحاولة القنصل الفرنسي اثبات ان الامام لم يكن له نفوذ او حق في المطالبة باماكن على الساحل وهو ما تفترضه الحكومة الفرنسية .

ويبدو أن الامام كان قد ضايقه وازعجه امر آخر وهو المحادثات التي اجراها المبشر دكتور كراف Dr. Kroff مع القنصل الفرنسي بعد وصوله الى زنجبار في الوقت الذى كان فيه الامام بعيدا عنها في زيارة لمسقط وكان معه القنصل البريطاني ، وقيل ان هذا المبشر قد اجرى محادثات موسعة مع القنصل الفرنسي حول هيمنة الامام على الساحل الافريقي ، وان دكتور كراف قد اجاب كتابة على اسئلة معينة وجهها له القنصل الفرنسي . وكانت هذه الاسئلة تتجه الى اثبات ان لا امام لاحق له في ممارسة سلطته في عدة اماكن على الساحل وخاصة عند نهر بيوجاني وميناء لامو . وحينما علم القنصل البريطاني في مسقط بذلك ابلغ حكومته وعلق على ما ابلغ به الدكتور كراف القنصل الفرنسي " بانه قد ذكر اشياء " كان من الافضل الا يشغل نفسه بها ، وهو لا يفهمها كلية " وان ما قام به دكتور كراف قد اثار غضب السلطان وجعله يشك

---

(٤٩) الوثائق البريطانية : رسالة وزير الخارجية البريطاني لورد بالمرستون رقم ١٥ وتاريخ ١٢ نوفمبر ١٨٥١ ( ٢٣١ ب ) .

F.O. 54-14-07476.

في المبشرين كما اشار رشا عرسيئة لدى الناس من جميع الطبقات في مسقط ضـد البعثة التبشرية. وقد ذكر السلطان للقنصل البريطاني بانه لا يفهم لماذا يقول دكتور كراف هذه الاشياء لقنصل فرنسا ، وهو يعتبره صديقه ، والمبشـرون تحت الحماية البريطانية ، وانه من المعروف ان تصرفات الفرنسيين كانت تمهد لفترة طويلة الى احتلال بعض الاماكن على ساحل افريقيا .

وكان من رأى القنصل البريطاني ان للامام ( السلطان ) الحذر في ان يحزن لانه من الصعب التكهن بما قد ينتج عن ذلك . اذ انه لا يشك بـان الفرنسيين يترقبون الفرصة للاستيلاء على الساحل الافريقي ، وقد ينازعـون السلطان في حقه على اماكن في اراضيه . وهناك حديث عن مصنع فرنسي يجرى اقامته في لامو ، وقد ذهب مسيو بيرانو Berano ليقيم هناك كوكيـل للمؤسسة ، وعرفت السلطات البريطانية في مسقط ان القنصل الفرنسي يهتـم كثيرا بهذا الامر وهو ينوى الذهاب الى لامو واماكن أخرى على الساحل فـي اراضي الامام بصحبة الاميرال الفرنسي المرتقب وصوله الى زنجبار قريبا مـن بوربون .

ومن ناحية تدخل المبشرين في شئون مسقط ابلغ القنصل البريطانـي حكومته بان هؤلاء المبشرين لا يعلمون ان الامام يستطيع - دون ان يقدر احـد على منعه - ان يدمر مقر البعثة ويطرد المبشرين خارج البلاد ، وانه سمـع ( أى القنصل البريطاني ) ان بعثة تبشيرية فرنسية أخرى ستقام في نفـس الاقليم مثل البعثة الحالية . وهناك تقارير كثيرة عما ينوى الفرنسيون عمله فـي هذه الاقاليم ، والامام الطيب العجوز حزين وهو يقول ان هذه الاشياء وغيرها حدثت لان القنصل البريطاني كان غائبا عن البلد حينما كان هو في مسقـط وانه لو كان القنصل موجودا لما حدث كل هذا (٥٥)

(٥٥) الوثائق البريطانية : تقرير القنصل همرتون الى الحكومة البريطانية رقـم ٢٤١ وتاريخ ٣ يونيو عام ١٨٥٣م . F.O. 54-15-07476.

وفي عام ١٨٥٤م أصدر السلطان سعيد بن سلطان اعلانا الى كافة المسلمين وغيرهم بانه" قد وافق على منح ملكة بريطانيا جزائر خلفان الحلانية والسوودى الحاسكيب والقبلية وخرود و ( القريبة من الشاطئ الافريقي ) وأن هذا العطاء تام لملكة بريطانيا ولا ولادها برضاه" (٥١). انظر نص اعلان السلطان في ملحق الوثائق رقم ٢٤٣).

كما حصلت بريطانيا في نفس العام ١٨٥٤ وفي ١٤ من شهر يوليو من السلطان سعيد بن سلطان على جزائر كوريا موريا والتي اصبحت تابعة للتاج البريطاني منذ ذلك التاريخ (٥٢) ( وهي عبارة عن خمس جزر في المحيط الهندى ) الا ان السلطان سعيد مالبث ان توفي في عام ١٨٥٦ حيث بعث القنصل البريطاني الى وزير الخارجية البريطانية ايرل كلارندون Earl of Clarindon يحيطه بان امام مسقط قد توفي يوم ١٩ اكتوبر عام ١٨٥٦ على ظهر سفينته الملكة فكتوريا اثناء رحلته البحرية من مسقط الى زنجبار، وكان السلطان قد مرض وهو في عرض البحر منذ ١٨ سبتمبر (٥٣) كما بعث ماجد بن السلطان سعيد المتوفي برسالة الى وزير الخارجية البريطانية يحيطه فيها بانه قد تسلم مقاليد الحكم في البلاد اعتبارا من يوم ( ١٩ من شهر صفر عام ١٢٧٣ هجرية ) (٥٤) والعجيب في الامر ان القنصل البريطاني هرتسون

---

(٥١) الوثائق البريطانية : اعلان سلطان مسقط رقم ٢٤٣ وتاريخ ١٤ يوليو عام ١٨٥٤م F.O. 54-16-07492.

(٥٢) Hurewitz, J.C.: op. cit., Vol. I, Doc. 63, p.145.

(٥٣) الوثائق البريطانية : من رسالة القنصل البريطاني للخارجية البريطانية برقم ٢٤٤ في ١٠ نوفمبر ١٨٥٦م. F.O. 54-17-07492.

(٥٤) الوثائق البريطانية : رسالة ماجد بن سعيد للخارجية البريطانية رقم ٢٤٦ وتاريخ الاول من ربيع الاول ١٢٧٣هـ.
F.O. 54-17-07667.

والذى عمل مع الامام المتوفى مالبث هو الآخر ان توفى بعد وفاة صديقـــه الامام بتسعة شهور تقريبا حيث توفى يوم (١٣ ذى القعدة عام ١٢٧٣ هجرية) فعينت بريطانيا قنصلا جديدا بمسقط هو اللفتنانت س.ب رجبى S.B, Rigby.

٧ - مسقط فى فترة مابعد سعيد بن سلطان :

عندما توفى السلطان سعيد بن سلطان كانت سلطنة مسقط مقسمة الى ثلاثة اقسام ادارية ، فالقسم الأول يحكمه ثوين ومقره مسقط، والقسم الثانى يحكمه تركى ومقره صحار . اما القسم الثالث فكان يحكمه ماجد ومقره فى زنجبار، وسعى ثوين الى ضم الممتلكات الأفريقية واعادة وحدة السلطنة مدعيا بانه صاحـــب الحق الشرعى فى كلتا المنطقتين، وكان موقف بريطانيا مؤيدا لوجود الانفصال بين هذه الاقسام واتخذت من وصية السلطان* المتوفى حجة لتقسيمها النهائى .. بل ان بريطانيا قرنت هذا التأييد بشكل عملى حينما هددت باستعمـــال القوة العسكرية لاثناء ثوين عن عزمه فى عام ١٨٥٩ ، وفى العام التالى ١٨٦٠م اوفدت بريطانيا بعثة الى كل من مسقط وزنجبار للتحقيق فى اسباب النزاع بين ابناء سعيد برئاسة كوجلان Coeglan المقيم السياسى فى عدن .. وقـــد انتهت هذه اللجنة الى قرارات اكدت فيها بضرورة فصل السلطنتين فصلا تاما ، وبذلك اصدر الحاكم العام فى الهند كاننج عام ١٨٦١ تحكيمه المشهور بفصـــل الاقليمين الأسيوى والأفريقى على ان يدفع ماجد ( صاحب زنجبار) الى اخيـــه ثوين تعويضا سنويا نتيجة لفقد ممتلكاته الاسيويـــة . ومنحت حكومة الهند كـــل حاكم لقب سلطان ، وفى عام ١٨٦١ وصل ممثل بريطانى بصفته وكيل سياسى فى مسقط ، بينما زنجبار يقيم فيها قنصل بريطانى منذ عام ١٨٤٠ . على انه ممـــا يستلفت النظر ان الحكومة الفرنسية لم تعترض رسميا على تحكيم كاننج وانمـــا استمرت فى موالاة الضغط على الشطر الأفريقى حتى انها حاولت الحصول على

---

* كان السلطان سعيد قد قرر تعيين ابنه سعيد خالد ليخلفه كحاكم علـــى ممتلكاته فى افريقيا - وابنه سعيد ثوين ليخلفه حاكما على ممتلكاته فى آسيـــا ، وقد نقلت الخارجية البريطانية هذا القرار الى ادارة شئون الهند فى ٤ ديسمبر عام ١٨٤٤ اى بعد شهر تقريبا من توقيع الاتفاقية مع فرنســـا . ( الوثائق البريطانية F.O. 54-6-07380.)

تنازل من ماجد عن مينا" اوعدة موانى" على الساحل الذى يخضع لسيطرته (٥٥) ويذكر ان نوين حينما توترت علاقاته بالانجليز اثناء محاولاته اعادة توحيد السلطنة تحت حكمه اتجه بفكره احيانا الى نابليون الثالث ، الا ان النشاط الفرنسى المحدود آنذاك كان منصبا على القسم الافريقى من السلطنة وبلغ هذا النشاط ذروته فى زنجبار سنة ١٨٦١ حتى لجأ الانجليز الى التهديد بالقوة لعرقلة المشروعات الفرنسية فى شرق افريقيا ، وانتهت الازمة باقتراح* بريطانيا بان تتعهد الدولتان باحترام استقلال سلطان زنجبار ، وفى اثناء المحادثات اقترح الفرنسيون ان يشمل التعهد سلطنة مسقط ايضا ، ولم تعترض بريطانيا على ان تتعهد باحترام استقلال مسقط .

وعلى أثر ذلك صدر التصريح الثنائى الفرنسى الانجليزى فى ١٠ مارس عام ١٨٦٢ م باحترام استقلال سلطنتى مسقط وزنجبار ونصه : " ان صاحبة الجلالة ملكة المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وايرلندا ، وامبراطور فرنسا ، اذ يضعان فى اعتبارهما أهمية الحفاظ على استقلال سمو سلطان مسقط وسمو سلطان زنجبار ، قد أرتأيا ان يتعهدا معا بأحترام استقلال هذين العاهلين" (٥٦)

وكان ذلك التصريح فى الواقع نصرا كبيرا للسياسة الفرنسية فقد منحها على الاقل مركزا مساويا لمركز بريطانيا فى علاقتها بكل من السلطنتين ، كما

---

* يقول الدكتور جمال زكريا قاسم : انه عندما فشلت فرنسا فى مساعيها للحصول على مينا" او موانى" من ماجد بن سعيد قدم توفنل وزير خارجية فرنسا اقتراحه الهام الذى دعا فيه الى ان تتعهد كل من حكومتى انجلترا و فرنسا باستقلال كل من السلطنتين وسلامة اراضيها ( انظر كتابه الخليج العربى دراسة لتاريخ الامارات ص ٨٧ ) .

(٥٥) الدكتور جمال زكريا قاسم : الخليج العربى ( دراسة لتاريخ الامارات العربية ، ١٨٤٠ - ١٩١٤ ، ص ٨٥ - ٨٧ .

(٥٦) Hurewitz, J.C.: op. cit., Vol. I, Doc. No. 74, p. 168.

استفادت الحكومة البريطانية من صدور ذلك التصريح اذ احتفظت بموجبه بضمان من الحكومة الفرنسية بعدم التطلع الى ضم اجزاء من السلطنة في الشطر الافريقي ، فضلا عن ان ضمان الحكومة البريطانية دفع تعويض سنوى لسلطان مسقط ترك المجال مفتوحا للتدخل في سلطنة زنجبار بحجة تنفيذ هذا الضمان (٥٧)

وهكذا لم يمنع هذا التصريح بريطانيا من المضي في تدعيم نفوذها في عمان دون معارضة، بل انها عرقلت النشاط الفرنسي الذى تجدد في نهاية القرن (٥٨) . ومنذ صدور ذلك التصريح تطورت علاقة بريطانيا بمسقط تطورا كبيرا ففى عام ١٨٧٣م تعهدت بريطانيا بان تدفع المعونة السنوية المقررة لمسقط وتقدر بـ ٠٠٠ر٢٠ كورونة وذلك عقب توقيع السير بارتل فرير على اتفاقية الغاء تجارة الرقيق مع سلطان زنجبار، وقد رفعت الحكومة البريطانية مقدار المعونة الى ٠٠٠ر٤٠ كورونة بشرط بقاء سلطان مسقط مخلصا لتعهداته واتفاقياته معها (٥٩) وفي عهد حكم تركي بن سعيد زادت بريطانيا من توطيد نفوذها ووطدت علاقاتها تركى ، . وفى ١٠ فبراير ١٨٧٥ وقع تركى على تعهد خاص ببعض الامتيازات والاستثناءات الجمركية كما اجاز للرعايا الهنود المقيمين في مقاطعات السلطة ان يتمتعوا بالامتيازات الممنوحة للرعايا الانجليز، كما اجاز خضوعهم للقضاء القنصلي ، كما وافق على ان كلمة رعايا بريطانيين British Subjects الواردة فى جميع الاتفاقيات والمعاهدات السابق توقيعها تعنى ايضا الرعايا الهنود ، وبذلك اصبح للهنود امتيازات كثيرة في السلطنة نتيجة لذلك . وفى عام ١٨٧٦م دعت الحكومة البريطانية

---

(٥٧) الدكتور جمال زكريا قاسم: مرجع سبق ذكره ص٨٧ .

(٥٨) الدكتور صلاح العقاد : مرجع سبق ذكره ص ٢١٤ .

(٥٩) الدكتور جمال زكريا قاسم: مرجع سبق ذكره ص ٨٧ .

السلطان تركي لحضور مهرجان دلهي بمناسبة الاحتفال بمنح الملكة فيكتوريا لقب امبراطورة الهند . وفي عام ١٨٨٠ عقدت بريطانيا اتفاقية اخرى مع السيد تركي وافق بموجبها على اقامة حامية عسكرية في داروكالتها بمسقط . وتعتبر هذه الاتفاقية وسواها من التعهدات كمقدمة لفرض الحماية البريطانية على مسقط (٦٠) .

وعلى اثر وفاة السيد تركي سلطان مسقط عام ١٨٨٨ استمرت بريطانيا في تصميد علاقاتها مع الحاكم الجديد لمسقط فيصل بن تركي ، واستمرت ايضا في دفع المساعدة المالية له كالسابق الأمر الذي مكنه من الصمود امام معارضة ومنافسة السيد عبدالعزيز* وفي عام ١٨٩٠ اعترف الانجليز بالسيد فيصل بن تركي سلطانا على مسقط، وقد بعث السلطان فيصل برسالة شكر للحكومة البريطانية عن طريق المقيم البريطاني في الخليج اوضح فيها بصراحة تامة: بانه سيقوم بالاسترشاد برأي نائب الملك في الهند ورأي الحكومة الانجليزية والمقيم البريطاني في جميع الامور السياسية الهامة (٦١) .

واذا كان السلطان فيصل بن تركي كان لا يزال مقيدا بالمعاهدات التي عقدها سعيد بن سلطان مع الحكومتين الفرنسية والامريكية . فان فرنسا كانت اهم منافس لبريطانيا في السلطنة وقد استفادت كثيرا من معاهدة ١٨٤٤ ومن التصريح المشترك الصادر في مارس ١٨٦٢م الا ان كل ذلك لم يقف امام

---

* السيد عبدالعزيز: زعيم الطبقة المعارضة في عائلة آل سعيد ،وكان ينافس السيد فيصل بن تركي على زعامة مسقط الا ان فيصل اصبح سلطانا لمسقط عام ١٨٨٨م بتأييد الانجليز له .

(٦٠) الدكتور جمال زكريا قاسم: مرجع سبق ذكره ص١٢١ .

(٦١) الدكتور محمود علي الداود : محاضرات عن الخليج العربي والعلاقات الدولية ص٨٧ .

الحكومة البريطانية أو بمنعها من توطيد علاقتها بمسقط، حيث اعلنت حكومة الهند البريطانية في يناير ١٨٩٠ "بان العلاقات القوية التي تربط بين بريطانيا والسلطنة منذ عهد سعيد بن سلطان لكفيلة بان تؤكد ان مسقط تقع ضمن مناطق النفوذ البريطاني، وليس في مقدور فرنسا أو أية دولة أخرى ان تدعي السيادة عليها" (٦٢) وعملت بريطانيا في ٢٠ مارس عام ١٨٩١م على توقيع اتفاق جديد مع السلطان فيصل بن تركي تعهد فيه حاكم مسقط بعدم التنازل او تأجير جزء من أراضيه الا بأذن الحكومة البريطانية (٦٣).

ومن الواضح ان معاهدة ١٨٩١م هذه قد حددت بشكل نهائي الحماية البريطانية على سلطنة مسقط دون ان تنص على ذلك صراحة ولما كان ذلك يخل بالاتفاق الفرنسي البريطاني المتمثل في التصريح الثنائي لعام ١٨٦٢ فقد ابرمت بريطانيا اتفاقية ١٨٩١، في سرية تامة وظلت حريصة على هذه السرية رغم ظهور النشاط الفرنسي في سلطنة مسقط خلال الاعوام التالية الا ان بريطانيا اضطرت الى كشف النقاب عن هذه المعاهدة حينما اعلن سلطان مسقط في اوائل فبراير عام ١٨٩٩م عن تنازله عن بندر الجصة (وهو ميناء يقع على مسافة خمسة اميال الى الجنوب الشرقي من ميناء مسقط) للحكومة الفرنسية لتقيم فيه محطة للفحم، الأمر الذي اثار ثائرة اللورد كيرزون* واعتبره خرقا لمعاهدة ١٨٩١م ولذلك سارع الى ارسال الكولونيل ميد الى مسقط لكي يطالب السلطان بالغاء هذا التنازل، وقدم له انذارا بذلك (٦٤)

---

* اللورد كيرزون: أصبح عام ١٨٩٩ نائبا للملك في الهند.

(٦٢) الدكتور جمال زكريا قاسم: مرجع سبق ذكره ص١٢٢

(٦٣) Hurewitz, J.C.: op. cit., Vol. I, Doc. 96,p.208.

(٦٤) الدكتور السيد رجب حراز: الدولة العثمانية وشبه الجزيرة العربية، ص ١٨١.

ولتنفيذ ذلك الانذار وصلت الى مسقط بعض قطع الاسطول البريطاني من بومباي واستدعى الاميرال دوجلاس Admiral Douglas السلطان فيصل بن تركي للمثول بين يديه ولاعلان براءته من المعاهدة السرية مع الفرنسيين واضطر السلطان ان يرضخ لمشيئة بريطانيا ، فالغى تنازله السابق عن بندر الجصة لفرنسا (٦٥) اما موقف الحكومة البريطانية ازاء هذه الازمة فقد كان يشوبه التردد والحذر، ذلك لان الحادث جاء في اعقاب ازمة فاشوده ، ولهذا لم تشأ حكومة لندن ان تزيد المشكلة تعقيدا واقترح سالزبري ان يعترف لفرنسا بحقها نظريا في انشاء مستودع على ارض عمان على ان تتفق الدولتان لاختيار مكان اخر بعيدا عن الخليج العربي لاقامة المستودع (لاعتقاد بريطانيا بان اقامة هذا المستودع في الجصة لا يمكن ان يكون الا لتحقيق اغراض توسعية ) وفي اغسطس سنة ١٩٠٠ تم الاتفاق بين ممثلي الدولتين في مسقط على اقامة المستودع الفرنسي في المكلا على ساحل حضرموت. ودفعت هذه الاحداث باللورد كيرزون بان يعين قنصلا جديدا في مسقط يتصف بالحزم والقوة فكان ان عين برسي كوكس قنصلا (٦٦) . اما فرنسا فقد كانت قد رفعت درجة ممثلها في مسقط " أوتافي " الى درجة قنصل عام ١٨٩٨ واعتبر ذلك كدليل على تجدد اهتمام فرنسا بهذا الجزء من شبه الجزيرة العربية (٦٧) وقد عاصر ازمة ميناء الجصة ازمتان أخرتان بين فرنسا وبريطانيا في مسقط هما ازمة رفع السفن العمانية لاعلام فرنسية ، ثم ازمة تجارة السلاح .وقد بلغت الازمة ذروتها عام ١٩٠٣ احينما اجبرت بريطانيا حاكم مسقط على القبض على العمانيين الذين يتمتعون بالحماية الفرنسية وايداعهم السجن مما اضطر فرنسا الى ارسال سفينة

---

(٦٥) الدكتور محمود علي الداود : مرجع سبق ذكره ص ١٢ .

(٦٦) الدكتور صلاح العقاد : مرجع سبق ذكره ص ٢١٩-٢١١ .

(٦٧) الدكتور صلاح العقاد : نفس المرجع ص ٢١٧ .

حربية لحمايتهم في اوائل عام ١٩٠٤م ، اى في الوقت الذى اقتربت فيـــه الدولتان من توقيع الاتفاق الودى الذى وضع حدا للتنافس الدولي بينهمـــا اما مشكلة رفع الاعلام الفرنسية على السفن العمانية فقد اتفقت الدولتـــان آنذاك على رفعها الى محكمة العدل الدولية (٦٨) .

وبالاتفاق الودى الذى وقع بين فرنسا وبريطانيا يحتهر التنافس بيـــن الدولتين في مسقط كما في غيره من الميادين قد توقف وظفرت بريطانيا فـــي النهاية بكل شيء في المنطقة .

---

(٦٨) الدكتور صلاح العقاد : مرجع سبق ذكره ص٢١٩-٢٢٠ .

## - خاتمـــــــة -

في هذا البحث كان الموضوع الاساسي هو كشف النقاب عن بعـــض خبايا الصراع والتنافس بين الدولتين الاوروبيتين الكبيرتين بريطانيا وفرنسا خلال القرن التاسع عشر الميلادى ( في شبه الجزيرة العربية ) ومن الطبيعي ان اى نزاع او صراع لا يبدأ من فراغ فلابد ان تكون له مقدمات واسباب ادت اليه وأوجدته ثم لينطلق ماردا عملاقا . ولذلك كان لا بد لهذا البحث من بداية ، وكانت هذه البداية في اوربا حيث انطلقت أولى شرارة لهذا الصراع . وبكل السرعة الممكنة وقفنا على الجوانب الرئيسية لهذا الصراع منذ بدايته في اواخر العصور الوسطى حينما عمل الانجليز على طرد الفرنسيين من بلادهم واندلعت نيران الحرب بين البلدين فيما عرف في التاريخ الاوروبي بحرب المائة سنة ، ثم تلتها الحـــروب الدينية في اوربا كلها والتى اثرت على دورة الصراع والتنافس القائم آنذاك بين فرنسا وانجلترا . وفي اواخر القرن السابع عشر الميلادى عملت فرنسا علـــى الاستفادة من المنازعات الدستورية التى كانت قائمة في انجلترا ، وتمكنت مـــن جعل الملكية الانجليزية في عهد اسرة آل ستيوارت موالية لها ، وعلا شأن فرنسا في اوربا كلها ابان عهد ملكها لويس الرابع عشر . الا ان انجلترا مالبثـــت ان انقلبت من الولاء للعداء لفرنسا بعد قيام الثورة المجيدة بها عام ١٦٨٨ والتـــى اتت بوليم الثالث ملكا انجليزيا ليتولى النضال ضد فرنسا . وبعد ذلك اندلعت حرب الوراثة الاسبانية والتى انتهت بصلح يوترخت عام ١٧١٣ وبهذا بـــدأ التحول في تاريخ الصراع بين الدولتين يأخذ اتجاها جديدا وهو الخروج مـــن الدائرة الأوروبية الى العالم الجديد - امريكا - وعلى ارض القارة الامريكيـــة دار صراع مرير بين الدولتين وتمكنت بريطانيا من احراز انتصارات كبيرة على الفرنسيين واستولت على معظم مستعمراتهم فيها ، الا ان فرنسا تمكنت هي الاخرى مـــن رد الضربة لانجلترا عندما اندلعت ثورة الاستقلال الامريكية وهزمت انجلترا وخرجـــت

من امريكا ، الا ان الصراع بين الدولتين لم يتوقف عند هذا الحد بل اتجه الى القارة الهندية واخذ الصراع يدور هناك حتى تمكنت بريطانيا من تثبيت اقدامها واحكام سيطرتها على القارة الهندية واصبحت مركز قوتها المالية . كان كل هذا هو ما اوضحناه في الفصل التمهيدى كمدخل ضرورى لهذا البحث .

ولما كانت منطقة المشرق العربي الاسلامي وحدة متكاملة تؤثر وتتأثر فيما حولها ، ولأن شبه الجزيرة العربية جزء من هذا المشرق العربي كان بديهيا ان تتم هذه الدراسة في اطار متكامل ، ولذلك كان لابد لنا من القاء نظرة على الصراع الذى دار بين بريطانيا وفرنسا في كل من مصر وبلاد الشام والعراق على اساس انهما معبران رئيسيان لشبه الجزيرة العربية . وان الصراع الذى دار فيهما كان له صدى وآثار على شبه الجزيرة العربية ، بل ان الصراع الذى دار بعد ذلك في شبه الجزيرة العربية نفسها كان امتدادا طبيعيا واستكمالا لحلقاته في المنطقة . ولعل اهم حلقات ذلك الصراع كانت :-

١ - الحملة الفرنسية على مصر . فلقد كان لهذه الحملة اصداء وآثار على شبه الجزيرة العربية ، اذ يمكن القول بانها كانت بداية لاتصال شبه الجزيرة العربية - وخاصة اقليم الحجاز - بأوروبا بعد ان ظل فترة طويلة من الزمن في عزلة وانغلاق تامين عن العالم ، فلقد عمل بونابرت على الاتصال بشريف مكة وتبادل معه الرسائل ، كما استقبل في السويس عددا من تجار الحجاز ، وتبادل الحجاز التجارة مع مصر ، بل ان شريف مكة كان الواسطة التي تم اتصال بونابرت عن طريقها بسلطان مسقط ،

اما بريطانيا فقد رأت في هذه الحملة الفرنسية التهديد المميت لمستعمرتها الكبرى في الهند ، فسارعت الى التصدى لها على عدد من المحاور منها تقوية وتدعيم وجودها في البحر الأحمر والاستيلاء على جزيرة بريم .

٢ - ظهور محمد علي في شبه الجزيرة العربية : ولقد رأت بريطانيا في تقدم جيوش محمد علي في شبه الجزيرة العربية واقترابها من مناطق نفوذها ووجودها على الخليج العربي خطرا جديدا يهدد مصالحها ونفوذها فوقفت في وجهه بقوة على اساس انه يمثل النفوذ الفرنسي المنافس لها ، وحينما دخلت قوات محمد علي الى اليمن واضبحت قاب قوسين أو أدنى من عدن ، اسرعت بريطانيا بالوقوف في وجه قوات محمد علي واستولت على عدن عام ١٨٣٩ وجعلتها قاعدة رئيسية لوجودها في المنطقة .

٣ - قناة السويس - وهي لا تقل خطورة على بريطانيا من الحملة الفرنسية - وكان لمشروع القناة آثار على شبه الجزيرة العربية ، فهو قد ادخل شبه الجزيرة العربية الى حلبة الصراع والتنافس الدولي بين بريطانيا وفرنسا ، وتمكنت بريطانيا من خلاله ان تحقق الكثير من مطامعها بينما اخفقت فرنسا في اتخاذ اي نقاط ارتكاز لها في البحر الاحمر لمنافسة الوجود البريطاني .

٤ - وفي الشام كان الصراع بين فرنسا وانجلترا استكمالا لصراعهما في مصر، واذا كان صراعهما في مصر كما اوضحنا قد القى بظلاله وآثاره على شبه الجزيرة العربية ، فان صراعهما في الشام لا بد وانه كان يحمل نفس السمات ولعل بعثة امبراطور فرنسا عام ١٨٠٩ الى الشام بهدف تكوين اتحاد كنفدرالي بين القبائل العربية لتيسير تحقيق مخططات فرنسا بشأن غزو الهند البريطانية كان يشمل شبه الجزيرة العربية .

٥ - وفي العراق كانت بريطانيا تعمل على ضمان السيطرة على طريق المواصلات خاصة عبر نهري دجلة والفرات ، بينما كانت اهداف فرنسا مقصورة على تنمية مصالحها التجارية والسياسية فقط .

وفي اقليم الحجاز الذي كان له نصيب طيب من هذا الصراع تمكنا ان نبرز عددا من النقاط الهامة في دورة الصراع والتنافس الانجليزي الفرنسي فيه :-

١- فلقد كان للحملة الفرنسية صداها في الحجاز، واستعدت بالتحصين وتدريب الرجال للدفاع عن نفسها ضد الغزو الفرنسي المحتمل ، ولكن آثار هذه الحملة كان اكثر عمقا من صداها ، فقد عمل بونابرت ومن خلفوه من بعده في قيادة الحملة الفرنسية على مد جسور التفاهم والاتصال مع شريف مكة، الذي بادلهم الصداقة والتبادل التجاري ، وظل اتصال فرنسا بالحجاز مستمرا بعد نهاية الحملة الفرنسية على مصر والتي كان من اهم اثارها على شبه الجزيرة العربية انها برهنت للغرب عن الأهمية السياسية لبلدان الشرق الادنى ، وان شبه الجزيرة العربية لم تعد جزءا عديم الأهمية على رقعة الشطرنج في عالم السياسة. واسرعت انجلترا الى تأسيس قنصلية لها في جدة عام ١٨٠١م.

٢ - واذا كانت الحملة الفرنسية على مصر قد برهنت بان شبه الجزيرة العربية جزء هام في عالم السياسة الدولية. فان حملة محمد علي باشا على شبه الجزيرة العربية قد اسهمت في تقريب شبه الجزيرة العربية بصفة عامة والحجاز بصفة خاصة للمعرفة الأوروبية بل وادخلتها ايضا في اطار السياسات الأوروبية في القرن ١٩ واعتبرت انجلترا ان توسع محمد علي باشا في شبه الجزيرة العربية ووصوله الى سواحل الخليج العربي هو توسع للنفوذ الفرنسي وتنفيذا للمخططات الفرنسية في المنطقة .

٣- وفي فترة ما قبل فتح قناة السويس اخذت كل من بريطانيا وفرنسا تعمل على تقوية نفوذها وتدعيمه في الحجاز من خلال كسب ود شريف مكة والحاكم العام للحجاز حتى ان القنصل البريطاني اوجلفي حينما وجد ان الشريف محمد بن عون شريف مكة لا يساعد على التمكين للسياسة

البريطانية وميله الواضح لفرنسا اخذ في بعث التقارير لحكومته التي بذلت جهدها لدى الباب العالي حتى اصدر امره عام ١٨٥١ بنقله الى الاستانة وتعيين الشريف عبد المطلب بدله كشريف لمكة الامر الذى اغضب فرنسا عملت هي الاخرى لدى الباب العالي حتى تمكنت من اعادة الشريف محمد بن عون الى شرافة مكة ثانية . ومن ثم اخذت فرنسا تعمل لتوسيع قاعدة نفوذها في الحجاز وحاولت إن تنشأ لهما قنصلية في مكة المكرمة ومدينة ينبع ، لتتمكن من مراقبة النشاط الانجليزى .

٤ - وقد كشفت لنا الوثائق الفرنسية عن مشروع اتحاد بين شبه الجزيرة العربية ومصر عام ١٨٤٨ جرى بحثه والاعداد له من قبل وزير الحربية المصرى ووالي مصر قبل وفاة ابراهيم باشا واستعدت مصر في هذا المشروع بان تتكفل بمصروفات شبه الجزيرة العربية بدلا من الدولة العثمانية .

٥ - وفي عام ١٨٥٨ دخلت الحجاز في فترة من اصعب فترات تاريخها وتعرضت لأول مرة في التاريخ الحديث لقصف مدفعي عنيف من قبل الاسطول البريطاني والذى دام اكثر من اربعة ايام حدث خلالها تدمير كبير لاسواق واحياء جدة . وكان ذلك انتقاما من مدينة جدة على ما قام به بعض سكانها من مهاجمتهم للقنصليتين البريطانية والفرنسية وقتلهم القنصلين البريطاني والفرنسي وعدد آخر من المسيحيين .

والملاحظ في هذه الحادثة ان بريطانيا وفرنسا امام الخطر قد توحدت جهودهما ونسيتا لفترة قصيرة تنافسهما وصراعهما ، الا انهما عادتا الى الصراع ثانية اثناء بحث موضوع التعويضات التي يجب الحصول عليها لصالح المتضررين من البريطانيين والفرنسيين . وكانت جدة في هذا الوقت قد تعرضت لتهديد الاحتلال العسكرى البريطاني لها الا ان التنافس بين الدولتين البريطانية والفرنسية منع هذا الاحتلال

٦ - وبعد فتح قناة السويس شهد الحجاز تزايدا واضحا في اعـــــداد الفرنسيين الوافدين عليه. وكان شريف مكة عبد الله بن محمد بن عــون خلالها يجرى اتصالا بالفرنسيين بغية الحصول على مساعداتهـــم وتأييدهم له. ورغم الحاح القنصل الفرنسي بجدة عام ١٨٧٣ على حكومته باغتنام هذه الفرصة لتدعيم نفوذها في الحجاز والقيام بدور مهم ومنشط في هذه البلاد، وان تسيطر فرنسا على بعض الاماكن التي تمكنها من انشاء قاعدة قوية لها في هذه الجهات، الا ان الحكومة الفرنسيــة كانت آنذاك تتبع سياسة انكماشية بعد خروجها مهزومة في معركتها مع الالمان فلم تتحرك بسرعة لمد يد المساعدة لهذا الشريف. ومع ذلــك فقد واصلت فرنسا نشاطها في الحجاز واخذت تبعث بمندوبيها الى مكة المكرمة لجمع المعلومات اللازمة، وفي احد التقارير المرسلة للحكومــة الفرنسية عام ١٨٧٦ حث القنصل حكومته على استغلال نقطة كراهيــة العرب للترك لصالح النفوذ الفرنسي. خاصة وان القنصل البريطاني في جدة منهمك في تجارته ومصالحه الخاصة.

٧ - وفي عام ١٨٧٧ استطاع النفوذ البريطاني ان يقوى ويمتد في الحجاز على حساب النفوذ الفرنسي وذلك بعد عزل الشريف عبد الله بن عـون صديق فرنسا وتعيين الشريف الحسين بن محمد بن عون والـــذي سرعان ما اتجه بصداقته وولاءه للانجليز، وعرض عليهم خدماته في مسألــة الحرب الافغانية، الا ان الشريف الحسين تعرض عام ١٨٨٠ لطعنــة سكين من احد الدراويش وذلك قبل اجتماعه المقرر بالقنصل البريطانـــي بجدة بوقت قصير. وفي العام الذي سبق اغتيال الشريف الحسين كـان القنصل البريطاني قد تلقى تأكيدات من الحاكم العام للحجاز بان يعمل معه في توافق تام واصبح القنصل البريطاني الموجه الحقيقي لسير الامور الداخلية في البلاد واصبح الحاكم العام يعرض عليه كل المشاريع المراد

تنفيذها لأخذ موافقته عليها . بل ان ناشد باشا ذهب الى ابعد من ذلك بان طلب الى القنصل البريطاني بان يقوم السفير البريطاني في الاستانة بحث الحكومة العثمانية لارسال تعزيزات عسكرية الى الحجاز كما طلب من القنصل ان تقوم بريطانيا بتأييده ولكن بصورة سرية .

٨ - ولكن بريطانيا تصاب بالقلق الشديد من جراء تلقيها معلومات سرية عن تكوين جمعية سرية في مكة المكرمة وان هدفها هو تخليص المسلمين من السيطرة المسيحية ، وان هذه الجمعية على اتصال بكل المجتمعات الاسلامية في انحاء العالم . وقد اقرت ان تكون المدينة المنورة مقرا لرئاستها .

٩ - بعد مقتل الشريف الحسين صديق الانجليز عينت الدولة العثمانية الشريف عبد المطلب شريفا لمكة وبوصوله الى مكة اخذ يجاهر بعدائه لبريطانيا ودارت بينه وبين بريطانيا معركة سياسية قوية حاولت فيها بريطانيا زعزعته عن دست الشرافة بينما كان هو يصر على تقليص النفوذ الانجليزي في الحجاز والقضاء عليه ان امكن واظهر تعصبا قويا ضد المسيحيين عموما ، بل واخذ يحرض مسلمي الهند على الثورة ضد البريطانيين وساند احد الثائرين الهنود من مليبار السيد فضول ، وتمكن من عزل حاكم الحجاز ناشد باشا الموالي للانجليز واتى بصفوت باشا لما عرف عنه من كرهه للانجليز ، واخذت بريطانيا تجند طاقتها ضد الشريف عبد المطلب واغتنمت تردى الحالة الامنية والاقتصادية والصحية في البلاد واخذت تضخمها امام الباب العالي وتحرض السكان على الشكوى للباب العالي ، كما ساعد بريطانيا في حملتها ضد الشريف عبد المطلب اشراف ذوي عون الذين اخذوا يتصلون بالباب العالي متظلمين من حجب الشرافة عنهم . وفي نهاية عام ١٨٨١ قامت الدولة

العثمانية بعزل الشريف عبد المطلب ، الا انه من الملاحظ ان فرنسا لم تحاول ان تستغل عداء الشريف عبد المطلب لمنافستها انجلترا لصالح نفوذها في الحجاز وقد يعود ذلك الى ان الشريف عبد المطلب كان في عدائه لا يفرق بين الانجليز والفرنسيين فهو عدو لكل المسيحيين .

١٠- وفي عام ١٨٨٢ كانت ثورة عرابي قد اتصلت بالحجاز عن طريق رسالة بعث بها عرابي الى شريف مكة ولكنها لم تصل وظلت سرية الا على بريطانيا التي سارعت الى بعث بعض قطع اسطولها في استعراض للقوة امام جدة حتى لا يفكر احد برفع صوته بمساعدة عرابي ، كما عملت على مصادرة الصحف الواردة من القاهرة قبل خروجها من مكتب البريد .

١١- وبعد سيطرة بريطانيا على مصر عام ١٨٨٢ اخذت تخطط لاقامة دولة عربية في الحجاز وكانت الدولة العثمانية قلقة من سماعها لهذه الخطط وللعدد الكبير من الجواسيس البريطانيين الذين تسربوا الى الحجاز من مصر. ودعم المعلومات الخاصة باقامة هذه الدولة في الحجاز احد التقارير البريطانية عام ١٩٠٣ والذي اوضح بان الشريف علي عبد الله عون رجل نافع جدا ، فاذا حظي بأقل تأييد معنوي من جانب الحكومة البريطانية فانه لن يتردد في التخلص من نير الحكم التركي وقبول الحماية البريطانية .

وكانت اليمن بحصولها الجيد للبن تعتبر ذات اهمية خاصة بالنسبة للأوروبيين . وفي عام ١٨٠٢ ارسلت بريطانيا بعثة رسمية لامام اليمن لعقد معاهدة تجارية ومع ان هذه البعثة فشلت في مهمتها الا انها تمكنت من اقناع الامام بعدم امداد السفن الفرنسية بالمؤن في جميع الموانئ اليمنية . وما ان وصلت قوات محمد علي باشا الى اليمن حتى سارعت بريطانيا الى مواجهة هذا التقدم لجيوش محمد علي والذي ترى فيه تقدما

للنفوذ الفرنسي وردت على ذلك باحتلالها لمدينة عدن ، وتميزت البعثات الفرنسية الى اليمن في هذه الفترة بالصفة العلمية البحتة.
وفي عام ١٨٤٠ زاد النشاط الفرنسي في البحر الاحمر حيث بعثت فرنسا بالعديد من رجال سلاح المهندسين الفرنسيين الى البحر الاحمر وتمكن الفرنسيون في منافستهم لبريطانيا في البحر الاحمر من احراز تقدم ملموس على الشاطئ الافريقي للبحر الاحمر.

وفي عام ١٨٤٨م كانت التقارير الفرنسية عن اليمن تشير الى ان الساعد الايمن للشريف حسين حاكم الحديدة ذو ميول فرنسية وبرهن على انه في استطاعته تقديم افضل الخدمات لفرنسا ، وفي عام ١٨٥٨ بدأت المسئولون الفرنسيون في المنطقة يظهرون حماسا لضرورة ان يكون لفرنسا وجود فعلي ومؤثر في الحديدة - وان لم يكن لها آنذاك مصالح تجارية ذات قيمة ، ومع ذلك فقد انشأت لها قنصلية في الحديدة لتتولى مراقبة تحركات البريطانيين ونشاطهم في اليمن والبحر الاحمر.

١٢- وبعد افتتاح قناة السويس شددت بريطانيا من قبضتها على منطقة البحر الاحمر وزادت من يقظتها فيه ، اما فرنسا فانها امام الكارثة الحربية التي حلت بها في حربها مع المانيا عام ١٨٧٠ لم تعد قادرة على مواجهة بريطانيا في المنطقة الا انها مع ذلك انصرفت الى منافستها على الجزر المتناثرة في البحر الاحمر.

وفي عام ١٨٨١ كان القنصل البريطاني في جدة يحث حكومته على ضرورة الاسراع في مواجهة النفوذ الفرنسي المتصاعد في اليمن ويقول ان فرنسا لها قنصلية بينما عدد رعاياها لا يزيد عن شخصين وبريطانيا الذين يزيد عدد رعاياها عن الثلاثمائة لا يوجد لها قنصلية . وان الحكومة

الفرنسية منعت قنصلها فـي الحديدة من تقديم المساعدة اوالحمايـة للرعايا البريطانيين ، كما انه ليس هناك اسوأ من ان تكون المصالـح البريطانية مختلطة مع المصالح الفرنسية في تلك الاجزاء من شبـه الجزيرة العربية. وبعد ذلك نجد ان الحكومة البريطانية تقوم بتعيين قنصـل لها في الحديدة عام ١٨٨٥ وحددت له مهامه والتي منهـا بذل جهده للحصول على معلومات يمكن الوثوق بها واحباط اي محاولة لاظهار المخططات البريطانية بشكل يسيء البريطانيا .

١٢- وكشفت لنا الوثائق البريطانية عن نشاط بريطانـي في اليمـن خـاص بمساعدة الحركة الصهيونية للأتصال بيهود اليمن عام ١٩٠٤ تلك البعثة التي مثلها السيد فورد رعضو البعثة التبشيرية مايلدماي في لندن ، والنشاط الذي قام به القنصل البريطاني بادخال الكتب الدينيـة التي بعثت بها الارسالية الى اليمن لتوزيعها هناك . كما كشفت هذه الوثائق عن الاتصالات التي كان يجريها الاتحاد الاسرائيلي في باريس مع البـاب العالي للحصول على فرمان يتيح لممثلهم مواصلة عمله في اماكن متعـددة من اليمن .

وبعد استيلاء البريطانيين على عدن بدأت فرنسا تبدي نشاطا واضحا في البحر الاحمر وبالقرب من عدن ، وتبعث بالسفن الحربية الى هنـاك للمراقبة واقلاق بريطانيا ، وتذكر الوثائق الفرنسية بان فرنسا كانت تفكر في تشييد مستعمرة فرنسية على الساحل الأفريقي للبحر الاحمر فـي مواجهة القاعدة البريطانية في عدن ، وقد وصفت بعض الوثائق النشاط الفرنسي امام عدن بانه عمل من اعمال المخابرات كان يهدف الى تلمس نقاط الضعف البريطانية لاستغلالها ، كما اخذت التقارير البريطانيـة الصادرة من عدن توضح مدى القلق الذي اصاب البريطانيين من جراء

التحركات الفرنسية بظهور السفن الحربية الفرنسية بشكل مستمر امام عدن وعلى الساحل الافريقي من البحر الأحمر المواجه لعدن والمحاولات التي يبذلها الفرنسيون للسيطرة على بعض الموانيء عليه ، خاصة في زيلع ومصوع وشوامن اقاليم الحبشة .

وقد سبب استيلاء الفرنسيين على جزيرة عبد القوري قرب سوقطرة ، وعلى جزيرة أوبوك الواقعة في منتصف الطريق بين جزيرة بريم وميناء تاجورة الصومالي المواجه لميناء عدن والقريب من مضايق باب المندب وذلك عام ١٨٦٢م ، قلقا وضيقا لبريطانيا التي اعتبرت ذلك بمثابة تهديد صريح لوجودها في عدن ولنمو عدن ذاتها تجاريا ، وحينما ترددت الشائعات عن نشاط فرنسي على سواحل شبه الجزيرة العربية القريبة من عدن ، ومحاولة الفرنسيين شراء منطقة بئر أحمد شمال غربي عدن ، سارعت بريطانيا بالتصدي لهذه المحاولة بشرائها جزيرة عدن الصغرى التي تقع فيها منطقة بئر احمد الجبلية .

وفي قلب شبه الجزيرة العربية نجد ، حائل الذي شهد حركة من اكبر الحركات في التاريخ العربي والاسلامي - تلك هي الحركة السلفية التي ابرزت نجد كقوة لها تأثيرها الداخلي والخارجي . تمكنا بما توفر لنا من وثائق ومراجع ان نلقي النظر على السياسة البريطانية والفرنسية تجاه حائل ونجد ودولها السعودية الثلاث في النقاط التالية :-

١ - ان بريطانيا قد اسعدها جدا انهيار الدولة السعودية الأولى مع انهيار انقاض عاصمتها الدرعية ، لكن بريطانيا مالبثت ان وجدت نفسها امام الدولة السعودية الثانية والتي كانت اكثر طموحا من سابقتها ، وأخذ نفوذها يمتد قريبا بل ويلامس حدود مناطق نفوذها في الخليج الأمر الذي دفع بريطانيا لأن تتحرك بالتحذير والتهديد لهذه الدولة بان توقف من نشاطها في منطقة عمان ، واصبح امر حماية اراضي سلطان

مسقط من السعود يين النقطة التي تتحكم في خط سير العلاقات بيـــن بريطانيا والدولة السعودية الثانية واختلفت الآراء في دوائر الحكومـــة البريطانية في لندن والهند حيال الطريقة التي يجب اتباعها مـــع السعوديين . ففي الوقت الذي كانت فيه حكومة لندن ترى ضـــرورة استخدام القوة المسلحة ضد السعوديين ، كان رأى حكومة الهنـــد ان استخدام القوة العسكرية مع السعوديين لن يحقق الهدف المطلـــوب، لان القوة البريطانية بحرية ويمكنها ضرب السواحل ، لكن السعوديـــن يملكون قوة برية سريعة الحركة لا تستطيع القوات البريطانية مجاراتهـــا او احراز أى نصر عليها . ولذلك فقد كان رأى حكومة الهند سلوك الخـــط السياسي للتفاهم مع الزعامة السعودية ، وعلى هذا الاساس دفعـــت بسلطان مسقط للتفاوض مع السعوديين والتوصل الى اتفاق بينهما بان يدفع سلطان مسقط للسعوديين مبلغ خمسة الاف جنيه سنويا ، مقابـل ان يوقف السعوديون زحفهم على اراضي مسقط وعمان .

٢ - حدوث تسابق بين السعوديين وامام مسقط للاستيلاء على جزر البحرين وقد كان هذا التسابق سببا في اظهار المطامع الانجليزية عـــام ١٨٥١ تجاه البحرين ، فبريطانيا التي لم توافق على الطلبات المتكررة لامـــام مسقط للسماح له بالاستيلاء على البحرين ، عملت على ان تظل البحرين بمنأى عن سيطرة امام مسقط او السعوديين على السواء وحمتها بقـــوة بحرية لها . وحينما اخذ الامام فيصل بن تركي يجرى الاستعـــدادات العسكرية في القطيف والدمام تمهيدا لغزو البحرين ، تصدت القوات البحرية البريطانية لهذه الاستعدادات وقامت بمهاجمة وضرب مينـــاء الدمام عام ١٨٥٩م .

٣ - اهتمام بريطانيا بسد الطريق امام اى محاولة فرنسية للأتصال بالدولة السعودية ، فحينما علمت بريطانيا بوصول وليم بلجريف مندوب نابليون الثالث الى الرياض اسرعت وبعثت بالكولونيل بلي المقيم البريطاني في الخليج لمقابلة الامام فيصل زعيم الدولة السعودية الثانية لافساد الاتصال الفرنسي .

٤- تابعت بريطانيا اطوار النزاع بين آل سعود وآل الرشيد . وعملت على ان تظل في وضع المراقب لتلك الاحداث فقط دون التدخل لصالح اى طرف من الأطراف كما الزمت كافة المشايخ والامراء على ساحل الخليج بالوقوف على الحياد حيال هذا النزاع. الا ان مالاحظناه من واقع تقارير القناصل البريطانيين في المنطقة عن احداث نجد عام ١٨٩٠ ان القنصل البريطاني في جدة كان يحاول اقناع حكومته بالوقوف الى جانب آل الرشيد الذين كان يصورهم بانهم يملكون زمام الأمر والقوة وان آل سعود في انهيار مستمر . وفي تقرير آخر لنفس القنصل يوضح ان اهل الحجاز يهمسون بان بريطانيا تميل الى تأييد آل سعود اكثر من ابن الرشيد ، كما ان العديد من هذه التقارير السرية البريطانية كانت تميل الى التشهير بآل سعود ووصفهم بأوصاف قد تكون بعيدة عن الحقيقة واستنتجنا ان مرد ذلك ربما كان تأثر القنصل البريطاني بنظرة الاشراف في الحجاز وموقفهم من آل سعود وكان يعمل على تأييد موقفهم كسبا للسياسة البريطانية في الحجاز.

٥ - المحاولات الفرنسية المستمرة للتعرف على احوال نجد عن طريق بعث المندوبين والجواسيس او الرحالة الا ان اهم مافي ذلك النشاط كان المشروع الفرنسي الذى طرح للمناقشة عام ١٨٥٦ او المتمثل في تمكين احد افراد العائلة السعودية ( الامير سعود ) للأستيلاء على السلطة

من يد عمه فيصل وذلك بتأييد قوى من فرنسا مدعما بالمال وبرجل عبقرى تثق فيه فرنسا يكون العقل المدبر الى جانب هذا الامير السعودى وكان الرجل المرشح لذلك هو الامير عبد القادر الجزائرى المقيم فى دمشق ، الا ان تنفيذ هذا المشروع كان يتطلب ايجاد قاعدة بحرية فرنسية قوية فى البحر الاحمر، ولذلك فان هذا المشروع لم ينفذ ( وأوضحنا ثلاث نقاط - الت دون تنفيذه ) . وفى عام ١٨٦٣ بعثت فرنسا بولجيم بلجريف الى الرياض وحائل والذى سبق ان اشرنا اليه ، وقد ابلغ الامير فيصل بن تركى المقيم السياسى البريطانى فى الخليج ان فرنسا حاولت التودد اليه وعرضت عليه الحماية وطلبت منه ان يبلغ موافقته الى القنصل الفرنسى فى دمشق ولكنه رفض ذلك .

وفى عام ١٨٨٤ بعثت فرنسا بالعالم الفرنسى دكتور هيبر الى نجد وحائل لجمع المعلومات عن نجد وحائل والاتصال بالزعماء فيهما الا ان هذا العالم بعد قيامه بزيارة الى نجد وحائل قتل بالقرب من مدينة رابغ ( القريبة من جدة ) .

٦ - وكشفنا من واقع الوثائق البريطانية الرسمية عن وجود مشروع انجليزى لمد خط سكة حديد من بور سعيد الى الكويت عبر نجد . وقد كشف عن ذلك لامير حائل شخص مسلم اسمه محيى الدين فى رسالة بعث بها اليه بصفته وكيلا ومفوضا من قبل روسيا وفرنسا عارضا عليه اعانة مالية قدرها مائة الف دولار شهريا اذا وافق على توقيع معاهدة مع احدى الدولتين روسيا او فرنسا يقبل فيها حماية احدى الدولتين او حمايتهما المشتركة لكن ابن الرشيد رفض ذلك وبعث بهذه المعلومات الى الحكومة العثمانية والى شريف مكة بصورة سرية وعلمت بها بريطانيا فى حينها الا انها ظلت طى الكتمان حتى الوقت الحاضر.

وفي منطقة الخليج العربي تتبعنا التنافس الانجليزي الفرنسي فيه على النحو التالي :

اولا - في الكويت وقد اثبتنا ان النشاط البريطاني كان قويا الى درجة جعلته يطوي الكويت تحت اعلام حمايته . وكيف كان البريطانيون في تعقب مستمر لاي نشاط فرنسي يظهر واوردنا مثالا واضحا على ذلك وهو وصول مسئول فرنسي اسمه دي بوريل دي بورج الى الكويت ونزوله ضيفا على شيخ الكويت عبد الله الصباح عام ١٧٧٨ فعملت السلطات البريطانية الى تعقبه والقبض عليه في الكويت والاستيلاء على ما يحمله من اوراق رسمية هامة وسجنه ثم ارساله الى بومباي ، وفي عام ١٧٩٠ حصلت بريطانيا من شيخ الكويت على تفويض بتفتيش المبعوثين الفرنسيين والبريد الفرنسي الذي كان ينقل بالسفن الكويتية وقد ترك الصراع بين بريطانيا وفرنسا بصماته على الكويت التي استفادت منه في تجارتها ، بل انه دفع الانجليز الى تمكين نفوذهم في الكويت . كما ان السياسة الموالية للانجليز والتي كان يسير عليها شيخ الكويت حالت دون حصول الفرنسيين على تأييد شيخ الكويت لهم في صراعهم مع الانجليز . وما لبثت بريطانيا ان شملت الكويت بكامل حمايتها عام ١٨٩٩ وبعدها لم تعد هناك اي فرصة للنشاط الفرنسي المنافس لبريطانيا في الكويت ، الا ان فرنسا ظلت تحاول اغتنام الفرصة لايجاد مدخل لها الى الكويت وكانت بريطانيا بالغة الحساسية تجاه اي تحرك فرنسي نحو الكويت ففي عام ١٩٠٠ بعث قائد السفينة البريطانية رد برست برسالة الى القيادة البحرية في الخليج والمحيط الهندي اوضح فيها عن وصول السفينة الحربية الفرنسية "د روم" الى البصرة ثم غادرتها الى الكويت ، وبادرت القيادة البريطانية الى اصدار اوامرها لكافة المسئولين في المنطقة لمتابعة ومراقبة سير السفينة الفرنسية

واستنتجنا من واقع الوثائق البريطانية بهذا الصدد• ان السفينة الفرنسية د روم كانت تهدف الى جمع معلومات كاملة عن الخليج واعداد تقارير مفصلة عن كل اقليم من اقاليمه، خاصة وان زيارة هذه السفينة كانت بداية لزيارات كثيرة ستقوم بها السفن الحربية الفرنسية للخليج . وعلى الرغم من ان هذه الزيارات الفرنسية لم تؤثر على الوضع الداخلي في الكويت الا انها اقلقت بريطانيا .

وثانيا- استعرضنا علاقة قطر ببريطانيا واوضحنا ان قطر لم تشهد صراعا انجليزيا فرنسيا على ارضها بل كان صراعا بريطانيا عثمانيا .

وثالثا- استعرضنا علاقة البحرين ببريطانيا وينطبق عليها ما ذكرناه عن قطر من حيث الصراع الفرنسي الانجليزي ، كما اوضحنا ان البحرين كانت منطقة نفوذ بريطانية منذ وقت طويل ولم يكن في استطاعة فرنسا ان تنافس بريطانيا فيها . ولو كان في امكان فرنسا آنذاك ان تمد يدها الى البحرين بالتجارة او غيره لما ترددت لان هدفها الدائم هو منافسة النفوذ البريطاني في كل مكان على الكرة الأرضية .

واستكملنا حلقات الصراع والتنافس الانجليزي الفرنسي في شبه الجزيرة العربية بالتنافس والصراع الذي جرى حول مسقط وعمان واستطعنا ابراز عدد من النقاط التي تعتبر أضافات جديدة لما نشر عن هذا الأقليم من أقاليم شبه الجزيرة العربية وأهم النقاط هي :-

١ - قلق حكومة الهند من الاتفاق او المعاهدة التجارية التي عقدها السلطان السيد سعيد حاكم مسقط عام ١٨٣٣ والخلاف الذي نشب بين القيادة البحرية وحكومة الهند حيال تصرف الأول بأرسال احد قادة السفن الحربية البريطانية وهو الكابتن هارت الى مسقط عام ١٨٣٤

وفي النهاية ابلغت حكومة الهند رأيها الى حكومة لندن والمتضمن أن المعاهدة المذكورة لا تمثل اى تهديد للمصالح البريطانية فى مسقط وذلك لان الامريكيين ليسوا منافسين سياسيين لبريطانيا فى الهند .

٢ - وحتى عام ١٨٣٤ لم يكن للحكومة البريطانية هدف محدد لعلاقاتها بمسقط وذلك وفقا للمكاتبات التى تبودلت بين حكومة الهند وحكومة لندن فى هذا الصدد فى ٢٧ سبتمبر عام ١٨٣٤م وفى عام ١٨٣٨ - بدأت فى بريطانيا دراسات حول اهمية علاقة بريطانيا بمسقط وركزت تلك الدراسات على الفوائد الاقتصادية والسياسية والعسكرية التى ستعود على بريطانيا من صداقتها لامام مسقط وانتهت هذه الدراسات الى التوصية بعقد معاهدة دفاعية، ومعاهدة تجارية مع امام مسقط. الا ان الحكومة البريطانية عملت بالبند الثاني من التوصية وابرمت مع أمام مسقط معاهدة تجارية فقط عام ١٨٣٩ .

٣- فى عام ١٨٣٨ اصدر مكتب الهند بلندن مذكرة اعلن فيها انه قد تقرر ان يلقب امام مسقط بلقب " سلطان" ويخاطب بهذا اللقب .

٤- كانت المساعي الفرنسية داخل مسقط تعمل للحصول على بعض مواطنى مسقط للعمل معها فى تنفيذ مخططاتها المنافسة لبريطانيا ، وقد كشف ذلك رسالة تمكنت السلطات البريطانية من وضع يدها عليها ومصادرتها وهى عبارة عن رسالة شخصية من شخص يسمى النويلى بن النويلى يبعث بها الى الشيخ خميس بن عثمان فى زنجبار يخبره عن حاجة الفرنسيين الى رجال للعمل معهم .

٥ - وفى عام ١٨٤١ اخذ النشاط الفرنسي يتركز على الجزء الافريقى من سلطنة مسقط واخذ سلطان مسقط يشكو للحكومة الانجليزية من قيام الفرنسيين بالاستيلاء على بعض املاكه فى مناطق على الساحل

الافريقى مثل جزيرة نوسى بى ، ويوضح لبريطانيا بان اهداف الفرنسيين فى المنطقة لها ابعاد واسعة ، واهتمت بريطانيا بما اشار اليه سلطان مسقط وبعثت بالعديد من القادة البحريين لزيارة المناطق التى استولى الفرنسيون عليها ورفعت تقارير مطولة عن تلك المناطق وعن الوجـــــود الفرنسى بها .

٦- فى عام ١٨٤٤ مكنت فرنسا من ابرام معاهدة تجارة وصداقة مــــع سلطان مسقط، وكان هذا السلطان قد اخذ رأى الحكومة البريطانيـــة قبل ان يقوم بالتفاوض مع الفرنسيين ، وحينما سمحت له الحكومـــــــة البريطانية بعقد هذه الاتفاقية او المعاهدة ابرمها ، ولكن بعد ابرامها واطلاع بريطانيا على البنود التى اشتملت عليها هذه المعاهدة ثارت ثائرتها وعارضت خاصة ماورد فى المادة السابعة عشر من هــــــذه المعاهدة والتى اعطت للفرنسيين حق انشاء محلات تجارية من اى نوع فى زنجبار او فى اى جزء من الاراضى التابعة للأمام، واعتبـــــرت بريطانيا ان هذه المادة ضارة بمصالحها فى المنطقة ولذلك فقد طلبت من الحكومة الفرنسية تفسيرا واضحا لنواياها ، كما طالبت الامام ان يصدر مادة تفسيرية للمادة السابعة عشر، وتضاربت الترجمات حيال نـــــص هذه المادة ودارت مخابرات طويلة بين سلطان مسقط والسلطـــــات البريطانية بصددها .

٧ - قيام سلطان مسقط بتعيين شخص انجليزى قنصلا له فى لندن يتولـــى رعاية مصالح رعايا سلطنة مسقط لدى الحكومة البريطانية .

٨ - تدخل احد المبشرين فى مسقط وهو الدكتور كراف فى شئون سلطنــــة مسقط واتصاله بالقنصل الفرنسى واعطاءه معلومات عن مسقط اعتبرهـا سلطان مسقط ضارة بمصالحه وبموقفه وسلطته الشرعيه وكتب القنصـــــل

البريطاني في مسقط الى حكومته اسفا على مابدر من المشير المذكـــور وتفيد حكومته ايضا بان فرنسا تعتزم ارسال بعثة تبشيرية الى مسقط.

٩ - استمرار النشاط الفرنسي ومنافسته للوجود البريطاني في مسقط حتى بعد التصريح الثنائي الصادر من قبل الدولتين باحترامهما لا ستقلال سلطنة مسقط ، فقد حصلت فرنسا من السلطان فيصل بن تركي على بنـــــدر الجصة جنوب شرقي ميناء مسقط عام ١٨٩٩ لتقيم عليه محطة للفحم الأمــر الذى دفع بريطانيا الى الكشف عن المعاهدة السرية التي ابرمتها مــع سلطان مسقط عام ١٨٩١ ، والتي تجعل سلطنة مسقط شبـــه محميـــة بريطانية ، وطالبت سلطان مسقط بالغاء تنازله لفرنسا بل واستعملـــت الضغط العسكري عليه ليعلن تراجعه عن ذلك التنازل الذى اعتبر خرقا لاتفاق عام ١٨٩١ . واضطر السلطان ان يلغي تنازله للفرنسيين حينمـا رأى الاسطول البريطاني يوجه فوهات مدافعه الى قلب مسقط .

وأود في النهاية ان اشير الى ان فرنسا على مايبدو لم تكن قد اختارت بالفعل الاشخاص النشيطين الاذكياء الذين يمكنهم مراقبة الوضع في المنطقة . . والعمل بالسرعة اللازمة لاستغلال الظروف فيها . . فقد مرت بامام مسقط ظـروف غاية في الصعوبة ، فلو انها تقربت منه وبسطت له المشورة الراشدة ، والتأييـــد المادى والعملي فان نقاط مكاسبها هنا لابد وان تزيد ، وعلى هذا الخط كان يمكنها ان تكسب كثيرا ، وان استعراضات السفن الحربية الفرنسية بين وقت وآخـر في مياه الخليج والمحيط الهندى او سواحل شرق افريقيا ، او التوقف لفتـرات قصيرة في بعض الموانئ العربية الواقعة تحت السيطرة البريطانية لم تكن ذات اثر فعال ، وان كانت تسبب بعض المضايقات والازعاجات النفسيـــة والارباك العسكرى والزعزعة الاستراتيجية ، والدوار السياسي ، ولكن المحصلة النهائية على طريق المنافسة تكون دوما لاشيء ، بل قد تعطي في الغالب نتائج عكسيـــة فتقوم بريطانيا بتدعيم مراكزها بطريقتها المرنة المتدرجة حسب مقتضيات الظروف ومناسبة المناخ السياسي في المنطقة.

# ملحـــق الوثائـــق

## فهرس بالوثائق الواردة في ملحق الوثائق



---

* ( ف ص - ) يعني الفصل الذي استخدمت فيه الوثيقة.

رقم ٢٩٠

No. 61

صورة تحرير من علماء الشام الى علماء حماه

بعد السلام عليكم . ان النصارى من بداية حكم عبد المجيد بدو ...
ونقض ودق بهذاية الشريعة المحمدية ويتجاوزون الحدود ويتجاوزون
الرسومات المرعية عليهم من قديم الزمان من قبل الامام علي بن الخطاب ...
هذا الزمان بيناهضوا الاسلام بكل مادة توجب اللعنة ...
التي رسومات الشريعة الغراء والقرآن الشريف ينهون عنها ...
دينهم ويكسرون الرسومات المفروضة عليهم ...
على الاسلام في مجالس الاحكام وما شابه ذلك ...
[illegible]

Copy of a Letter from the Ulema of Damascus to those of Hama.

After our salutation to you (know) that the Christians from the beginning of the reign of Abd-ul-Mejid began quarrelling and prising and destroying the integrity of the law of Mohammed and they pass the limits and transgress the obligations imposed on them from old time by the Imam Ali il Khatab. And they have begun in this time to strive violently with the Mussulmans in every matter which brings a curse on them in the things which the rules of the Just Law and the Coran of Glory forbid, and they hurt them in their religion, overturn the obligations laid on them, which Christians ought to obey: and they have usurped the privileges of the Mussulmans by sitting above them in official places, and so on. And the great and small among them revile the Mussulmans and their greatest desire is to break the Mussulmans on equal terms

من مدة سنتين ونصف ووجدوا الرعايا [illegible] وابتدأ الإسلام
خائفا نعلم أيضا الذي احلم السلطان ومن يلوذ به ووضعوا به
محل كونه زايد مثل أيام وبعيد دين الإسلام كما كان سابقا [illegible]
وبضعف النصارى وبيعهم كما كانوا سابقا [illegible] وأن [illegible]
بيعهم كلها في هذه البلاد لأنه إذا تدخل علينا [illegible]
لنا عزة ويتبع الذبح والآن عمال يجروا [illegible] ويعملوا فساد
وحكاية ضعف الإسلام ولاسيما الجبل يوجد فيه ما يبين [illegible]
من قيام الزمان وشريرين في كل حركة ولا يتدبر أحد [illegible]
[illegible] سائر روابط [illegible] بينهم وبين [illegible]
مادام [illegible] على هذه البلاد ونحن لما [illegible]
[illegible] النصارى التي بالجبل
[illegible] هذا [illegible] الجبل
[illegible] والآن [illegible]
[illegible] نساعدهم [illegible]
[illegible] بعد
[illegible] السلام عليكم ثانيا

A true Copy

Felix Stone

and resemble them; and they do not know that the Mussulm. are plotting to uproot them and destroy their race. And that for the following lawful reasons.

1st Reason. The shedding of their blood, the violating of their honor and property, the burning of their churches, the destroying of their houses, is lawful on account of the abolition of the tribute.

Second Reason. Many Fetwas from the books "Fetwa el Hamidi and Fetwa el Bahaie" show that it is stated strongly that it is not proper for Mussulmans to countenance the strength of Christians and that the weakness of the Christian is necessary for the Mussulmans by whatever means it is obtained, such as the destruction of their crops and their fruits, and stopping their occupations.

Third reason. It is not right to honor the Christians, [illegible] curse those who dress them with robes of honor.

Fourth reason. The nation of infidels is one nation.

In the book of [illegible] and other books where it is [illegible] that a Christian in an [illegible]

ترجمة لجزء من الوثيقة رقم ٦ ف

القنصلية الفرنسية بجدة
الادارة السياسية

رقم ٥

تاريخ ١٧ نوفمبر ١٨٤٨م

سيدى وزير الخارجية

لقد وصل الى هنا اول امس

اللفتانت كولونيل مارى كورس وهو المساعد الحربى لأحمد باشا ( ابن اخت محمد على ووزير الحربية الحكومة المصرية ) على ظهر السفينة الانجليزية التى استمارها من أجل هذه المناسبة السيد / موراى القائم بالأعمال والقنصل العام لصاحب الجلالة ملك بريطانيا فى مصر وذلك ليعود عليها عباس باشا حفيد محمد على الى مصر فى أسرع وقت ممكن لكى يحل نائب للملك ( والى لمصر ) ولقد بعثوا برسالة الى الطائف حيث يقيم عباس باشا ـ وفى نفس اليوم ذهب أحمد الهكسوات الشبان وهو صهر وزير الحربية الذى حضر مع السيد موراى لاستقبال صاحب السمو الذى نحن فى انتظاره من ساعة لأخرى منذ يوم ١٨ نوفمبر.

ولا يمكننى أن أستغل هذه اللحظات حتى وصول ورحيل الباخرة البريطانية الا باخبارك يا سيدى بالمعلومات التى حصلت عليها عن مشروع الاتحاد بين الجزيرة العربية ومصر وهو مشروع قد اتفق عليه وزير الحربية ونائب الملك ( والى مصر ) قبل وفاة ابراهيم باشا

وعلم كل الناس فى هذين الاقليمين أن احمد باشا الذى كان فيما مضى حاكما على الحجاز من قبل محمد على ( وهو خاله ) لم يطمع فيما هو اكثر من أن يقضى وينهى أعماله فى مكة كمسلم صالح ومواطن مخلص للسلطان عبد المجيد وهو يرغب أن يمثل سلطة الباب العالى فى الجزيرة العربية وليس العكس فى أن يقتسمها

مع شريف عربي ، وفي حالة قبول رغباته سوف تتكفل مصر بمصروفات الجزيــــرة العربية ـ وهو اقليم ليس فقط غير منتج بل هو باهظ التكاليف للخزينة السلطانية ومع ذلك لابد وأن تخصم مصاريف الاحتلال من جزية الستين ألف كيس التي تدفعها مصر سنويا الى السلطان .

وطبقا لتقديرات احمد باشا سوف تلتهم الجزيرة العربية نصف هذا المبلغ ( أي ثلاثون ألف كيس) .

وفي الواقع يا سيدى الوزير وطبقا للحالة الراهنة للأمور فأن سلطة الصـاب العالي في الجزيرة العربية اسمية فقط ـ ولم يكن شريف باشا الا ظل حاكـــم ـ وأن محمد بن عون ( شريف مكه ) أو بالأحرى ابنه عبد الله هو الذى يحكم الحجاز وأنه شيخ مكة ( وهو شخص بدوى ) وهو يقوم بجمع الأموال ولا يدفع منها شـــى ء لأحد . وهل كان يتقاسم مع الباشا ؟ ليس الا في أضيق الحدود .

ولكن الباشا نجح في أن يجعل الناس يعتقدون أن الشريف يلتهم كـل شيء السلطة والأموال .

والخمسة آلاف كيس التي جمعت في المدة الأخيرة في مصر من أجل الباشا الجديد توفيق لاعداد حملة مقبلة ضد اليمن ـ صرفت هذه الأموال لاثارة الحكام هناك .

وربما ستتسلم الفرقة التركية جزء بسيط من هذه الأموال ولكن الحملة التي تعهدوا بها لم تف بتعهداتها السابقة .

ونحن نعلم بأنه ما زالت انجلترا تطالب برد شرف عن الاهانة التي وجهها الشريف حسين الى علمها منذ ثمان سنوات .

وبناء على الاتفاق والوعد للقيام بالهجوم على اليمن فأن الوزير المفـــوض

الانجليزى فى القسطنطينية أمر السيد موراى بوضع سفينة انجليزية ( كانـــت راسية فى السويس) فى خدمة توفيق باشا ولكن احمد باشا لم يعد بأى فتوحات ـ وانه سيكتفى بجعل الطريقان الامبراطوريان للقوافل من دمشق والقاهرة آمنة.

ومن أجل ذلك سيكتفى بفرقتين من الجنود النظاميين ويتحتم على شريف مكة أن يكون خاضعا له . . . . . . . . . . .الخ

214

Copie

Consulat de France à Djidda.

Direction politique.

N° 2

Djidda, 17 novembre 1848.

Monsieur le Ministre,

Le Lundi 20 du courant, [illegible] Ahmed Pacha (beau-frère de Méhémet-Aly et Ministre de la Guerre du Gouvernement Egyptien) est arrivé ici avant-hier sur un paquebot anglais prêté à cet effet par M. Murray, Agent et Consul général de S. M. Britannique en Egypte, pour porter à Abbas-Pacha, petit-fils de Méhémet-Aly, la nouvelle de la mort d'Ibrahim-Pacha, et le ramener le plus promptement possible en Egypte où il doit être proclamé Vice-Roi. Un courrier fut expédié avant-hier à Taïf où se trouvait Abbas, et, le même jour un jeune Bey, gendre du Ministre de la Guerre, venu avec M. [illegible] est allé au devant de S. A. qui sera attendue d'heure en heure à la fin de demain 18 novembre.

Je ne crois pouvoir mieux employer les instants qui me restent jusqu'à son arrivée et le départ du paquebot anglais, qu'en vous transmettant, Monsieur le Ministre, les renseignements que j'ai obtenus sur le projet de réunion de l'Arabie à l'Egypte, concernant [illegible]

A Monsieur Jules Bastide

Ministre des Affaires Etrangères

à Paris

le Ministre de la Guerre et le Nouveau Vice-Roi, dès avant la mort d'Ibrahim Pacha.

Quant à la seconde, c'est dans ces deux premiers que Ahmed Pacha, au Soudan, gouvernement du Hedjaz [illegible] son cadet [illegible] d'autre ambition que celle de traiter [illegible] sur les points de la Mecque [illegible] sa fidélité de Sultan [illegible] représenter l'autorité de la Sublime Porte en Arabie [illegible] cette autorité avec un Chérif arabe, dans le cas où les deux [illegible] le chargement des dépenses de l'Arabie, [illegible] au trésor impérial, à cette condition toutefois que les frais [illegible] seraient réduits du tribut de 60 mille bourses que l'Egypte paie annuellement au Grand Seigneur. Sous l'administration d'Ahmed Pacha, l'Arabie pourrait coûter [illegible] 30 mille bourses.

Le fait est, Monsieur le Ministre, que dans l'état actuel des choses l'autorité de la Porte en Arabie est purement nominale. Le Chérif Pacha n'est qu'une ombre de gouverneur. C'est Mohammed Ibn Aoun, Chérif de la Mecque, conjointement avec son fils Abdallah, qui gouverne le Hedjaz. C'est le Chérif de la Mecque, qui touche les Khaznehs et [illegible] les partage-t-il avec le Pacha? Je n'en [illegible]

fais

point; mais le Pacha a réussi à faire croire
que le Chérif a abordé tout le pouvoir et
les finances. — Les cinq mille bourses qui
ont été remplies tout dernièrement ont
[illegible] à ce nouveau Pacha Taoufik
pour une expédition à venir contre
l'Yémen; — ces cinq mille bourses ont
été [illegible] les [illegible] particuliers de vos
gouvernants. [illegible] des troupes turques
[illegible] une petite
portion de l'armée qu'elles réclament.
Mais l'expédition [illegible] a été
engagé [illegible] de faire est tout dernièrement
encore [illegible] M. [illegible] Bey [illegible]
[illegible] — [illegible]
l'Angleterre [illegible] toujours à la Porte
la destitution de l'insulte faite à son pavillon
il y a [illegible] à Mokha par le Chérif
Huceyn [illegible]
[illegible] une nouvelle [illegible]
[illegible] que l'ambassadeur anglais
à Constantinople donna ordre à [illegible]
Murray de [illegible]
en station à Suez à la disposition de
Taoufik-Pacha.

[illegible] Ahmed Pacha [illegible]
de conquête [illegible] le commandant [illegible]
[illegible] les deux [illegible] des
Caravanes de Damas et du Caire —
[illegible] deux régiments réguliers
lui suffiraient. [illegible] le Chérif de
la Mecque devra lui être soumis.

En attendant l'issue de ces
négociations le Gouvernement [illegible]

de l'Égypte a pris sur lui de [illegible] au Caire le Nouveau Gouvernement [illegible] par la Porte pour [illegible] [illegible] habitans ce pays.

Ce Rapport dont les principaux éléments me sont fournis par le Colonel [illegible], ne doit point être considéré comme un plaidoyer en faveur d'Ahmed Pacha mais comme le simple exposé des faits. Quant aux dilapidations du Gouvernement de Chérif Pacha, elles sont malheureusement patentes, et il y a plus d'un an que j'en entretiens l'Ambassade de la République à Constantinople.

J'ai l'honneur d'être avec respect,

Monsieur le Ministre,

Votre très obéissant
serviteur [illegible]

ترجمة للوثيقة رقم ١٩

القنصلية البريطانية في جدة
٦ من اغسطس ١٨٧٩

الى ماركيز سالزبوري
وزير الخارجية
رقم ( ١ )

سيدى

وصلتني أخبار ذات طبيعة خطرة من مصادر مختلفة ومتفرقة وأرى من واجبي ابلاغكم بها ، واني وان كنت لا أضمن صحتها ، الا أنه اذا ثبتت صحتها فانها قد تسبب متاعب خطيرة في المستقبل .

علمت من رجل بقي هنا لمدة سنوات أنه يوجد في مكة ( المكرمه ) جماعـــة سرية هدفها تخليص جميع المسلمين من السيطرة المسيحية ، وهذه الجمعية علـى اتصال بكل المجتمعات الاسلامية في أنحاء العالم ، كما أن لها دور كبيـر في ثورة الجزائر ، ولم يكن مقصودا أن تبدأ ثورة والجزائر حين بدأت ، ولكن كانـــت الخطة أن تبدأ الثورة هناك حينما تتهيأ ظروف الثورة أو الحرب في نفس الوقت في بلاد أخرى .

وهذه الجمعية التي تتكون من شيوخ القبائل والأشراف غير راضيـــة عن نتائج الحرب الأخيرة مع روسيا لدرجة أنهم يناقشون بصورة جدية فكرة سحـب لقب " زعيم المسلمين " من السلطان . ويعلنون أنه طالما أن السلطان واقع تحـت سيطرة القوى المسيحية ، فانه لم يعد في الامكان اعتباره مستقلا ، وعلى ذلـــك لا يمكن أن يستمر الممثل الحقيقي للنبي ( صلى الله عليه وسلم ) ، ويجـــب أن توكل المهمة المقدسة لشخص اخر .

ويبدو أن هذا الرأي نشأ أول الأمر في دمشق وكان من المقرر ان تكون تلك المدينة مقر " رأس الاسلام " ، ولكن الجمعيـة التي في مكة ( المكرمة ) كانـت ضد هذه الفكرة حيث ان دمشق في متناول النفوذ الأوروبي بينما المدينـــــة ( المنورة ) التي تتوفر لها كل العوامل ـ البعيـد عن أوروبا ، وصعوبة الوصـــول

اليها ، وقد سمتها ، وظهر أخلاق المسلمين فيها ـ بدت المركز الطبيعي للعقيدة الاسلامية، وعلى ذلك تم الاتفاق على أن تكون مقرّ رئاسة الاسلام".

وقد تلقى قنصل هولندا ـ وله رعايا كثيرون يقيمون في مكة المكرمة. معلومات مماثلة ويرى أنها من الأهمية بحيث يمكنه أن يحصل على تفصيلات أكثر دقـــة. وقد أكد لي ضابط تركي أن نفوذ السلطان في بلاد العرب اسمي فقط، ولما كان العرب يكرهون الاتراك فان أحداثا خطيرة ستقع قريبا . وأكدت نسوة لزوجتــــه أن هناك رغبة لتخلص البلاد من كل الاتراك، ويحتمل أن تحدث مذبحـــــة، وأن كان وقتها لم يحن بعد، الا أنها تقترب بسرعة، وقد أعاد الضابط التركـــي أسرته الى القسطنطينية منذ أسبوعين.

وقد سألت ناشد باشا الحاكم العام الجديد عما اذا كان يدرك الشعور الذى يوجد في هذه البلاد فرد بالايجاب وقال انه ستكون هناك متاعب خطيرة في المستقبل القريب.

وأرجو أن تهتموا برسالتي المؤرخة ١٢ من مارس ، فهذه الرسالة التـــي أبعث بها مؤكدة لما جاء في السابقة، وتثبت صدق كلمات واخلاص سمو الشريف.

القنصل البريطاني بجدة

التوقيع

14 ش

Confidential

Political

No 1

H. M's Consulate

Jeddah, 6th August 1879

My Lord,

Statements of a serious nature having reached me from various and disconnected sources I deem it my duty to bring them to Your Lordship's notice. I do not vouch for their truth, but should they be true they prove the existence of ideas and plans which may give serious trouble in the future.

I have
&c.

The Marquess of Salisbury K.G.
&c. &c. &c.

From a gentleman who has resided here for some years I hear that at Mecca there exists a secret society whose object is the removal of all Mohamedans from Christian control. This Society is in communication with every Mussulman community throughout the world, and it has had a good deal to do with the revolt in Algeria, it was not intended that the revolt should commence when it did, the plan was that it should begin there when a state of war or revolt could, at the same time, be applied to

other countries. Similar information has reached me from another source.

The Society which is composed of Mollahs Sheiks and Sheriffs is, I am told, so dissatisfied with the results of the late war with Russia that the question of withdrawing from the Sultan his title of Temporal Head of the Mussulman Faith is being seriously discussed. It is declared that as the Sultan is under the control of the Christian Powers he can no longer be regarded as independent and cannot therefore continue to be the ...

Representative of the Prophet and the mantle must be laid on other shoulders.

This opinion, it appears had its rise in Damascus and that city was at first decided on as the future seat of the Head of Islam. The Society at Mecca were averse to this, it was argued that Damascus being within easy reach of European influence, it would not be a safe [illegible]me whereas Medina which [co]mbined within itself all requirements [th]at is - remoteness from Europe [diff]iculty of access, sacredness of

Must
political
NOT.

the city and purity of it Mussulman character indicated itself as the national centre of the Jewish. Medina has, therefore, it is said been fixed upon.

Mr. Kruyt the Netherlands Consul, who has many subjects residing in Mecca has also received similar information and he considers it of such importance that to enable him to try to get further and more minute details he is applying to his Government for authority to purchase information.

A Turkish Officer with whom I was conversing a few days ago affirms

me that the Authority of the Sultan in Arabia was merely nominal and as the Arabs hated the Turks he believed grave events would shortly take place. He told me that his wife had been warned by some Arab women with whom she was on terms of intimacy that there was a desire to rid the country of all Turks and there probably would be a massacre; the time had not yet arrived for it but it was fast approaching. I do not know whether it was the warning that influenced this Officer but he sent his family

to Constantinople about a fortnight ago.

I asked Nashid Pasha the new Governor General if he was aware of the feeling that existed in this country, he said he was and that there would be grave troubles in the near future.

I have the honor to call Your Lordship's attention to my despatch of the 12th March marked "Secret & Confidential" as this despatch is confirmatory of what I then reported and will, I think, prove the sincerity and truthfulness of the High Sheriff's words.

I have the honor to be with the greatest respect

My Lord

Your Lordships

most obedient

humble servant

[illegible signature]

Ireland & Tunis

Telegraph Aug 12.3.4 7

1877

Consul General [illegible]

[illegible]

Dated 6 Aug 1877

Confidential

ترجمة الوثيقـــــة رقم ٢٣

مكتب المخابرات رقم ١ سرى

٧ من أغسطس ١٨٧٩

الى القنصل البريطاني بجدة (السيد زوهراب)

سيدى

لقد أحلت الى المندوب السامي لصاحبة الجلالة في دولة الهند رسالتكـــم العاجلة المرقومة" سرى " بتاريخ ١٢ من مارس الماضى بشأن موضوع العرض الذى قدمه سمو شريف مكة ( المكرمة ) بأن يخاطب أمير" كابول" بأسلوب يتفق مع وجهـة نظر حكومة صاحب الجلالة .

وعلى الآن أن أبلغكم أن مجرى الأحداث قد جعل من غير الضرورى أن نستفيد بعرض سموه الذى ربما تمكن مناقشته مع ذلك في وقت ما في المستقبل .

وأود أن تكتب ثانية الى شريف مكة ( المكرمة ) بالطريقة التى ترون أنهـا مناسبة أكثر، أن حكومة صاحبة الجلالة تقدر جدا المشاعر الودية نحوها ، والتى حفزت سموه على تقديم هذا العرض عن طريقكم، واذا دعت الضرورة فيما بعـد الى الافادة منه ، فان رجال الحكومة لن ينسوا ان سموه في المناسبة التي نحن بصددها قد أبدى رغبته الاكيدة في أن يقدم لهم مثل هذا العون بقدر ما كان في امكانه لتحسين العلاقات بين هذه البلاد وحاكم أفغانستان .

ماركيز سالزبورى

وزيـر الخارجيـة البريطانية

رقم ٢٦

Copy

No. 1. Secret

Foreign Office
August. 7. 1879.

Sir, I have referred to H.M.'s Principal Secretary of State for India your despatch marked Secret of the 12th of March last, on the subject of the offer made by the High Sheriff of Mecca to address the Ameer of Cabul in a sense favourable to the views of H.M.'s Govt.

I have now to [acquaint] you that the course of events has rendered it unnecessary to take advantage of His Highness's offer, which however might possibly be turned to account at some future time

I

James Zohrab Esq^r^
Jeddah.

I should wish you to intimate to the Sheriff of Mecca, in the manner which you may consider most convenient, that H.M.'s Govt. highly appreciate the friendly feelings towards them that prompted His Highness to make this offer through you, and that should occasion hereafter arise for profiting by it, they will not forget that His Highness did, on the occasion in question, express his wish to render them such assistance as was in his power to improve the relations between this Country and

the

the Ruler of Afghanistan.

I am &c

(sd) Salisbury.

[illegible]

[illegible]

ترجمة للوثيقة رقم ٧٧

جـــدة
في ٨ من اكتوبر ١٩٠٢

الى القنصل البريطاني في جدة
مستر د يفي

سيدى

يشرفني أن أبلغكم أنه أثناء زيارتي للطائف لملاج سمو الشريف ، أتيحت لي فرصة فريدة للتعرف على كل الاشراف من أقرباء الشريف الحالي وأمراء مكة المكرمة السابقين ، وكانت لي صلة بكل عائلات الاشراف كطبيب ، وكانت لدى فرصة التعرف عليهم بطريقة غير رسمية . وأتيحت لي مناسبات لاجراء أحاديث ودية مع جميع الأشراف وألمعهم في الحجاز الآن .

الشريف علي بك ابن الشريف السابق عبد الله باشا
والشريف ناصر بك عوني ابن عم الشريف علي بك
والشريف ناصر بك حفيد الشريف السابق عبد المطلب

وقد تبينت أن الشريف الحالي مكروه من كل الأشراف وشيوخ قبائل البدو وكذلك من عامة الشعب ، لأن سلوكه استبدادى وطغياني ، كما أنه لا يعامل الأشراف وشيوخ القبائل بالاحترام والتقدير اللائقين بمكانتهم ووضعهم ، كما أن منح القمح والنقود التي تقدمها الحكومة التركية لا تصل اليهم كاملة أو بانتظام ، وفوق كل ذلك فان الشريف الحالي مجرد من اللباقة والقدرة الادارية .

ولا يتمتع سموه حتى بحب ابنه وأعضاء أسرته لأنه بدلا من أن يوفر احتياجات الأسرة ، ينفق كل المال في أمور لا تدر أى دخل ، وعلى من يحابيهم ممن لا يمتون بصلة للأسرة .

وأثناء الحديث عن خليفة الشريف ، عرفت أن أخاه الأصغر الشريف عبد الله الموجود الآن في القسطنطينية قد يكون من المحتمل جدا أن يخلفه ، ولكنني في نفس الوقت وجدت أن رأى جميع الاشراف والجمهور يؤيد الشريف علي بك ابن الشريف السابق عبد الله باشا .

ويقال ان أهل الحجاز كانوا يحبون الشريف عبد الله باشا عندما كان يقيم هنا ، ولكن يعتقد بصفة عامة أن غيابه عن الحجاز لمدة أكثر من عشرين سنة ، ونزعته المدينية وحلمه مضافا اليهما ضعف ارادته تجعله غير لائق لوظيفة الشريف الأكبر تحت الظروف الراهنة . لأن هناك اعتقادا انه لن يستطيع السيطرة على البدو الذين زاد سخطهم خلال عهد الشريف الحالي .

وعلى النقيض من ذلك فان الشريف علي بك ، وهو رجل ذو ذكاء شديد ولباقة وارادة قوية ، وقد كسب حب واحترام وثقة كل الاشراف وشيوخ القبائل بفضل سلوكه الوقور وكرمه الفياض نحوهم هو الرجل الذي أعتقد في صلاحيته في هذه الظروف .

وقال بعض الاشراف أيضا انه في حالة تعيين عبد الله باشا شريفا فان السياسة الحكيمة تقتضي تعيين الشريف علي بك مساعدا رسميا له ، وبهذا يمكن تجنب عدم الرضى بين أعضاء الاسرة ، كما أن السيطرة والهيمنة على البدو ستوكل الى الشخص المناسب .

وهناك اثنان آخران من الاشراف هما حسين بك ابن عم الشريف علي بك وعلي حيدر بك وهما في القسطنطينية ، وربما يحاولان الحصول على المنصب ولكن طلبهما لا يمكن أن يلقى اعتبارا بسبب قوة الرأي العام وقدرتهما على أداء واجبهما .

وأود أن اذكر أنه من محادثاتي مع الشريف علي بك ، وجدت أنه ذو ميل نحو الحكومة البريطانية ، واذا اهتز الحكم التركي في الحجاز في اي وقت في المستقبل القريب ، سيكون علي بك رجلا نافعا جدا ، واني أميل الى الاعتقاد بأنه اذا حظي بأقل تأييد معنوي من جانب الحكومة البريطانية في ذلك الوقت فأنه لن يتردد في التخلص من نير الحكم التركي وقبول حماية الحكومة البريطانية .

وبسبب الحالة الصحية للشريف الحالي ، فان مسألة خلافته يحتمل أن تثار قريبا ، ولذا رأيت من واجبي أن أضع معلوماتي في هذا الصدد أمامكم . . . الخ

التوقيع
الطبيب محمد حسين
مساعد القنصل البريطاني بجدة

CONFIDENTIAL.

JEDDAH.

October 8th, 1903.

Sir,

I have the honour to report that during my visit to Taif ,for treatment of His Highness the Grand Sharif, I had a unique opportunity of making acquaintance of all the sharifs related to the present and the former Amirs of Mecca. I had access to all the families of all the sharifs, as a doctor, and had a good chance of making my acquaintance with them in a quite unofficial way. I had occasions of having friendly talks with all the sharifs, the most notable of whom at present in Hejaz, are Sharif Ali Bey son of the late Grand Sharif Abdulla Pasha. Sharif Nasir Bey Auni, cousin of Sharif Ali Bey, and Sharif Nasir Bey grand son of the late Grand Sharif Abdulmuttalib.

I found that the present Grand Sharif is disliked by all the Sharifs and sheikhs of the Bedouin tribes as well as the general public, and the reason of this is that His Highness is very despotic and tyrannical in his behaviour, and does not treat the sharifs and sheikhs of tribes with the respect and consideration due to their ranks and positions, also because the allowances of grain and money given by the Turkish Government does not reach them in full and with regularity, and above all because he is totally devoid of administrative tact and ability. His Highness is not liked even by his son and the members of his family, because instead of making provisions for the family, he spends all his money on works which

G.P. Devey, Esquire,

H. B. M. Consul,

JEDDAH.

would not bring any income, and on favourites who have no relation with the family. For instance, His Highness has built several houses for a lunatic Ali Baw at a cost of at least L.40,000 and has given him the right of collecting several taxes which were for the benefit of his own family, and in cash and jewellery which makes a total of at least another L.40,000, while the son of His Highness, Sharif Mohammad Abdulaziz Bey lives in an old house which is not worth L.500.

Talking about the successor of the Grand Sharif, I came to know that his younger brother Sharif Abdilla, now in Constantinople, may very likely succeed him, but at the same time I found that the opinion of all the sharifs and the public is much more in favour of Sharif Ali Bey son of the late Grand Sharif Abdulla Pasha.

It is said that Sharif Abdilla Pasha was liked by the people of Hejaz when he was here, but it is generally believed that his long absence of more than 20 years from Hejaz, and his meek and religious disposition combined with feebleness of will disqualify him for the post of the Grand Sharif under the existing conditions, as it is believed he would not be able to manage and control the Bedouins who have been driven to great exasperations under the present Grand Sharif. On the contrary Sharif Ali Bey, who is a man of great intelligence, tact, and strong will, and who has already gained the [illegible]

all the sharifs and Sheikhs of the tribes through his dignified behaviour and unrestricted hospitality towards them, is generally believed to be the man for the present juncture. Some of the sharifs also said that in case of sharif Abdilla Pasha's appointment as Grand Sharif, it would be a wise policy to appoint sharif Ali Bey as his official assistant. Thus the cause of discontentment among the members of the family will be avoided, and at the same time the control and management of the Bedouins will be placed in the proper hands. There are two other sharifs, Husain Bey a cousin of sharif Ali Bey, and Ali Hyder Bey, at Constantinople, who may try for the post of the Grand Sharif, but in the presence of Sharif Abdilla Pash and Sharif Ali Bey, their claims, both on the strength of public opinion and ability to perform the duty, can not receive much consideration.

In conclusion I beg to state that from conversation with sharif Ali Bey I found that he is well inclined towards the British Government, and if at any time in the near future, the Turkish rule in Hejaz becomes shaky, Sharif Ali Bey will be found very useful man, and I feel inclined to believe, that if he would receive the slightest moral support of the British Government at that time, he would not hesitate in shaking off the yoke of the Turkish rule, and accept the protection of the British Government.

As on account of the ...

Grand Sharif the question of his succession is likely to come to the front before long, I considered it my duty to place my knowledge concerning the question before you.

I have the honour to be,

Sir,

Your most obedient servant,

*I venture to say so for the following reasons:-

1. The Turkish rule, it appears, has always been distasteful to the Arabs of Hejaz, and owing to the weak and defective administration, this feeling has lately been augmented.

2. At the time of the last pilgrimage I came to know from a respectable sheikh of Bedouins that the Imam of Yemen had addressed a letter to sheikh Bin Aam, Amir of all the Harb Bedouins of Hejaz to join him in a movement to overthrow the Turkish rule simultaneously from Yemen and Hejaz, but sheikh Bin Aam did not accept the invitation as he did not consider the opportunity ripe for the move.

3. It is a well known fact that in Hejaz the Turkish authority is limited to the town of Jeddah, Mecca, Medina and a few coast villages while in the interior the bedouins are practically under no control, and a state of anarchy exists among them. Any tribe finding a chance can attack another tribe without any fear of punishment from the Turkish Government, and this state of things has only been created during the last 10 or 12 years, since the management of the bedouins has been entirely left to the Grand Sharif, who, as I have mentioned above owing to want of administrative tact and ability, has not been able to keep any check on them. Things cannot continue in this state under a Grand Sharif with administrative ability.

4. The sharifs even now consider that being the decendents of the prophet and having ruled the country so long, are the only people entitled to rule Hejaz, and this their idea has not been shaken at all by the ineffective Turkish rule.

ترجمة للوثيقــة رقــــم ٩١

القنصلية البريطانية بالحديدة

في ٨ ( من ابريل ٤ ١٩٠

الى القنصل البريطاني في جده

سيدي :

مضى عامان منذ تلقيت للاحاطة مشروع رسالة السير" كونور" رقم٧ ٥ ٤ المؤرخة ٣١ من ديسمبر ١٩٠١ الى وزير الدولة بحكومة جلالة الملك والمتعلقة برفـــض السلطات اليمنية السماح لاثنين من المبشرين بالسفر الى صنعاء .

وفي ١١ من مارس الماضي وصل الى هنا مستر" فورد ر" من ارساليــــــة " مايلدواي" في لندن ، والذى كان يقيم لعدة سنوات في فلسطين ، بهدف زيارة اليهود في صنعاء .

وكان يحمل الى جانب جواز السفر الصادر من وزارة الخارجية - ( تذكرة ) تأشيرة دخول الى اليمن من" يافا" .

وقد تلقيت توصية بأن أبعث معه قوة تحرسه في رحلته ، وأن امنحــه كـل التسهيلات التي يطلبها .

وحين طلب الموظفون الرسميون في الحديدة تعليمات من الوالي ، فانه أصر على أن الرحلة لا يمكن الاذن بها دون تصريح رسمي من الباب العالي الذى أبلغه الوالي بالأمر برقيا .

وقد أبلغت سفير جلالة الملك بالظروف ، وبناء على تعليمات سعادته حاولت أن ارتب مع عبدالله باشا الذى تربطني به بصفة خاصة علاقات ودية - السمـــاح لعضو الارسالية" مستر فورود ر" بالسفر الى صنعاء .

وقد أكد لي القائم بأعمال الوالي بصفة رسمية وخاصة ، أنه لم يرد ذكـــر لوضع عقبات في طريق الموافقة على طلبي ، ولكنه كان يتصرف بناء على تعليمات خاصة تلقاها من قبل ويحتمل أن تكون من القصر (الباب العالي ) وأضاف أنه نظرا لعـدم ورود رد من سلطات القسطنطينية على الرسالة الأولى ، فقد تم ارسال برقية تذكر بالموضوع .

وبعد الانتظار دون جدوى حتى يوم ٢٢ من مارس، سافر عضو الارسالية الى أورشليم (القدس) ، بعد أن أشار الى نيته في العودة في الوقت المناسب بعد الحصول على تصريح سوف يطلبه من سفارة صاحب الجلالة .

وبهذه المناسبة أود أن أذكر ان الكتب الدينية التي كان مزمعا توزيعها بواسطة الدكتور يونج عضو الارسالية ورفضت الجمارك التصريح بدخولها قد وردت الى هنا مرة ثانية .

وقد أقنعت المتصرف المحلي بالسماح بمرورها من الجمرك .

وعلى حين أفهم وجهة نظر سفير جلالة الملك من حيث أنه لم يكن من غير المرغوب فيه السماح لأعضاء الارساليات بمتابعة عملهم في هذا الجـــزء مـــن الامبراطورية العثمانية عندما كانت تسمح حال الولاية بذلك ، فاني أغامر بابداء رأيي في أنه ليس هناك سبب الآن يمنع من زيارة رجال الارساليات أو غيرهم مـــن الرحالة لأماكن في صنعاء وتعز وغيرها اذا رغبوا في ذلك .

ولم تمض شهور كثيرة منذ منعت السلطات رجلا من القاهرة ـ مستر سومخ ـ من الذهاب الى صنعاء ، وكان موفدا من قبل الاتحاد الاسرائيلي في باريس لكتابة تقرير عن أحوال اليهود في اليمن واقتراح مايراه لاصلاح احوالهم مـــن ناحية التعليم والدين .

وقد علمت أن الاتحاد المذكور في باريس على اتصال بالباب العالـــــــي للحصول على فرمان يتيح لممثلهم بمواصلة عمله في أماكن متعددة من هذه الولاية ( اليمن ) .

واذا كان هدف الاتراك اغلاق اليمن في وجه الرحالة ورجال الارساليات أفلا يكون من العدل أن يلح الى هذا الأمر، وهكذا نتحاشى تكاليف لا داعي لها ، بالاضافة الى تجنب المتاعب المرتقبة بالنسبة لزوار هذه الأماكن ؟

التوقيع

نائب القنصل البريطانـــي

7

Hod... h.

April 16th,1904.

No.43.

Sir,

It is now two years since I received for perusal the draft of Sir N.O'Conor's despatch No.457 of December 31st,1901 to His Majesty's Secretary of State relative to the refusal of the Yemen authorities to allow two English missionaries to proceed to Sana'a.

On the 11th March last, the Revd.Mr.Forder of the Mildmay Mission,London, who has been resident for several years in Palestine, arrived here with the object of visiting the Jews at Sana'a.

The above gentleman, besides being provided with a passport issued by the Foreign Office, brought a Turkish "teskhere" visa-ed for the Yemen, from Jaffa.

The usual recommendation was made by me to the local authorities for an escort to accompany Mr.Forder on his journey,

G.P.Devey,Esq.F.R.G.S.,
H.B.M. Consul,

Jeddah.

journey, and to grant him such facilities as could be properly afforded. 8

The Vali, who had been applied to, by the Hodeida officials for instructions, insisted that the journey was not permissible without an official permit from the Sublime Porte to whom His Excellency then referred the matter by cable.

I informed His Majesty's Ambassador of the circumstances, and under His Excellency's instructions tried further to arrange with Abdulla Pasha, with whom I am now on particularly friendly relations, to allow the missionary gentleman to proceed to Sana'a as desired.

The Acting Vali in reply assured me, both officially and privately, that there was no intention of putting obstacles in the way of acceding to my request, but that he was acting, and truly too, in accordance with special instructions previously received, most probably from the Palace.

It was added that no response being elicited from the Constantinople authorities to the first communication, a reminder was now being sent by telegraph.

After waiting in vain till the 22nd March, the reverend gentleman left for Jerusalem, intimating his intention of returning in due course with a permit for which he would apply through His Majesty's Embassy.

I might mention that in the case under report the same religious works intended for distribution among the Yemen Jews formerly introduced by the Revd.Dr.Young, but refused admission by the Customs, were again brought.-

I however induced the local mutasarrif to cause them to be passed through the Custom House.

(Please refer my despatch No.II. , D 8th Nov.1901.)

Bearing in mind the view held by His Majesty's Ambassador that it was not undesirable that missionaries be allowed to pursue their work in this part of the Ottoman Empire when the state of the country permitted,

I venture to express an opinion that there is no reason at present why missionaries or other travellers should not visit places at Sana'a, Taiz etc. if desired.

It is not many months since the authorities prevented a gentleman from Cairo, Mr. Somekh, from going to Sana who had been commissioned by the Israelite Alliance of Paris to report on the condition of the Jews in the Yemen and to advise measures for the amelioration of such from an educational and religious point of view.

I am informed that the above Society in Paris is in communication with the Porte in order to obtain a firman for their representative to carry on his work in various places in this vilayet.

If it is the intention of the Turk to close his gates in Yemen to travellers and missionaries, is it not but fair, may I ask, that due intimation should be given of the same, and thus obviate needless expense, and inconvenience to would-be visitors to these parts.

I have the honor to be,

Sir,

Your most obedient servant,

J.A. Richardson

His Majesty's Vice-Consul.

ترجمة لجزء من الوثيقـــة رقـم ٩٦

مكتب الهند
٢٢ من اغسطس ١٨٤٥

الى وزارة الخارجية البريطانية

سيدى

ذكرتم فى كتابكم المؤرخ ٨ الجارى المرسل الى سلفى مستر" امرســـون" أن لورد " أيردين" يرى أنه ى الظروف الحالية ينبغى أن تتخذ حكومة الهنـــد خطوات لتأييد حليفنا امام مسقط فى مقاومة أى عدوان قد يقوم به زعيم الوهابيين على أراضى مسقط وبيد وأن هناك معارضة لهذا الاتجاه.

وقد أرسلت سفينتان حربيتان تابعتان لصاحبة الجلالة الى مسقط، وقد نتساءل. هل زيادة القوة البحرية فى مثل هذه الظروف التى يتوقع فيها حدوث هجوم برى يقدم عونا ماديا للامام؟

ولكن اذا تأمل لورد أيردين فكرة ارسال قوة برية معاونة الى نفس المنطقة من بومباى، فانه ينبغى أن نفهم أن مثل هذه الخطوة قد تورطنا فى اعمـــال عدائية لا نهاية لها، كما أنها بعد احتلالنا لعدن قد تعطى انطباعا خاطئا أننا قد أتهمنا اتجاه التوسع الكبير فى الاستيلاء على الأراضى فى القارة العربية ( شبه الجزيرة العربية)

كما ينبغى أيضا ملاحظة ان الحركة الوهابية ليست مجرد حركة سياسيــة ولكنها فى الأصل حركة دينية تماما، وقد ينشأ خطر من تورطنا المستمر فى تأييد طائفة اسلامية ضد اخرى.

وعلى هذا الاساس فان لورد "هيسون" لا يستطيع الا ان يدرك أن اسلـم وأفضل طريق هو التمسك بالرأى الذى عبر عنه الحاكم العام الحالى للهند مـن أنه لا يريد فى الوقت الحاضر أن يشير على الحكومة بانتهاج خط سياسى قـد يورطها فى ارسال قوات الى الخليج الفارسى، كما أنها من ناحية اخرى قـد تشكل تهديدا لزعيم الوهابيين أو مساعده سعيد بن مطلق . . . . . . . الخ

٩٦٢

India Board
August 22. 1845.

Sir,

I am directed by the Commissioners for the affairs of India to acknowledge the receipt of the letter which you addressed on the 8th instant to my predecessor in Office Sir Emerson Tennent.

In that letter you state as the opinion entertained by Lord Aberdeen, "that in the present state of affairs more efficient measures should be adopted by the Government of India to support eventually the Imaum of Muscat in resisting any aggressions which the Wahabee Chief may make on the Muscat Territory."

The course thus generally

... Addington Esq.

indicated, appears to Lord Ripon liable to very serious objections.

It will be found that two Ships of War, namely Her Majesty's Sloop "Pilot" of 16 guns, and the East India Company's Sloop "Clive" [illegible] of 18 guns, have already been despatched to Muscat; and it may be questioned whether any increase of this naval force would, consist with the circumstances of the apprehended inland attack, be of material avail to the Imaum.

But if it be contemplated by Lord Aberdeen that an auxiliary land force should be sent to the same quarter from Bombay, Lord Ripon

cannot but apprehend that such a measure might involve us in hostilities of indefinite extent and duration, and might also, especially after our recent occupation of Aden, give rise to a general, however erroneous, impression of our having conceived views of territorial aggrandizement for ourselves in the Arabian Continent.

It should also be borne in mind that the Wahabee power is not merely a political movement, but, in its origin and progress, strictly a religious one; and that danger might arise of our becoming gradually involved in the support merely of one Mahometan sect against another.

On these grounds Lord Broughton cannot but conceive that the safer and better course would be to adhere to the opinion which the present Governor General of India [illegible] has expressed in Mr. Currie's letter of the 16th of May last: namely that "he would not at the present "moment commit the Government "to a line of policy which would "be likely to involve the necessity "of detaching troops to the Persian "Gulf, nor would he, on the other "hand make to the Wahabee "Chief or his agent Saeed Ben "Mootluck a threat which he "would not be prepared fully

ترجمة للوثيقة رقم ٩٨

القنصلية البريطانية في جدة

في ٣ من سبتمبر ١٨٨٤م        سياسي رقم ١١

الى وزير الخارجيـــة

سيدي :

في رسالتي رقم ٨ المؤرخة ٢ من يوليو تشرفت بتقديم معلومات معينـــة متعلقة ببعض الأمور في نجد وقد تلقيتها من دكتور هيوبر وهو عالم فرنسي يتنقل في بلاد العرب تحت رعاية وزير التعليم العام الفرنسي والجمعية الجغرافية في باريس.

ويؤسفني الآن أن ابلغكم أن دكتور هيوبر قد قتل اخيرا اثناء عودتـــه من جدة الى حائل ( في نجد ) وذلك بالقرب من " رابغ " التي تبعد ٨٠ ميلا علـى الساحل شمالي جدة على يد دليل بدوي بهدف سلب امتعته وممتلكاتـــــــه وتتجاهل السلطات كل المعلومات عن الموضوع ولكن أخشى أن يكون حقيقة.

ولا يوجد مسئول قنصلي في جدة حاليا ولكن الخبر أبلغ برقيا الى الحكومة الفرنسية .

وقد هاجم بعض البدو عالما " بروسيا يدعى البرفسور " يوتنج " عند عودته الى اوروبا بعد زيارة لحائل في الربيع الماضي ، وذلك بالقرب من " العلا " فـــي منتصف الطريق بين " حائل " و " الوجه " على البحر الأحمر. ولكنه استطاع أن ينجو بعد أن قتل ثلاثة بمسدسه ووصل سالما الى " الوجه " ومن هناك سافر بحـرا الـى مصر.

Copy.

Political
No. 11

Jeddah
Septr. 3. 1884

My Lord,

In my despatch No. 8 dated July 2. I had the honour to submit to Y. L. certain information respecting affairs in Nejd obtained from Dr. Huber, a French scientific gentleman travelling in Arabia under the auspices of the French Minister of Public Instruction and of the Paris Geographical Society.

I now regret to have to report to Y. L. that Dr. Huber, while returning from Jeddah to Hail (Nejd), is said to have been murdered recently near Rabbuk, a small town on the coast, 80 miles north of Jeddah, by a Bedouin guide for the

To
The Earl Granville K. G.

purpose

purpose of plunder. The authorities ignore all knowledge of the matter but I fear it is too true. The French Consular Officer is for the moment at Jeddah but the news has been telegraphed to the French government.

Professor Euting, a Prussian savant who visited Nejd and who finally left Hail last spring on his return to Europe, was attacked by Bedouins near Ala, a place about half way between Hail and El Wadj on the Red Sea.

By killing three with his revolver he escaped, and arrived safely at El Wadj and thence by sea to Egypt.

I have &c.

(signed). T. S. Jago

ترجمة للوثيقة رقم ١٢٤

القنصلية البريطانية في جدة

في ٥ من نوفمبر ١٩٠٤

الى السفير البريطاني في القسطنطينية

سيدي :

تقول التقارير ان ثمانية كتائب من القوات التركية ومعها بعض المدفعية الثقيلة قد أرسلت منذ عدة أسابيع من بغداد تحت قيادة الجنرال احمد فيظي باشا لمساعدة ابن الرشيد ضد ابن سعود ، ولكن لا شك ان معلومات دقيقة قد وصلت الى سفير جلالة الملك حول هذا الأمر .

وقد سمعت - ولا أستطيع ضمان صحة المعلومات - أن ثلاث كتائب من القوات التركية قد غادرت المدينة المنورة في وقت قريب تحت قيادة الجنرال عارف باشا ، وكانت قد تأخرت بسبب الحاجة الى ابل للنقل ، وهي تتجه الان الى عينزة .

ويشاع أن الحكومة التركية تنوي أن تجعل " نجد " بعد هزيمة ابن سعود محمية تابعة لها ، أو أن تضم البلاد وتجعلها ولاية من املاك تركيا .

ويبدو أن الناس الذين يؤيدون ابن الرشيد في نجد يرحبون بفكرة وضع الأتراك للبلاد تحت سيطرتهم المباشرة ، لأن الحاكم الحالي عبد العزيز بن الرشيد لم يثبت أنه حاكم ناجح أو قوي ، وقد اضطربت حال البلاد دائما منذ تولي السلطة . ويبدو أن هناك فكرة بين الغوغاء في الحجاز أن بريطانيا العظمى تؤيد قضية ابن سعود اكثر مما تؤيد عبد العزيز بن الرشيد .

التوقيع

القنصل البريطاني

JEDDAH,
November 5th., 1904. 352

No. 102

Sir,

It is reported that 8 battalions of Turkish troops with some heavy artillery were, several weeks ago, sent under General Ahmed Faizi Pasha from Baghdad, to help Bin Rashid against Bin Saood, but no doubt accurate information will have reached His Majesty's Embassy on the matter.

I hear also, but cannot guarantee the information, that three battalions of Turkish troops (refer despatch No.67 of June 17th) have recently left Medina under General Arif Pasha which were, for some time, delayed for want of transport camels, and are proceeding to Aneza.

It is rumoured that the Turkish Government intend to make Nejd, after defeating Bin Saood, a declared protectorate or to annex the country and make it a Vilayet of the Turkish dominion.

The people, who support Bin Rashid in Nejd, appear to appreciate the idea of the country being taken by the Turks under their direct control, as the present ruler Abdul Aziz Bin Rashid has not proved a successful or strong ruler, and the state of the country has, always, been disturbed since he came to power. There seems a notion among the vulgar in Hejaz that Great Britain, if anything, rather favours Bin Saood's cause than that of Abdul Aziz.

I have the honour to be,
with the greatest respect,
Sir,
Your most obedient, humble servant,

G. P. Devey.

H. B. M. Consul.

His Excellency, The Right Honourable,
Sir N. R. O'Conor, G.C.B., G.C.M.G.,
His Majesty's Ambassador &c., &c.,
CONSTANTINOPLE.

ترجمة للتوثيقة رقم ١٢٥

القنصلية البريطانية بجدة

١٦ نوفمبر ١٩٠٤م　　　مذكـرة　　　( اعدها نائب القنصل البريطاني بجدة )

عرفت مصادفة من مصدر موثوق به أن ست كتائب من القوات التركية قـــد أرسلت أخيرا من سوريا تحت قيادة الجنرال صدقي باشا الى معان، ومن هنـــاك سوف تتحرك الى العقبة، ومن العقبة تنتقل بالسفن الى ينبع ومنها الى نجد عن طريق المدينة المنورة .

وقد تأخرت ثلاث كتائب متجهة الى نجد تحت قيادة عارف باشا بسبـــب عدم وجود ابل لتنقلها ، وكانت سلطات المدينة المنورة تعرض ست ليرات تركيـــة ايجارا للجمل الواحد ولكن البدو كانوا غير راغبين في القيام بالمهمة ومنذ حوالي ١٢ يوما وصل الى المدينة المنورة ألف جمل أرسلها ابن الرشيد ولكنها لم تكن كافية، وكانت السلطات في المدينة المنورة تسعى جاهدة لتوفير ابل أكثر لارسال القوات.

تبين الأنباء التي وصلت حتى السابع من الشهر الجاري أن القوات لم تتحرك بعد ، ولكن من المحتمل جدا أن تكون قد تحركت.

وقد بلغني أيضا أن شخصا مسلما ( يدعى محي الدين أو أي اسم ينتهـي بكلمة الدين ) يقول انه وكيل مفوض من روسيا وفرنسا ، وقد ارسل كتابا الى ابـن الرشيد يعرض عليه اعانة مالية قدرها مائة الف دولار شهريا عند توقيعه معاهدة يقبل بها حماية احدى الدولتين : روسيا او فرنسا او حمايتهما المشتركة .

ويقال انه ذكر في رسالته أن بريطانيا العظمى كانت تحاول بناء خط سكـة حديدية من بور سعيد الى الكويت مارا بأقاليم نجد مما يشكل خطرا على نفوذه وبلاده ، ولذا فان ما يترتب له من الحصول على حماية روسيا أو فرنسا أو كليتهما معا سوف يريحه الى الأبد من مثل هذا الخطر.

وفي هذه الرسالة طلب هذا الرجل الاذن بزيارته له راسة الاقتراح ولكن ابن الرشيد رفض اعطاء هذا الاذن وحذره من دخول بلاده ، وذكر ان الحكومـة

العثمانية هي التي تقرر امكانية مد خط سكة حديد بور سعيد ـ الكويت ـ اذا كان قد وضع له مشروع ـ او عدم مده .

وأرسل ابن الرشيد رسولا خاصا بالرسائل التي تبودلت بينه وبين هـذا الرجل مع وثائق أخرى سرية وجدت مع ابن مسعود عندما جرح منذ بعض الوقت في معركة، الى القسطنطينية، وقد غادر هذا الرسول جدة على باخرة يوم ٧ الجاري .

وقد أبلغ ابن الرشيد الوالي وسمو الشريف كذلك عن هذه المكاتبـات بينه وبين هذا الذي يدعي أنه وكيل عن الروس والفرنسيين . كما بلغني أيضا ان ابن الصباح شيخ الكويت كان دائما شديد الميل نحو ابن سعود ، ولكن يبـدو أنهما ليس على وفاق الآن لأن ابن الصباح رد بعض النقود التي ارسلها اليـه ابن سعود من أجل امداده بالأسلحة والذخائر في الفترة الأخيرة ، وبسـبب ذلك أصبح ابن سعود بلا حول تماما وكان عليه أن يتجه الى الرياض .

ملاحظة :

بعثت هذه المذكرة الى الخارجية البريطانية رفق خطاب القنصل البريطاني بجدة رقم ١٠٩ وتاريخ ١٩ نوفمبر عام ١٩٠٤ .

Inclosure 1 in No. 149, 19 Nov. 1909

Memorandum. 302

I have come to know from a reliable source that six battalions of Turkish troops have, lately, been sent from Syria, under General Sidki Pasha, to Maan whence they have to march down to Acaba. From Acaba they go by steamer to Yenbo, and thence go to Nejd via Medina. Three battalions ordered to go to Nejd under Arif Pasha, and reported elsewhere, were delayed for want of transport camels. The authorities at Medina were offering up to six Turkish liras per camel as camel hire, but the bedow were still unwilling to undertake the task. About 12 days ago, 1000 camels sent by Bin Rashid arrived at Medina, but they were not sufficient, and the Medina authorities were endeavour-ing to secure more camels to despatch the troops. News re-ceived up to the 7th instant show that the troops had not left till then, but most probably they have started since.

I have also been informed that a Moslem (Mohiuddin or another name ending with -din) representing himself as an authorized agent of Russia and France had sent a letter to Bin Rashid offering him a subsidy of 100,000 dollars a month on his signing a treaty accepting the protection of either of the two powers or conjointly of both. It is said that he also mentioned in his letter that Great Britain was trying to con-struct a railway line from Port Said to Koweyt through Nejd which was to jeopardise his authority and country, and there-fore the arrangement offered by him viz. to obtain the pro-tection of Russia or France or both of them will, for ever, relieve him of any such danger. In this letter this man had also asked the permission to visit him in order to discuss the proposal, but Bin Rashid refused this permission, and warned him not to enter his country, and also mentioned that it was for the Ottoman Government to decide whether the Port Said-Koweyt Railway, if ever it was projected, was permissible or not.

Bin Rashid sent a special messenger with the correspondence that passed between him and this man with other confidential documents found with Bin Saood when, some time ago, he was wounded in a battle and had to run away, to Constantinople, and this messenger left Jeddah by S.S. "Nogileh on the 7th instant. Bin Rashid had also informed the Vali and the Grand Sharif about this correspondence between him and the alleged Russian and French agent.

I am also informed that Bin Sabah the Sheikh of Koweyt was always well inclined towards Bin Saood, but it appears that they are not on good terms now, as Bin Sabah lately returned some money sent by Bin Saood for a supply of arms and ammunition, on account of which Bin Saood was left quite resourceless and had to leave for Riadh.

November 16th, 1904.

الواثق بالله عبده سلطان

الى جناب عالي الجاه الاكرم الافخم محبنا وصديقنا قبطان كوبنخان دام

ولا زال محروساً من نوائب الزمان مأنوساً من طوارق الحدثان اما بعد فان سألتم عنا فنحن بحمد الله في خير

نتمنى الله المسؤول عنك وعن حالك لا صابتك سوء ولا مكروه واما اذا سألت عنا فانا من فضل الله

في كمال الاستقلال نعرفك انه قبل هذه كتبنا لك تعريف وذكرنا لك انه ما ينطوي لنا من مطوي

خط جناب الوزير الاعظم لنعرفك به جناب الوزير ذاكراً ان كتابنا الذي لهم وصلهم

وما شرحناه فيه على لسانك فهموه وان جناب الملكة والجورنمنت قد قبلوا بانه اذا استمر

امر العبيد من الاتيان الى الكوبه من زنجبار وبيمبه وما فيهما وتوابعها وان يكون ذلك اذية

لا تصير به [illegible] وان تمنع سلوك العبيد على جميع باقي البلدان وقد ارسلوا نقل الكتاب

الذي يريدها الى وكيلهم جناب قبطان هرتن فحين عطاها ذكرنا له ان جميع ما كتبه

جناب الملكة والوزير كافلين به كما وعدناهم على لسانك ونطلب منا البصير علينا

نحن من النقصان في الدخول اما منطرف البحث فنمنع رعايانا ما يمكنهم الدخول في

امرها ومنطرف ما يحصل من عوض النقصان فمعلوم شي منهم ففي الحقيقة نحن نستحق

منهم المسعدة والمحافظة دون غيرنا وكيف انه احسانهم الملكة والجورنمنت على جميع الدنيا

ومنطرف الحج(؟) [illegible] نعطي كل شي اذ جناب الملكة والوزير لا يكرهوا تصرفنا بالحج(؟) ولكن

ولكم حاجة(؟) يبدي لك منطرفنا فتبادر(؟) بها

انت لا تخفى عليك كل امر [illegible]

التي يكرهوا ذلك وتبيعوا(؟) [illegible] الاحوال

[illegible] رمضان [illegible]

[illegible] 1835
28 [illegible]
Rec: 22 [illegible]

ملحق

وبعد لا يخفاك نحن لم نزل في مغشر ونعب من قبطان هرتن وامور العجيبة ولكن لا يمكننا
نشكي منه لان قولنا غير مصدق عنده واذا كان الامر كذلك يجب علينا ان نعلم لان هذه بقينا
نطرد اهل الهند عرفنا جناب الوزير ان الذين هم ساكنين في زنجبار من قديم سولين
ووالدين ومعهم شوابة وبيوت وخدام امر المذكورين يرجعوا الى الكنل فبطا هرتن امر الى
العرب ان لهم اخضبا رحبت ما يريد واذا كان شيا تو نعبها ما يجي فرسخ عن كلكته وكلمن
يوصلها يصير حكمه حكم النواب نحن ما يكون حالنا وحال النواب واحد بقينا من قبل اهل
كنا احفظ شا لنا لك بعد المكاتبة وذكره لنا انهم خارجين من المكاتبة الان فبطا هرتن
داخل نفسه في جميع من كان بقينا الان لنا حكم بيبي ولا امر نفيذ نخلافا اهل
الدنيا فاطبة سير عند جناب الوزير لا رد ابرتين وصرح له جميع الاحوال كافة وزين
الجواب بوجه السرعة لاننا في الكدر والتعب والمشقة نشد عنك وتكلف تعلمنا انك
تودنا شيا نود لنفسك والسلام

١٢٦١
رمضان

١٥ ... ١٨٤١

رقم ١٦٧

من الحقير الفقير الى الله ... [illegible] ... الى الشيخ الاكرم ... العزيز الشيخ خميس بن ...
اما بعد السلام على من اتبع الصراط المستقيم ورحمة الله وبركاته نعلمك يا ايها ... [illegible]
بين عساكر السلطان العظيم وانهم ماكثون في ... [illegible] ... الاقاليم و...
ان جنابك ... والاجنبيون ملكوا ... [illegible] ... كما فعلوا في زمان مضى ... [illegible]
... قادر عليك ... [illegible]
يكون غير ذلك لان الفرانسيس ... [illegible]
... [illegible]
... وكذلك ما اعطانا ... [illegible]
سعادة سلطان الفرانسا ... [illegible]
فيه ونطلبه منك يا ... ان جئت ... [illegible]
الينا وابعث ... الى الشيخ عبد الرحمن ... [illegible]
الذي يتعلم اللغة السواحلية ... [illegible]
... [illegible]
انت ان شاء الله ... [illegible]
... خير وسرور

[illegible signature]

كتب في يوم الخامس عاشر من شهر ... سنة الف وثمانية ماية وواحد واربعين مسيحية

Hamees Oothman to whom this letter is addressed, is the person who went a little[?] Bousaiby[?] (on the ship of Messrs Newman Hunt & Co) proceeded to England, & he falsely representing himself as coming from His Highness the Sultan was presented to King William — For his misdeeds he has been confined in the Fort here once or twice.

He was obliged to fly from his creditors when he went with [illegible].

[illegible marginal handwriting]

رقم ١٢٨

الى جناب عالي الجاه والشأن عمدة الامرا والاعيان قدوة الاكابر والاقران الاجل الاكرم الافخم عين اعيان [illegible] ابن [illegible] المحترم

[illegible] وكان [illegible] ودعا [illegible] في معارج القبول [illegible] بعد [illegible] جناب [illegible]

الاكرم الاحشم [illegible] المولى [illegible] ابن [illegible]

[illegible] تلك الذات [illegible] الصفا [illegible] رب الارض والسموات

[illegible] الخاطر [illegible] من [illegible] وجهكم في [illegible] الاطراف [illegible] خاطرك

[illegible] جنابكم [illegible] خطوط [illegible] وصلت اليك وانت في [illegible]

[illegible] وصلنا [illegible] مكاتبة [illegible] الذي [illegible]

[illegible] الذي [illegible] الجاه الكونسل [illegible] انا مكاتب [illegible]

[illegible] مكاتبة [illegible] اليك [illegible] كل حاجة [illegible]

رقم ١٧٧

[illegible]

الى جناب عالي الجاه والشان الاجل الاكرم الونبيل الاعظم [illegible] ذي

ولا زال محروساً من نوب الزمان وما نوبنا من طوارق الحدثان اما بعد فالباعث

لتحرير احرف المحبة والمودة هو انه ذكر لنا محبنا علي بن ناصر لبنكر جناب [illegible]

مادة الفرنسيس ولا جانا منكم جواب فالذي نراه ان الفرنسيس [illegible]

ابن فهيم في الحقيقة جناب محبنا وصديقنا الكونسل قبل [illegible] لبنكر

اباها مطرقهم فنؤمل من جنابكم الجواب بوجه السرعة لنكون على بصيرة والسلام

حرر في ختام شهر محرم الحرام سنة ١٢٩٩

الواثق بالله [illegible] سلطان [illegible]

الى جناب عالي الجاه ولسان عمدة الوزراء واعيان قدوة الامراء ولام رأينا الاكرم الافخم ذي [illegible] ابو [illegible] باشا [illegible]

[illegible] وتفاني [illegible] ذوي [illegible] الا [illegible] الدولة [illegible] ابا [illegible] باب [illegible]

عن [illegible] وحيث [illegible] [illegible] من الكشوف [illegible] من [illegible]

في [illegible] المحبة والمودة [illegible] السؤال عن صحة تلك الذات حميدة الصفات [illegible]

والنحو [illegible] من [illegible] فانا من فضل [illegible] وجود ذلك [illegible]

[illegible] اخذوا [illegible] من غير طريق وفي هذه [illegible]

[illegible] البلاد [illegible] الخلل [illegible] حصل [illegible] الان [illegible]

[illegible] جناب [illegible]

[illegible] وعرفناه ان يكتب لنا خط [illegible] المذكورين ان [illegible] ذلك [illegible]

[illegible]

[illegible] ١٢٤٣

إلى جناب الجليل الجاه والشأن عين الوزراء الكرام وقدوة ذوي الفخر والاحترام عين أعيانه وفخر أقرانه الأجل الأكرم ذي [illegible]

[illegible] صفاء ووفاق ووداد ودعاء يرتجى في مدارج القبول فبلا اتفاق نهديه إلى الدولة البهية [illegible] إلى جناب [illegible]

[illegible] الأفخم والأمجد الأنبه الأدبه — حرس الله ذاته وحسن صفاته وأسعد أوقاته ولا زال [illegible] في العز [illegible]

الوداد نبدي بالسؤال عن صحة تلك الذات حميدة الصفات ونستفهم عن [illegible] الأوقات وأن تخبرنا [illegible]

[illegible] وجود ذلك [illegible] الاستقلال [illegible] نعرض لجنابك [illegible]

[illegible] الملكة المعظمة [illegible] الأسباب ما هو مذكور في [illegible] الذي [illegible] يكون أحد من [illegible] جناب الملكة المعظمة

[illegible] وتخص رعايانا تكون [illegible] ولا يكون [illegible] عن جنابكم بأشياء [illegible] التي [illegible]

[illegible] المحبة والصداقة الذي بيننا [illegible] جنابك [illegible] أن [illegible] من جناب الملكة المعظمة أن [illegible]

[illegible] جناب الملكة المعظمة [illegible] بزيادة المحبة التي بيننا تقبل [illegible]

[illegible]

رقم ٢٦٥

الى جناب عالي الجاه والشان عمدة الوزراء واعيان قدوة الامراء واقرانا الاكرم الافخم ذي رتبة [illegible] بالرتبة [illegible]

[illegible] صفاء ومحبة ودعاء يرتجى في اخير الاوقات [illegible] الاماف [illegible] الابواب [illegible]

عن [illegible] القراءة وحضر [illegible] الدولة     [illegible] من الكشف [illegible] من [illegible]

في العز والاقبال [illegible] في الحبة والمودة [illegible] السؤال عن [illegible] الذات [illegible]

والسموات [illegible] الحب [illegible] من [illegible] فانا من فضل [illegible] وجود ذلك [illegible]

[illegible] الفرنسيس [illegible] اخذوا [illegible] من غير [illegible] وفي هذه [illegible]

[illegible] الاحوال [illegible] الخلل [illegible] الان [illegible] في اعلى [illegible]

[illegible] جناب [illegible]

[illegible] وعرفناه ان يكتب لنا خط [illegible] المذكورين ان [illegible] المطلوب ذلك [illegible]

[illegible]

[illegible] في [illegible] سنة ١٢٤٣ [illegible]

نسخة من جناب الوزير الأعظم لارد بالمرستن

وبعد لا يخفاك ما أوجب لتعريف جنابك من قبل [illegible]

أحوالي نحو [illegible] وقصدهم يحتالوا على كل ما يقدروا عليه من البلدان [illegible]

الوقت يحكموا على [illegible] مخصوص [illegible] في [illegible] اصلهم

أهل موالي فعملوا [illegible] انه [illegible] موالي واتفقوا [illegible] وذلك

الرجل لا يملك من [illegible] من غير [illegible]

ولأجل [illegible] رعيتنا [illegible] ما أخذنا [illegible] بأنفسهم

أن يكونوا في طاعتنا وتحت حمايتنا وفي اتفقنا معهم على ذلك وان

منقادين تحت طاعتنا وتحت [illegible] رعيتنا وحيث ان [illegible]

الآن نحن [illegible] في خيالك [illegible] جميع الأحوال الذي [illegible]

of the 13th July 1856.

رقم ٢٤٢

بسم الله تعالى

من السلطان سعيد الحقير الى كافة من يراه من المسلمين وغيرهم وبعد وصلني جناب

عالي جاه كبتان فري منتل من طرف جناب الملكة المعظمة انهم

يريدون مني جزاير حلقان بنية الحلا والسوداء والحاسكية والقبلية وردو

اني قد اعطيتهن جناب سلطانة السلاطين الملكة المعظمة

سلطانة الجليلة جناب كوين وكتوريا هذه الجزاير المذكورة لها

والى اولادها بعد وهذه العطية تامة منّي ومن اولادي

وبعد برضا مني غير كذب ليعلم الواقف على هذا المكتوب

والسلام حرر ٧ من شهر شوال سنة ١٢٧٢ مسقط

الحقير العبد

صحيح ذلك سعيد بن سلطان

مولانا سيدنا سعيد بن سلطان

من نفذ خط مولانا والدي نفذ خادمه عبد الله بن [illegible]

Done in the presence of me (Signed) [illegible] Captain of Her Majesty's Ship [illegible] at [illegible] July 1856

Copied in my presence from the original [illegible]

26

(( مصادر ومراجع هذا البحث))

اولاً ـ الوثائــق :

القسم الأول ـ الوثائق التي لم يسبق نشرها :

(أ) وثائق وزارة الخارجية البريطانية بلندن : وقد استخدمت منهـــا المجلدات التالية :

١ـ المجموعة 54 المجلد رقم ١ لعام ١٨٣٤، ١٨٣٥، ١٨٣٦م خاص بمسقط وعمان .

" رقم ٢ لعام ١٨٣٨

" رقم ٤ لعام ١٨٤١، ١٨٤٢

" رقم ٥ لعام ١٨٤٢، ١٨٤٣

" رقم ٦ لعام ١٨٤٤

" رقم ٧ لعام ١٨٤٥

" رقم ٨ لعام ١٨٤٥

" رقم ٩ لعام ١٨٤٥

" رقم ١٠ لعام ١٨٤٥

" رقم ١١ لعام ١٨٤٧

" رقم ١٢ لعام ١٨٤٨، ١٨٤٩

" رقم ١٣ لعام ١٨٤٩

" رقم ١٤ لعام ١٨٥٠، ١٨٥١، ١٨٥٢

" رقم ١٥ لعام ١٨٥٣

" رقم ١٦ لعام ١٨٥٤، ١٨٥٧

" رقم ١٧ لعام ١٨٥٩، ١٨٦٠

" رقم ١٩ لعام ١٨٦٢

٢ ـ المجموعة: 78 المجلد رقم 1588 لعام ١٨٦٠ عن حلب ودمشق ، والحجاز.

5178 لعام ١٩٠١ عن البصرة وقطر.

5113 لعام ١٨٩٧ عن قطر

٣ ـ المجموعة Adm 27 المجلد رقم ٨ لعام ١٨٣٨ ، ١٨٤٤ ، ١٨٤٥ ،

رقم ١١ لعام ١٨٦٨ ، ١٨٦٩ ، ١٨٧٠

رقم ٢٣ لعام ١٨٩٧ ، ١٨٩٨ ، ١٨٩٩ ، ١٩٠٠ .

رقم ٣٤ لعام ١٨٨٥م .

وهي خاصة بالقيادات البحرية والخليج وحكومة الهنـــد .

٤ ـ المجموعة 195 المجلدات رقم 1251 لعام ١٨٧٩ ) خاصة بالحجاز واليمن

رقم 1251 ١٨٧٩ )

رقم 1314 لعام ١٨٨٠ )

رقم 1375 لعام ١٨٧٩ ، ١٨٨٠ .

رقم 1415 لعام ١٨٨٢ )

رقم 1482 لعام ١٨٨٤ )

رقم 1514 لعام ١٨٨٥ )

رقم 1583 لعام ١٨٨٧ ) خاصة بالحجاز

رقم 1805 لعام ١٨٨٨ ) واليمن ، ونجد

رقم 1813 لعام ١٨٨٠ )

رقم 2148 لعام ١٩٠٢ )

رقم 2148 لعام ١٩٠٣ )

رقم 2174 لعام ١٩٠٤ )

رقم 2198 لعام ١٩٠٥ )

رقم 2320 لعام ١٩٠٩ )

٥ - المجموعة 602 المجلد الاول والثاني لعام ١٨٨٦ ، ١٨٩٠ ، ١٨٩١
خاص بالبصرة وبغداد . وقطر

٦- المجموعة 685 المجلد الثالث لعام ١٩٠١ ، ١٩٠٤ خاص باليمن
وحكومة الهند .

(ب) - وثائق وزارة الخارجية الفرنسية بباريس :

١- المجموعة 445 المجلدات رقم ١ لعام ١٨٤٠ ، ١٨٤١ ، ١٨٤٦ ، ١٨٤٨ ،
١٨٤٧ ، ١٨٤٨ ، ١٨٥٠ ، ١٨٥٦ ، ١٨٥٧ ، ١٨٦٢ ،
١٨٦٤ .
رقم ٣ لعام ١٨٧٣ .
رقم ٤ لعام ١٨٧٦

وهذه المجموعة خاصة بالحجاز
وقد فهمت من الارشيف الفرنسي ان معظم الوثائق الخاصة بشبه الجزيرة العربية قد دمر في القنصلية الفرنسية بجدة حينما هوجمت وقتل القنصل الفرنسي بها عام ١٨٥٨ ، كما ان جزءا كبيرا من الوثائق دمر اثناء غارات الطائرات الحربية الالمانية على باريس في الحرب العالمية الثانية ، وقد اشير الى ذلك في العدد الثاني الصادر بتاريخ اكتوبر عام ١٩٧٩ في مجلة كراسات تاريخ الحرب في الصفحات ٣١-٣٣ وقد اوضح فيها الخسائر التي اصابت ارشيف الخارجية الفرنسية وكانت المقالة بقلم M.A. Outrey كما اشير الى ذلك في كتاب تاريخ العلاقات الفرنسية البريطانية من عام ١٩٣٥-١٩٣٩ والصادر عن المركز القومي للبحث العلمي في فرنسا طبعة عام ١٩٧٥ .

(جـ) - وثائق على الميكروفيلم رقم F.O. 42418 وهو خاص بحوادث مذبحة جدة عام ١٨٥٨ وعدد وثائقها حوالى ٣٩٩ وثيقة .

القسم الثاني ـ الوثائق المنشورة:

١ ـ وثائق فرنسية:

1. Archives Françaises A.E. (Vol. No. 1 des Memoires et Document Relatifes l'Egypte), du Colonel Seve au Baron de Varenne 17, Janvier 1833.
2. Documents Diplomatiques Français, Ser.I.V.IX, Paris, 1935, No. 279.

٢ ـ وثائق روسية:

١ـ الارشيف السياسي ملف ٨٣ ص٢١ من القنصل الروسي بالاستانة الى الخارجية الروسية رقم٩ وتاريخ ٢٢يناير١٨٩٢ .

٢ ـ موجودات الديوان ١٨٩٥ ملف ٢٦ المجلد الاول ص٤٦ ـ ٤٨ من السفير الروسي بالاستانة الى وزارة الخارجية رقم٦٥ لعام ١٨٩٥م .

٣ـ وثائق بريطانية:

١ـ تقرير الكولونيل روز الى الحكومة البريطانية بتاريخ ١ اكتوبر عام ١٨٤١ والمنشور في الكتاب الازرق الصادر برقم ٣ ١٨٤٣ .

٢ـ Hurewitz, J.C.: Diplomacy in the Near and Middle East. 11 volumes. New York,1956.

ثانياً- المراجع العربية:

١ - ابراهيم شريف (دكتور) : الشرق الاوسط، بغداد ١٩٦٥م

٢ - ابراهيم علوان : مشكلات الشرق الاوسط، بيروت ١٩٦٨م

٣ - ابو المينين محمد فهمي : افغانستان بين الامس واليوم، مصر ١٩٦٩م

٤ - احمد حسين : موسوعة تاريخ مصر- الجزء الثالث- القاهرة ١٩٧٣م.

٥ - احمد زيني دحلان : خلاصة الكلام في بيان امراء البلد الحرام، القاهرة ١٣٧٥هـ.

٦ - " " " : تاريخ الدولة الاسلامية بالجداول المرضية (لم يذكر مكان او سنة الطبع).

٧ - احمد السباعي : تاريخ مكة (دراسة في السياسة والعلم والاجتماع والعمران- مكة ١٣٨٥هـ.

٨- احمد عزت عبد الكريم (دكتور) : حركة التجديد في المجتمع العربي في القرن ١٩، القاهرة (منشورات معهد الابحاث والدراسات العربية).

٩ - احمد عسه : معجزة فوق الرمال، لبنان، ١٩٧١م

١٠- احمد علي : آل سعود، ١٩٦١.

١١- احمد مصطفى ابو حاكمة : محاضرات عن تاريخ شرقي الجزيرة العربية في العصر الحديث، القاهرة ١٩٦٨م.

١٢- احمد مصطفى حاكمة : تاريخ شرقي الجزيرة العربية (ترجمة محمد أمين عبد الله)، بيروت ١٩٦٥م.

١٣- اسد رستم (دكتور) : المحفوظات الملكية المصرية (الجزء الاول)

١٤- اميل خوري وعادل اسماعيل : السياسة الدولية في الشرق العربي، الجزء الاول- بيروت ١٩٥٩م

١٥- اميل لود فيغ : نابليون ( ترجمة عادل زعيتر ) ، القاهرة ١٩٤٦م.

١٦- امين الريحاني : ملوك العرب ـ الجزء الاول ـ بيروت ١٩٦٧م

١٧- أمين سعيد : تاريخ الاستعمار الانجليزي في بلاد العرب ، مصر ١٩٣٦م.

١٨- " " : اليمن ، تاريخه السياسي منذ استقلاله في القرن الثالث الهجري ـ القاهرة ١٩٥٩م.

١٩- انيس صايغ : الهاشميون والثورة العربية الكبرى ، بيروت ١٩٦٦م.

٢٠- أوكتاف أوبري : نابليون ( ترجمة متري شماس ) ، بيروت ١٩٦٩م.

٢١- بوندارينفسكي : سياستان ازاء العالم العربي ، موسكو ، ١٩٧٥م.

٢٢- بيرين جاكلين : اكتشاف جزيرة العرب ( نقله للعربية قدري قلعجي ) بيروت ١٩٦٣م.

٢٣- جاد طه (دكتور) : سياسة بريطانيا في جنوب اليمن ، القاهرة ١٩٦٩م.

٢٤- جلال يحيى (دكتور) : التنافس الدولي في بلاد الصومال ـ القاهرة ١٩٥٩.

٢٥- جمال زكريا قاسم (دكتور) : الخليج العربي ، دراسة لتاريخ الامارات العربية ( ١٨٤٠ - ١٩١٤ ) طبع جامعة عين شمس ١٩٦٦ ) .

٢٦- حسن ابراهيم حسن (دكتور) اليمن ـ البلاد السعيدة ـ مصر

٢٧- حسن صبحي (دكتور) : العالم العربي من الغفوة والجمود الى اليقظة والوحدة، بيروت ١٩٦٧م.

٢٨- حسين فوزي النجار : السياسة والاستراتيجية في الشرق الاوسط، القاهرة ١٩٥٣م.

٢٩- حسين كامل سليم : تاريخ اوروبا الاقتصادى فى القرن ١٩ مصر ( ولم يذكر سنة الطبع) .

٣٠- خير الدين الزركلي : الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز (بيروت ١٩٧١م) .

٣١- رواس. ا .ل : التاريخ الانجليزى ( ترجمة محمد مصطفى زيادة) القاهرة ١٩٤٦م.

٣٢- ساطع الحصرى : البلاد العربية والدولة العثمانية، بيروت ١٩٦٥م.

٣٣- سليمان موسى : غربيون في بلاد العرب، الاردن، ١٩٦٩م.

٣٤- سيد رجب حراز (دكتور) : الدولة العثمانية وشبه الجزيرة العربية (١٨٤٠-١٩٠٩) . القاهرة ١٩٧٠م.

٣٥- سيد مصطفى سالم (دكتور) : الفتح العثماني الأول لليمن ١٥٣٨- ١٦٣٥ القاهرة ١٩٦٩م.

٣٦- سيد نوفل ( دكتور) : الاوضاع السياسية لامارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة العربية، القاهرة ١٩٦٠م.

٣٧- سيد يو. ل. أ : خلاصة تاريخ العرب ( تعريب محمد احمد عبد الرزاق) القاهرة ١٣٠٩هـ .

٣٨- شوقي عطا الله الجمل (دكتور) : سياسة مصر فى البحر الاحمر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، القاهرة، ١٩٧٤م.

٣٩- صلاح البكرى اليافعي : في جنوب الجزيرة العربية، القاهرة ١٩٤٩م
٤٠- صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية - الجزء الاول- بيروت ١٩٥٧م.
٤١- صلاح العقاد (دكتور) : الاستعمار في الخليج العربي ، القاهرة ١٩٥٦م.
٤٢- عابدين حمادة (دكتور) : تاريخ الشرق والغرب، دمشق ١٩٥٧م
٤٣- عبد الأمير محمد الامين (دكتور) : المصالح البريطانية في الخليج العربي (١٧٤٧-١٧٧٨) ، بغداد ١٩٧٧م.
٤٤- عبد الحميد البطريق (دكتور) : من تاريخ اليمن الحديث (١٥١٧ - ١٨٤٠) ، القاهرة ١٩٦٩م.
٤٥- عبد الرؤوف احمد عمر : قناة السويس في العلاقات الدولية، القاهرة ١٩٧٨م.
٤٦- عبد الرحمن الرافعي بك : تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر- الجزء الثالث عصر محمد علي ، القاهرة ١٩٥١م.
٤٧- عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم (دكتور) : الدولة السعودية الأولى (١٧٤٥-١٨١٨) ، القاهرة ١٩٦٩م.
٤٨- عبد العزيز محمد عوض : الدولة العثمانية في ولاية سورية ١٨٦٤- ١٩١٤م ، مصر ١٩٦٩م.
٤٩- عبد العزيز محمد الشناوى (دكتور) : قناة السويس والتيارات السياسية التي احاطت بانشائها - الجزء الاول ١٩٧١.
٥٠- عبد العزيز محمد المنصور : التطور السياسي لقطر ما بين (١٨٦٨ - ١٩١٦) الكويت ١٩٧٥م.

٥١- عبد العزيز نوار (دكتور) : تاريخ العرب الحديث - الجزء الأول - العراق - القاهرة ١٩٧٦م.

٥٢- عبد الفتاح ابراهيم : رسائل الأهالي - الرسالة الاولى - على طريق الهند ، بغداد ١٩٣٥م.

٥٣- عبد الكريم غرايبة (دكتور) : سورية في القرن التاسع عشر ١٨٤٠-١٨٧٦م القاهرة ١٩٦٢م.

٥٤- " " " " : قيام الدولة السعودية العربية ، القاهرة ١٩٧٤م.

٥٥- عبد الله احمد الشور : هذه هي اليمن ، القاهرة ١٩٦٩م.

٥٦- فائق بكر الصواف (دكتور) : العلاقات بين الدولة العثمانية واقليم الحجاز ( رسالة دكتوراه ) ، القاهرة ١٩٧٤م.

٥٧- فاروق عثمان اباظه (دكتور) : عدن والسياسة البريطانية في البحر الاحمر (١٨٣٩-١٩١٨) القاهرة ١٩٧٦م.

٥٨- فرحات زيادة وابراهيم فريجي : تاريخ الشعب الامريكي ، مطبعة جامعة بريستون - امريكا ، ١٩٤٦م.

٥٩- فيشر هربرت : أصول التاريخ الأوربي الحديث ، مصر ١٩٧٠م.

٦٠- فيشر هـ . أ . ل : تاريخ أوربا في العصر الحديث ، القاهرة ( لم يذكر سنة الطبع ).

٦١- فيليب حتى (دكتور) : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين - الجزء الثاني بيروت ، ١٩٥٩م.

٦٢- فيليب دبلارد ايرلاند : العراق دراسة في تطوره السياسي (ترجمة جعفر خياط) بيروت ١٩٤٩م.

٦٣- فيلبي سنت جون : تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد عبد الوهاب السلفية ( تعريب عمر الديراوي ) بيروت .

٦٤- قطب الدين النهرواني (محمد بن احمد المكي) : الاعلام باعلام بلـــد الله الحرام، القاهرة ١٨٨١.

٦٥- قحطان محمد الشعبي : الاستعمار البريطاني ومعركتنا العربية فـي جنوب اليمن، القاهرة ١٩٦٢م.

٦٦- كيرك جورج : موجز تاريخ الشرق الاوسط. (ترجمة عمــر الاسكندري)، القاهرة ١٩٧٥م.

٦٧- لنشوفسكي جورج : الشرق الاوسط في الشئون العالميـــــة (ترجمة جعفر خياط) القاهرة ١٩٦٤م.

٦٨- لوتسكي فلاديمير : تاريخ الاقطار العربية الحديث (ترجمـــة الدكتورة عفيفة البستاني، موسكو ١٩٧١م.

٦٩- محمد احمد عيسى العقيلي : من تاريخ المخلاف السليماني - الجزء الاول الرياض ١٩٥٨م.

٧٠- محمد انيس (دكتور) : الدولة العثمانية والشرق العربي (١٥١٤-١٩١٤) القاهرة (لم يذكر سنة الطبع).

٧١- محمد انيس (دكتور) والسيد رجب حراز (دكتور) : الشرق العربي فـي التاريخ الحديث والمعاصر، القاهـــرة، ١٩٦٧م

٧٢- محمد جميل بيهم : العرب والترك في الصراع بين الشرق والغرب ١٩٥٧م.

٧٣- محمد بن خليفة النبهاني : التحفة النبهانية في امارات الجزيرة العربية بغداد، ١٣٣٢هـ.

٧٤- محمد طاهر العمري : تاريخ مقدرات العراق السياسية، المجلــد الاول، بغداد، ١٩٢٥م.

٧٥- محمد على الزرقا : عمان قديما وحديثا، ١٩٥٩م

٧٦- محمد فريد بك : تاريخ الدولة العلية العثمانية، القاهـــرة، ١٨٩٦م.

٧٧- محمد فؤاد شكري (دكتور) : عبد الله جاك منو وخروج الفرنسيين من مصر، القاهرة ١٩٥٢م.

٧٨- " " " " " مصر والسودان وتاريخ وحدة وادي النيـــل السياسية في القرن التاسع عشر، القاهـــرة ١٩٦٣م.

٧٩- محمد مصطفى صفوت (دكتور) : الاحتلال الانجليزي لمصر وموقف الدول الكبرى ازاءه، القاهرة، ١٩٥٢م.

٨٠- " " " " " انجلترا وقناة السويس ١٨٥٤-١٩٥١ - القاهرة ١٩٥٢م.

٨١- محمود صالح منسي (دكتور) : حركة اليقظة العربية في الشرق الآسيوي- دراسات في تاريخ الشرق العربي الحديث، القاهرة ١٩٧٥م.

٨٢- محمود كامل المحامي : الدولة العربية الكبرى، القاهرة ١٩٦٦م

٨٣- " " " : اليمن شماله وجنوبه، تاريخه وعلاقاتـــه الدولية، بيروت، ١٩٦٨م.

٨٤- محمود علي الداود : محاضرات عن الخليج العربي والعلاقات الدولية ١٨٩٠-١٩١٤ القاهرة ١٩٦١م.

٨٥- مصطفى الحفناوي (دكتور) : قناة السويس ومشكلاتها المعاصرة، الجزء الثاني، القاهرة ١٩٥٧م.

٨٦- نادر العطـــار : تاريخ سورية في العصور الحديثـــة - الجزء الاول- دمشق، ١٩٦٢.

٨٧- نوفان بمير ( دكتور) : تاريخ العلاقات الدولية ١٨١٥- ١٩١٤، ( تعريب دكتور جلال يحيى ) القاهـــرة ١٩٧١م.

٨٨- هانز جي مور جنتاو : السياسة بين الامم ( الصراع من اجـــل السلطان والسلام) ( ترجمة خيري حمـــاد ) الجزء الأول ١٩٦٥م.

٨٩- يوسف الفلكـــي، : قضية البحرين بين الماضي والحاضـــر، القاهرة ١٩٥٣م.

ثالثاً- المراجع الاجنبية:

1. Charles-Roux: L'Angletere, l'Isthme de Suez et l'Egypte au 18ème Siècle.

2. Benoist-Méchin, J.: Arabian Desting (translated from the French by Denis Weaver), 1955.

3. Dickson, H.R.P.: Kaweit and her Neighbour, London, 1956.

4. Brydges, Sir Harford, J.: A Brief History of Wahaby, Vol. 2.

5. Eric Marco: Yemen and the Western World since 1571. London, 1968.

6. Hallberg, Ch.: The Suez Canal, New York, 1931.

7. Hoskins, H.L.: European Imperialism in Africa, London, 1928.

8. Hunter, F.M.: An Account of the British Settlement at Aden, London, Trubner and Co., 1877.

9. Marston, T.E.: Britain's Imperial Role in the Red Sea Area 1800-1878. The Shoe String Press, Inc., Hamden, Connectincut, U.S.A.

10. Miles: The Countries and Tribes of the Parsian Gulf, Vol. II, London, 1919.

11. Philpy, H. St. J.: Saudi Arabia, London, 1950.

12. Scott, Hugh, Dr.: In the High Yemen, Murray, 1942.

## فهرســــــــت

| الموضـــــوع | رقم الصفحة |
|---|---|
| ز ـ الاحتلال الانجليزى لمصر عام ١٨٨٢. | ٦٧ |
| ١ـ الخطوات العملية للاحتلال. | ٦٨ |
| ٢ـ الوضع فى فترة مابعد الاحتلال. | ٧٠ |
| الفصل الثاني: الصراع الانجليزي الفرنسي في الشرق العربي (في الشام والعراق). | ٧٨-١١٦ |
| أ ـ الوضع فى الشام قبل الحملة الفرنسية. | ٧٨ |
| ب ـ الجذور التاريخية لعلاقة فرنسا بالشام. | ٧٨ |
| جـ ـ بريطانيا تدخل منافسا لفرنسا في سورية. | ٧٩ |
| د ـ احمد الجزار وحملة بونابرت. | ٨٠ |
| هـ ـ اسباب زحف بونابرت على الشام. | ٨١ |
| و ـ موقف السوريين من الحملة ونهايتها. | ٨٣ |
| ز ـ اسباب سيطرة محمد على باشا على الشام. | ٨٤ |
| ح ـ نهاية السيطرة المصرية على سورية. | ٩٢ |
| ط ـ عودة التنافس الانجليزى الفرنسى فى الشام. | ٩٥ |
| ى ـ حوادث عام ١٨٦٠. | ٩٨ |
| ك ـ اهتمامات انجلترا وفرنسا بالعراق قبل الحملة الفرنسية. | ١٠٧ |
| ل ـ اهتمام انجلترا وفرنسا بالعراق بعد الحملة الفرنسية. | ١٠٨ |
| الفصل الثالث: التنافس الانجليزى الفرنسي في غرب شبه الجزيرة العربية (الحجاز). | ١١٧-١٩١ |
| أ ـ السيطرة العثمانية على الحجاز. | ١١٧ |
| ب ـ الحجاز خلال الحملة الفرنسية على مصر. | ١١٧ |
| ١ـ الوضع قبل الحملة الفرنسية. | ١١٧ |
| ٢ـ اصداء الحملة الفرنسية فى الحجاز. | ١١٨ |
| ٣ـ آثار الحملة الفرنسية على الحجاز. | ١٢٠ |

| الموضـــــوع | رقم الصفحة |
|---|---|

| الموضـــــوع | رقم الصفحة |
|---|---|
| ١ ـ اسباب سيطرة بريطانيا على عدن . | ٢٢٥ |
| ٢ ـ النشاط البريطاني قبل الاستيلاء على عدن . | ٢٣٥ |
| ٣ـ الاستيلاء على عدن . | ٢٣٧ |
| هـ ـ عدن وفترة ما بعد الاحتلال . | ٢٤٥ |
| ١ـ موقف محمد علي من احتلال بريطانيا لعدن . | ٢٤٦ |
| ٢ـ النزاع بين الشريف الحسين والبريطانيين . | ٢٤٨ |
| ٣ـ تخوف الانجليز من الفرنسيين . | ٢٥٠ |
| و ـ النشاط الفرنسي المنافس للوجود البريطاني في عدن والبحر الاحمر | ٢٥١ |
| ز ـ تنافس انجلترا وفرنسا للسيطرة على الجزر في البحر الاحمر . | ٢٥٧ |
| ح ـ تنافس انجلترا وفرنسا في جنوب البحر الاحمر بعد افتتاح القناة | ٢٦٢ |
| ط ـ التنافس الانجليزي الفرنسي بعد عام ١٨٨٢م . | ٢٦٥ |
| ى ـ سلطنة لحج . | ٢٦٨ |
| ك ـ العثمانيون وسلطنة لحج | ٢٧٠ |
| ل ـ النواحي التسع المحمية . | ٢٧٢ |
| الفصل السادس: التنافس الانجليزي الفرنسي في وسط شبه الجزيرة العربية ( نجد ، حائل ) | ٢٧٣ـ٣٢٥ |
| أ ـ نجد والدولة العثمانية . | ٢٧٣ |
| ب ـ نجد ابان الحملة الفرنسية على مصر . | ٢٧٤ |
| جـ ـ نجد بين العثمانيين والمصريين . | ٢٧٥ |
| ١ـ الوضع قبل وصول الحملة المصرية الى شبه الجزيرة العربية . | ٢٧٥ |
| ٢ـ الحملات المصرية والقضاء على الدولة السعودية الأولى . | ٢٧٧ |
| د ـ قيام الدولة السعودية الثانية . | ٢٧٩ |
| هـ ـ نظرة على السياسة التركية تجاه نجد . | ٢٨٠ |